JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

JASRNB

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد الخامس/العدد الثامن عشر- دجنبر2022.

الترميز الدولي:
ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين
Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير:

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب.

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.
- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.
- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.

- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب
- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.

- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبـــول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع ســـمـــوك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــــــــــــارة محمـــــــــــد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خالد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أمحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسية بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.

- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

africa@democraticac.de

5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

ISSN 2569-734X

10.لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.

11.أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.

12.تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.

13.تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.

14.لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.

15.في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

-يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

–الملخص التنفيذي باللغة العربية– الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

–تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام

الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

-نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Sakkal Majalla

-حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

-حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

-نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية Times New Roman ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

-يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل،

قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" .

فهرس المحتويات

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال Author(s)	عنوان المقال Title	الصفحات Page Range
01	افتتاحية العدد بقلم: الدكتورة فاتحة تمزارتي، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب		11
02	م.م مروة علي حسين م.م مها سعد عبد الكريم	النزاع الاثني في الكونغو الديمقراطية (أطراف النزاع وجهود التسوية)	12-43
03	أحمد سليمان أبكر	دور الإدارة الأهلية وأثره على التعايش السلمي في سودان ما قبل الاستقلال (دراسة حالة نظارة قلع النحل)	44-58
04	أ.م.د. زياد يوسف حمد، ياسر طه حسين	سياسات القوى الإقليمية والدولية تجاه أثيوبيا في ظل ازمة أقليم تيغراي 2020	59-79
05	مصطفى خلادي، التهامي ديبون	التخطيط الجماعي ومسألة تقييم إدماج البعد البيئي من خلال آلية برنامج عمل الجماعة حالة جماعة القنيطرة	80-98
06	أحلام زبير محمد زبير	توظيف الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات دراسة استطلاعية / جامعة إبن سينا / الخرطوم	99-112
07	الشاوي إيمان	الموارد و أفاق التنمية المحلية بجماعة عين الدفالي	113-127
08	التايري عبد القادر، بوبشيري حياة	الجمعيات الدولية والمحلية، أية استراتيجيات تنموية؟ دراسة ميدانية بمجال الريف الأوسط الجنوبي الشرقي: حالة دائرة أكنول	128-143
09	عبد المجيد دريزي	مكانة المراكز الصاعدة في التنمية الترابية بإقليم تاونات: حالة مركز كلاز	144-155
10	فاطمة العمراني، المصطفى ندراوي، عبد المجيد السامي	الحرف التقليدية، تراث ثقافي متميز ومدخل استراتيجي للتنمية المحلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، كتلة تازكا أنموذجا	156-169

11	فتاح الزهر ابن الشيخ	الأشخاص في وضعية شارع وإشكالية الإدماج خلال زمن كورونا مدينة العرائش نموذجا	170-192
12	مجيدة لغزال	التصورات الماكروسوسيولوجية لعلاقة التربية بالهيمنة	193-208
13	نور الدين أمعيط	أقطاب التصوف بسجلماسة وإقليمها، ودورهم التربوي والاجتماعي نماذج من العصرين الوسيط وبداية الحديث.	209-226
14	يونس سيف النصر	الموارد الترابية وإشكالية التنمية الاقتصادية بالمناطق الجبلية، حالة جهة بني ملال خنيفرة	227-237
15	محمد ازكرار	التشريع البيئي بالمغرب : التطور، الحصيلة و الآفاق.	238-245
16	عرشان أحمو	الأراضي السلالية ومسألة التنمية الترابية بإقليم سيدي سليمان	246-266
17	محمد حليم، محمد أنفلوس	التخطيط الحضري لخدمات الرعاية الصحية وتأثيره في جودة الحياة بمدينة الدارالبيضاء	267-282
18	فاطمة احمد جنيد زخم، عيسى البوزيدي	التقلبات المناخية وانعكاساتها على الصيد البحري بساحل المهدية ومولاي بوسلهام	283-298

حلم النهضة التنموية والثقافية بأفريقيا

بقلم الدكتورة فاتحة تمزارتي، جامعة السلطان مولاي سليمان المغرب

عرفت بلاد افريقيا تاريخا مأساويا من القتل والنهب والسلب والإقصاء والتهميش. وتم تغييبها من الخريطة السياسية إلا في حالة ذكر المستعمرات الغربية، كما غيبها كبار المنظرين انطلاقا من مونتسكيو ودوركايم وماركس وهيغل وفيبر، بخلاف عناية هؤلاء بالصين واليابان والهند. وتعد قارتنا من أهم القارات فهي بلاد الذهب والثروات الطبيعية والبشرية. على أساس أن النفط لم يكتشف مكانه بعد وجاري التنقيب عنه. فزامبيا مثلا غنية بمعدن النحاس والذهب موجود بكثرة بجنوب إفريقيا والكونغو، أما وسط القارة فهو غني بمعدن الماس. ويحتل الرأسمال البشري أهمية كبيرة، بحيث نجد أفواجا وجماعات تهاجر من بلدانها هروبا من الحروب باتجاه أوروبا بحثا عن الاستقرار النفسي والمادي.

إن البحث في العلاقة الناظمة بين الثقافة والتنمية بشكل عام، والبحث فيها بقارتنا الأفريقية بشكل خاص، وحسب أغلب الباحثين الواقعيين، يعني البحث في ذلك العقد الفريد المركب من العادات، والتقاليد، والقيم، والعقائد، والاعراف، والإرث المادي واللامادي، والمعرفي والتربوي، لمجتمع ما في محيط جغرافي معين، ودراسة مدى استجابة ذلك النسق الاجتماعي والثقافي. ومن أجل أن يبرز هذا العقد ويبرز تفرده وانفراده، ما زالت افريقيا تبحث عن نموذج تنموي مناسب لخصوصياتها، هذا يؤكد بأن هذا النموذج لا يمكن تصنيعه في مصانع وفي مختبرات أجنبية، بل لا بد من إنتاجه على أرض افريقية وفي بيئة أفريقية وبالتالي الانطلاق من الثقافة الافريقية والتركيز على ماهية الإنسان الأفريقي. من هنا أفردت اليونسكو يوما عالميا للثقافة الأفريقية والثقافة ذات الأصول الأفريقية، الذي أعلنته عام 2019م، والذي يُحتفل به سنويا في 24 من يناير من كل سنة، ويرمي إلى الاحتفال بالثقافات الكثيرة والمتعددة والنشطة في القارة الأفريقية، وتشجيعها بحسبانها وسيلة فعالة لتحقيق التنمية المستدامة، وبحسبانها وسيلة للحث على الحوار وتحقيق السلام. وبوصف الثقافة الأفريقية الغنية، مصدرا للتراث العالمي المشترك، فتعزيزها يغدو أمرا بالغ الأهمية لتنمية القارة الأفريقية وللبشرية جمعاء.

المجلد الخامس/العدد الثامن عشر- دجنبر2022.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

Journal of African Studies and the Nile Basin

ISSN 2569-734X

النـزاع الاثنـي في الكونغـو الديمقراطيـة (أطراف النزاع وجهود التسوية)

Ethnic Conflict in the Democratic Republic of the Congo (Parties to the Conflict and Settlement Efforts)

م.م مروة علي حسين

م.م مها سعد عبد الكريم

Marwa.ali@sadiq.edu.iq

maha.saad@sadiq.edu.iq

جامعة الامام جعفر الصادق-العراق

جامعة الامام جعفر الصادق -العراق

الملخص: يعد النزاع في جمهورية الكونغو الديمقراطية من أهم بؤر توتر في القارة الإفريقية، فمنذ استقلالها في بداية الستينات وهي تشهد حالات اللاستقرار وأعمال العنف والتي أخذت عدة أشكال انقلابات عسكرية، اغتيالات سياسية، تظهير عرقي، وكانت أخطرها الحربين الأهليتين اللتين عرفتهما البلاد (1997 - 2003) و(2003 -2017)، فشهدت الدولة الكونغو الديمقراطية عمليات الصراع المسلح على نطاق واسع، إذ مارست الأطراف المتصارعة خلال الحربين عمليات واسعة النطاق، لذا سوف نبين في هذا البحث طبيعة النزاع الاثني في جمهورية الكونغو الديمقراطية من خلال بيان الخريطة الاثنية في الكونغو وجذور النزاع وأسبابه وكذلك الأطراف المحلية والإقليمية والدولية المشاركة في النزاع وجهود الأطراف الإقليمية والدولية في تسوية النزاع الدائر في الكونغو. ومحاولة معرفة الأسباب الحقيقية للنزاعات الاثنية في الكونغو، فضلاً عن محاولة الإحاطة بإبعاد النزاع المتشعبة التي تحمل ابعاد دولية، وهو ما جعل المشكلة لا تنبع من الداخل بل من الخارج لاسيما دور المؤثرات الخارجية التي ساهمت في هذا النزاع وجهود الإقليمية والدولية لحل النزاع.

الكلمات المفتاحية: النزاع الاثني، الكونغو الديمقراطية ، الجماعات المسلحة ، الأطراف الإقليمية والدولية ،التدخل ، الأمم المتحدة .

Abstract: The conflict in the Democratic Republic of the Congo is one of the most important hotbeds of tension in the African continent. Since its independence in the early sixties, it has been witnessing instability and acts of violence, which took several forms of military coups, political assassinations, and ethnic endorsement. The most dangerous of these was the two civil wars that the country experienced (1997-2003), And (2003-2017), the Democratic Republic of the Congo witnessed armed conflict operations on a large scale, as the conflicting parties practiced large-scale operations during the two wars, so we will show in this research the nature of the ethnic conflict in the Democratic Republic of the Congo by showing the ethnic map in the Congo and the roots of the conflict And its reasons, as well as the local, regional and international parties involved in the conflict and the efforts of regional and international parties to settle the conflict in the Congo. , And an attempt to know the real

causes of ethnic conflicts in the Congo, as well as an attempt to grasp the dimensions of the complex conflict that carry international dimensions, which made the problem not stem from the inside but from the outside, especially the role of external influences that contributed to this conflict and regional and international efforts to resolve the conflict.

Key words: Ethnic conflict, Democratic Republic of Congo, Armed groups, Regional and international parties, Intervention, United nations

المقدمة:

منذ بداية القرن العشرين حتى اليوم والمجتمع الدولي يعيش حالة اللاستقرار على أكثر من صعيد، فقد أصبحت النزاعات واحدة من أبرز ملامح السياسة العالمية خاصة خلال الربع الأخير من القرن العشرين، وذلك نتيجة لاختلاف المصالح وتعارض المواقف، وتنوع التوجهات بين الدول، واختلفت هذه النزاعات من حيث أطرافها وطبيعتها وحدتها، ومداها الزماني والمكاني. وشهد العالم خلال نهاية الحرب الباردة تزايد في معدل النزاعات، فهذه الأخيرة لم تقتصر على الدول فقط بل أخذت شكلاً جديداً، يتمثل في النزاع والصراع بين الحكومة والجماعات في الدول المعنية (داخل الدولة) أو نزاعات ذو طابع اثني (جماعة أثنية ضد جماعة أثنية أخرى)، والتي وصلت إلى درجة الإبادة الجماعية لقطاعات كاملة من السكان، وراح ضحيتها الالاف اشخاص، بالإضافة إلى ذلك ما يترتب على انتشارها من معاناة إنسانية كاللجوء والمجاعات وانتشار الأمراض والأوبئة، وعمليات القتل الجماعي، وكل ذلك ينطبق على النزاع في جمهورية الكونغو الديمقراطية باعتبارها أهم بؤرة توتر في القارة الإفريقية، فمنذ استقلالها في بداية الستينات وهي تشهد حالات اللاستقرار وأعمال العنف والتي أخذت عدة أشكال انقلابات عسكرية، اغتيالات سياسية، تظهير عرقي، وكانت أخطرها الحربين الأهليتين اللتين عرفتهما البلاد (1997 - 2003) و(2003 -2017)، فشهدت الدولة الكونغو الديمقراطية عمليات الصراع المسلح على نطاق واسع، إذ مارست الأطراف المتصارعة خلال الحربين عمليات واسعة النطاق، وفقا لمبادئ وقواعد محددة التي وصلت إلى درجة عالية من الاقتتال والاستنزاف المادي والمعنوي، لذا سوف نبين في هذا البحث طبيعة النزاع الاثني في جمهورية الكونغو الديمقراطية من خلال بيان الخريطة الاثنية في الكونغو وجذور النزاع وأسبابه وكذلك الأطراف المحلية والإقليمية والدولية المشاركة في النزاع ، كذلك سوف نبين جهود الأطراف الإقليمية والدولية في تسوية النزاع الدائر في الكونغو .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في محاولة معرفة الأسباب الحقيقية للنزاعات الاثنية في الكونغو، بالإضافة الى الحديث عن جمهورية الكونغو باعتبارها دولة نزاعية خاصة اذ عرفنا التعددية الاثنية الكبيرة فيها، بالإضافة الى محاولة الإحاطة

بإبعاد الموضوع المتشعبة التي تحمل ابعاد دولية، وهو ما جعل المشكلة لا تنبع من الداخل بل من الخارج لاسيما دور المؤثرات الخارجية التي ساهمت في النزاع وعلى رأسها الاستعمار البلجيكي. .

فرضية البحث:

يتأسس هذا البحث على فرضية ان النزاع في الكونغو الديمقراطية اثنياً ظاهرياً فقط، واما في باطنه هو نزاع على الموارد الطبيعية والمعدنية ولا يقتصر على الجماعات الداخلية وانما على أطراف خارجية في تأجيج الصراع الاثني في الكونغو، والعمل على احباط أي عملية تنمية في البلد.

إشكالية البحث:

ان الإشكالية المطروحة في هذا البحث تقوم إلى المحاور التالية.

1-الإطار المفاهيمي للتعددية الإثنية وبناء الدولة في الكونغو.

2-واقع الانقسامات الإثنية في الكونغو الديموقراطية وتأثيرها على بناء الدولة.

3-العوامل المتسببة في النزاع وسماته

4 -ما هي العوامل التي تؤدي للنزاع

5-ما هي دوافع النزاع في الكونغو الديمقراطية، ومصادره؟

6-وما هي انعكاسات هذا النزاع على البيئة الداخلية والإقليمية؟

حيث شكلت الانقسامات الإثنية المجتمعية أحد العوامل الرئيسية لعرقلة بناء الدولة في الكونغو الديموقراطية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والذي يستخدم من خلال تتبع ظاهرة النزاعات من حيث ظهورها وتطورها بالإضافة الى استخدامه في محاولة فهم مسار النزاع الاثني في جمهورية الكونغو مع دراسة اهم تطوراته ورصد سلوكيات الجماعات المسلحة ضمنه، اما المنهج الثاني هو المنهج التحليلي والذي يساعد على التحليل الشامل لنتائج النزاع الاثني في جمهورية الكونغو الديمقراطية وتأثير القوى الإقليمية والدولية في تسوية النزاع.

المبحث الأول: الواقع العام لجمهورية الكونغو الديموقراطي وخريطتها الاثنية

المطلب الأول: دراسة جيواستراتيجية لجمهورية الكونغو الديموقراطية.

ان جمهورية الكونغو الديموقراطي أو كونغو كينشاسا، تقع في حوض الكونغو ضمن منطقة البحيرات الكبرى الإفريقية، التي تعتبر منبع اساسي للماء في إفريقيا، كما تتمتع المنطقة بموارد طبيعية كثيرة ومتنوعة، وتبلغ مساحة جمهورية الكونغو الديموقراطية 904,747 ميلا مربع، وتقع في وسط إفريقيا ويمر بها خط الاستواء في الإقليم الأوسط الشمالي، كما تحدها من الشمال جمهورية إفريقيا الوسطى والسودان، ومن الشرق كل من أوغندا،

بوروندي، وبحيرة تنجانيقا، أما من الجنوب فزامبيا وأنجولا من الجنوب الغربي، ومن الغرب كونغو برازافيل و إقليم كابيندا. تأسيسا على ما سبق، تحمل جمهورية الكونغو الديموقراطي موقعا استراتيجيا في وسط إفريقيا، فهي تجاور بحيرة تنجانيقا والتي تعد ثاني أكبر البحيرات العذبة في العالم، مما يعزز أمنها المائي وفي نفس الوقت هي تجاور دول تشهد نزاعات داخلية كبوروندي، كونغو برازفيل، أوغندا جمهورية إفريقيا الوسطى والسودان مما أثر على أمنها واستقرارها بل على وتيرة النزاع الاثني داخلها، فهي في منطقة نزاعيه سهلت انتقال الأسلحة داخلها خاصة مع اللاجئين الذين يتنقلون في اتجاهين معاكسين ضمنها بين طالب اللجوء من البلدان المجاورة وبين مواطنيها الفارين من النزاعات من جهة أخرى .

تقع جمهورية الكونغو الديموقراطية في منطقة حساسة جداً، المنطقة البحيرات الكبرى تكتسب أهمية كبيرة بالنسبة إلى افريقيا والعالم، بسبب الموارد الطبيعية النزاعات والحروب الداخلية، ما يجعل موقع جمهورية الكونغو الديموقراطية يلعب دورا كبيرا في المتواجدة ضمنها، كما أنها بؤرة توتر كبيرة إذ أن خل دول المنطقة تشهد توترات كبيرة سعل زيادة أزماتها الداخلية. [1]

تتميز التضاريس في جمهورية الكونغو الديموقراطية باستحواذ نهر الكونغو على معظم أراضيها، حيث يشغل الجزء الأوسط من البلاد ويرتفع عند الجنوب مكوناً هضاباً وسلاسل جبلية. وتعد جبال ميتوميا على الحدود الشرقية هي أعلى الجبال في البلاد، حيث يصل ارتفاعها إلى 5110 متر فوق سطح الأرض في قمة نجاليما، ويطلق على السلاسل الجبلية في الجنوب الغربي اسم هضبة باي. وتكوين التضاريس يمنح امتياز لجمهورية الكونغو الديموقراطية، إذ أن الأراضي المنخفضة المجاورة للنهر صالحة للزراعة خاصة مع المناخ الاستوائي هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعد الجبال صبغة مميزة للكونغو الديموقراطية، خاصة وأنها عبارة عن سلاسل جبلية أثرت بشكل كبير على أمنها الداخلي، إذ أن النزاعات التي دارت وما زالت تدور في جمهورية الكونغو الديموقراطية لعبت التضاريس دورا مهما في استمرارها، لأن الجبال هي الملجأ الأساسي للجماعات المسلحة. ومنه نجد أن جمهورية الكونغو الديموقراطية، تقع ضمن منطقة استراتيجية وفي نفس الوقت ضمن منطقة أزمات، إذ أن أغلب جيرانها هم دول نزاعيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتمتع بتضاريس مختلفة ساهمت في تعدد موارده الطبيعة التي كانت سببا في التكالب الدولي عليها كما ستراه لاحقا.

---

(1) - عبد الرهاب الكيلالي، الموسوعة السياسية، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية الدراسات ، بيروت- لبنان ، 1993، ص96.

المطلب الثاني: الإمكانيات الاقتصادية في جمهورية الكونغو الديموقراطي.

تزخر جمهورية الكونغو الديموقراطي بموارد طبيعية كثيرة ومتنوعة كفيلة بجعل اقتصادها يزدهر إلى أبعد الحدود، خاصة وأن عدد سكانها ضئيل مقارنة بمساحتها، ويجمع الخبراء على أن جمهورية الكونغو الديموقراطية لديها أكبر الثروات المعدنية الغير مستغلة، والتي قدروها بنحو 24 تريليون دولار من احتياطات المعادن.

اولاً: المعادن: -تزخر جمهورية الكونغو الديموقراطية بأكبر احتياطي للمعادن في إفريقيا وهي: أولا-الكولتان": يعد من أهم المعادن في إفريقيا، ويستخدم في الصناعات التكنولوجية المتطورة كالهواتف الخلوية والتور بينات العملاقة، كما يدخل في صناعة المصابيح الكهربائية والكثير من الصناعات التكنولوجية المتطورة. وتحتوي جمهورية الكونغو الديموقراطية على 80%من الاحتياط العالمي المكتشف، وتقع مناجم الكولتان في شرق الكونغو الديموقراطية. وتعتبر المنطقة غير مستقرة سياسياً وأمنياً، بسبب كثرة الجماعات المتمردة ضمنها واحتلال رواندا لها، إذ تتهم الأخيرة من قبل الأمم المتحدة بتهريب الكولتان إلى رواندا وبيعه بطرق غير شرعية.

ثانيا الألماس. تعد جمهورية الكونغو الديموقراطية من أكبر الدول المنتجة للألماس عالمياً، وتأتي بعد روسيا في كمية الماس المستخرج. وترتكز مناطق إنتاج الماس في كاساي الشرقية وكاساي، واكواتور، واقليم أورينتال،، ويمكن تفسير ذلك بالنزاعات والحروب القائمة في الكونغو الداخلية . وبالرغم من أن جمهورية الكونغو الديمقراطية هي أكبر منتج لألماس في أفريقيا، إلا أن كميات الإنتاج الحقيقية غير واضحة. إذ يتم إنتاج معظم إنتاج الألماس في جمهورية الكونغو الديمقراطية من قبل القطاع غير شرعي، فقوات المتمردين تسيطر على مناطق إنتاج الماس وحكومة جمهورية الكونغو الديمقراطية التي تمتلك 80%. أما دي بيرز تمتلك حصة 20%في وخاصة في مقاطعة كاساي الشرقية. والمنتج الشرعي الوحيد للألماس التجاري في جمهورية الكونغو الديمقراطية هو شركة مينير دي باكوانج، وهي مشروع مشترك بين شركة سيبيكا البلجيكية سيبيكا. وتمتلك الشركة المنجم الوحيد الذي يعمل في البلاد .

ثالثا- الذهب: بدأ تعدين الذهب الصناعي في جمهورية الكونغو الديموقراطية قبل أكثر من قرن. وكانت بدايات التعدين الأولى في منطقة ايتوري التي عرفت بكثرة الذهب فيها. وتقدر قيمة الذهب بحوالي 28 مليار دولار تحت التربة في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية. [2]

رابعا- النحاس: تساهم جمهورية الكونغو الديموقراطي ب3%من إنتاج النحاس في العالم، ويتمركز النحاس في جمهورية الكونغو الديموقراطية في مقاطعة كاتانغا، وقد أوردت التقارير أن النحاس الموجود بها والغير مستغل لو

(2) جمال حمدان ، افريقيا الجديدة دراسة في الجغرافيا السياسية ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، 1996 ، القاهرة –مصر ، 237.

أستغل لأصبحت جمهورية الكونغو الديموقراطية أكبر منتج للنحاس في إفريقيا. والى جانب هذه المعادن الأساسية الأخرى كالحديد والقصدير . [3]

المطلب الثالث : الخريطة الاثنية لجمهورية الكونغو الديموقراطية.

تعتبر جمهورية الكونغو الديموقراطية ثاني أكبر البلدان الإفريقية بعد السودان تنوعاً اثنياً، فهي تضم ضمن أراضيها ما يقارب 250 جماعة اثنية، إلا أن هذه الجماعات يمكن إدراجها ضمن الكونغو الديموقراطي أزيد من 60000 كونغولي أبيض معظمهم من أصول بلجيكية رفضوا العودة. فالخريطة الاثنية لجمهورية الكونغو الديموقراطية غنية جدا، جعلت المجتمع الكونغولي يتخبط بين الثقافات، واللغات، والتقاليد والعادات المختلفة، التي عملت الكثير من الأطراف الداخلية والإقليمية والدولية على تسيسها، وبذلك أصبحت جمهورية الكونغو الديموقراطية قنبلة موقوتة، .

فهذا يبين التنوع الاثني الكبير الذي تعرفه البلاد. والذي ساهم بدرجة كبيرة في الحروب والنزاعات الداخلية التي تعرفها. وسوف نحاول الإشارة إلى أهم الجماعات الاثنية في جمهورية الكونغو الديموقراطية وهي:

1-لوبا:أو البلوبا: هي أكبر مجموعة اثنية في جمهورية الكونغو الديموقراطية، وهي سليلة شعب البانتو السكان الأوائل للأراضي الكونغولية، تتمركز في كاساي ومانيما وكاتانغا، ويمتهن شعبها الصيد على ضفاف نهر الكونغو بالإضافة إلى تربية الماشية والزراعة". والملاحظ أن هذا الشعب يتمركز في مناطق التعدين الأساسية في الكونغو الديموقراطية، وهي شرق الكونغو التي تعتبر منطقة النزاع الكبرى في الجمهورية الكونغولية .

2-مونغو:يتكون شعب المونغو من عدة قبائل صغيرة تجتمع لتكونه، وهي قبيلة مبول، وقبيلة اكوندا، وقبيلة بوبيلا، وبوليا بالإضافة إلى نكوتو. وتتحدث هذه المجموعات لهجات مختلفة من لغة المونغو، وهي ثاني أكبر مجموعة عرقية في البلاد يمتهن سكانها الزراعة والصيد وهم كاللوبا يرتكز دينهم على المعتقدات الروحية القديمة، التي ترتكز على قوى الأسلاف وأرواح الطبيعة. وخلال الفترة الاستعمارية اعتنق بعض من أفرادها المسيحية.

3-كونغو: تنقسم جماعة الكونغو بين ثلاث بلدان هي الكونغو الديموقراطية وجمهورية الكونغو وأنغولا، وقد استوطنت الكونغو الديموقراطية مع القرن الثالث عشر، وامتهنوا الزراعة التي مازالت إلى اليوم تعد النشاط الأساسي لهم إلى جانب التجارة وصيد الأسماك، وهم يتحدثون لغة الكيكونغو بالإضافة إلى الفرنسية ويعتقدون بالديانات الإفريقية القديمة التي ترتكز على المعتقدات الخرافية القائمة على القوى الخارقة للطبيعة، إلا أنهم على عكس الجماعات الأخرى مرجوا المسيحية خلال فترات التبشير بمعتقداتهم الدينية.

---

(3) المصدر نفسه ، ص 237-238.

4-مانغيتو: يتمركزون داخل المنطقة الشرقية من جمهورية الكونغو الديموقراطية، وتعود أصولهم إلى السودان إذ قدموا إلى الكونغو الديموقراطية من خلال الهجرة خلال القرن التاسع عشر. واختلطوا مع الشعوب الناطقة بلغة البانتو، وتأثروا بلغاتهم وثقافاته. وقد حظرت معظم ممارساتهم أثناء الاستعمار كما يعتبر شعب المانغيبتو من الشعوب الفنية، فيرتكز نشاطهم على التحت والفخار والبناء كما يشتهر مجتمعهم بالموسيقى.

5-مورو: ينقسم شعب مورو بين جمهورية الكونغو الديموقراطية وجنوب السودان، وقد عان شعب مورو من الاسترقاق الأوروبي حيث كان هدفا أساسيا للغارات الأوروبية من أجل العبيد. ويتحدثون لغة المورو ويمتهنون بالأساس الزراعة والتجارة والصيد.

6-زائدي: بدأت هجرة شعب الزائدي إلى جمهورية الكونغو الديموقراطية قادمين من السودان سنة 1600 الميلاد. وقد كانت هجرتهم هروبا من المجاعة التي ضربت السودان. يتمركزون في الغابات الاستوائية المطيرة والسافانا، وتعد الزراعة وصيد الأسماك وصيد الحيوانات البرية أساس نشاطاتهم، ويتميزون بامتزاجهم مع الشعوب الأخرى ويتكلمون خمسة لهجات، ترتكز على اللغة الأزندية وهي نوع من أنواع لغة البانتو، كما يؤمن شعب زاندي إيمانا راسخاً بالسحر والخرافات ويتم التعبير عن ثقافتهم في الغالب من خلال الفولكلور الشفوي، والموسيقى، والرقص، وقد تم القبض على شعب زائدي في حروب المتمردين في الكونغو .

7- الكونغوليون الأوروبيون: يشير مصطلح كونغوليون أوروبيون إلى مواطني جمهورية الكونغو الديمقراطية الذين لديهم أصول أوروبية بيضاء. إذ يرجع تاريخهم إلى الاستعمار البلجيكي للبلاد، فبعد أن نالت الكونغو استقلالها بقي بعض المبشرين والمستوطنين بها، على الرغم من أن عددهم أخذ في التناقص بسبب الحرب الأهلية وعدم الاستقرار الذي تعرفه البلاد. وتتحدث هذه المجموعة اساساً اللغة الفرنسية وهي أيضا اللغة الرسمية في البلد.

والملاحظ أن هذه الخريطة الاثنية المتنوعة لجمهورية الكونغو الديموقراطية، جليت لها الحروب الداخلية والدراعات الاثنية، حيث تولد عن هذه الخريطة منافسة دائمة حول الثروة والسلطة، ومع أن الأمة غنية بشكل كبير بالموارد الطبيعية، تتنافس جماعات اثنية مختلفة على السيطرة على السلطة وبالتالي السيطرة على ثروة البلاد. (4)

المبحث الثاني: النزاع الاثني في الكونغو الديمقراطية (الجذور التاريخية ومراحل النزاع)

المطلب الأول: الجذور التاريخية النزاع الاثني في جمهورية الكونغو الديموقراطية من 1960 إلى 1966:

(4) الشيماء علي عبد العزيز، أبعاد خبرة العنف السياسي في زائير، مجلة السياسة الدولية، العدد 129 ،القاهرة ،تموز 1997 ،ص 193 .

شهدت أراضي الكونغو الديموقراطية منذ أواخر القرن الثامن عشر، نزاعاً منقطعاً بين فترات متقطعة من السلام والاستقرار. فبعد الاستعمار البلجيكي الذي عمل على استنزاف موارد المنطقة وإعاقة التنمية فيها، شهدت الكونغو الديموقراطية غداة استقلاله أول محاولة انفصالية لإقليم كاتانغا والتي أسفر عنها تدخل الأمم المتحدة من أجل إنهائها، ومنذ ذلك الحين والكونغو الديموقراطية تشهد نزاعات مستمرة ظاهرها اثني وباطنها صراع حول السلطة والموارد فبعد نيلها لاستقلالها سنة 1960 وانتخاب الرئيس جوزيف كاسوفودو رئيساً لبلاد وتعيين حكومة بقيادة باتريس لومومبا، بدأت الحدود الاثنية والشخصية تبرز في جمهورية الكونغو الديموقراطية، إذ أن حماسة الاستقلال والحلم بدولة موحدة ما لبث أن تلاشي، فبدأت الاضطرابات والنزاعات تضرب الدولة. [5]

وبرزت التوجهات الاثنية والشخصية القبلية للكنغوليين مع بداية تشكل دولة ما بعد الاستعمار، حيث برزت النوايا الأثنية مع متمردي كاتانغا في شرق الكونغو، والتي فتحت المجال القوات الأممية للتدخل، فكانت النقطة السوداء الأولي في تاريخ الكونغو الديموقراطية التي فتحت الباب للنزاع الاثني من جهة والتدخل الخارجي من جهة أخرى، ويمكن رصد مسار النزاع والحرب في جمهورية الكونغو الديموقراطية من خلال تحديد الفترات الزمنية للنزاع. [6]

حيث عرفت جمهورية الكونغو الديموقراطية خلال هذه الفترة أزمة حادة عرفت باسم أزمة الكونغو، فبعد أن سيطر جوزيف موبوتو على الحكم بعد سلسلة من الاضطرابات السياسية والتقاتل على السلطة بدأت الجماعات الاثنية والقبائل في نزاع بين بعضها البعض كان مصدره الأساسي الدعم الخارجي للجماعات من قبل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، فحدثت حرب بالوكالة بين الجماعات الاثنية ضمن الحرب الباردة من أجل السلطة، وسميت هذه الحرب بحرب الكونغو الأولى .

كانت أولى مظاهرها تمرد في الجيش في المنطقة الشرقية في تموز 1960، وبالضبط في كاتانغا وجنوب كاساي والتي دعمتها بلجيكا، فبدأ التمرد بين صفوف الجيش ثم انتقل إلى المدنيين بين البيض والسود لتتدخل بلجيكا بقواتها العسكرية من أجل حماية رعاياها الذين اختاروا البقاء بعدد استقلال الكونغو الديموقراطية، وفي ظل استمرار العنف والاضطرابات تدخلت الأمم المتحدة من خلال قوات حفظ السلام.

رفضت الأمم المتحدة مطلب الحكومة الكونغولية باستخدام العنف ضد المتمردين، وهو ما جعل رئيس الوزراء الكونغولي باتريس ومومبا يطلب المساعدة من الاتحاد السوفياتي، الذي لم يتوانى في استغلال الفرصة، وقام بإرسال مستشارين عسكريين برفقة مختلف أشكال الدعم العسكري والمادي، وهو ما فتح المجال للتدخلات الخارجية التي شكلت بدايات توجيه السياسة الكونغولية بما يخدم المصالح الخارجية، والتي هدفت في الأساس من

(5) روزا إسماعيل ، إفريقيا الاستوائية المشكلات العرقية ...هل يمكن حلها؟، ترجمة مصطفى الرزاز، القاهرة: دار الثقافة الجديدة ،2001، ص.22.
(6))المصدر نفسه ، ص 24.

خلال التدخلات إلى تسيير مصالحها الشخصية إما من خلال استنزاف الموارد الكونغولية أو باستخدامها من خلال الحرب بالوكالة كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي سابقا . خلال هذه الفترة دخلت الكونغو الديموقراطية سلسلة من النزاع حول السلطة أساسه أحقية من يحكم، فبدأت الاختلافات الاثنية تبرز من خلال أول انقلاب عسكري قاده موبوتو، والذي استغل الوضع المتأزم والخلاف بين الرئيس جوزيف كاسا فوبو ورئيس وزراءه لومومبا. وابتدأ موبوتو في حكمه الجديد بإعدام لومومبا سنة 1961.لتقسم الكونغو الديموقراطية إلى قسمين، قسم تحت حكم الجنرال موبوتو وقسم تحت حكم أنصار لومومبا. حيث سيطر أنطوان جيزنغا على المنطقة الشرقية وأعلن مدينة ستانليفيل عاصمة لحكومته. وحظي بدعم سوفياتي كبير من حيث المال والعتاد. وهو ما رجح كفة القوى إلى جيزينغا وأنصاره . وبعد مقتل الأمين العام للأمم المتحدة داغ همرشولد إثر تحطم طائرته في 18 كانون الاول 1961 في الكونغو . قامت الأمم المتحدة بدعم الحكومة بقيادة موبوتو ضد الانقلابين في الشرق ففشلت الحركة الانفصالية وتمت السيطرة عليها في جنوب كاساي وكاتانغا في1963. تم اعتماد دستور توفيقي من أجل الحفاظ على وحدة البلاد، نصب من خلاله مويس تشومبي زعيم جماعة الكاتانغيس لرئاسة إدارة مؤقتة للمنطقة الشرقية إلى حين تنظيم انتخابات جديدة، لكن قبل أن يتم ذلك قام مسلحون من الماويون يعرفون باسم سيمباس بالسيطرة على مساحات شاسعة من البلاد، وقاموا بإعلان الشيوعية في البلاد وتمركزوا في مدينة ستانفيال . والملاحظ أن أحداث العنف والانقلابات التي تميز القارة الإفريقية عامة، والكونغو الديموقراطي خاصة كانت ذريعة أساسية للدول الغربية من أجل التدخل في شؤونها، خاصة وأنها دولة حديثة الاستقلال وما زالت في مرحلة بناء الدولة. فالكونغو الديموقراطية تزاوج استقلالها مع النزاعات داخلها، التي فتحت باب التدخل الخارجي. فبعد التدخل السوفياتي والأممي، والأمريكي يأتي التدخل البلجيكي، إذ قامت بلجيكا برفقة الولايات المتحدة الأمريكية في تشرين الثاني 1964 بالتدخل العسكري في ستانليفيل لاستعادة الرهائن من أسر سيمباس التي تم هزمها وإبطال تمردها.

وهنا نلاحظ شدة التدخل الخارجي الذي يغير كل مرة موازين القوى في جمهورية الكونغو الديموقراطية، وإدراكاً من القوى السياسية لخطورة الوضع القائم تم تنظيم انتخابات في مارس 1965، إلا أنها لم تنتج سوى حالة من الجمود السياسي بين تشومبي وكاسا فوبو. وهو ما أدخل الحكومة في حالة جمود تام انكسر مع انقلاب ثاني في نوفمبر 1965، بقيادة موبوتو، الذي سيطر على البلاد بصفة شخصية وحولها إلى دكتاتورية تحت اسم زائير.

خلال تتبع مسار النزاع في هذه الفترة نجد أنه ابدأ مع بداية نشأة الدولة، وهذا دليل على أن النزاع كان كامن. حين اعتبر أن النزاع لا يظهر إلى الوجود من العدم بل أن التناقضات بين الأطراف والتعارض في الرؤى والأهداف والمصالح، يبرز من خلال سلوك الأفراد وهذا ما حدث في جمهورية الكونغو الديموقراطية، التي برز فيها العنف مع

الاستقلال كتصعيد مباشر للاختلاف في الرؤى بين جماعاتها الاثنية، التي لم تتدرج في استعمال العنف بل اتجهت مباشرة إلى العنف المباشر والتي تجسدت مظاهره في القتل والسلب والنهب الذي تعرض له سكان اقليم كاتانغا.

المطلب الثاني :مراحل النزاع الاثني في الكونغو الديمقراطية .

أولاً: النزاع الكونغولي من 1996 إلى 2003.

كانت هذه الفترة الأصعب في التاريخ الكونغولي، إذ عرفت جمهورية الكونغو الديموقراطية نزاعا من شكل آخر، فبعد النزاع بين جماعاتها الاثنية انتقلت إلى نزاع إقليمي بفعل أحداث الإبادة في رواندا، التي كانت الشرارة لحرب إقليمية ضمت معظم دول المنطقة. حيث شهدت رواندا إبادة جماعية ضد التوتسي والهوتو المؤيدين للسلام من قبل جماعات الهوتو (هما جماعتي انتراهاموي وايمبوزامو غامبي) ، والتي قتل فيها ما يزيد من 800000 شخص في حوالي 100 يوم. وردا على ذلك قامت الجبهة الوطنية الرواندية التي تقودها التوتسي بالإطاحة بحكومة الهوتو الرواندية . ليتفاقم الوضع بعد هروب ما يزيد عن 2 مليون لاجئ معظمهم من الهوتو إلى جمهورية الكونغو الديموقراطية، وقاموا بإنشاء قواعد عسكرية بين الحدود الرواندية الكونغولية، كما قاموا بترويع وسرقة السكان المحليين. [7]

وهو ما جعل ببانيامولينغي (التوتسي) بالهجوم على الروانديين لإرغامهم على الخروج من جمهورية الكونغو الديموقراطية". وردا على ذلك قامت الجيوش الرواندية والأوغندية بغزو جمهورية الكونغو الديموقراطية سنة 1996، وأطيح من خلال هذا الغزو (بموبوتو سيسي سيكو) ليحل محله لوران ديزريه كابيلا، الذي حظي بتأييد كل من أوغندا ورواندا وسمي هذا التحالف بتحالف القوى الديموقراطية لتحرير الكونغو. قام لوران كابيلا فيما بعد باتهام رواندا باستغلال معادن الكونغو الديموقراطية، بمساعدة كل من أنجولا وناميبيا وزيمبابوي، ونجح كابيلا في إخراج القوات الرواندية بحلول كانون الاول 1997، ثم سيطر تحالف القوى الديموقراطي على كينشاسا وأطاحوا بحكومة موبوتو ليحل لوران كابيلا محله كرئيس للجمهورية. وتم وقف إطلاق النار في تموز 1999 وقد وقعت اتفاق وقف اطلاق النار كل من: أنجولا، وناميبيا، وزيمبابوي، ورواندا، وأوغندا وكذا جمهورية الكونغو الديمقراطية". [8]

في تشرين الأول 1999، أنشأ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بعثة منظمة الأمم المتحدة في جمهورية الكونغو الديمقراطية والتي كلفت بالإشراف على اتفاق لوساكا لوقف إطلاق النار وتنفيذه. وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الأمم المتحدة استمر العنف في جمهورية الكونغو الديمقراطية وهو ما نتج عنه حرب الكونغو الثانية. خلال هذه

([7])محمد عبد العاطي، اغتيال كابيلا حلقة في سلسلة الصراع بين الهوتو والتوتسي،2004/10/03 على الموقع: A1A0-83-4531-55EC0D50BDBF.htm?...C9ABEAA/.../net.aljazeera

([8])سمية بلعيد ، النزاعات الاثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فها جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا، رسالة ماجستير ، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة منتوري - قسنطينة – الجزائر ، ص173

الفترة انتقل النزاع الاثني في الكونغو الديموقراطي من داخلي إلى إقليمي، فدخلت جمهورية الكونغو الديموقراطية في نزاع جديد، تسبب في تدهور أمني شامل ضمن أراضيها وصراع على السلطة والقوة، استنزف موارد الدولة الفتية في محاولة استتباب أمنها، خاصة بعد الغزو الأوغندي والرواندي لها. فشل اتفاق لوساكا لوقف إطلاق النار، فاندلعت حرب الكونغو الثانية التي ابتدأت في أوت 1998 وامتدت إلى غاية تموز 2003. [9]

حيث عجزت حكومة كابيلا الجديدة في الحفاظ على الأمن والاستقرار في البلاد. إذ ظلت شرق الكونغو منطقة حرب غير مستقرة أمنياً، ليتأزم الوضع بعد أن فقد كابيلا تأييد أوغندا ورواندا، اللتان قامتا بغزو مشترك للأراضي الكونغولية في عام 1998. لتتدخل البلدان المجاورة أنجولا، وناميبيا، وزيمبابوي من أجل انقاد كابيلا من رواندا وأوغندا والمتمردين في الشرق، واستمر النزاع لمدة خمس سنوات، استنزفت الدولة الكونغولية خلاله كل مواردها في حرب مزدوجة، بين الحكومة والجماعات المتمردة وبين الحكومة وحلفاءها ضد المتمردين وحلفائهم لذلك أسميت بالحرب العالمية الإفريقية

فعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الأمم المتحدة، استمر العنف في جمهورية الكونغو الديمقراطية. خاصة بعد اغتيال لوران كابيلا على يد حارسة الشخصي في كانون الاول 2001. وتولى ابن كابيلا، جوزيف كابيلا الحكم مكان والده، كما أتم مفاوضات السلام التي بدأها والده، لتقضي المفاوضات بانسحاب رواندا وأوغندا من جمهورية الكونغو الديموقراطية. وأعقب اتفاق لوساكا مفاوضات بين كابيلا الابن والجماعات المتمردة الداخلية التي وعدها بتقاسم للسلطة، وهو ما ثم فعلا إذ أعتبر وعد كابيلا صفقة رسمية بينه وبين الجماعات المتمردة التي قبلت بدستور انتقالي في نيسان 2003. أوردت لجنة الإنقاذ الدولية أنه خلال الفترة من أب 1998 إلى نيسان 2004 تم قتل ما يزيد عن 8، 3 مليون شخص في الكونغو. وبالرغم من أن اتفاقات السلام لسنة 2003 بين أوغندا وجمهورية الكونغو الديمقراطية. وانهت رسميا حرب الكونغو الثانية، إلا أن حربا بالوكالة بين رواندا وأوغندا استمرت حتى عام 2008، يبرز بصفة كبيرة فكرة الروابط الدولية لان النزاع في جمهورية الكونغو الديموقراطية حدد بفعل التدخل الخارجي، الذي غير مجرى السلام إلى الحرب من جهة، وزاد في تصعيد العنف والقتل والانتهاكات المختلفة لحقوق الكونغوليين التي من أهمها حقهم في الحياة. [10]

ثانياً: النزاع الاثني في الكونغو الديمقراطية من 2003 إلى 2017.

كانت بداية النزاع عام 2006 عندما اجرت أول انتخابات رئاسية في الكونغو الديموقراطية والتي كانت تحت رعاية بعثة منظمة الأمم المتحدة في جمهورية الكونغو الديموقراطية، وأصبح من خلالها جوزيف كابيلا أول رئيس منتخب

(9) عبد االله صالح، الصراع في شرق زائير وسيناريوهات المستقبل، مجلة السياسة الدولية، العدد 128 ،القاهرة ،نيسان 1997 ،ص- ص، 146-148

(10) الشيماء علي عبد العزيز، الكونغو الديمقراطية، دولة في حالة أزمة مستمرة، مرجع سابق، ص 210 .

لجمهورية الكونغو الديموقراطية". وتوج هذا التحول نحو الديموقراطية بدستور يقر بكامل الحقوق لجميع المواطنين الكونغو. إلا أن هذا التحول الديموقراطي، لم يؤدي إلى النتيجة التي كان الشعب يسعى إليها. بل حمل معه 6 ملايين قتيل جديد من 2003 إلى 2017. " فالنزاع الذي ألغي بموجب اتفاقيات دولية، ظل قائما من خلال الانتهاكات المختلفة لحقوق الإنسان. وقد نتج هذا بالأساس نتيجة تجدد القتال بين القوات المسلحة لجمهورية الكونغو الديموقراطية والجماعات المتمردة بالإضافة إلى القوات الديموقراطية لتحرير رواندا التي تستغل مناجم التعدين (الماس والكوبلان) من أجل تمويل نفسها فانتقل العنف من نزاع على السلطة الى نزاع على الموارد الطبيعية لجمهورية الكونغو الديموقراطية.

وفي 29 كانون الاول 2015، أعلن جيش جمهورية الكونغو الديمقراطية، بدعم من بعثة منظمة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية والجبهة الشعبية لتحرير الكونغو، رسمياً بدء العمليات العسكرية ضد القوات الديمقراطية لتحرير رواندا، إلا أن الإشكال الذي وقعت فيه الحكومة الكونغولية أن الكثير من ضباطها العسكريين متهمون بانتهاكات لحقوق الإنسان، من اغتصاب ونهب وسلب وقتل عشوائي . وخاصة في منطقة كيفو الشمالي التي تعرف أعمال عنف متزايدة شنتها ميليشيات ماي ماي، والقوات الديموقراطية لتحرير رواندا، والقوات الديموقراطية المتحالفة الأوغندية، وقد أجبرت أعمال العنف المتزايدة في المنطقة بين هذه الجماعات أعدادا كبيرة من الأفراد على الفرار من منازلهم، لاسيما بعد أن من دخل الجيش الكونغولي عمليات عسكرية ضد هذه الجماعات المتمردة". فأصبحت المنطقة جبهة مفتوحة من العنف المتبادل بين جماعة ماي ماي والقوات الديموقراطية لتحرير رواندا، من جهة وبين هذه الجماعات والقوات المسلحة الكونغولية من جهة أخرى. وهو ما تسبب في تشريد ما يزيد عن 20000 شخص داخلياً في الإقليم، من مجموع 600000 شخص مشرد قسرياً في المنطقة الشرقية وحدها. [11]

استمر العنف في كامل أرجاء جمهورية الكونغو الديموقراطية، وخاصة في المنطقة الشمالية التي أصبحت أول منتج للاجئين في العالم. والملاحظ أن النزاع في جمهورية الكونغو الديموقراطية لم يحل إلى يومنا هذا، كما لم تنجح الجهود الدولية والأممية في استتباب الأمن، لأن الجماعات المتمردة المختلفة تعتبر أن فقرها وحرمانها ناتج عن السلطات الحكومية، التي تعمل على إشباع احتياجاتها وإثراء جيوبها وجيوب جماعاتها الاثنية الضيقة على حساب الجماعات الأخرى، إلا أن مطالب هذه الجماعات بأحقيتها في السلطة والحكم والثروة، حاولت تحقيقه من خلال العنف الذي أثر على أول احتياجات الإنسان الأساسية، وهي الحاجة الى البقاء .ففي سبيل تحقيق السلطة والثروة

(11) سمية بلعيد ، النزاعات الاثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا، مصدر سبق ذكره ، ص 141.

ازهقت ومازالت تزهق أرواح الملايين من الكونغوليين الذين أصبح حلم التنمية بعيد المنال في ظل الظروف العنف والنزاع. [12]

المبحث الثالث : دوافع واطراف الصراع في الكونغو الديمقراطية

المطلب الأول: دوافع الصراع في الكونغو الديمقراطية

ان النزاع في جمهورية الكونغو الديمقراطية لهُ دوافع عديدة، إذ تلعب ثلاثة أنواع من الدوافع دوراً في النزاع هم دوافع مرتبطة بالبيئة السياسية، وتتمثل أساسا في الصراع على السلطة، أما الدافع الثاني والثالث فيتمثلان في الدوافع الأثنية والاقتصادية، والتي تلعب دوراً في إثارة المعارضة الداخلية ودفع تعددت دوافع النزاع في الكونغو الديمقراطية، بتعدد دوافع كل طرف، لذلك سنحاول الدراسة التركيز على الدوافع الداخلية للأطراف الكونغولية، ثم التطرق إلى دوافع الأطراف الخارجية.

أولاً: دوافع الداخلية

1- **الصراع على السلطة**: يعد الصراع على السلطة أحد أهم الدوافع الرئيسية لما شاهدته الكونغو الديمقراطية من فوضي، ومن حربين أهليتين دفع ثمنها الشعب الكونغو منذ استقلال الكونغو الديمقراطية عن بلجيكا في عام 1960، وهي تعيش قوامة الصراع على السلطة لأن الدولة عاشت دوامة من العنف السياسي بداية من تمرد الشرطة في عام 1960 ، وانفصال مقاطعتين كاتنغا وكانساي، واغتيال " باتريس لوبوما" بالإضافة إلى ذلك حركات التمرد الأخرى ، وكان ذلك بسبب السياسات الاستعمارية التي تنهجها بلجيكا، حيث سمحت الحكومة البلجيكية تأسيس أحزاب سياسية، إلا أن ما نلمس في معظم الأحزاب السياسية، أنها كانت تقوم على أساس القبيلة أو العرق، والذين اعتبرا متغيرين أساسيين للوصول إلى السلطة، نهيك عن عدم وجود تحول سياسي سليم من الحكم الاستعماري إلى النظام الديمقراطي، بالإضافة إلى ذلك الأدوار السياسية الأخرى التي كانت تلعب في ظل الحرب الباردة، هذه الأوضاع كانت بداية سيئة لأداء النظام السياسي في الكونغو الديمقراطية، وفتحت الباب على مصراعيه للصراع على السلطة. [13]

2-**الدافع الاثني**: تعتبر الأثنية محركا رئيسيا للنزاعات الدولية، بحكم أنها تبلور إلى حد كبير الأهداف التي تسعى الجماعات الأثنية إلى تحقيقها في الصراع، ولذلك فإن الحروب والنزاعات الأثنية تستند وبالذات في بدايتها على

([12])المصدر نفسه ، ص142.

([13])رفيق بوشيش ، النزاع في جمهورية الكونغو الديمقراطية: سماته ودوافعه، جامعة باتنة – الجزائر، مجلة الجزائرية الامن والتنمية، العدد 4، كانون الأول، الجزائر ، 2013.

استقطاب اثني حاد داخل المجتمع، مما يسمح للقادة الإثنيين بتعبئة الموارد وحشد أبناء الجماعة الأثنية ضد النظام الحاكم أو ضد الجماعات الأثنية الأخرى. [14]

وهذا ما نجده في النزاع في الكونغو حيث كان العامل الاثني كان دافعا من دوافع قيام النزاع في الكونغو الديمقراطية، لكونه مركب من عدة عوامل متداخلة بشكل تلقائي، إذ شكلت النزاعات الأثنية من خلال الحربين التي شاهدهما الكونغو الديمقراطية وقود للنزاع ، من خلال الأحقاد والعداء بين مختلف الجماعات الأثنية الرئيسية القاطنة في الكونغو الديمقراطية، والتي أستغلها حكام جمهورية الكونغو الديمقراطية، فمنذ استقلال الكونغو تعاقب على الحكم فيها ثلاثة رؤساء هم حوزيف كازافوبو وموبوتو ولوران كآبيل، عملوا على التلاعب بالورقة الأثنية وتسيير المحكم بهذا الأساس .حيث أن موبوتو اتبع سياسة اتجاه إدارة الحكم قائمة على أساسي تحويل الدولة إلى ملكية خاصة له، بالإضافة لذلك انتهاجه السياسة فرق تسد، من خلال إسناد مقاليد الدولة لأقاربه، نهيك عن عدم وجود عدالة في توزيع الموارد الطبيعية على سكان الكونغو الديمقراطية، و نتيجة لذلك نمت حركات أثنية معارضة لهذه السياسة، والتي استندت إلى قواعد أثنية .أما غريمه كابيلا فلم تختلف سياسته عن سياسة موبوتو، إذ قدم جميع المناصب الحساسة لأبناء جماعته الأثنية " البالوبا " الأمر الذي اعتبرته الجماعات الأخرى تعديا على حقوقها وحرمانها مها ونتيجة لهذا جاءت الحرب الثانية (1998-2003)، لتعبر من جديد على التوتر الاثني في شرق الكونغو الديمقراطية، والتي كانت نهاية هذه الحرب الثانية اغتيال " كابيلا " في 2001 واستلام ابنه جوزيف كابيلا للحكم. [15]

3 -**الدافع الاقتصادي:** يلعب العامل الاقتصادي في قيام النزاعات الدولية دورا كبيرا، باعتباره بصوره كبيرة الهدف المسيطر من مختلف الجماعات المتصارعة، بل الأكثر من ذلك يوجد من يربط بين قيام النزاع ووجود الثروات الطبيعة، فالصندوق النقد الدولي نشر تقريرا يشير إلى أن أكثر الدول النامية المعرضة لخطر الحروب الأهلية، هي الدول الغنية بالموارد الطبيعية.

وحينما نسقط ذلك على جمهورية الكونغو الديمقراطية، فنجد البلد غني بمختلف الموارد الطبيعية والتي تقدر بـ 300 مليار دولار، ، لذلك تعد دافعا لقيام الحربين الأهليتين التي عرفتهما البلاد، إذ أشارت صحيفة "كريستيان ساينس " الأمريكية أن الموارد الطبيعية هي التي تغذي النزاع المندلع في الكونغو الديمقراطية، كما وضع تقرير للأمم المتحدة الموارد الطبيعية في الكونغو الديمقراطية الدافع الرئيسي في إثارة النزاع في هذا البلد .اذ تتم عملية تهريب المعادن من جمهورية الكونغو الديمقراطية من طرف الجماعات المسلحة عن طريق البلدان المجاورة، ومن ثم

---

(14) عبد السلام إبراهيم البغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا، مركز الدراسات العربية، بيروت –لبنان 1999،ص 68

(15)- الشيماء علي عبد العزيز، الكونغو الديمقراطية: دولة في حالة أزمة مستمرة، جملة السياسة الدولية، العدد 143 ، القاهرة، كانون الأول 2001 ،ص .211.

ليتم بيعها إلى الشركات المتعددة الجنسيات والتي بدورها تنقلها إلى أسواق شرق آسيا" كما ساهم التخلف الاقتصادي لجمهورية الكونغو الديمقراطية في تأجيج النزاع تحت تأثير العديد من العوامل، وهي: المشكلات الاقتصادية الحادة والتي تنجم بسبب تخلف الهياكل الاقتصادية، وهو ما يؤدي إلى بروز مشكلات البطالة والتضخم والمنافسة على الموارد على [16]

ثانيا: -الدوافع الخارجية:

بالرغم من أن الصراع في الكونغو الديمقراطية أسبابه الرئيسية في الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إلى أن العوامل الخارجية لعبت دوراً هاماً في تفجير النزاع، وواقع الأمر، إن التدخلات الخارجية في النزاع في الكونغو الديمقراطية كانت مدفوعة على الدوام بالمصالح الاستراتيجية والاقتصادية، وتختلف أهداف التدخل الخارجي من حالة إلى أخرى، إلا أن أهداف التدخل من جانب القوى الإقليمية والدولية تنحصر عادة في مساعدة النظام بالأموال، أو دعم جماعة معارضة، أو محاولة الحصول على موارد طبيعية استراتيجية أو الحفاظ عليها، أو الحصول على مواقع استراتيجي أو الحفاظ عليه، ويكون هذا التدخل الخارجي مباشراً أو غير مباشر، فالتدخل الغير المباشر يكون من خلال تزويد النظم الحاكمة وجماعات المعارضة بمختلف الأسلحة من أجل تدعيم موقعا في النزاع، أما التدخل المباشر فيكون باستخدام القوة العسكرية، إذ وجدت هذه القوى أن السبيل الوحيد لضمان مصالحها وللتحكم في مسار القتال يتمثل في التدخل العسكري لذلك تتعدد الدوافع الخارجية بتعدد دوافع الأطراف المتورطة في النزاع و أشكال تدخلها لذلك الدراسة تقسم الدوافع الخارجية طبقا لدوافع الأطراف الإقليمية والأطراف الدولية وهذا ما سوف نتناوله في المطلب اللاحق

المطلب الثاني: الاطراف الفاعلة في النزاع الكونغولي.

يعد النزاع في جمهورية الكونغو الديموقراطي من أصعب النزاعات الإفريقية وأعقدها، بسبب تعدد أطرافه وتعقدها من الجماعات الداخلية إلى الإقليمية إلى الدولية. والملاحظ أن التحالفات الجماعات المسلحة في جمهورية الكونغو الديموقراطية لا يمكن تصنيفها وفق معيار واحد، فتكثر تحالفات وانهياراتها لذا سنحاول من خلال هذا المطلب رصد أهم الفواعل الرئيسة من المحلية إلى دولية.

أولاً: الأطراف المحلية. عرف النزاع الكونغولي خلال مسيرته من الستينات إلى اليوم، أطراف وقوى فاعلة كثيرة بين القتال في شرق جمهورية الكونغو الديموقراطية يجبر الآلاف على القرار، الجماعات المسلحة والأحزاب السياسية،

(16) الشيماء علي عبد العزيز، الكونغو الديمقراطية: دولة في حالة أزمة مستمرة، مصدر سبق ذكره، ص155

والمميز في هذه التحالفات أنها كلها تقوم على أساس اثني، ومن أهم هذه الجماعات التي أثرت في النزاع في جمهورية الكونغو الديموقراطية نجد: [17]

1-القوات الديموقراطية لتحرير رواندا: تكونت سنة 2000، من بقايا جيش نظام هابياريمانا، ومن ميليشيات أنتراهاموي التي ارتكبت الإبادة، وهي تهدف إلى حماية اللاجئين الهوتو الروانديين المبعثرين في شرق الكونغو. والذين تستخدمهم كذلك كمنجم بشري يستخرج منه المجندون خاصة الأطفال منهم. وتنقسم إلى جناحين، جناح سياسي يسمى كيغالي، وجناح عسكري تحت مسمى القوات المقاتلة اباكونغوزي، وشهدت هذه الحركة مع مرور الزمن عدة انشقاقات على أساس اختلاف الأولويات، فاهتم "التجمع من أجل الديموقراطية" باستغلال مناجم الماس والذهب، فيما ركزت القوات الديموقراطية (سوكي) على مواجهة حركة مايو 23، أما القوات الديموقراطية ساندوا المتمردون التوتسي'. تتميز هذه الجماعة باستخدامها لكافة أنواع العنف والرهاب، والعنف الجنسي، والتجنيد القسري، واسترقاق المدنيين الكونغوليين الذين تجبرهم على العمل في المناجم تحت تهديد السلاح، فبالرغم من الجهود الأممية في الحد من هذه الجماعة المسلحة، ما زالت تنشط بكثرة في جمهورية الكونغو الديموقراطية. بغض النظر عن الأهداف المعلنة لهذه الجماعة، يعتبر الربح المادي من أهم أهدافها. إذ يرتكز نشاط القوات الديموقراطية لتحرير رواندا على استغلال الفحم الخشبي المتواجد في الغابات الكونغولية في كيفو، والذي يدر عليها 35 مليون دولار سنويا. فهذه الجماعة تعمل على الاستغلال الغير شرعي لموارد الكونغوليين وهو يسمى اقتصاد الحرب، الذي يديره أمراء الحرب من أجل تمويل جماعاتهم بدل أن تستفيد الدولة من خيراتها. [18]

2-**التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية:** يعد من أهم الجماعات الناشطة، انشق التجمع إلى فصيلتين بسبب الاختلاف حول الزعامة والإدارة لينتج عنها:

أ-التجمع الكونغولي : يتزعمه اميل ايلنجا ويتخذ من مدينة قوما عاصمة إقليم شمال كيفو مقرا له. تقوم أفكاره على أساس التمايز الاثني ويهدف إلى السيطرة على البلاد وإسقاط حكم كابيلا. ومن أجل ذلك اعتمد في استراتيجيته على العمل المسلح العسكري. إذ جند آلاف المقاتلين الكونغوليين والأجانب خاصة الروانديين. كما يتلقى دعما مباشراً من رواندا وهو ما صعب على الحكومة الكونغولية مهمة القضاء عليه.

([17]) تقرير المفوضية الدولية لشؤون للاجئين 29 كانون الثاني 2016، على الموقع: .
http://www.unhcr.org/ar/news/latest/2016/1/56afe5396.html

([18]) - كوليت بريكمان، المجموعات المسلحة في جمهورية الكونغو الديموقراطية، في أوضاع العالم 2015 الحروب الجديدة، ترجمة نصير مروة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الفكر العربي، بيروت -لبنان، 2015، ص، 249- 250

ب - التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية، حركة التحرير: وهو الجناح المنشق عن الحركة الأم، يتزعمه ارنست و امباديا واميا، يتخذ من مدينة كيسناجي مقرا له، تحظى هذه الحركة بدعم كبير من قبل أوغندا، ويعتبر نفسه التنظيم الأحق بتمثيل المعارضة الكونغولية، ويهدف كذلك إلى إسقاط نظام كابيلا والسيطرة على الحكم. ومن أجل ذلك اعتمد على استراتيجية عسكرية في مواجهة النظام الكونغولي

3-حركة تحرير الكونغو: يتزعم هذه الحركة جون بيار بومبا، وتعتبر من أهم أطراف المعارضة، وقد نشأت من خلال التفكك الذي شهدته الجماعات الداعمة لكابيلا الأب بعد تسلمه الرئاسة. تقوم أفكار هذه الجماعة على أساس اثني فتهدف إلى إسقاط حكم كابيلا باعتبار عدم أحقيته في الحكم. وتعتمد من أجل ذلك على استراتيجية عسكرية بحتة، حيث تضم بين صفوفها ما يزيد عن عشرة ألاف مقاتل، وتتلقى هذه الحركة كذلك دعما مباشرا من أوغندا.

4-جماعة ألبانيا رواندا : تتكون من العديد من الجماعات الاثنية، ارتكزت استراتيجيتها بالدرجة الأولى على العنف الشديد، وقد انبثق عنها حركة البانيا والتي اتخذت من جنوب كيفو مقراً لها، وتعتبر هذه الجماعة أن النزاع القائم في الكونغو الديموقراطي هو نزاع هوياتي بالدرجة الأولى لان حكومة جوزيف كابيلا لا تمثل الإجماع الشعبي، ولا تمثل الأعراق المختلفة، وتضم هذه الحركة الآلاف من العسكريين والمحاربين القدامى من الهوتو، وقد بثت هذه الحركة العنف الشديد في الإقليم . [19]

5-**حركة 23 ماي:** تعرف أيضا باسم الجيش الثوري الكونغولي، وهي مجموعة متمردة عسكرية تتمركز في المناطق الشرقية من جمهورية الكونغو الديموقراطية، وتعمل في مقاطعة كيفو الشمالية. جاءت في البداية كحليف للوران كابيلا كما ساعدته على الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكم موبوتو. إلا أنها تمردت على الحكمة الكونغولية سنة 2012 وهو ما أدى إلى تشريد أعداد كبيرة من الناس بفعل سيطرتها على مدينة غوما، عاصمة مقاطعة كيفو والتي يبلغ عدد سكانها مليون نسمة، وقد استعادت الحكومة الكونغولية المنطقة في أواخر سنة 2013 بمساعدة قوات الأمم المتحدة. [20]

7- الحكومة الكونغولية: إن الحكومة في جمهورية الكونغو الديموقراطية لا تعبر عن مصالح الشعب بقدر ما تعبر عن المصالح الخاصة لحزب تحالف القوى الديموقراطية لتحرير الكونغو، بشقيه العسكري والسياسي والذي مثله سابقا لوران ديزريه كابيلا ويمثله حاليا جوزيف كابيلا الذي رفض إقامة الانتخابات لسنتين متواليتين خلال سنة 2016 و 2017. وهو ما جعل استراتيجية الحكومة في التعامل مع النزاع الكونغولي، تنبثق من مصالح شخصية وليس من مصالح عامة للشعب فالنظام الحكومي يعمل بكل الوسائل على الحفاظ على امتيازاته الاقتصادية والسياسية،

---

(19) كوليت بركمان، مرجع سابق، ص 240

(20) نورا أسامة، مستقبل الكونغو بعد السلام، مجلة السياسة الدولية، العدد 152 ،القاهرة ، نيسان 2003 ،ص 217 .

من خلال مختلف الوسائل، التي على رأسها القمع والقتل بمختلف أشكاله . فلو أردنا تحليل سلوك الحكومة الكونغولية اتجاه النزاع الكونغولي، نجد أن الدولة الكونغولية تصنف ضمن تقارير الأمم المتحدة بالدولة الفاشلة، والتي في أبسط تعاريفها تشكل خطرا على مواطنيها، كما أن من سماتها الأزمات المختلفة والتي من أهمها أزمة التغلغل، إذ أن الحكومة الكونغولية تعجز عن السيطرة على جزء كبير من أراضيها، بالإضافة إلى أن الحكومة الكونغولية غير قادرة على احتواء المتمردين، خاصة وأن الجيش الكونغولي متورط في أعمال عنف والقتل والاغتصاب وحتى إبادات لقرى بأكملها، وهو ما يجعل الحكومة غير مؤهلة لحل النزاع الكونغولي لأنها فاعل أساسي في تصعيده.

وبذلك يمكن القول ان النزاع في جمهورية الكونغو الديموقراطية يتميز بتعدد جماعاته وتشعبها، ولكن نجد أن أغلب الجماعات المسلحة متمركزة في المنطقة الشرقية من جمهورية الكونغو الديموقراطية، وهي منطقة تعرف بغناها بالمعادن والثروات والتي أهمها الماس، والذهب، والفحم الغابي، ما يؤكد على أن النزاع الاثني في جمهورية الكونغو الديموقراطية أساسه نزاع الموارد وليس على الهوية الاثنية. [21]

المطلب الثاني: الأطراف الإقليمية.

برز تأثير الدول الإقليمية على النزاع الاثني الكونغولي بوضوح منذ الستينات، خاصة مع انهيار تحالف قوى المعارضة بزعامة كابيلا الذي اعتلى الحكم بالأساس عبر انقلاب عسكري، ومهما كانت خلفية هذا التحالف فانه يخضع بالدرجة الأولى إلى متغير المصلحة، وهنا نجد صعوبة في التحكم بالتوجهات التحالفية لمختلف الأطراف التي غالبا ما أقامت ارتباطاتها الداخلية والخارجية على مصالح قصيرة الأمد، كما أنه من الصعب أن نصف هذه الدول على أنها فواعل خارجية وجماعاتها المسلحة كما سبق وأن رأينا ضمن الأراضي الكونغولية. فمن أهم هذه الدول الفاعلة في النزاع الاثني الكونغولي نجد:

اولاً -رواندا: تعتبر رواندا أن المناطق الواقعة على ضفاف كيفو الحدود الشرقية هي حق رواندي، باعتبارها تاريخيا سيطرت على هذه المناطق لفترة طويلة وبالتالي تعتقد بأحقيتها بها، إلا أن الواقع أثبت أن رواندا تهدف إلى تعريض فقرها الاقتصادي، فلا يمكن إنكار أنها تهدف بالأساس إلى استغلال ثروات جمهورية الكونغو الديموقراطية خاصة من الكوبلان، والماس، والفحم الغابي، ولقد وجهت الأمم المتحدة عدة إنذارات لوقف الاستغلال العشوائي لثروات جمهورية الكونغو " الديموقراطية ".

(21) الشيماء علي عبد العزيز، الكونغو الدميقراطية: دولة في حالة أزمة مستمرة ، مصدر سبق ذكره ، ص191

إذ أن النزاع الاثني في جمهورية الكونغو الديموقراطية، مرتبط إلى حد كبير بالسياسة الرواندية اتجاه النزاع الكونغولي، فعلى مدى الماضية، شجع وجود ميليشيات الهوتو العدوانية في مقاطعتي كيفو الشمالية وكيفو الجنوبية رواندا على القيام بدور الشرطي الإقليمي في محاولة لحماية حدودها. إلا أن الاستراتيجيات المتبعة من قبل الحكام الروانديين وخاصة خلال حرب الكونغو الثانية، أبرزت الرغبات الشخصية الانتهازية للقادة الروانديين. فأتهمت الحكومة الرواندية في كثير من الأحيان بإفساد السلام الكونغولي كوسيلة لتحقيق أهدافها الخاصة والمتمثلة في استغلال الثروات الكونغولية، التي لا يمكن أن تصل إليها في ظل السلام الكونغولي. بررت رواندا نشاطها العسكري في جمهورية الكونغو الديمقراطية بالتهديد الذي تشكله الجماعات المسلحة المتواجدة على الأراضي الكونغولية على أمن حدودها. واستخدمت عجز حكومة كينشاسا عن توفير الأمن في مقاطعتي كيفو ضد هذه الجماعات لتبرير استخدامها للقوة العسكرية في الأراضي الكونغولية". [22]

فبعد الإبادة الجماعية في سنة 1994، والتي أدت إلى تغيير الحكومة في رواندا بعد انتصار التوتسي على الجبهة الوطنية الرواندية، وهو ما جعل الحكومة السابقة ومواليها يفرون إلى الأراضي الكونغولية، وبفعل المساعدات الإنسانية التي قدمت لهذه الجماعات الفارة من الهوتو، تمكنوا من تعزيز دفاعاتهم وقوتهم، فبحلول سنة 2000 شكلت هذه الجماعات الفارة ما يسمى "القوات الديموقراطية لتحرير رواندا" والتي تواصل السلب والنهب والقتل في جمهورية الكونغو الديموقراطية إلى يومنا هذا". من جهة أخرى بررت الحكومة الرواندية تدخلها العسكري في جمهورية الكونغو الديموقراطية، بعدم اهتمام المجتمع الدولي بمحنة الآلاف من التوتسي خلال الإبادة الجماعية لسنة 1994، فاعتبرت أنه من الواجب حماية التوتسي الكونغوليين من جماعات الهوتو المتواجدة على الأراضي الكونغولية. [23]

اما عام 2002، استمرار كبار أعضاء القوات المسلحة الرواندية ينهبون احتياطيات جمهورية الكونغو الديمقراطية المعدنية، ويحققون ثروة شخصية كبيرة. فقد ارتفعت صادرات الماس الرواندية من 166 قيراطا في عام 1998 إلى 500 30 قيراط سنة 2000 خلال نفس السنة بلغت إيرادات معدن الكولتان الرواندية 100 مليون دولار أمريكي، وهو ما يعادل نفقات مليون دولار وزارة الدفاع الرواندية، وقد وجد فريق من خبراء الأمم المتحدة أنه خلال عامي 1999 و2000، حقق الجيش الوطني الرواندي 250 مليون دولار أمريكي في غضون ثمانية عشر شهرا. وكلها من خيرات جمهورية الكونغو الديموقراطية. استمرت الحكومة الرواندية بنهب خيرات الكونغوليين إلى غاية توقيع اتفاقية بريتوريا في تموز 2002. وقد نص الاتفاق على انسحاب أكثر من 20000 جندي من القوات الرواندية. منذ توقيع

([22]) كوليت بريگمان، مرجع سبق ذكره، ص 244

([23]) سمية بلعيد ، النزاعات الاثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا، مصدر سبق ذكره ، ص 148.

اتفاقات بريتوريا سحبت رواندا رسمياً جيشها من جمهورية الكونغو الديمقراطية. إلا أن القوات الديمقراطية لتحرير رواندا مازالت طليقة وتهدد مجتمعات التوتسي الكونغولية. كما أن رواندا اتهمت في مناسبات عديدة منذ سنة 2002 بتمويل ودعم جماعات المتمردين المنشقين في جمهورية الكونغو الديمقراطية. ويبدو واضحا أن رواندا حافظت على وجود سري في مقاطعتي كيفو من خلال التجمع الكونغولي من أجل الديمقراطية - غوما، فقد أكد تقرير الأمم المتحدة لجوان 2004، أن كبار أفراد الجيش الرواندي قاموا بدعم تمرد العقيد موتيبوتسي، وبانيامولينغي، والجنرال تكوندا في كيفو الشمالية". كما تتهم رواندا بأنها الممول الأساسي للوران نكوندا، الذي استطاع أن يسيطر سنة 2007 على جزء كبير من شمال كيفو، وأنشأ حكومة بديلة هي المؤتمر الوطني للدفاع عن الشعب. [24]

كما أن الدعم الرواندي له أدى إلى تشريد نحو 250000 شخص بفعل هجوم قوات نكوندا على مدينة غوما وطوال الفترة من 2004 إلى غاية 2008، اتهمت الحكومة الرواندية باستمرار دعم نكوندا وجرائمه اتجاه الشعب الكونغولي. اقتربت كينشاسا من كيغالي سنة 2009 بهدف التفاوض على إدماج المؤتمر الوطني للدفاع عن الشعب في القوات المسلحة لجمهورية الكونغو الديمقراطية، وكجزء من الاتفاق، منحت قوات الدفاع عن الديمقراطية الإذن بالوصول إلى الأراضي الكونغولية من أجل تحييد القوات الديمقراطية لتحرير رواندا، وتم دمج المؤتمر الوطني للدفاع عن الشعب في القوات المسلحة لجمهورية الكونغو الديمقراطية. وفي يناير من نفس السنة، ألقي القبض على نكوندا في رواندا . فالمتتبع لأحداث النزاع الاثني الكونغولي يجد أن رواندا طرف مباشر فيه، إذ سعت عبر فترات زمنية مختلفة إلى إفشال السلام في جمهورية الكونغو الديموقراطية، من أجل الحفاظ على نفوذها السياسي والاقتصادي في شرق الكونغو الديموقراطي، لأن قوة الجيش الرواندي تعتمد على الموارد الكونغولية، التي كلما زاد العنف والنزاع داخلها زاد ضعف الدولة وعدم سيطرتها على مواردها وأراضيها، وبالتالي زادت فرص النهب الرواندي. [25]

ثانياً-بوروندي: بوروندي هي دولة صغيرة ومكتظة سكانيا في منطقة البحيرات الكبرى، وهي بلد فقير في الموارد الطبيعية. فلم يختلف الموقف البوروندى عن نظيره الرواندي، إذ تدخلها كان على أساس التماثل العرقي والاثني بين الشعب البوروندى والكونغولي"، إلا أن المصالح الخفية الاقتصادية هي التي تحرك الاستراتيجية البوروندية بالإضافة إلى رغبة بوروندي في تأمين حدودها العربية من هجمات الهوتو المتطرفين. بعد سقوط نظام موبوتو اندلعت حرب جديدة خلال سنة 1998 ضد كابيلا الذي اتهم بالخيانة وبخدمة قبيلته الصيفة في شابا على حساب القبائل الأخرى، وكانت بوروندي من الدول التي دعمت التمرد في كيفو، وفي المقابل استعان لوران كابيلا بالجماعات

([24]) -الصايغ مي، الكونغو على طريق رواندا، صراع قبائل ومعادن، جريدة الأخبار، لبنان ،أكتوبر 2008

([25])المصدر نفسه ، ص149.

المتمردة البوروندية في معاركه ضد المتمردين. خاصة وأن بوروندي اعتبرت أن سياسة كابيلا تهدف إلى تغيير الموازين الإقليمية لصالحه. فاتبعت بوروندي استراتيجية عسكرية تهدف إلى الإطاحة بكابيلا. وقد اتخذت استراتيجيتها منحى عسكري إذ دعمت بوروندي المليشيات المسلحة وخاصة جماعة البانيامولينغي من أجل ضرب جماعة الهوتو التي تهاجم كل مرة بوروندي، والتي كانت سببا في انعدام الأمن فيها لسنوات طويلة. واتهمت بوروندي خلال سنة 2016 جمهورية الكونغو الديموقراطية بدعم الانقلابين الذين حاولوا الإطاحة بالحكومة البوروندية. إلا أن الملاحظ أن السياسة البوروندية اتجاه النزاع الكونغولي ناتجة بالأساس عن التدخلات المتبادلة بين الطرفين في شؤون بعضهما البعض، فبفعل التشابه الاثني بين القبائل سمحت كل دولة لنفسها بالتدخل في الآخر. وبدعم الحركات المتمردة في ظل ضعف الدولة، بحيث أصبح من الصعب التفريق بين الجماعات المسلحة إلى أي دولة تنتمي، خاصة وأنها يحركها عامل المصلحة والجذب المادي. [26]

ثالثاً:-أوغندا: تعد اوغندا من أكثر الأطراف الإقليمية التي تورطت في النزاع، فهي ترى أن الأراضي الشمالية الشرقية في جمهورية الكونغو الديموقراطية هي امتداد طبيعي لحدودها الغربية، ومجال حيوي لا يمكن التخلي عنه. ولذلك سعت بكل الوسائل لتحقيق ذلك من أجل تأمين حدودها الغربية من هجمات الجماعات المعارضة، بالإضافة إلى البحث عن دور إقليمي لها في منطقة البحيرات الكبرى، وقد أكد الرئيس الأوغندي موسوفيني أن الهدف الأسمى لأوغندا هو إقامة مملكة يتزعمها التوتسي في المنطقة بما فيهم توتسي رواندا وبوروندي والكونغو الديموقراطية، لذلك عمدت أوغندا كل مرة على تأكيد أحقيتها في الشمال الشرقي لجمهورية الكونغو الديموقراطية، وهو ليس نابع عن التشابه الاثني في ما بين الجماعات التوتسية فقط، بل هو كذلك ناتج عن الأطماع الأوغندية في المنطقة. إذ تتعرض المنطقة من شمال كيفو إلى غاية إقليم لومامباشي في كاتنغا لنهب الثروات وخاصة الذهب من قبل الجيوش الأوغندية. [27]

بالرغم من الإنكار المستمر لأوغندا بأي علاقة بالنزاع الكونغولي منذ سنة 2000 إلا أنها فاعل أساسي في النزاع من خلال ثلاث معطيات استراتيجية واقتصادية، ومن خلال سياستها الداخلية:

أ-المعطى الاستراتيجي: يبرز من خلال التحالف بين الجماعات المسلحة، حيث ساهم اللاجئون الكونغوليين في أوغندا إلى جانب الرئيس الحالي يويري موسيفيني بالإطاحة بالدكتاتور الأوغندي عيدي أمين. وكرد للجميل يقوم الرئيس موسوفيني بدعم هذه الجماعات داخل الجمهورية الكونغولية، ونخص هنا التوتسي الكونغوليين، إذ تدعمهم

([26]) رفيق بوبشيش، النزاع جهورية الكونغو الديمقراطية : سماته ودوافعه ، مصدر سبق ذكره ، ص191.

([27]) بورياح سليمة ، التعددية الأثنية كمدخل لتفسير عرقلة بناء الدولة في إفريقيا حالة الكونغو الديمقراطية ، مجلة أكاديميا للعلوم السياسية - المجلد 6 ،العدد 2 ، 2020، ص109.

أوغندا من أجل الوصول إلى السلطة. فوجود حكومة في كونغولية بقيادة توتسية يعطي امتيازا لأوغندا في الوصول إلى أكبر الموارد المعدنية. كما يمتحها في حالة اندلاع الفوضى فيها منطقة للتراجع وشحذ قوتها..

ب - المعطى الاقتصادي: منذ التسعينات وأوغندا تنهب في معادن جمهورية الكونغو الديموقراطية. ولعل خير دليل قرار محكمة العدل الدولية في ديسمبر 2005 الذي أمرت بموجبه كمبالا بتعويض كينشاسا، ووجدت المحكمة أن الدولة الاوغندية مذنبة بنهب الموارد الطبيعية، خلال احتلالها لسرق جمهورية الكونغو الديموقراطية أثناء حرب الكونغو الثانية".

ج- معطى السياسة الداخلية: تعتمد التنمية الداخلية لأوغندا على بقاء النزاع في الكونغو الديموقراطية، من أجل تمويل اقتصادها، وهو ما تجلى خلال حرب الكونغو الثانية، التي كانت فيها أوغندا أكثر دولة أجنبية مسيطرة على الأراضي الكونغولية خلال سنة 2003. فسيطرت على المقاطعات الشرقية والشمالية للكونغو الديموقراطية، كما تدخلت عسكريا في منطقة شمال كيفو كرد فعل على دعم كينشاسا للمعارضة الأوغندية. انعكست هذه المعطيات على صناع القرار الأوغندي، وقد برزت من خلال تدخلها في النزاع الكونغولي.

كما دربت أوغندا الكثير من الجماعات التوتسية الكونغولية، واستخدمتها كوكيل عنها في النزاع الكونغولي، ولم يستثني الأطفال من التدريب حيث جندت أوغندا نحو 163 طفل سنة 2001، ليصل العدد إلى 700 طفل مع سنة 2002. كما قام الجنود الأوغنديون أيضا بتشكيل ودعم الاستغلال الصارخ للثروة الكونغولية لصالح أوغندا . فالموقف الأوغندي لا يختلف عن مواقف كل من رواندا وبوروندي، فهي تهدف بالأساس إلى نهب ثروات الكونغو من خلال اقتصاد الحرب، فكلما زاد النزاع الاثني والحرب والعنف في جمهورية الكونغو الديموقراطية، زاد عدم تحكم الدولة وسيطرتها على أراضيها، وبالتالي نزيد فرص النهب للموارد الكونغولية

رابعاً -أنغولا: تعتبر أنغولا من أهم الفواعل الإقليمية التي أثرت ومازالت تأثر في النزاع الكونغولي عبر فترات زمنية مختلفة، فقد قاتلت القوات الأنغولية إلى جانب لوران كابيلا من أجل الإطاحة بنظام موبوتو، فخلال الحرب الكونغو الأولى دعمت أنغولا كابيلا بشكل غير مشروط، حيث شكل التدخل الأنغولي العامل الحاسم في إنهاء النزاع لصالح كابيلا، واتخذت من هذه المساعدة الذريعة الأساسية في التدخلات اللامحدودة في الشأن الكونغولي، والتي كان من أهمها محافظتها على قوات صغيرة قرب مراكز النفط ساعدتها على استغلال النفط الكونغولي ". خلال حرب الكونغو الثانية، كانت أنجولا من أولى المتدخلين في نزاع الكونغو. إذ أوفدت جيوشها للأراضي الكونغولية معتمدة على تمويله من نهب المنشآت البترولية. فلم تتكبد بذلك خسائر مالية من خلال مشاركتها في الحرب، وتجدر الإشارة إلى أن الاستراتيجية الأنغولية اتجاه النزاع الكونغولي نابعة من المنطلق الجيوبوليتيكي، فالدولتين متاخمتين لبعضهما البعض وتربطهما علاقات قبلية قوية وعبر فترات زمنية مختلفة ابتداءاً من 1963 شكلت أنغولا بالنسبة

لجمهورية الكونغو الديموقراطية الداعم الأساسي في حروبها بدءا من دعم لوران كابيلا ووصولا إلى تأييد ابنه جوزيف كابيلا. فالسلاح العسكري الأنغولي، الذي يحسم باستمرار ونخص هنا السلاح الجوي دائما يحسم المعارك لصالح الحكومة الكونغولية".[28]

إن التدخل الانغولي في القضية الكونغولية ناتج بالأساس عن العداء التاريخي لكل من رواندا وأوغندا، وهو ما جعلها تقدم كل الدعم العسكري للكونغو الديموقراطي، إذ قامت بإرسال ما يقارب العشرة آلاف جندي مع بداية الحرب الكونغولية الأولى من أجل دعم كابيلا، بالإضافة إلى تدعيم الحكومة بالآليات العسكرية وبمختلف الإمدادات التمويلية. واستمرت الحكومة الأنغولية في دعم الحكمة الكونغولية إلى اليوم، فبعد تولي الرئيس الحالي جوزيف كابيلا الحكم بعد مقتل والده لوران كابيلا سنة 2001. فخلال سنة 2003، ساندت أنغولا الحكومة الكونغولية ضد رواندا من خلال الطائرات الحربية. وعندما اندلعت معارك مسلحة في العاصمة سنة 2006، طارت القوات الأنغولية لمساعدة حراس كابيلا على هزيمة المقاتلين الموالين لجان بيير بيمبا، وهو متمرد سابق هزم في انتخابات 2006 التي فاز بها كابيلا.

حملت سنة 2016 تغير الموقف الأوغندي تغير بسبب الأحداث الداخلية الكونغولية التي أثرت على أمنها واستقرارها، وفي مقدمة هذه الأحداث رفض جوزيف كابيلا التخلي عن الحكم بعد انتهاء عهدته سنة 2016، وهو ما سبب أحداث عنف كبيرة في ديسمبر 2016، دفعت بالكثير من الكونغوليين بعبور الحدود الأنغولية كلاجئين، فالموقف الأنغولي تغير من داعم للحكومة الكونغولية إلى داعم للاستقرار في المنطقة، فأنغولا أدركت أن التنمية في فيها وجلب الاستثمارات لا تتحقق إلا بالاستقرار في منطقة البحيرات العظمي وبالتالي الاستقرار في الجمهورية الكونغولية، وقد تجسد الموقف الأنغولي من خلال تصويتها خلال اجتماع مجلس الأمن بصفتها عضوا فيه لعامي 2015 و2016 لصالح فرض قرارات صارمة ضد جمهورية الكونغو الديموقراطية بسبب التأجيل المستمر للانتخابات". إن أطراف النزاع الكونغولي متشعبة ومعقدة جدا، بحيث من الصعوبة ما كان ضبط الأطراف الإقليمية للنزاع الكونغولي، إلا أن المتفق عليه أن النزاع الكونغولي لا يعتبر نزاع داخلي منذ بدايته سنة 1963 إذ أنه كل توتر، ونزاع، وحرب في الجمهورية الخارجية تعد الدول الإقليمية فاعل أساسي فيها، والتي هدفت إلى جانب حماية حدودها، إلى استغلال الثروات الكونغولية إلى أقصى حد ممكن. كما أن الملاحظ أن التدخلات الإقليمية لا يعبر عنها بالتدخل الحكومي فقط، بل أيضا بالجماعات المسلحة والمعارضة في هذه البلدان، بحيث اعتبرت هذه الجماعات الأراضي الكونغولية الممول الأساسي لعملياتها وجنودها. [29]

([28]) الشيماء عبد العزيز، أبعاد خبرة العنف السياسي في زائير، مرجع سابق، ص ، 194-195

([29]) حنفي علي خالد ، البحيرات العظمى ومستقبل السلام، مجلة السياسة الدولية، العدد 152،مصر ، أكتوبر .2002، ص158.

المطلب الثالث: الأطراف الدولية.

لم يختلف شكل التدخل الدولي عن الإقليمي، إذ شهدت الجمهورية الكونغولية الكثير من التدخلات الدولية ذات الطابع العسكري والسياسي، وستركز على ثلاث فواعل دولية لعبت دورا كبيرا في النزاع الكونغولي وهي:

1 - الولايات المتحدة الأمريكية: على الرغم من أهمية المنطقة بالنسبة إلى الأجندة الأمريكية إلا أن سياستها غير واضحة، وهذا راجع إلى سببين، الأول هو الوجود الأوروبي في المنطقة والمرتبط بالعوامل التاريخية، بسبب الوجود البرتغالي ثم البلجيكي في المنطقة ثم البريطاني ثم الفرنسي، أما السبب الثاني فهو الطابع البراغماتي لصناع السياسة الأمريكية الذين لا تخرج سياستهم العامة عسم مبدأ اقتناص الفرص لتحقيق المكاسب والعائدات التجارية وليس المساعدة، وهو ما جعلهم يعتبرون المنطقة في حالة حرب لا يمكن الزج بالاستثمارات التي تتطلب اعتمادات مالية ضخمة فيها . لذلك هي تقتنص فرصة الاستثمارات كلما سنحت الفرصة حيث ارتبطت مع جمهورية الكونغو الديموقراطية بعقد لمدة 10 سنوات لاستخراج الكوبلان، والذي افتكته من لوران كابيلا بفعل ترفلها إلى جانبه من أجل إسقاط موبوتو، كما أتهم رجال أعمال أمريكيين بالاستغلال الغير شرعي للموارد في الكونغو الديموقراطية، والتمويل الغير شرعي للجماعات المتمردة من أجل إحكام سيطرتهم على مراكز التعدين والماس في المنطقة.

2- فرنسا: يعتبر النفوذ الفرنسي في منطقة البحيرات الكبرى كبيرا جدا، فقد عملت على سياسة ملء الفراغ بعد تراجع القوى الاستعمارية التقليدية: بلجيكا، أسبانيا، والبرتغال، لذلك عملت فرنسا على زيادة نفوذها في المنطقة من خلال دعم نظام موبوتو سيسي سيكو، الذي وضع المنطقة ضمن منطقة النفوذ الفرانكوفونية. وقد سعت فرنسا إلى إبقاء نفوذها في المنطقة من أجل زيادة ثرواتها، بالإضافة إلى منافسة نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، ومن أجل ذلك اعتمدت على مدخل حقوق الإنسان كمنفذ للتدخل في الشأن الكونغولي

3- بلجيكا: حملت الأوساط المحلية الكونغولية النفوذ والخبرة الاستعمارية البلجيكية في المنطقة. [30] مسؤولية التطورات المعاصرة للنزاع، التي ليست في النهاية غير أثر رجعي لمختلف الممارسات ذات الطابع الاستغلالي لبلجيكا، حيث أن النزاعات ناتجة عن الموروث الاستعماري، وبلجيكا رغم فقدها لتأثيرها ونفوذها المباشر في المنطقة، إلا أنها تحاول لعب دورها التاريخي كمسيطر أساسي ومستغل للثروات الكونغولية. وترفض حسب وزير خارجيتها اللوى ميشال سنة 2000، تقسيم جمهورية الكونغو الديموقراطية بين الحركات المتمردة، كما تدين التواجد العسكري الأجنبي في البلاد الذي اعتبرته تجاوزا للشرعية الدولية". بالرغم من اختلاف الرؤى حول النزاع في الكونغو

(30) كوليت بريكمان، مصدر سبق ذكره، ص 257.

الديموقراطي بين مختلف الأطراف سواء الإقليمية أو المحلية إلا أن الهدف يبقى واحد هو تحقيق المصلحة الخاصة من خلال استنزاف ثروات الكونغو الديموقراطي التي تحولت من نعمة إلى نقمة، لأنها جلبت التكالب الدولي والإقليمي على المنطقة. بحيث أصبحت المنطقة ضمن ما يسمى اقتصاد الحرب الذي يجعل من الأراضي الكونغولية منطقة تجاذب وتنافس من أجل نهب الخيرات الكونغولية، التي بدل أن تكون مقوم أساسي للتنمية أصبحت المسبب الأول للتخلف لأنها جلبت التكالب من الداخل إلى الخارج.[31]

المبحث الرابع: الدور الإقليمي والدولي لتسوية النزاع في الكونغو

المطلب الأول: الدور الإقليمي في حل النزاع في الكونغو

تعد مبادرة الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي(السادك) من اهم مبادرات السلام وإسهامات جماعات المصالح الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي(السادك) في 9 من تشرين الثاني 2008، وافق رؤساء البلاد أعضاء الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي على نشر فريق من خبراء عسكريين فوزا لتقييم العنف المتصاعد في البلاد؛ وذلك إلى جانب فريق إضافي لتقييم الوضع على الأرض، الأهم من ذلك أنه تم إنشاء لواء تدخل تابع للأمم المتحدة من قبل المؤتمر الدولي المعني بمنطقة البحيرات الكبرى بدعم من الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي. وفقا لبعض التقديرات، قررت الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي في 8 من كانون الأول 2012 نشر قواته الاحتياط تحت رعاية الجبهة القومية الإسلامية، وذلك بهدف تقليل تأثير رواندا وأوغندا على هذه القوة [32]

اما المؤتمر الدولي المعنى بمنطقة البحيرات الكبرى والاتفاق الإطاري في شباط 2013 فقد عقد عقب تمرد "حركة 23 من مارس/آذار"، كان من الواضح لقائه منطقة البحيرات الكبرى أن ثمة حاجة ملحة لمعالجة العلف المتصاعد في منطقة شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية وحولها، استغل الرئيس الكونغولي كابيلا المؤتمر الدولي المعني بمنطقة البحيرات الكبرى كمنبر للنقاش، عقدت خلاله سلسلة من الاجتماعات التي أسفرت عن محادثات السلام في كمبالا. في 24 شباط 2013، تم التوصل إلى اتفاق سلام توسط في مجلس الأمن بين رؤساء الدول في المؤتمر الدولي المعني بمنطقة البحيرات الكبرى، ووقع على الاتفاق كل من أنغولا وبوروندي وجمهورية إفريقيا الوسطى والكونغو برازافيل، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، ورواندا، وجنوب إفريقيا، وجنوب السودان، وتنزانيا، وأوغندا، وزامبيا ودعا الاتفاق رسميا إلى تحقيق "إطار من السلام، والأس، والتعاون بين جمهورية الكونغو الديمقراطية ودول المنطقة"، كما أكد ضرورة حل قضايا العنف الجنسي والنزوح السكان، وانتهاكات حقوق الإنسان، وأشار إلى أن

(31) كوليت بريكمان، مصدر سبق ذكره، ص 257- 258.

(32) ستيرنز، جيسون، "سياسة لواء التدخل: من بريتوريا إلى كيغالي"، 27 من إبريل/نيسان 2013، ، سبتمبر/أيلول http://congosiasa.blogspot.se/2013/04/the-politics-of-intervention-brigade.html2013

التقدم يبدأ مع انتهاء العلف. الأهم من ذلك أن الاتفاق حدد الأدوار المترابطة والمستقلة للجهات الفاعلة في جمهورية الكونغو الديمقراطية ودول المنطقة وداخل المجتمع الدولي، وعلى المستوى الإقليمي، وافقت جمهورية الكونغو الديمقراطية على إجراء المزيد من الإصلاح الهيكلي والعمل نحو اللامركزية، وتعهدت القوى الإقليمية باحترام سيادة القوى الإقليمية الأخرى، وتعزيز التعاون بين الدول. [33]

المطلب الثاني : دور الأمم المتحدة والدول الغربية في تسوية النزاع :

تعد بعثة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة موجودة في جمهورية الكونغو الديمقراطية منذ عام 1999، وتعد من أكبر عمليات حفظ السلام في العالم بوجود ما يقرب من 20 ألف فرد على الأرض، كلفت البعثة بحماية المدنيين، والمساعدة في إعادة اعمار البلاد، وأدت دورا أساسيا في تنظيم انتخابات ديمقراطية في جمهورية الكونغو الديمقراطية، كما شنت عدة عمليات عسكرية ضد مختلف الجماعات المتمردة. كذلك في شباط 1999، وقعت 11 دولة إفريقية على إطار السلام والأمن والتعاون لجمهورية الكونغو الديمقراطية والمنطقة في أديس أبابا تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة؛ اتفقت الدول الموقعة على عدم التساهل مع الجماعات المسلحة، أو تقديم أي نوع من أنواع الدعم لها، وعلى عدم إيواء أي شخص متهم بارتكاب جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية، أو مدرج سمن قائمة عقوبات الأمم المتحدة، أو توفير أي نوع من الحماية له، كما اتفقت على التعاون مع مبادرات العدالة الإقليمية في هذا السياق، عين ماري روبنسون، الرئيس السابق لإيرلندا، مبعوثا خاصا للأمم المتحدة المنطقة البحيرات الكبرى من أجل دعم تنفيذ هذا الاتفاق.

وفي عام 1999، تم نشر بعثة منظمة الأمم المتحدة في جمهورية الكونغو الديمقراطية؛ وذلك بغرض تنفيذ اتفاق وقف إطلاق الدار، واتفاق لوساكا الذي وقعت عليه الأطراف المتحاربة، ضمن أعراض أخرى كذلك وشاركت البعثة أيضا في عملية نزع السلاح والتسريح والأعادة إلى الوطن، وإعادة التوطين وإعادة الاندماج، وتسهيل الانتخابات التي أجريت عام 2006، كما كلفت بحماية المدنيين عام 2000.

اما في شهر اذار من العام نفسه اقر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة نشر لواء التدخل، انتدبت هذه القوة المكونة من 3000، فرد من القوات الأفريقية، ضمن بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية للقيام بعمليات هجومية لتعييد الجماعات المسلحة في شرق الكونغو. ولكن تقريرا أجراه بعض الخبراء بتكليف من الأمم المتحدة عام 2009 قال: إن تدخل الأمم المتحدة لم يفعل شيئا لوقف العنف؛ بينما ما زال المتمردون المستمرون في القتل ونهب الموارد الطبيعية يفلتون من العقاب. ويرى التقرير أن المتمردين تدعمهم شبكة إجرامية

(33) الاتحاد الإفريقي، "الاجتماع بشأن الترتيبات الأمنية المزمع اتخاذها في الجزء الشرقي من جمهورية الكونغو الديمقراطية ينتهي في أديس أبابا"، 28 من ديسمبر/كانون الأول 2013، http://www.peaceau.org/en/article/the-meeting-on-the-security-arrangements-to-be

دولية تمتد عبر إفريقيا إلى أوروبا الغربية وأميركا الشمالية، وحذرت هيومن رايتس ووتش من مخاطر أن تصبح الأمم المتحدة متواطئة في أعمال وحشية ضد المدنيين في أغسطس/آب 2010، ما جرى إلا وجه اتهام لقوات الأمم المتحدة بأنها لم تحرك ساكنا لوقف اغتصاب أكثر من 150 امرأة وطفلا على بعد أميال قليلة من قاعدتهم قرب وفونغي، وأنهم لم يعرفوا بعد مرور 10 أيام على الهجمات، ولكي توائم الوضع المتغير، غيرت اسمها من "بعثة منظمة الأمم المتحدة في جمهورية الكونغو الديمقراطية" إلى "بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية". [34]

وفي 24 من كانون الثاني 2013، أسفرت المحادثات بين زعماء المنطقة اتفاقا بشأن إطار السلام والأمن التعاون لجمهورية الكونغو الديمقراطية والمنطقة، ووافق الأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي، ورئيس الجماعة الإنمائية الجنوب الأفريقي، ورئيس المؤتمر الدولي المعني بمنطقة البحيرات الكبرى على الاضطلاع بدور الضامن لهذا الاتفاق ينص إطار السلم والأمن والتعاون على مجموعة من المبادئ على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي، من بينها استكمال إصلاح القطاع الأمني وتعزيز سلطة الدولة على المستوى الوطني، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المجاورة، وعدم تقديم المساعدة أو الدعم الجماعات المسلحة على المستوى الإقليمي، ومراجعة استراتيجية بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية على المستوى الدولي. وتم إنشاء آلية رقابة إقليمية لتعزيز هذه المبادئ. مثل التوقيع على إطار السلم والأمن والتعاون خطوة أساسية نحو قبول نشر لواء التدخل؛ ففي 28 من آذار 2013، اعتمد مجلس الأمن القرار 2098 لعام 2013، الذي ينص على إنشاء لواء للتدخل ضمن بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية؛ يتألف اللواء من 3 آلاف جندي من مالاوي وجنوب إفريقيا وتنزانيا في يوليو/تموز 2010، تحولت البعثة إلى البعثة القائمة حاليا، ألا وهي "بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية"، انتدبت البعثة لحماية المدنيين وتحقيق الاستقرار وتوطيد السلام . استمر الصراع في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية على الرغم من وجود قوات الأمم المتحدة، ونشأ تمرد جديد في إبريل/نيسان 2012 متمثلا في حركة 23 من مارس/آذار. ولأجل وضع حد لدوامة العنف المتكررة، أقرت الأمم المتحدة في آذار 2013 تشكيل لواء للتدخل ضمن إطار بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية الكونغو الديمقراطية، وحصل اللواء على تفويض صريح بالهجوم، بما

(34) لوك باولا ، جمهورية الكونغو الديمقراطية: البحث عن سلام بعيد المنال ، مركز الجزيرة للدراسات ، 17- اب – 2015
https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/08/201581711255614232.html

في ذلك الحق في تحييد الجماعات المسلحة؛ تفيد التقارير " بأن هذا التفويض هو الأول من نوعه في تاريخ الأمم المتحدة. [35]

ولذلك فإن التحديات التي تواجه عملية السلام اشتمل الصراع في جمهورية الكونغو الديمقراطية على ثلاثة أبعاد بعد محلي، وآخر وطني، وأخير إقليمي. استلزم الأمر التعامل مع عملية السلام على هذه المستويات الثلاثة جميعا كي يعود السلام إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية، وأتاح الأمر فرصة فريدة للمجتمع الدولي ليستأنف التعامل مع دول المنطقة، ويبرهن على مدى التزامه تجاه عمليات السلام الإفريقية، ويعيد بناء الثقة مع الشركاء الوطنيين في وسط إفريقيا وشرقها وجنوبها ظل المجتمع الدولي على وجه الخصوص ثابتا في دعمه للجهود الإقليمية المبذولة لاستعادة وحدة أراضي جمهورية الكونغو الديمقراطية وحل قضاياها الأمنية ، ولذلك مارس في هذا الإطار ضغوطاً مستمرة على جميع فصائل المتمردين لتوقيع اتفاق لوساكا لوقف إطلاق النار، كما مارس الضغوط على جميع الأطراف لاحترام هذا الاتفاق. على الجانب الآخر، مارست الولايات المتحدة ومجلس الأمن الضغط الدبلوماسي الاقليمي على أوغندا ورواندا لاحترام اتفاق كيسانغاني لوقف إطلاق النار، واحترام تعهداتها تجاه اتفاق أو أوقف إطلاق النار، واتخاذ موقف مشترك بشأن مسألة التوقيع من طرف التجمع الكونغولي من أجل الديمقراطية، ليتسنى للكنغوليين بدء إجراء النقاش الوطني مدروس. [36]

لكن عملية السلام في الكونغو معقدة وتحتاج إلى موارد هائلة، وقد أدى هذا الأمر إلى إنشاء كيان لتعبئة الموارد لأعراض عديدة من بينها تقديم المساعدة الإنسانية، وإعادة إعمار البنية التحتية وتأهيلها على المستوى المحلي، وإجراء مبادرات المصالحة على المستوى المجتمعي، ومن ضمن هذه المبادرات عملية "كيميا الثانية"، وعملية "يوموجا ويتو"، وعملية "أماني ليو" (السلام اليوم) التي تم إنشاؤها لتسهيل عملية السلام على المستوى المحلي. فضلاً عن سن العديد من التشريعات الأساسية في الولايات المتحدة الأميركية فيما يخص "المعادن قيد النزاع" و"قانون الإغاثة والأمن وتعزيز الديمقراطية في جمهورية الكونغو الديمقراطية لسنة 2006"، في محاولة للمساعدة في إرساء السلام الدائم في جمهورية الكونغو الديمقراطية؛ ولهذه التشريعات تأثيرات بعيدة المدى على الكيانات متعددة الجنسيات، التي قد تشترك في النزاع من خلال المعاملات التجارية، وفي الوقت تشكل هذه التشريعات دعماً كبيراً

---

(35) الاتفاق على وقف إطلاق النار في جمهورية الكونغو الديمقراطية: تقرير الفريق الدولي المعني بالأزمات بشأن جمهورية الكونغو الديمقراطية، رقم 5، 20 أغسطس/آب 1999.

(36) رايس إس، (2009). النقاش بشأن حفظ السلام، مجلس الأمن الدولي، نيويورك، 29 من يونيو/حزيران 2009، ويمكن الوصول إليها عبر الرابط : http://usun.state.gov/briefing/statements/2009/125798.htm

للإصلاح السياسي الداخلي والانضباط وإصلاح القوات المسلحة لجمهورية الكونغو الديمقراطية، وإصلاح القطاع الأمني، وتقديم الدعم لعملية نزع السلاح والتسريح والإعادة إلى الوطن، وإعادة التوطين، وإعادة الإدماج. [37]

المطلب الثالث: موقف المحكمة الجنائية الدولية الدائمة من قضية الكونغو الديمقراطية.

بناءاً على حق دول الأطراف في رفع الدعوى مباشرة أمام المحكمة الجنائية الدولية الدائمة، قام رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية في اذار 2004 بإحالة الوضع السائد في الكونغو إلى المحكمة الجنائية الدولية عن طريق رسالة وجهها للمدعي العام للمحكمة، كما قامت العديد من المنظمات غير الحكومية الاتصال، بالمحكمة، وأبلغ المدعى العام جمعية الدول الأطراف نيته في تقديم طلب في التحقيق للكشف عن الجرائم المرتكبة في جمهورية الكونغو الديمقراطية منذ 10تموز 2002، وقد أكد المدعى العام في هذا الصدد أن فتح هذا التحقيق بعد أهم خطوة لتحقيق العدالة الدولية وضمانا لحماية الضحايا والشهود مع العلم أن هذا القرار قد تم أخذه بالتعاون مع جمهورية الكونغو الديمقراطية وعدد من الدول والمنظمات الدولية. [38]

وفي تشرين الاول 2004 وقعت المحكمة الدولية الجنائية وحكومة جمهورية كونغو الديمقراطية اتفاقاً للتعاون، يسمح للمحكمة ببدء تحقيقات في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت في الدولة، وقد باشر المدعي العام تحقيقه في الجرائم المرتكبة في إقليم جمهورية الكونغو الديمقراطية، وذلك بزيارة محققي المحكمة الإحدى أقاليم الجمهورية، بعدما فتح تحقيقا في الحالة يوم 23 حزيران 2004 وإلى غاية تاريخ 23 نيسان 2013 فإن المحكمة مهتمة بدراسة ستة قضايا في الحالة المتعلقة بجمهورية الكونغو الديمقراطية، وهي: قضية المدعي العام ضد توماس لوبلنغا دييلو، وقضية المدعي العام ضد بوسكو نتاغندا، وقضية جيرمين كاتنغا، وقضية ماتيو نقيد جولو شوي، وكذلك قضية المدعي العام ضد كاليكست مباروشيمانا وقضية سيلفسترمداكومور، أصدر مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية أمرا بالقبض في العاشر من شباط 2006 على توماس لوبلنغا دييلو، موقف المحكمة الجنائية الدولية من قضية الكونغو الديمقراطية وافريقيا الوسطى وهو زعيم" اتحاد المواطنين الكونغوليين"، وتم القبض عليه وتسليمه للمحكمة في 17 اذار 2006 ، وقد وجهت إليه تهمة ارتكاب جرائم حرب في 28 اب 2006. ،

([37]) بيج إف، ، هل لحفظ السلام؟ تشكيل خيارات المتحاربين بعد الحرب الأهلية ، مطبعة جامعة برينستون، الولايات المتحدة الامريكية ، 2008.

([38])محمد ذيب و عمرواي خديجة ، موقف المحكمة الجنائية الدولية من قضية الكونغو الديمقراطية وافريقيا الوسطى، جملة الدراسات القانونية و السياسية – المجلد 6 العدد6 ، كانون الثاني 2020. ص75

أقرت التهم الموجهة إليه في جلسات ما بين 09 و 28 تشرين 2006 وهو منهم وتوظيف أطفال أقل من 15 سنة، وتجنيدهم إجباري في النزاعات المسلحة. [39]

وفي 26 كانون الاول 2009 بدأت الدائرة الابتدائية الأولى، التي تضم القضاة السيد أدريان فولفورد، وإليزابيث أوديو بينيتو، ورينيه بلاتمان، نظر قضية المدعي العام ضد توماس لوبانغا، وهناك 102 من ضحايا يشاركون من خلال ممثليهم القانونيين، في قضية لوبانغا، ثم قام المدعي العام بعرض أدلته من 26 كانون الثاني إلى 14 تموز 2009، فقدم بشكل رسمي 119 دليلا وأدلى ثلاثون شاهدا بشهادتهم أمام المحكمة، تم استدعاء 28 منهم من جانب الادعاء العام. [40] ،وقد تم النطق بأول حكم في 10 تموز 2012 صدر عن الدائرة الابتدائية التابعة للمحكمة الجنائية الدولية والذي أعتبر بأنه حكم تاريخي، وهو أول حكم تاريخي بالسجن لمدة 14 عاما يحق" توماس لوبنغا " زعيم إحدى الجماعات الكونغولية المسلحة لقيامه بارتكاب جرائم الحرب، وكانت المحكمة أصدرت عقوبة بالسجن لمدة 30 عاما حففت إلى 14 عاما نظراً لتعاونه مع المحكمة طوال فترة المحاكمة. [41]

طرحت محكمة الجنائية عدة مقترحات حول جبر الضرر، وعلى ضوء ذلك فان الصندوق الائتماني أوضح أنه بينما يجب أن تحتوي المبادئ على كيفية أداء إجراءات جبر الضرر، فإنها يجب أيضا أن تتناول الأسئلة الأساسية ذات الصلة بحق ضحايا الجرائم الدولية في جبر الضرر، أشياء أخرى، إجراءات الضرر فعالة وسهلة المثال وعين الصندوق الائتماني للضحايا الحاجة لمبادئ تكفل ضمن وذات مغزى تسمح للضحية بالانخراط في كل مراحل الإجراءات وتتضمن مبادئ حول عدم التمييز وعدم التشنيع وفرص الوصول الفعالة بالنسبة للضحايا من النساء والفتيات، وأشار الصندوق أيضا إلى إقامة مبادئ حول أحقية الضحايا ومعيار الإثبات والطبيعة المادية والرمزية للمنح والبعد العملياتي لإنقاذ منحة جبر الضرر. [42] وتعد المحكمة الجنائية الدولية أخيرا وقبل أن تكون وسيلة لمتابعة مجرمي الحرب، الفرصة الأخيرة أمام الضحايا للحصول على التعويض والحماية التي تعتبر من الخطوات الضرورية لإعادة السلام إلى أهله، وإعادة تشييد ما تم تدميره على أسس متينة. [43]

الخاتمة:

---

(39) فيدا لمجيب محمد، المحكمة الجنائية الدولية النحو العدالة الدولية، الطبعة الأولى ، منشورات العلمي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2006، من: 211.

(40) فريجه محمد هشام : دور القضاء الجنائي الدولي في مكافحة الجريمة الدولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الحقوق تخصص قانون دولي جنائي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014 ،ص:339

(41) انظر: تقرير المحكمة الحالية الدولية الفترة 20018,2019- المرجع السابق، ص 108

(42) فريجه محمد هشام: المرجع السابق، ص 343

(43) - تقرير الحكمة الجنائية الدولية للغة= 2008، 2009: المرجع السابق، ص 9.

يعد النزاع في جمهورية الكونغو الديموقراطية من أعمق النزاعات الاثنية في إفريقيا، وذلك لان هذا النزاع لا يقتصر الجماعات المسلحة وبين الحكومة من جهة، وانما بين الجماعات المسلحة ذاتها من جهة أخرى، الامر الذي أدى هدم البنى التحتية الأساسية من مدارس ومستشفيات ومصانع، ومدن بأكملها، وبالتالي قضى على أسس التنمية المادية. لذلك حاولنا ان نبين العلاقة بين متغير التعدد الاثني وبناء الدولة في الكونغو الديموقراطية وتوصلنا إلى أن التعدد الاثني أثر بشكل كبير على عملية بناء الدولة من خلال اللعب على الورقة الأثنية في تسيير الحكم، ولا تزال الكونغو عاجزة عن إدارة نظامها السياسي بالشكل الذي يخمد الأحقاد الأثنية، ومازالت هذه النزاعات الاثنية تلعب دوراً كبيراً في اندلاع واستمرارية النزاعات داخلها وسبب الأزمات التي تعاني منها أهمها أزمة التوزيع التي احتكرت ضمنها الموارد جماعة على حساب الجماعات الأخرى، وبهذا أصبح من مصلحة الجماعات المتقاتلة على الموارد استمرار النزاع و غياب الدولة من أجل استمرار الثراء الشخصي على حساب الدولة التي لا يدينون بالولاء لها ، بالرغم من جهود الدولية والإقليمية لتسوية هذا النزاع .

المصادر:

1- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المجلد الثالث الطبعة الثانية، لبنان، المؤسسة العربية الدراسات، بيروت- لبنان ، 1993.
2- كوليت بريكمان، المجموعات المسلحة في جمهورية الكونغو الديموقراطية، في أوضاع العالم 2015 الحروب الجديدة، ترجمة نصير مروة، ط1، مؤسسة الفكر العربي، لبنان، 2015
3- 13-بيج إف، ، هل لحفظ السلام؟ تشكيل خيارات المتحاربين بعد الحرب الأهلية مطبعة جامعة برينستون، برينستون- الولايات المتحدة الامريكية 2008.
4- جمال حمدان، افريقيا الجديدة دراسة في الجغرافيا السياسية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1996، القاهرة –مصر.
5- روزا إسماعيل، إفريقيا الاستوائية المشكلات العرقية ...هل يمكن حلها؟، ترجمة مصطفى الرزاز، دار الثقافة الجديدة للنشر ، القاهرة –مصر ،2001.
6- فيدا لمجيب حمد المحكمة الجنائية الدولية النحو العدالة الدولية)، ط1، منشورات العلمي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2006.
7- فريجه محمد هشام، دور القضاء الجنائي الدولي في مكافحة الجريمة الدولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الحقوق تخصص قانون دولي جنائي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013.
8- سمية بلعيد ، النزاعات الاثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا، رسالة ماجستير ، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة منتوري - قسنطينة – الجزائر .
9- الشيماء علي عبد العزيز، أبعاد خبرة العنف السياسي في زائير، مجلة السياسة الدولية، العدد 129، القاهرة ، تموز 1997.
10- عبدالله صالح، الصراع في شرق زائير وسيناريوهات المستقبل، مجلة السياسة الدولية، العدد 128 ،القاهرة ،نيسان 1997.

11- رفيق بوشيش ، النزاع في جمهورية الكونغو الديمقراطية: سماته ودوافعه، جامعة باتنة – الجزائر، مجلة الجزائرية الامن والتنمية، العدد 4، كانون الأول ، 2013.

12- عبد السلام إبراهيم البغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا، مركز الدراسات العربية، بيروت –لبنان ،1999.

13- بورياح سليمة ، التعددية ألاثنية كمدخل لتفسير عرقلة بناء الدولة في إفريقيا حالة الكونغو الديمقراطية ، مجلة أكاديميا للعلوم السياسية - المجلد 6 ،العدد 2 ، 2020 .

14- محمد ذيب و عمرواي خديجة ، موقف المحكمة الجنائية الدولية من قضية الكونغو الديمقراطية وافريقيا الوسطى، مجلة الدراسات القانونية و السياسية – المجلد 6 العدد6 ، كانون الثاني 2020.

15- حنفي علي خالد ، البحيرات العظمى ومستقبل السلام، مجلة السياسة الدولية، العدد 152،مصر ، أكتوبر .2002.

16- الاتفاق على وقف إطلاق النار في جمهورية الكونغو الديمقراطية: تقرير الفريق الدولي المعني بالأزمات بشأن جمهورية الكونغو الديمقراطية، رقم 5، 20 أغسطس/آب 1999.

17- رايس إس، (2009). النقاش بشأن حفظ السلام، مجلس الأمن الدولي، نيويورك، 29 من يونيو/حزيران 2009، ويمكن الوصول إليها عبر الرابط : http://usun.state.gov/briefing/statements/2009/125798.htm

18- نورا أسامة، مستقبل الكونغو بعد السلام، مجلة السياسة الدولية، العدد 152 ،القاهرة ، نيسان 2003.

19- ستيرنز، جيسون، "سياسة لواء التدخل: من بريتوريا إلى كيغالي"، 27 من إبريل/نيسان 2013، ، سبتمبر/أيلول http://congosiasa.blogspot.se/2013/04/the-politics-of-intervention-brigade.html2013

20- الاتحاد الإفريقي، "الاجتماع بشأن الترتيبات الأمنية المزمع اتخاذها في الجزء الشرقي من جمهورية الكونغو الديمقراطية ينتهي في أديس أبابا"، 28 من ديسمبر/كانون الأول 2013، http://www.peaceau.org/en/article/the-meeting-on-the-security-arrangements-to-be .

21- مي الصايغ ، الكونغو على طريق رواندا، صراع قبائل ومعادن، جريدة الأخبار، لبنان ،أكتوبر 2008.

22- لوك باولا ، جمهورية الكونغو الديمقراطية: البحث عن سلام بعيد المنال ، مركز الجزيرة للدراسات ، 17- اب – 2015 https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/08/201581711255614232.html

دور الإدارة الأهلية وأثره على التعايش السلمي في سودان ما قبل الاستقلال

(دراسة حالة نظارة قلع النحل)

The role of the civil administration and its impact on peaceful coexistence in pre-independence Sudan

(Case Study of Gala Elnahal Nazirship)

أحمد سليمان أبكر_باحث في العلوم السياسية_ السودان

Ahmedsoulim22@gmail.com

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بمفهوم الإدارة الأهلية، ومفهوم التعايش السلمي، ومن ثم تقرير صحة البيانات المتوافرة عن الإدارة الأهلية في سودان ما قبل الاستقلال وكيف أنها أسهمت بصورة واضحة في التعايش السلمي في تلك الحقبة، وذلك من خلال القراءة والتأمل والتحليل لـ(حالة نظارة قلع النحل).وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع الإدارة الأهلية في سودان ما قبل الاستقلال وكيف أنها أسهمت في عملية التعايش السلمي الذي شهده السودان في تلك الحقبة.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الأهلية، التعايش السلمي، نظارة قلع النحل، السودان.

Abastract: This study seeks to define the concept of civil administration, and the concept of peaceful coexistence, and then to determine the validity of the available data on the civil administration in pre-independence Sudan and how it clearly contributed to peaceful coexistence in that era, through reading, meditation and analysis of (the case of Gala Elnahal Nazirship). The researcher used the historical method to achieve the goal of the research by analyzing the reality of the civil administration in pre-independence Sudan and how it contributed to the process of peaceful coexistence that Sudan witnessed in that era.

Keywords: civil administration, peaceful coexistence, Gala Elnahal,Nazirship ,Sudan.

مقدمة:

النظام الأهلي قديم متجذر في تاريخ السودان منذ الممالك النوبية القديمة ومرورًا بالسلطنة الزرقاء وسلطنة الفور، وعند دخول الأتراك إلى السودان في عهد محمد علي باشا (حاكم مصر) وجدوا هذا النظام الأهلي فأعجبهم تنظيمه ودقة علاقاته وحكمة زعمائه لذلك لم يحاربوه بل استفادوا منه في إدارة السودان وأراضيه الشاسعة، وعند قيام الثورة المهدية ساهم رجال النظام الأهلي (الإدارة الأهلية) في نجاح الثورة إذ استنفر الإمام المهدي أولئك الزعماء الذين كان لهم دورًا مؤثرًا في تحريض الناس على محاربة المستعمر (الحكم التركي).ولما عاد الاستعمار مرة ثانية ممثلًا في الحكم الثنائي الإنجليزي المصري انتبه الإنجليز الذين انفردوا بحكم السودان أن الإدارة أهلية؛ كيان يمكّنهم من الحكم غير المباشر والأقل تكلفة فوظّفوه لقضاء حاجتهم في إدارة الأهالي وضبطهم مع نشر موظفين إنجليز في الأرياف والقرى السودانية بمسميات عدة كـ(المفتش والمأمور) كمراقبين. ومنذ خروج المستعمر من السودان أصبحت الإدارة الاهلية مثار جدل داخل التنظيمات السياسية السودانية، فاختلف المهتمون بالشأن العام من ساسة ومفكرين وإداريين حول مدي فعاليتها، من الناحية الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، ففريق يرى وجوب تصفيتها كونها تمثل امتدادًا للحقبة الاستعمارية مثل التيارات التي تنادي بالحداثة وفريق يرى رعايتها وتنميتها والعمل على تحديثها لتاتي التصفية عبر استراتجيات يمكن التخطيط لها عبر الأزمنة مثل التيارات المحافظة والأحزاب التقليدية.

أينًا كانت نظرة التنظيمات السياسية والمجتمعية تجاه الإدارة الأهلية فإنها كانت تمثل صمام أمان لسودان ما قبل الاستقلال من خلال اسهامها بصورة واضحة في التعايش السلمي في تلك الحقبة لذلك تهدف هذه الدراسة إلى مراجعة ودراسة وتصحيح الحقائق حول الإدارة الأهلية، للاستفادة من إرثها في توجيه الحاضر والمستقبل.

الإطار المنهجي للبحث:

*موضوع البحث وحدوده: موضوع البحث؛ دور الإدارة الأهلية وأثره على التعايش السلمي في سودان ما قبل الاستقلال (دراسة حالة نظارة قلع النحل)،حدود البحث المكانية (السودان-نظارة قلع النحل)،أما الزمانية ففي الفترة من 1921م إلى 1956م.

*أهمية البحث: تكمن في تسليط الضوء علي الدور الذي لعبته الإدارة

الأهلية في مسيرتها إبان حقبة الاستعمار مرتكزة علي إرثها التاريخي الضارب في القدم من خلال التعرف عليها وإدراك دورها وفهم العوامل التي تدعمها لتزيد من فعاليتها للاسهام في عملية التعايش السلمي والاستقرار في السودان.

*هدف البحث: يهدف هذا البحث إلي تقييم تجربة الإدارة الإهلية في سودان ما قبل الاستقلال وكيفية تطويرها وتفعيلها لتسهم في استقرار سودان اليوم.

***إشكالية البحث:**

تتمثل إشكالية البحث هل كان للإدارة الأهلية دور في عملية التعايش السلمي في سودان ما قبل الاستقلال.

***أسئلة البحث:**

أ.كيف أسهمت الإدارة الأهلية في عملية التعايش السلمي في سودان ما قبل الاستقلال؟

ب.كيف يمكن الاستفادة من إرث الإدارة الأهلية وتوظيفه في وضع حد لحالة عدم الاستقرار السياسي في سودان اليوم؟

***منهجيات البحث وتقنياته:**

منهج البحث هو المنهج التاريخي لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع الإدارة الأهلية في سودان ما قبل الاستقلال وكيف أنها أسهمت في عملية التعايش السلمي الذي شهده السودان في تلك الحقبة وذلك من خلال دراسة حالة نظارة قلع النحل(ولاية القضارف).

تقنيات البحث: القراءة المنظمة للوقائع التاريخية، الرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بموضوع البحث،الملاحظة الهادفة،الخبرة العلمية،الاستشارة.

***فرضيات البحث:**

1.ثمة دور واضح لعبته الإدارة الأهلية في عملية التعايش السلمي في سودان ما قبل الاستقلال.

2.ثمة تشويه للإدارة الأهلية من خلال إنكار دورها الايجابي من جهة والزج بها في الصراعات السياسية من جهة ثانية.

3.ثمة حوجة إلى إرث الإدارة الأهلية وتوظيفه حتى يسهم بصورة فاعلة في عملية التعايش السلمي والاستقرار السياسي في سودان اليوم.

الإطار النظري للبحث:

مفهوم الإدارة الأهلية:

الإدارة الأهلية تعنى اصطلاحًا المؤسسات القبلية التي توارثتها الجماعات الإفريقية وطورها الساسة البريطانيون إلى أن أضحت عبارة عن أجهزة محلية تنظم نشاطات الأفراد والمجموعات القبلية وتعمل على بسط الأمن والاستقرار وحماية البيئة المحلية اجتماعيًا واقتصاديًا وفق التقاليد والأعراف والموروثات بصلاحيات إدارية وأمنية وقضائية تستمد قوتها من السلطة المركزية تخويلًا أو تفويضًا[1]،أي أن الإدارة الأهلية هي النظام الذي يتبع لتخطيطه من المؤسسات القبلية التي توارثتها القبائل الإفريقية والتي تطورت بطريقة دستورية لتساير نظام الحكم المحلي في إطار يتمشى مع العادات والتقاليد والعادات خاضعة في ذلك لبعض التعديلات والتغيرات البسيطة التي أدخلها الساسة البريطانيون تمشيًا مع مبادئ الحكم الأساسية[2].

مفهوم التعايش السلمي:

التعايش في اللغة:عايشه،عاش معه.والعيش معناه الحياة، وهو العيش على هذه الأرض من بني آدم كافة دون تفريق، وتعني الإشتراك في الحياة على الإلفة والمودة،وهي من مادة (عيش) على وزن تفاعل الذي يفيد وجود العلاقة المتبادلة بين الطرفين[3]،أما كلمة (السلمي) فوصف مؤكد لطبيعة التعايش،وعلى فرض وجود نوع من التعايش غير السلمي يكون الوصف مقيدًا يخرج به نوع التعايش غير السلمي ويسود مصطلح التعايش السلمي في الأوساط البدائية في المجال الإجتماعي كالتعايش بين الأفراد أو المجموعات الإثنية أو القبلية،وإنتقل المصطلح من المجال الإجتماعي إلى المجال السياسي في ظل الدولة الحديثة القائمة على أساس التنوع الديني أو الإثني، وما ينتج عنه من نزاعات وصراعات.

ومصطلح التعايش السلمي كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا ليس هنالك أي مانع للتوسع في استخدامه في مجال العلاقات الاجتماعية بين الأعراق وأتباع الديانات المختلفة وبخاصة المقيمين في دولة واحدة[4].خلاصة القول أن التعايش السلمي هو تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين المجتمعات بعيدًا عن العنف.

---

[1].أبو شوك؛أحمد إبراهيم_الإدارة الأهلية بين الإبقاء والإلغاء_دار الوثائق القومية السودانية_الخرطوم_1993م_ص1.

[2].عربي عبد الباسط وكرم الله عوض_مذكرة عن الإدارة الأهلية وتطويرها في السودان_ ب.ت_ص5.

[3].المعجم الوسيط_ ج ٢_مادة (عيش)_ ص ٦٤٦.

[4].مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي السابق_مشكلة الحرب والسلام_ترجمة:شوقي جلال وسعد رحمي _دار الثقافة الجديدة_مصر_ب.ت _ص 2.

أدبيات البحث (الدرسات السابقة):

دراسة مشابهة لموضوع البحث(دورة الإدارة الأهلية في التنمية الريفية بكردفان في الفترة من 1921م_1989م_دراسة حالة منطقة أم روابة) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الإدارة العامة_طارق الطيب أحمد الحاج؛إشراف:د.عبد العظيم سليمان المهل_جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا(كلية الدراسات العليا)_السودان_2006م).

الهدف من الدراسة: تقييم مسيرة تجربة الإدارة الاهلية إبان الحقبة الاستعمارية للاسهام في وضع الاستراتيجيات الكفيلة بتطويرها وتفعيلها.

نتائج الدراسة: أن الإدارة الأهلية كانت تلعب دورًا إيجابيًا في مجالات التنمية المختلفة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بجانب التنمية الإدارية[5].

التعليق على الدراسة: واضح جدًا أن الإدارة الأهلية في سودان ما قبل الاستقلال كانت تقوم بدور مؤثر أسهم في عملية الاستقرار الذي كان من ثمراته التنمية الريفية، وكم أن سودان اليوم في حاجة ماسة إلى تطوير الإدارة الأهلية حتى تسهم في الاستقرار والتنمية.

البحث:

عرض الوضع العام لموضوع البحث:

الإنجليز والإدارة الأهلية في السودان:

تسبب نشوب الحرب العالمية الأولى في نقص حاد في الإداريين الرسميين بالسودان[6](الإنجليزي_المصري)وذلك نتيجة لاستدعاء معظم الإنجليز منهم إلى بلادهم،وبنهاية الحرب أعاد الإنجليز النظر في الجهاز الإداري في السودان بحيث يتثنى لهم تسخيره لمواجهة المستجدات التي تمثلت في:النمو المتصاعد للحركة الوطنية في أوساط المثقفين وتأثرها بالحركات المصرية وغيرها في آسيا وأفريقيا_الأزمة المالية التي تعرضت لها بريطانيا ومستعمراتها عقب الحرب العالمية الأولى بما فيها السودان_ النمو السكاني وإتساع رقعة السودان[7]؛كل هذه المستجدات خلقت هاجسًا إداريًا واجتماعيًا

[5].طارق الطيب أحمد الحاج_دورة الإدارة الأهلية في التنمية الريفية بكردفان في الفترة من 1921م_1989م_دراسة حالة منطقة أم روابة) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الإدارة العامة_إشراف:د.عبد العظيم سليمان المهل_جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا(كلية الدراسات العليا)_السودان_2006م.

[6]. بخيت؛جعفر محمد على_ رأي في الإدارة الأهلية_ص2.

[7].مرقص؛يواغيم رزق_(تطور نظام الإدارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899م_1924م)_الهيئة المصرية العامة للكتاب_1984م_ص200م.

وسياسيًا على الإنجليز في السودان مما دفعهم إلى القيام ببعض التنازلات السياسية والإدارية لتفادي خطر غضب الشعب السوداني ضدهم فكان العمل على تطبيق نظام الإدارة الأهلية وإشراك الأهالي في ما أمكن وذلك تحت إشرافهم ومراقبتهم، مستفيدين من البنية السياسية والتقليدية للمجتمع القبلي في إدارة شئون السودان لتلافي النقص الحاد في عدد الموظفين.

بدأت سياسة إشراك الوطنيين في الإدارة في مديريات السودان منذ عام 1914م في شكل تجارب صغيرة[8]، ثم بدأت تمنح شيوخ القبائل والأعيان سلطات قضائية وتنفيذية[9]، وكلما نجحت هذه التجربة في جهة أُلغيت إدارتها الممثلة في مركز البوليس وسُلمت للإدارة الأهلية،وكان الهدف من ذلك هو إقامة إدارات وطنية في صورة من الصور،على أن تكون خاضعة للمستعمرين، وبذلك تقل نفقات الحكم ويخفُّ العبء عن الحكومة المركزية في الخرطوم[10] بجانب تخفيف حدة الشعور الذي كان سائد بين الإنجليز كحكام غرباء وبين محكوميهم[11].

ظلت تجربة الإدارة الأهلية في السودان في طريقها بنجاح حتى عام 1921م، عندما زار السودان لورد ملنر ووضع تقريره، الذي أثبت فيه أن البيروقراطية المركزية لا تلائم السودان كلية، وأكد على سلطة شيوخ القبائل في ذات الوقت[12].

---

[8].Anglo-Egypian Sudan HANDBOOKS PREPARED UNDER THE DIRECTION OF THE HISTRICAL SECTION OF THE FOREIGN OFFICE_No.98.LONDON:PUBLISHED BY H.M STATIONERY OFFICE_1920_p.32.

[9] .Mecki A:Op.Cit,p.130.

[10].حسين؛عبد الله_السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية(الجزء الثاني)مؤسسة هنداوي_يورك هاوس،شييت ستريت،وندسور،SL41DD،المملكة المتحدة_2013م _ ص129.

[11].حسب الله، موريس فهيم_التاريخ الدستوري والاداري للسودان في نصف قرن 1899م_1953م (رسالة دبلوم معهد الدراسات السودانية_جامعة القاهرة_1955م_ص38.

[12] Marshall,A.H.M.:Op.Cit.p.5.

ومن نصوص هذا التقرير (تقتضي الضرورة بأن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة، إلا أنه لا يستحسن أن ينحصر الحكم كله في حكومة مركزية، بل يجب إلقاء تقاليد إدارته بقدر الإمكان على كاهل حكام من الوطنيين أينما وجدوا،تحت المراقبة البريطانية،نظرًا لإتساع أرجائه،واختلاف طبائع أهله وأخلاقهم.فالحكومة البيروقراطية المركزية لا تلائم السودان على الإطلاق، وإنما تلائمه المركزية مع استخدام العناصر الوطنية، حيث يمكن قيامها بالأعمال الإدارية البسيطة التي تحتاج إليها البلاد، حسب درجة تقدمها، لأن ذلك يقلل من نفقاتها، ويزيد من كفاءة رجالها وحسن إدارتها، والموظفون حاليًا من أهل البلاد ما زالوا قليلي العدد بالمقارنة لمن يؤتى بهم من مصر، وهم لا يحبون العمل في السودان ولكن هذه الصعوبة ستذلل كلما تقدم التعليم في السودان وزاد بالتالي عدد الأكفاء من أهله لتقلد الوظائفالرسمية).

لقد حدد تقرير عام 1921م نظام الإدارة الأهلية في السودان وهو عام التمهيد لإصدار قانون الإدارة الأهلية بأنها ترك الإدارة كلما أمكن في يد السلطات الأهلية حيثما وجدت، تحت إشراف الحكومة مبتدئة بالأمور التي يرونها، وللحكومة أن تحتفظ لنفسها بحق الاعتراض ضد كل ما تراه غير صحيح أو غير قانوني، وتؤيد كل ما عدا ذلك إذا كانت فيه مصلحة الأهالي، وتدعم سلطات الشيوخ الوطنيين في حكم قبائلهم[13].

أما تطبيق الإدارة الأهلية بصورة مقننة في السودان فبدأ بقانون سلطات المشايخ الرحل الذي أصدرته الإدارة البريطانية في سنة 1922م[14]،ذلك القانون الذي منح زعماء القبائل من مشايخ ونظار سلطات قضائية وإدارية ومالية للقيام بالأعمال البسيطة، بجانب تطوير العادات المحلية من غير تدخل من السلطات الرسمية وبذلك يصبح زعيم القبيلة أو شيخها مستخدمًا حكوميًا دون مطالبته بتطبيق القوانين واللوائح تطبيقًا حرفيًا، ذلك لأن الإدارة الأهلية تقوم على النظام المحلي وموروثاته من الأعراف والتقاليد كذلك رُوعي عدم إسناد مسئوليات إدارية كبيرة للقائمين على الإدارة الأهلية حتى لا تعوقهم عن مهام قبائلهم[15]. وبنفاذ ذلك القانون، تم تقليل نفقات الإدارة من جهة وتوفير فرصة للتدريب الوطنيين ورفع كفاءتهم الإدارية من جهة أخرى. وبذا أصبحت الإدارة الأهلية حلقة هامة تربط الحكومة المركزية برعاياها في الأقاليم من خلال إشرافها على تقدير وتحصيل الضرائب بجانب إسهامها في إدارة بعض الخدمات، كحفظ الأمن

والنظام العام وتسوية النزاعات بين أتباعها[16].

---

[13].Annual report1921:p.7.and F.O.407 part XCV Jan,-June.1924,p.322.

[14].الإطار القانوني لسياسة الإدارة الأهلية في السودان يتمثل في القوانين التالية: قانون سلطات مشايخ الرحل لسنة 1922م_قانون المحاكم الفردية لسنة 1925م المعدل لسنة 1931م_قانون سلطات المشايخ لسنة 1927م وما بعده منح نظار القبائل والعمد والمشايخ مزيدًا من السلطات القضائية التي تدعم نفوذهم كما منحوا سلطات إدارية وقضائية بموجب قانون المحاكم الأهلية_(المرجع: أبو شوك:أحمد إبراهيم_الإدارة الأهلية بين الإبقاء والإلغاء_دار الوثائق القومية السودانية_الخرطوم_1993م_ص24 إلى ص26).

[15].تطور نظام الإدارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899م_1924م) مرجع سابق_1984م_ص203،ص204م.

[16].هيكل الإدارة الأهلية:

الناظر:يطلق غالبًا على زعماء العشائر الكبيرة فهو زعيم العشيرة الأعلى وممثلها لدى السلطات المحلية ولا قبول لسياسيات الحكومة عند أفراد العشيرة إلا بتأييده،لذلك منح سلطات إدارية وقضائية وضبطية تمكنه من مراجعة قرارات وأحكام المديريات.

العمدة أو الشرتاي أو الملك: تأتي درجة هؤلاء بعد الناظر وهو مركز الثقل الإداري إذ عليهم الإشراف على أداء المشايخ التابعين لهم والواقعين في اختصاص دائرة كل منهم وممارسة العمل القضائي بالنظر في الشكاوى الجنائية والدعاوى المدنية التي تعرض عليهم وفق ما يخوله له العرف والقانون .

الشيخ:شيخ القرية أو الفريق يمثل قاعدة الهرم الإداري في الإدارة الأهلية وتنحصر واجباتهم في حفظ الأمن ، وتحصيل الضرائب والقيام بكافة الإجراءات الضبطية في دائرة شياختهم.

واضح جدًا أن الإنجليز قد أدركوا أن المجتمع السوداني مجتمع قبلي،اعتاد أهله الخضوع للنظام الأبوي، لذا تركوا الإدارة ما أمكن في أيدي السودانيين المنحدرين من أصول قوية في القبائل والطوائف الدينية،والنظار والعمد والمشايخ الذين ساهموا في حفظ النظام والاستقرار وسط قبائلهم،الأمر الذي نتج عنه استتباب الأمن والقضاء على المنازعات وخلق نوع من التعايش السلمي بين تلك القبائل في أصقاع السودان المختلفة، دون أن تغفل الحكومة مراقبة هؤلاء الزعماء وتحركاتهم،وهنا تظهر حنكة الإنجليز باستغلالهم ما أمكن للعصبية القبلية في السودان بدلًا من الاصطدام بها، وبغض النظر عن أهداف الإنجليز الحقيقية من وراء تجربة الإدارة الأهلية كونها وسيلة للتخلص من تواجدالمصريين في السودان؛والتحكم فيه بأقل تكلفة،إلا أن الإدارة الأهلية أسهمت بشكل كبير في خلق استقرار وتعايش سلمي في كثير من بقاع السودان،بل وأسهمت بقدر جيد من التنمية في هذه البقاع كما سنري في حالة نظارة قلع النحل.

معالجة الحالة المدروسة في البحث:

جغرافية وتاريخ نظارة قلع النحل:

تقع نظارة قلع النحل في الجنوب الغربي لولاية القضارف في السودان وتغطي مساحتها محليتي قلع النحل والرهد،وحدودها تبدأ من حلة التبلدية جزم في الضفة الشرقية لنهر الرهد،ثم الاتجاه شمالًا حتى العزازة صقور في الشمال الشرقي،ثم الاتجاه غربًا مرورًا بجبل المتنا في الشمال حتى جبال القليع في الشمال الغربي، ثم الاتجاه جنوبًا نحو جبل بيلا حتى حيمورة في الغرب على نهر الرهد ،ثم مع محاذاة النهر من الجهة الشرقية مرورًا بالحواتة إلى حيث بدأت الحدود.وتقع هذه المساحة بين خطي طول 36°ق و 34°غ وخطي عرض14,2°ش و 13,3°ج،تحدها من الشرق والشمال نظارة دار بكر ومن الغرب نظارة الشكرية ومن الجنوب نظارة الدندر،وحاضرة النظارة هي مدينة قلع النحل التي تقع في الجنوب الغربي لمدينة القضارف ،على خط طول 34,12° وخط عرض 14,18°.أما تاريخيًا فهنالك بعض الآثار التي تدل على أن قلع النحل سكنت منذ أمد بعيد ، لعله عهد دولة الفونج ، فمن هذه الآثار مقبرة تحوي قطع فخارية كائنة تحت سفح جبل أبو الشطة الواقع غرب المدينة(ويقول البعض تعود هذه المقبرة لعهد العنج أهل مملكة علوة)،وحديثًا أُنشئت قلع النحل في بدية عهد الحكم الثنائي (الإنجليزي _ المصري)عام 1904م على يد الناظر موسى يعقوب الأنصاري (من قواد المهدية).أما تسميتها فيقال أنها جاءت من كثرة النحل في عهدها الأول والقلاع (الجبال) التي تحيط بها من كل جهة،وتتميز قلع النحل بالغابات والسهول الزراعية الخصبة وجبالها التي تحتوي على عدد من المعادن كالأسبستس والكروم والحديد والذهب،والتالك، والمغزايت، والمايكا، والرخام ، وحديثًا قيل يوجد بترول، كما تحظى قلع النحل بثروة حيوانية معتبرة وبإمطار جيدة جدًا لوقوعها في إقليم السافنا.

كما تمثل قلع النحل مركزاً لعدد كبير من القبائل خاصة قبائل الغرب كالبقارة والجوامعة والحمر والعركيين والداجو والبرتي والمراريت والتاما والنوبة والهوسا والفلاتة والمساليت، وبعض قبائل الشرق كالبني عامر ، والشمال كالرباطاب والجعليين ، والجنوب كالدينكا،وأولى القبائل التي سكنت هذه المنطقة قبيلة الصليحاب التي ينتمي لها الناظر موسى يعقوب الأنصاري ، والعلاقة بين هذه القبائل المختلفة طيبة تقوم على الاحترام والتعاون.أما النشاط الاقتصادي في المنطقة فيتمثل في الزراعة التقليدية بالإضافة إلى التجارة و الرعي بجانب التعدين الذي تمارسه بعض الشركات

السودانية والأجنبية من وقت لآخر[17].

العوامل التي شكلت التعايش السلمي في نظارة قلع النحل:

1.تاريخيًا سكنت في منطقة قلع النحل أيام مملكة علوة (العنج) ومملكة سنار(الفونج) مجموعات عرقية مختلفة عُرفت بالمناطق وليست بالقبائل؛ مثل مجموعة بيلا وكرتوت وعريض ومكرندو وقرين وبان وبلوس وبية والبيضة والأغر وجبل غنم وحويج وشانقيّة، ومن المرجح أن هذه المجموعات أدارت شئونها على أساس تبادل المصالح فانصهرت مع

بعضها البعض ووشكّلت نموذج للتعايش السلمي في ذلك الزمان[18].

2.التجانس بين القبائل التي جاءت تمثل جيش المهدية في الشرق والتي شكّل بعضها نظارة قلع النحل يعتبر من أهم عوامل التعايش السلمي في المنطقة.

3_كان ناظر قلع النحل من الصليحاب (البرقو) والصليحاب قبيلة ذات طابع متدمن، حيث كان السلطان في سلطنة وداي يتم اختياره بالتشاور بين أعضاء القبيلة وكذلك رئيس الوزراء وقائد الجيش وذلك من سبع من البيوتات المشهود لهم بالكفاءة.

4_ التمدن الذي تميز به الناظر موسى يعقوب الأنصاري[19] انعكس على تشكيل نظارة من معظم قبائل السودان، بل حتى اسم النظارة كان بالمنطقة (قلع النحل) لا كغيرها التي ارتبط اسمها بقبيلة أو بشخص.

---

[17].أبكر، أحمد سليمان_ الطريق إلى قلع النحل (العمارة والجبل)_ صندوق رعاية المبدعين _وزارة الثقافة والشباب والرياضة_ولاية القضارف_ السودان_2015م _ص11.

[18].لقاء مع عبد الله حسن محمد إسحاق (رئيس لجنة السلام والتعبئة السياسية بمجلس تشريعي ولاية القضارف سابقًا)_ القضارف_ الأربعاء 2 مارس 2015م.

5.قامت نظارة قلع النحل على نظام القرية الإداري بعيدًا عن القبيلة أو الشخص فنجد رأس الهرم الناظر ثم يليه على مستوى المناطق العمد، ثم الشيوخ على مستوى الحي أو القرية وفي الحي أو القرية تجد شيخ لكل جماعة تنتمي لقبيلة ما، وكل واحد من هؤلاء لديه سلطاته المتمثلة في تنظيم الزراعة والرعي وامتلاك الأرض وجناين الهشاب وفض النزاعات سلميًا وحفظ الأمن وتحصيل الضرائب. بل ذهب الناظر موسى أكثر من ذالك أن شكّل مجلس للنظارة من حكماء القبائل ومُثلت فيه المرأة بعضوتين(فهو مجلس يومي يأتي فيه الكبار بطعامهم وشرابهم وتُناقش فيه كل أحوال النظارة بصورة يومية من أحوال اجتماعية (زواج، مأتم، نفير) ثقافية (احتفال قومي) دينية (احتفال المولد) وأمنية (مثل من الذي دخل النظارة كغريب ومعرفة هويته ونواياه وتوفير الحماية له وإكرامه) أما على مستوى النظارة فكان لدى الناظر مجلس شهري تقريبًا يجتمع فيه العمد والمشايخ ومشايخ الطرق الصوفية، تناقش فيه أحوال مناطقهم بالتفصيل) كذلك جعل الناظر موسى لكل حي أو قرية شيخة نسوان تدير شؤون النساء وترفع قضاياهم إلى مجلس النظارة من خلال العضوتين. فهذا النظام كان جاذب ومشجع فجعل الكل يعمل بهمة وإخلاص وتعاون وتكامل أخفى أي مظهر من مظاهر التصادم والنزاع المهدد للاستقرار[20].

6_ الشعور القومي الذي بثه الناظر موسى في كل أرجاء النظارة من خلال اهتمامه بالكل على قدم المساواة، فتجده يخص كل منطقة بزيارة على حدة دون الجمع بين أي منطقتين. بل كان يدعو وكلاءه من عمد وشيوخ خط وشيوخ للمناسبات الاجتماعية كتجليد النحاس السنوي الذي تقام له مأدبة ويكون حضورها للتواصل الاجتماعي وتعزيز روابط التآلف والإخاء بين الجميع.

7_ تحقيق الناظر لمبدأ العادلة بين كل الناس حتى ولو كان الأمر يتعلق بأحد أقربائه[21].

8_فتح الطرق ووصول السكة حديد التي طالب الناظر بمرورها عبر نظارته أحدث حراك اجتماعي وثقافي واقتصادي قوي العلاقات والتعايش بين مكونات النظارة[22].

---

[19].هو موسى يعقوب أحمد، ولد عام 1862م بضاحية بطيطيخة (بطيطيخ)(ضاحية من ضواحي جنوب مدينة الأبيض على بعد أربع و خمسين كيلومتر بالقرب من مكان موقعة شيكان) (حسب ما جاء في نشرة بداره عند حفيده الناظر أحمد يعقوب) ،درس القرآن في خلوة والده الشيخ يعقوب أحمد الذي كان زعيمًا لعشيرته من الصليحاب في منطقة بطيطيخة في شمال كردفان. بايع الإمام المهدي وصار أميرًا من أمراء المهدية حتى نهايتها عام 1899م، ثم بدأ نظارته بقلع النحل عام 1904م وتنازل عنها لابنه يعقوب في العام 1948م، ولقد ذُكر بأنه كان رجلًا ذكيًا وورعًا كثير الذكر، طيب المعشر،وعادل شبه بعمر بن عبد العزيز،ذوفكر ثاقب يقضي شئون نظارته بالشورى، وإداري ناجح،تميز بطيب العلاقة مع مواطنيه الذين كانوا يدعونه بأبونا الناظر. توفي الناظر موسي في صيف 1950م ودفن بالقرب من المسجد العتيق بقلع النحل (حسب ما كتب في قبره بالقرب من مسجد قلع النحل العتيق).

[20].لقاء مع العمدة أحمد حسين علي (عمدة بلوس ما بين 1961م إلى 1971م) _قرية بان ريفي قلع النحل_ الأحد 25 مارس 2001م.

[21].لقاء مع الحاج دفع عوض السيد الفضل(شيخ حي وسط غرب بقلع النحل)_ قلع النحل _19نوفمبر2000م.

[22]. Anglo-Egypian Sudan-P.reference_p.81.

9.اهتمام الناظر بإنشاء المدارس الصغرى في كل أطراف النظارة في وقت مبكرًا جدًا (في قرى الطوب الأحمر، العسمة، قرين،بان) إلى جانب مدرسة قلع النحل الأولية كان من العوامل الداعمة للاستقرار وزيادة الوعي بأهمية التعايش والتآلف والتكاتف بين جميع سكان النظارة بمختلف سحناتهم[23].

10_الدور الفاعل لإدارة الناظر موسى يعقوب الأنصاري وابنه الناظر

يعقوب[24] من بعده جعل من مجتمع قلع النحل مجتمع متمدن يحتضن الغير دونما سؤال عن هوية أو من بعطاء، فالغريب يسكن ويُعطى أرض للزراعة ويرعى أو يتاجر إن شاء بل بعض من جاء معلمًا أو موظفًا طاب له المقام وسكن.

11_الاحترام المتبادل بين أفراد ذلك المجتمع المتمدن جعل منه مجتمع تخلو منه الجريمة تمامًا حتى الشرطة لم يكون لها وجود في المنطقة حتى بداية سبعينات القرن الماضي وذلك بسبب جريمة طرفيها من خارج قلع النحل، وبعد أن أُنشئت وحدة الشرطة خلت محاضرها من البلاغات بل انصهر الشرطي في المجتمع وأصبح مزارع أو تاجر.

---

[23].لقاء مع عثمان أحمد حسن (عقيد أمن (م) ومعتمد محلية القريشة السابق بولاية القضارف وباحث في العلوم السياسية والمجتمعية وكاتب وأديب_أم درمان (المهندسين) _الجمعة23يناير2015م.

[24]. اشتهر بالأمير يعقوب موسي ولد بقلع النحل في العام 1919م ودرس في خلوة الفكي الشفيع محمد صالح، ثم مدرسة قلع النحل الأولية في العام 1928م، ثم التحق بالكمبوني الخرطوم، ثم مدرسة الأحفاد الوسطى، ثم كلية غردون التذكارية (أقام في دار الإمام عبد الرحمن المهدي وزامل الإمام الهادي عبد الرحمن المهدي) (قيل درس أيضًا في بخت الرضا) وبعد إكمال دراسته، نشبت الحرب العالمية الثانية، وأراد الإنجليز ضمه لقوات الحلفاء بعد إعطائه البراءة كضابط متخرج من المدرسة الحربية، إلا أن والده الناظر موسى رفض ذلك وطلب عودته لقلع النحل حتى يدرّبه على خلافته في النظارة، ولقد اهتم الناظر موسى بابنه الأمير غاية الاهتمام وأحسن تربيته وتعليمه وتدريبه، وفي العام 1948م تنحى الناظر موسى عن النظارة واجمع الناس على اختيار ابنه الأمير يعقوب خليفة له، رغم وجود منافسين آخرين، وبذلك أصبح الأمير يعقوب ناظرًا لقلع النحل وهو في التاسعة والعشرين من عمره. وكان يمتاز بالعلم والثقافة والحكمة وقوي الشخصية، ولقد ذكر أنه بعث إلى بريطانيا ونال كورس في الإدارة الأهلية،واستمر ناظرا حتى حل النظارات في العام 1971م في بداية حكومة مايو (انقلاب مايو1969م). ولعل الرئيس نميري ثمن شخصيته الإدارية المتميزة فخيّره بين أن يكون ضابط جمارك أو ضابط إداري، ففضل وظيفة الضابط الإداري ونقل إلى أم روابة في كردفان. قيل أنه أعتقل إبان إنقلاب المقدم حسن حسين بأنه متورط فيه لكن أطلق سراحه،عاد إلى قلع النحل بدعوة من أهله ورشح لمجلس الشعب القومي الثاني (1974_1977م) وأصبح عضوًا فيه حتى وفاته بالخرطوم في أغسطس 1977م.

تميز الناظر يعقوب بحنكته في الإدارة وسياسة مواطنيه وتنمية منطقته فكان وراء تأسيس مجلس ريفي قلع النحل عام 1954م الذي قُدمت من خلاله الكثير من الخدمات للمنطقة على مستوى الاجتماعي والاقتصادي(المراجع: لقاء مع العمدة بشير حسين علي (عمدة بلوس ما بين 1961م إلى 1971م) _قرية بان ريفي قلع النحل_ الأحد 25 مارس 2001م، ولقاء_ الأستاذ الختيم محمد يوسف (مدير مدرسة قلع النحل الأولية في الستينات من القرن الماضي)_أم درمان (حي الأمراء)_مارس2013م،ولقاء عبر الماسنجر مع حليمة الأمير يعقوب_القضارف_2017م).

12.أصبحت الهجرات من أنحاء السودان المختلفة إلى النظارة بهدف البحث عن الأهل أو فرص عمل أو المصاهرة مصدر تقوية للنسيج الاجتماعي من خلال احتضان هؤلاء القادمين, حتى أن الشخص الغريب الذي يبحث عن قريب له ولم يجده، يطيب له المقام فيمكث و يتزوج و ينصهر في مجتمع قلع النحل بكل سهولة ويسر.

إذن بالوقوف على عوامل التعايش السلمي في نظارة قلع النحل يظهر جليًا أن فكرة الإدارة الأهلية كانت صائبة إلى حد كبير وكيف أنها أرست ذلك التعايش الذي ساد بقاع السودان وأثمر بصورة قد ينكرها المناؤون في تحقيق نوع من التنمية التي لمسها الكثير من الأسلاف في ذلك الزمان فعلى سبيل المثال، أنشأ الإنجليز مشروع القطن المطري في منطقة (أم بليل) جنوب شرق القضارف، وتم توزيع مساحة ذلك المشروع بين أهالي نظارات منطقة القضارف في ذلك الزمان(ولاية القضارف الحالية) بالتساوي،وقد اسمهم ذلك المشروع في زيادة دخل أولئك الأهالي بصورة أو أخرى، ومثله مشروع توزيع أشجار الهشاب المنتجة للصمغ العربي.

خلاصة القول أن عوامل التعايش السلمي أعلاها، جعلت من نظارة قلع النحل منطقة جذابة للاستقرار والعيش في أمن وسلام إلى يومنا هذا، ويعود الفضل من بعد الله إلى الإدارة الأهلية المتمثلة في الناظر موسى الأنصارى الذي عمل مع نفر كريم من المشايخ على تأسيس هذه المنطقة المعروفة بنظارة قلع النحل،ولقد أفلح ومن معه في صهر مكونات مواطنيه المختلفة بخلق مجتمع معافي من كل أمراض العصبية القبيلة والإثنية لتصبح نظارة قلع النحل نموذج للتعايش السلمي الذي ينشده سودان اليوم من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه.

استنتاجات وتوصيات:

الاستنتاجات:

1.المساواة والعدالة التي سادت نظام الإدارة الأهلية مكنت للتعايش السلمي بين المجموعات القبيلة في السودان وأبعدت كل مظاهر التفرق والتنازع.

2.أسهمت الإدارة الأهلية في منطقة قلع النحل خاصة والسودان عامة في عملية التصاهر بين المجموعات القبيلة المختلفة، الأمر الذي عزّز التعايش السلمي في شتى أنحاء السودان.

3.أسهمت الإدارة الأهلية في تنظيم إدارة الأرض من خلال تخصيص مسارات للرعاة بعيدًا عن حقول المزارعين، الأمر الذي أبعد شبح التنازع بين أكبر شريحتين في مجتمع السودان، بل جعلهم يتكاملون بدلًا عن التصادم.

4.أسهمت الإدارة الأهلية في منطقة قلع النحل خاصة في احتواء

الغرباء ودمجهم في المجتمع بصورة سريعة وسهلة، الأمر الذي أسهم في تقويت النسيج الاجتماعي في المنطقة.

5.هنالك خلط عند الذين ينكرون دور الإدارة الأهلية ويرونها عائق

للحداثة والتطور وهي في الأساس نظام يحكمه القانون وبين الطائفية

السياسية القائمة على الولاء والتقليد، خاصة أن الأخيرة قد أسهمت كثيرًا في تشويه الأولى من خلال محاولاتها المتكررة لاستغلالها بعد استقلال السودان.

التوصيات:

1.تقوية وتحديث نظام الإدارة الأهلية الذي أثبت من خلال التجربة أنه الأقدر على غرس قيم التسامح والمحبة بين شعب متعدد الأعراق كالسودان.

2.نشر التوعية بين الأجيال السودانية الحديثة وتعريفهم بتراث أسلافهم (الإدارة الأهلية) بكل صدق وتجرد حتى يتثني لهم معرفة حقيقته واصطصحاب الجيد منه بدلًا عن رفضه جملةً وتفصيلا.

3.على التنظيمات السياسية السودانية عدم الزج بالإدارة الأهلية في عملية ترسيخ التنافس القبلي والاستقطاب بهدف تحقيق مكاسب سياسية.

4.على أي نظام سياسي حاكم في السودان عدم استثمار مكانة الإدارة

الأهلية لخدمة توجهاته وأهدافه ودعم مصالحه وتصفية خصومه وخلق حالة عداء بين القبائل بحسب تصنيفهم السياسي.

الخاتمة:

إن التعايش السلمي مطلوب في حياة المجتمعات حتى يتثني لها الاستقرار الذي هو الأساس لعملية التطور والنماء، ولقد تنبه المستعمر البريطاني للسودان أن أنجع السبل لتحقيق ذلك الاستقرار هو إشراك الأهالي في الحكم من خلال ما أُصطلح على تسميته بنظام الإدارة الأهلية الذي ترى بعض الأدبيات السياسية والثقافية السودانية أهميته لما للعرف من جذور ضاربة في المجتمعات القبلية كحالة السودان،ولعل الحكومات السودانية المتعاقبة حتى مطلع سبعينات القرن (العشرين) الماضي حافظت عليه كونه نظام تقبل به المجتمعات السودانية ويخلق نوع من التوازن الاجتماعي بينها من خلال مساعدته على استقرارها ومحافظته على ثقافتها ونسيجها المحليّ. بينما هنالك آراء

مناوئة ترى أن نظام الإدارة الأهلية قد يكرّس لنظام الإقطاع ويساعد الأنظمة السياسية الهشة لإخفاء هشاشتها من خلال إقامة تحالفات مع زعمائه ويصبح العرف القبلي صنو الوصولية والمصلحة.

لكن أي كان الرأي هذا أو ذاك فإن تطبيق نظام حكم محلي في

السودان بعيدًا عن اصطصحاب الإدارة الأهلية سيصعب عليه الاضطلاع بالأدوار التي يمكن أن تقوم بها هذه الإدارة، وعليه، فإن التعاطي مع نظام الإدارة الأهلية في مجتمع كالمجتمع السوداني لا تزال صراعاته قائمة على العصبية القبلية والإثنية، أمر وارد ومطلوب على الأقل على المدى المنظور.

المصادر والمراجع:

مراجع عربية:

1.أبو شوك؛أحمد إبراهيم_الإدارة الأهلية بين الإبقاء والإلغاء_دار الوثائق القومية السودانية_الخرطوم_1993م.

2.عربي عبد الباسط وكرم الله عوض_مذكرة عن الإدارة الأهلية وتطويرها في السودان_ ب.ت.

3.المعجم الوسيط_ ج ٢_مادة (عيش).

4.مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي السابق_مشكلة الحرب والسلام_ترجمة: شوقي جلال وسعد رحمي _دار الثقافة الجديدة_مصر_ب.ت.

5.طارق الطيب أحمد الحاج_دورة الإدارة الأهلية في التنمية الريفية بكردفان في الفترة من 1921م_1989م_دراسة حالة منطقة أم روابة) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الإدارة العامة_إشراف: د.عبد العظيم سليمان المهل_جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا(كلية الدراسات العليا)_السودان_2006م.

6.بخيت؛ جعفر محمد على_ رأي في الإدارة الأهلية_ب.ت.

7.مرقص؛ يواغيم رزق_(تطور نظام الإدارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899م_1924م)_الهيئة المصرية العامة للكتاب_1984م.

8.حسين؛ عبد الله_السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية(الجزء الثاني)مؤسسة هنداوي_يورك هاوس،شييت ستريت،وندسور،SL41DD،المملكة المتحدة_2013م.

9.حسب الله، موريس فهيم_التاريخ الدستوري والاداري للسودان في نصف قرن 1899م_1953م (رسالة دبلوم معهد الدراسات السودانية_جامعة القاهرة_1955م.

10.أبكر، أحمد سليمان_ الطريق إلى قلع النحل (العمارة والجبل)_ صندوق رعاية المبدعين _وزارة الثقافة والشباب والرياضة_ولاية القضارف_ السودان_2015م.

***مراجع أجنبية:**

11.Anglo-Egypian Sudan HANDBOOKS PREPARED UNDER THE DIRECTION OF THE HISTRICAL SECTION OF THE FOREIGN OFFICE_No.98.LONDON:PUBLISHED BY H.M STATIONERY OFFICE_1920_p.32.

12.Mecki A:Op.Cit,p.130.

13..Marshall,A.H.M.:Op.Cit.p.5.

14.Annual report1921:p.7.and F.O.407 part XCV Jan,-June.1924,p.322.

***مصادر شفهية:**

1.لقاء مع عبد الله حسن محمد إسحاق (رئيس لجنة السلام والتعبئة السياسية بمجلس تشريعي ولاية القضارف سابقًا)_ القضارف_ الأربعاء 2 مارس 2015م.

2.لقاء مع العمدة أحمد حسين علي (عمدة بلوس ما بين 1961م إلى 1971م) _قرية بان ريفي قلع النحل_ الأحد 25 مارس 2001م.

3.لقاء مع الحاج دفع عوض السيد الفضل(شيخ حي وسط غرب بقلع النحل)_ قلع النحل _19نوفمبر2000م.

4.لقاء مع عثمان أحمد حسن (عقيد أمن (م) قنصل سابق ومعتمد محلية القريشة السابق بولاية القضارف وباحث في العلوم السياسية والمجتمعية وكاتب وأديب_أم درمان (المهندسين) _الجمعة23يناير2015م.

5.لقاء مع العمدة بشير حسين علي (عمدة بلوس ما بين 1961م إلى 1971م) _قرية بان ريفي قلع النحل_ الأحد 25 مارس 2001م.

6.ولقاء_ الأستاذ الختيم محمد يوسف (مدير مدرسة قلع النحل الأولية في الستينات من القرن الماضي)_أم درمان (حي الأمراء)_مارس2013م.

7.لقاء عبر الماسنجر مع حليمة الأمير يعقوب_القضارف_2017م.

سياسات القوى الإقليمية والدولية تجاه أثيوبيا في ظل ازمة أقليم تيغراي 2020

The policies of regional and international powers towards Ethiopia in light of the 2020 Tigray crisis

أ.م.د. زياد يوسف حمد
الباحث ياسر طه حسين
Zeyadyousif214@gmail.com
Yasr06755@gmail.com
الجامعة العراقية / كلية القانون والعلوم السياسية

الملخص / إختلفت سياسات الدول الاقليمية وكذلك الدولية تجاه الدولة الاثيوبية لاسيما بعد أزمة أقليم نيغراي عام 2020 وتنوعت عن سابق عهدها لمرحلة ماقبل الأزمة ، إذ كانت دول الجوار لها كأريتريا والصومال متباينة في ذلك مابين مؤيد للوضع الراهن ومابين متحفظ على ذلك ، على عكس الدول الإقليمية والدولية والتي كانت مصالحها داخل اثيوبيا تحتم عليها ان تكون بصف من يؤمن لها تلك المصالح لاسيما القوات الحومية الاثيوبية ، لذا تباينت تلم الدوار والمواقف إقليميا ودوليا .

الكلمات المفتاحية / إثيوبيا ، أزمة تيغراي ، قوى إقليمية ، قوى دولية ، مصالح دولية

Summery

the policies of regional as well as international countries towards the Ethiopian state differed, especially after the crisis of the tgray region in 2020, and diversified from their pre-crisis period, as neighboring countries, such as Eritrea and Somalia, varied in that between supporters of the current situation and reservations about it, unlike regional and international countries, which were Its interests inside Ethiopia necessitate that it be on the side of those who secure those interests for it, especially the Ethiopian government forces, so the roundabouts and positions varied regionally and internationally.

المقدمة :. منذ اندلاع الصراع في اقليم تيغراي في تشرين الثاني 2020 بين الحكومة الاثيوبية بقيادة رئيس الوزراء (آبي احمد) وحلفائه على المستويين الداخلي والخارجي من جهة وجبهة تحرير تيغراي وحلفائها من جهة اخرى فأن الحياة في اثيوبيا باتت معقدة كثيراً في ظل حالة الفوضى السياسية التي تعيشها البلاد ، والذي شهد تصعيداً في مراحله المختلفة على مدار أكثر من 15 شهراً ، ما عزز المخاوف الإقليمية والدولية من مستقبل ضبابي قد تواجهه الدولة الاثيوبية في ظل حالة الاستقطاب السياسي والامني التي تشهدها البلاد، وما يصاحبها من تهديدات لأمن منطقة القرن الافريقي واستقرارها والتي تعد أثيوبيا بمنزلة ركيزة أساسية لاستقرارها خلال العقود الماضية ، الامر الذي يشكل تهديداً واضحاً للمصالح الاستراتيجية للقوى الاقليمية والدولية الفاعلة هناك.

أهمية البحث:. تكمن أهمية البحث في ماهية سياسات الدول الاقليمية والدولية وكيفية ممارسة تلك السياسات داخل إثيوبيا في ظل أزمة أقليم تيغراي وكيف ستنعكس عليها .

إشكالية البحث :. تنطلق إشكالية البحث من تساؤل رئيسي مفاده : ماهي سياسات الدول الاقليمية والدولية الموجهة تجاه اثيوبيا في ظل أزمة أقليم تيغراي , وللأجابة هذا التساؤل سنجيب من خلال البحث على الاسئلة الفرعية الاتية:.

1. ماهي أسباب أزمة أقليم تبغراي
2. ماهي مواقف دول الجوار والدول الأقليمية ومنظماتها من الأزمة
3. ماهي المواقف الدولية ومواقف المنظمات العالمية من الأزمة

فرضية البحث :. ينطلق البحث من فرضية مفادها إن اختلاف سياسات الدول الاقليمية والدولية من ناحية مواجهتها لأزمة أقليم تيغراي يكون بإتباع أساليب وطرق تؤدي بالمحصلة النهائية الى تحقيق مصالحها داخل الدولة الأثيوبية .

منهجية البحث :. تم إعتماد منهج التحليل من أجل توضيح أدوار الدول المجاورة والاقليمية والدولية من أزمة أقليم تيغراي ، وكذلك تم الإستعانة بالمنهج المقارن من اجل توضيح ومقارنة أدوار تلك الدول في الداخل الأثيوبي أثناء الأزمة .

هيكلية البحث :. تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث , تضمن المبحث الاول مطلبين , إذ كان الموقع والهمية لأقليم تيغراي هو محور المطلب الأول , أما المطلب الثاني فكان عن أسباب الأزمة , اما المبحث الثاني , فكان عن السياسات الاقليمية وكذلك دول الجوار من تلك الزمة وعلى وفق مطلبين , الأول كان محوره دول الجوار الاثيوبي ومواقفها تجاه الازمة , اما المطلب الثاني فكان عن السياسات الاقليمية ومنظماتها تجاه الازمة , أما المبحث الثالث فمحوره عن السياسات الدولية ومنظماتها تجاه تلك الأزمة مقسما الى مطلبين , اذ كانت السياسات الدولية هي محور المطلب الأول , بينما كانت المنظمات الدولية هي محور المطلب الثاني.

المبحث الأول / إقليم تيغراي وأسباب الازمة :.

في ضوء التطورات المتسارعة على صعيد المشهد العملياتي في ميدان القتال تتصاعد ديناميات الصراع في اثيوبيا وخاصة في اقليم تيغراي، لاسيما بعد قيام الحكومة الاثيوبية بقيادة رئيس الوزراء (آبي احمد) باعلان التعبئة العامة بين صفوف المدنيين للانضمام لقوات الدفاع الوطني الاثيوبية في 15 آب 2021 ، وكذلك التهديد بشن الحرب ضد جبهة تحرير تيغراي، التي اعلنت تحالفها مع بعض القوى المحلية في العمق الاثيوبي، وهذا ينتج عنه اطالة امد الصراع، وما يترتب عليه من تفاقم عواقب اخرى تسهم في تعقيد الازمة الاثيوبية.

المطلب الأول / اقليم تيغراي (الموقع والاهمية):.

يقع إقليم تيغراي في شمال اثيوبيا ويحده من الشمال ارتيريا ومن الغرب السودان ومن الشرق اقليم عفر ومن جنوبها إقليم أمهرة[68] ، إذ ينحدر التغريئيون من أصول سامية شمالية من جزيرة العرب، ويتحدثون لغة سامية (شمالية)، وينتشرون في المناطق الشمالية من الهضبة الاثيوبية إقليم (التيغراي) ويمتدون داخل دولة ارتيريا، إذ يشكلون الجماعة الاثنية الأكبر داخل ارتيريا، لذا يسمى تغريئيو أثيوبيا التغريئيين الجنوبيين، في حين تطلق على نظرائهم

[68] يونس عبدلي موسى، إثيوبيا بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، الصومال، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 2016، ص13.

الارتيريين تسمية الشماليين، وتبلغ مساحة إقليم التيغراي الواقع في أقصى شمال أثيوبيا (102,000)كم^2، ويعتقد التغريئيون أنهم ينحدرون من الاكسوميين الذين أسسوا مملكة أكسوم التي كانت قائمة عند ظهور الاسلام، ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن السابع قبل الميلاد[69].

تأثر موقع القومية التيغراوية الاثيوبية بمستجدات تغيير الخارطة الجيوبوليتكية أكثر من غيرها من المجموعات الاثنية (العرقية) الأخرى في أعقاب إنفصال إريتيريا فبالنظر لموقع القومية التيغراوية الجغرافي الجديد أصبح يحدها من الشمال والشمال الشرقي دولة إريتيريا متجاورة بذلك مع قبائل ارتيريا وهي الدناكل وتغراي ارتيريا، ومن الغرب دولة السودان ومن الجنوب والجنوب الشرقي والجنوب الغربي تحدها على التوالي منطقة ولوّ الامهرية، وإقليم العفر الذي تسكنه القومية العفرية ومنطقة قندار الامهرية، ويبلغ جملة تعدادهم السكاني وفق احصاءات عام 2022 حوالي (5,7%) أي ما يقارب سبعة ملايين نسمة[70].

أما من حيث المعتقد الديني، وفقاً للمصادر الإحصائية فإن الاغلبية العظمى من القومية التيغراوية هي من المسيحيين الارثوذكس، ويمثل التيغراي الارثوذكس (95,4%) من إجمالي سكان الإقليم، كما أن بينهم بعض الطوائف المسيحية البروتستانتية والكاثوليكية بأعداد بسيطة تناهز (16) الف نسمة، وتوجد بينهم كذلك أقلية إسلامية، تمثل نحو (4%) من إجمالي أعدادهم، وتسمى هذه الفئة (الجبرتة)[*] وهكذا، فالمسلمون بين التيغراي هم أقلية قليلة جداً، مقارنة بالمسيحيين الارثوذكس، غير أنهم يبقون أكثر عدداً من المسيحيين البروتستنات والكاثوليك[71].

يرجع أصل جماعة التغرين إلى الهجرات التي قام بها العرب من شبه الجزيرة العربية منذ الآف السنين إلى الحبشة سابقاً، وهناك من يعتقد أن اسم التغراي مشتق من اللفظ العربي (تاجر) ولاسيما أنهم كانوا في الأصل تجاراً، ولا يزال قسم منهم يمارس التجارة، إلا أن أغلبهم الآن يمتهن الزراعة[72] ، ويهيمن اقليم تيغراي على مكاتب الحكومة الاتحادية في فترة حكم (مليس زيناوي) بما في ذلك الاجهزة العسكرية والامنية[73].

---

[69] عبد السلام إبراهيم بغدادي،، النظام السياسي الاثيوبي، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد (121)، آذار، 1997، العراق ، ص7.

[70] عبد الوهاب الطيب بشير، الاقليات العرقية والدينية ودورها في التعايش القومي في اثيوبيا من الامبراطورية الى الفدرالية 1930-2007، ط1، مركز البحوث والدراسات الافريقية، ليبيا، 2009، ص171.

[*] الجبرتة: هي مجموعة بشرية تقطن في مناطق مختلفة من الهضبة الارتيرية، يجمع بينهم رابط الدين واللغة ، وهي مجموعة لها خصائص اجتماعية، وافتصادية، وثقافية متميزة. ولغة الجبرتة وان كانت هي اللغة التيغرانية التي يتحدث بها عموم ابناء الهضبة، إلا انها تتميز بكثرة المفردات الاسلامية والعربية فيها. للمزيد ينظر: عبد القادر حقدوس محمد الجبرتي، بحث في الكتاب عن الجبرات والجبرتيين، ط1، ktab INC، بلا تاريخ، ص18.

[71] النور حمد وعبد الوهاب الطيب بشير، أوضاع اللغة العربية في القرن الافريقي ، تقاطعات الدين والهوية والإثنية، ط1، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2020، ص129.

[72] شوحة مريم وزعرور حسينة، الدولة القومية بين إدارة التعددية الاثنية واستراتيجيات التسوية في منطقة القرن الإفريقي (دراسة حالة اثيوبيا)، ط المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2018م، ص47.

[73] المصدر نفسه ، ص110.

كما يعتمد سكان اقليم تيغراي في نشاطاتهم البشرية التقليدية على الرعي خاصة الابقار والضأن والماعز والابل[74]، كما يعتمد على الزراعة بالادوات التقليدية، محاصيل الحبوب ولديهم في المقام الاول: القمح، الشعير والذرة الدقيقة، ويزرع الكتان على بعض المناطق في الاقليم[75].

كما اخذت تدب في منطقة اقليم تيغراي روح النشاط التجاري، بعد أن اصبحت منطقة حدودية تجاور إريتيريا وقريبة من الحدود السودانية والجيبوتية، وتجاور مناطق الامهرة في الجنوب، حيث هناك حركة تجارية نشطة جداً، خاصة على طول الطريق ما بين مدينة أديس ابابا العاصمة الاثيوبية، ومدينة مكلي عاصمة اقليم تيغراي عبر الطريق الذي يعتبر واحداً من اكثر طرق اثيوبيا – جيبوتي من جهة الشرق، ويمر بعدد كبير من المدن التي تعتبر مراكز تجارية، وعواصم اقليمية، فهو يبدأ من عمق مناطق الأورمو مروراً بمناطق الامهرة في اقليم (شوا) و (ولوو) انتهاءً بمدينة مكلية، وقد امتد الان الطريق والنشاط التجاري منها حتى مدينة (أدي قرات) اهم مدن ومراكز اثيوبيا التجارية على الحدود الاريتيرية[76] ، ويأخذ النشاط السياحي حظه في اقتصاديات الاقليم التيغراوي بعد اهتمام الدولة بالمواقع والاماكن الاثرية القديمة، خاصة في مناطق (مملكة أكسوم) التاريخية، ومدينة (عدوة) ، والتي تشهد الان اقبالاً لاعداد مقدرة من المهتمين الاجانب والاثيوبين[77].

المطلب الثاني / أسباب الأزمة :

إن تفجر صراع إقليم تيغراي والحكومة الفدرالية وإن بدا مرتبطاً بالوضع السياسي القائم حالياً في البلاد، فإن له جذوراً تاريخية منها تشكيل الكيان السياسي لاثيوبيا الحديثة، ونماذج الحكم التي سادت منذ القرن والنصف الماضيين، بدءاً من حكم الملك مينلك الثاني، الذي أخضع بقية الشعوب والعرقيات بالقوة تحت حكمه في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، بالتزامن مع مدة بداية الاستعمار الاوربي للمنطقة، وقد استمر الحكم الامبراطوري في اثيوبيا إلى أن جاء النظام الشيوعي بقيادة منفستو هيلا مريام، الذي قاد انقلاباً دموياً ضد الملك هيلا سيلاسي في عام 1974 ، لكنه لم يستمر طويلاً، إذ قادت الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي عملاً مسلحاً ضده، واستولت على الحكم في عام 1991، بقيادة (ميليس زيناوي)[78].

وأن جوهر الصدام الحاصل في اثيوبيا هو سياسي أيديولوجي، ولاسيما بين تيار الفيدراليين المدافعين عن الدستور الذي اقر مبدأ الفيدرالية العرقية، وتيار الوحدويين الذي يؤمن بأهمية الدولة القومية، وزيادة سلطة المركز على حساب الاقليم، وكان العامل الرئيسي الذي شكل الفيدرالية العرقية في اثيوبيا هو الموقف السياسي الهش للجبهة

---

[74] عبد الوهاب الطيب بشير، مصدر سبق ذكره، ص173.

[75] شوحة مريم وزعرور حسينة، مصدر سبق ذكره، ص110.

[76] عبد الوهاب الطيب بشير، مصدر سبق ذكره، ص173.

[77] عبد الوهاب الطيب بشير ، مصدر سبق ذكره، ص174.

[78] صهيب محمود، حرب إقليم تيغراي: خلفيات الصراع وتداعياته المحتملة، قطر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2020، ص1.

الشعبية لتحرير تيغراي التي وصلت إلى سدة الحكم قهراً في عام 1991[79]، ويوضح الجدول أدناه موقف الدولة وفقاً لمؤشر الهشاشة مابين (2006-2018).

جدول رقم (1)

موقف دولة اثيوبيا وفقاً لمؤشر الهشاشة في المدة ما بين (2006- 2018)

العام	الترتيب وفقاً لمؤشر الهشاشة[*]	اكثر المعايير هشاشة
2006	2006	الضغوط الديموغرافية
2007	18	الضغوط الديموغرافية
2008	16	الضغوط الديموغرافية
2009	16	الضغوط الديموغرافية
2010	17	الضغوط الديموغرافية
2011	20	الضغوط الديموغرافية
2012	17	الضغوط الديموغرافية
2013	19	الضغوط الديموغرافية
2014	19	الضغوط الديموغرافية
2015	20	النازحين واللاجئين.
2016	24	النازحين واللاجئين.
2017	15	الضغوط الديموغرافية
2018	15	الضغوط الديموغرافية

الجدول من إعداد الباحثين بالاعتماد على:

1- السيد علي أبو فرحة، أثيوبيا من نفق الاقلية إلى فضاء الاكثرية، مجلة قراءات افريقية، المنتدى الإسلامي، العدد (37)، يوليو 2018، السعودية، 49.

2- صندوق السلام، بيانات مؤشر الهشاشة، عبر الرابط: http://fundforpeace.org/fsi/country-data. تاريخ الزيارة 2022/6/03.

من خلال الجدول أعلاه نستخلص أن اثيوبيا تمر بمرحلة ضغوط ديموغرافية منذ العام 2006 حتى العام 2018 لاسيما أن موقع اثيوبيا في العامين 2017-2018 من الهشاشة يشير إلى أنه أسوء وضع حصلت عليه اثيوبيا منذ صدور التقرير عام 2006 ، واستمرت العلاقة بين الحكومة الفيدرالية وحكومة إقليم تيغراي بصورة متوترة، منذ أن تولى آبي أحمد رئاسة الوزراء في العام 2018، وتحديداً بعد الاعلان عن قرارته الاصلاحية السياسية والاقتصادية، والخلاف بين رئيس الوزراء آبي أحمد وجبهة تحرير تيغراي ليس وليد اللحظة بسبب الانتخابات، وإنما بدأ منذ توليه المنصب في نيسان 2018، عندما رأت الجبهة أن خططه الاصلاحية تستهدف قياداتها ورموزها[80] ، إذ كانت جبهة تحرير شعب تيغراي شبه العسكرية جزءاً من التحالف الذي أطاح بالحكومة في عام 1991، وظلت الجبهة قوة مؤثرة

(79) حمدي عبد الرحمن، حرب التيغراي ثلاث رؤى لمستقبل الصراع داخل اثيوبيا، https://futureuae.com/MainPage//Lem/5903 تاريخ الزيارة 2022/6/03.

(*) مؤشر الهشاشة يعتمد الترتيب التصاعدي حيث ان الرقم (1) هي اكثر الدول هشاشة ورقم (2) هي الدولة التي تليها وهكذا صعوداً.

(80) أزمة تيغراي في اثيوبيا، مصر، وحدة الشؤون الافريقية والتنمية المستدامة بمؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الانسان، دون تاريخ، ص2.

في السياسة الاثيوبية حتى عام 2019 عندما شكل (آبي أحمد) ائتلافاً جديداً رفضت جبهة تحرير شعب تيغراي ان تكون جزءاً منه[81].

ومثلت الانتخابات أحد الاسباب التي أدت إلى إندلاع ازمة الأقليم عام 2020، فعندما أقدمت السلطات الفدرالية على تأجيل الانتخابات في حزيران 2020 بسبب جائحة كوفيد-19[82] التي كان مقرراً إجراؤها في آب 2020، وكانت هذه المرة الثانية التي يجري تأجيلها بسبب تفشي جائحة كورونا (فقد كانت مقررة أيضاً في آيار 2020)، واتهمت المعارضة رئيس الوزراء باستخدام الوباء ذريعة لتمديد ولايته بصفة غير قانونية، وشجبت جبهة تحرير شعب تيغراي القرار ووصفته بأنه (غير دستوري)، وأعلنت أنها ستجري من جانب واحد انتخاباتها الإقليمية في الوقت المقرر[83]، وأجريت الانتخابات أحادياً من طرف الإقليم في أيلول من العام نفسه، فأعلنت الحكومة الفدرالية عدم شرعيتها ورفضت الاعتراف بالحكومة الاقليمية الجديدة، فرد الاقليم برفضه الاعتراف بشرعية الحكومة الفدرالية باعتبار أن مدتها الدستورية انتهت، مما فجر صراعاً بين الطرفين[84].

تبنى (آبي احمد) سياسة الانفتاح الداخلية ورد الاعتبار للسياسيين المعارضين للدولة، عبر أطلاق سراحهم وتوفير ضمانات للمعارضين في الخارج، الأمر الذي دفع لينشو ليتا رئيس (جبهة أورومو الديمقراطية) الاثيوبية المعارضة، و(4) من قيادات الجبهة إلى العودة إلى أديس أبابا، وذلك بعد سنوات مديدة بقوا فيها في المنفى، وعلى خلفية التوجهات التصالحية للسلطات الاثيوبية مع الحركات المعارضة، وتأكيدها حرية ممارسة العمل السياسي السلمي، جاءت عودة لينا ورفائقه الاربعة، الى وطنهم[85].

كانت سياسة تكميم الافواه جزءاً من الممارسات العسكرية لتحجيم أصوات المعارضة المحتجين، فتم رفع الحظر المفروض على العديد من المواقع الاخبارية، ليمارس أصحابها حقوقهم في الحريات والحقوق التي يكفلها الإعلام للصحافيين، ما يعكس أن سياسة الإعلام الواحد لم يعد لها مكان في سياسات اثيوبيا الجديدة[86].

أتهم رئيس الوزراء (آبي احمد) في 4 تشرين الاول 2020، الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي بمهاجمة معسكر القيادة الشمالية ومحاولة نهب الاسلحة والمعدات العسكرية، وقال: (إن قواتنا الدفاعية... صدرت لها أوامر بتنفيذ مهمتها لإنقاذ البلاد، إذ تم تجاوز النقطة الأخيرة من الخط الاحمر، وسوف يتم استخدام القوة كإجراء أخير لإنقاذ الشعب والبلد)[87]، وقد تم التصعيد من خلال قطع كافة وسائل النقل والاتصال بإقليم التيغراي، وفرض حالة الطوارئ لمدة ستة أشهر في المنطقة، بالإضافة إلى استبدال حكومة الإقليم بإدارة معينة من قبل السلطة الفيدرالية، وبالنظر إلى حالة موت السياسة، ورفض الطرفين الاعتراف بشرعية الاخر، فإننا أمام حالة من الصراع العنيف

(81) الصراع في تيغراي: ماذا يجري هناك وكيف يمكن أن تتأثر دول المنطقة بما يجري: https://www-bbc-com.cdn.ampproject.org/v/s/www/.bbc.com/arabic/word-57669897 تاريخ الزيارة 2022/6/03.
(82) الانتخابات التشريعية الاثيوبية: قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والإقليمية، قطر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2021، ص2.
(83) صهيب محمود، مصدر سبق ذكره، ص3.
(84) الانتخابات التشريعية الاثيوبية، مصدر سبق ذكره، ص3.
(85) الشافعي ابتدون، أثيوبيا: المتغيرات الجيوسياسية ومستقبل التوازن في القرن الافريقي، الدوحة، مركز الجزيرة، 2018، ص3.
(86) المصدر نفسه، ص4.
(87) نقلاً عن حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيرها على توازنات القوى الاقليمية، مجلة قراءات افريقية، المنتدى الاسلامي، العدد (48)، ابريل 2021، السعودية، ص37.

الممتد والتي قد تهدد بنية الاتحاد الاثيوبي نفسه[88]، وإن خيار الحرب غير الرشيد يمكن أن يؤدي إلى إنهاك الدولة الاثيوبية التي تعرضت بالفعل للعديد من التحديات السياسية الخطيرة، ويمكن أن تؤثر أيضاً على أمن واستقرار منطقة القرن الافريقي وما وراءها[89].

وعلى الرغم من أن التيغراي يمثلون نحو (6%) فقط من إجمالي عدد سكان اثيوبيا البالغ (110) ملايين نسمة ، إلا أنهم يحتفظون بقوات عسكرية مدربة ومنظمة بشكل جيد، إذ يبلغ قوامها وفقاً لتقديرات مجموعة الازمات الدولية (250) الف شخص، وقد استفادت الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي التي سيطرت على الائتلاف الحاكم في اثيوبيا لعقود من الزمن من وجودها في السلطة لتعزيز مكانتها الاستراتيجية شمال البلاد[90].

أعلن رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة بالبلاد في 2020/11/4، أنه أعطى تعليمات لقوات الدفاع الوطني الاثيوبية بشن عملية عسكرية شمالي البلاد أطلق عليها عملية (فرض القانون) ضد حكومة أقليم تيغراي والحزب الحاكم هناك (الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي) والمجلس العسكري، أو ما أطلق عليه الاعلام الرسمي لاحقاً: العصابة العسكرية (جونته)، ليتم لاحقاً تصنيفها مجموعة إرهابية[91].

من جانبها، ترى جبهة تيغراي أن الحرب عليها هو مشروع لخدمة أجندة الرئيس الاريتيري (أسياس افوقي)، تجاهها وتجاه أثيوبيا، كما أنها تندرج أيضاً في سياق المشروع السياسي لرئيس الوزراء الاثيوبي ، والذي يهدف إلى الغاء نظام (الفيدرالية الاثنية) المعمول به في البلاد منذ عام 1995، والذي يمكن المجموعات العرقية المختلفة من الحكم الذاتي على نطاق واسع، وبموجبه تم تقسيم البلاد إلى (9) أقاليم تقوم على أساس أثني (في تشرين الثاني 2019 أصبح إقليم سيداما فيما بعدالإقليم العاشر)، بينما تنتظر قوميات أخرى بالبلاد، لاسيما في جنوبها للحصول على الحق[92].

وكانت العمليات العسكرية تهدف إلى تحقيق الاتي[93]:

1- نزع سلاح المجلس العسكري للجبهة الشعبية لتحرير تيغراي، إذ تُتهم حكومة الاقليم من قبل الحكومة الفيدرالية في أديس أبابا بأنها قامت بتدريب قوات عسكرية خاصة تابعة للأقليم، وتُعرف هذه القوات بـ(أقازيان) ويقدر عددها بنحو (250) الف عنصر، وهي مدربة تدريباً عالياً وذات تسليح متطور أيضاً فضلاً عن مراكمة أسلحة ثقيلة وفتاكة.

2- إخضاع حكومة الاقليم لسلطات الحكومة الفيدرالية والامتثال للدستور وإزالة الحكومة التي شكلت على أساس الانتخابات التي أجريت بالاقليم في أيلول 2020، على الرغم من معارضة المجلس الوطني

---

(88) حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي ثلاث رؤى لمستقبل الصراع داخل اثيوبيا، https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/5903 ، تاريخ الزيارة 2022/6/05.
(89) حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيرها على توازنات القوى الاقليمية، مصدر سبق ذكره، ص37.
(90) حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي ثلاث رؤى لمستقبل الصراع داخل اثيوبيا، مصدر سبق ذكره .
(91) عباس محمد صالح عباس، النزاع في إقليم تيغراي...النتائج والتداعيات، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2021، ص2.
(92) عباس محمد صالح عباس، التطرف الاثني في اثيوبيا...مخاطر البلقنة والصراع العرقي تحدق بالجمهورية، https://bit.ly/3Budy12 تاريخ الزيارة، 2022/6/05.
(93) عباس محمد صالح عباس، النزاع في إقليم تيغراي...النتائج والتداعيات، المصدر السابق، ص3.

للانتخابات في اثيوبيا والحكومة الفيدرالية عقد الانتخابات ووصفها بأنها (غير دستورية) وبالتالي فلن يتم الاعتراف بها أو بما يترتب عليها.

3- استعادة السيطرة على قدرات القيادة الشمالية، التي كانت كبرى وحدات الجيش الاثيوبي تسليحاً وأفراداً منذ الحرب الاثيوبية الارتيرية حول مثلث (بادمي) (1998-2000)، والذي يقع ضمن الحدود الإدارية لإقليم تيغراي، بجانب تحرير الضباط والجنود الذين جرى احتجازهم بعد هجوم قوات تيغراي على تلك القيادة في بداية تشرين الثاني 2020 والذي يعد السبب المباشر لاندلاع الحرب في الاقليم.

سياسات آبي أحمد لا يمكن فهمها من خلال العودة إلى الهياكل المؤسسية الراسخة أو السوابق التاريخية؛ لأن الامر ببساطة يتوقف على رؤيته الدينية، يقول في ذلك: (إن الدقيقة معنا، لن يوقفنا أحد... لأننا نعمل على التمسك بالحقيقة، سيساعدنا إله أثيوبيا)، وبحسب المصادر المقربة منه، فإنه يعتقد أن الله اختاره ليكون الرجل الوحيد القادر على إنقاذ أثيوبيا، وأنه سيفوز بشرط أن تكون رؤيته موجهة من الله[94].

المبحث الثاني / السياسات الإقليمية وسياسات دول الجوار تجاه الأزمة :

تبدو الحرب الأهلية المتواصلة في أثيوبيا بين حكومة (آبي أحمد) وجماعة التيغراي، قضية مستعصية على الحل إلى الآن، إذ يتم تصعيد وتهدئة هذا الصراع في إطار ديناميكيات أوسع، فالصراعات لا تكون بمعزل عن المحيط الاقليمي والدولي فتتأثر به وتؤثر به.

واستكمالاً لحالات التصعيد والتهدئة التي مرت بها اثيوبيا سنلقي الضوء في هذا المبحث على أبرز السياسات لدول الجوار والسياسات الاقليمية خلال حرب إقليم تيغراي.

المطلب الأول / سياسات دول الجوار تجاه الازمة:

يمكن إجمالها بالآتي :

أولاً/ ارتيريا.

لم يمض وقت على إعلان أبي أحمد رغبته في فتح صفحة جديدة مع ارتيريا، حتى تمخضت اجتماعات اللجنة التنفيذية للائتلاف الحاكم باثيوبيا عن إعلان رسمي في هذا الاتجاه، إذ أعلن الائتلاف الحاكم (الجبهة الثورية الديمقراطية لشعوب أثيوبيا) في (6) حزيران 2018، موافقته على التنفيذ الكامل لـ(إتفاقية الجزائر) فضلاً عن قرار لجنة ترسيم الحدود مع ارتيريا، وبعد اسبوع من الإعلان دافع رئيس الوزراء الاثيوبي عن قرارات اللجنة التنفيذية لتطبيع العلاقات مع ارتيريا، معتبراً أن هذا القرار (ليس بالجديد) وقال أمام البرلمان: أن قرار الائتلاف حول تطبيع العلاقات مع ارتيريا يعود لعهد رئيس الوزراء الاثيوبي الراحل (مليس زيناوي)، إذ جرى إرسال خطاب للاتحاد الافريقي بهذا الشأن[95].

تصاعدت حدة التوترات بين جبهة التحرير الشعبية لتحرير تيغراي والسلطات الفيدرالية والاجهزة بسبب التقارب بين أبي أحمد في تموز 2018 مع ارتيريا المجاورة، التي تشترك في معركة طويلة مع تيغراي وخاضت حرباً مدمرة مع

(94) نقلاً عن: حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيرها على توازنات الفوز الاقليمية، مصدر سبق ذكره، ص39.
(95) نقلاً عن الشافعي ابتدون، اثيوبيا: المتغيرات الجيوسياسية ومستقبل التوازن في القرن الافريقي، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2018، ص6، ينظر: حنين كامل مهدي، النظام السياسي في اثيوبيا (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد، بغداد، 2021، ص135.

الحكومة التي تقودها الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي بين عامي 1990 و2000 بعد تحقيق الاستقلال عن أثيوبيا في عام 1993، وأن رئيس أرتيريا (أسياس أفورقي) المتحالف سابقاً مع الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي في التسعينات، أصبح العدو اللدود لها، إذ انحاز علناً إلى (أبي أحمد)، والقى باللوم في النزاعات الداخلية في اثيوبيا على حزب تيغراي وانتقد بشدة الفيدرالية العرقية، الذي أرسته الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي[96].

وقد شكل الموقف الارتيري جدلاً كبيراً في هذا الصراع، فمع تأكيد جبهة تحرير تيغراي ضلوع القوات الارتيرية في الحرب ضدها إلى جانب القوات الاثيوبية لاسيما أن عزل قادة الجبهة أضحى هدفاً رئيساً لكل من (أبي أحمد وأسياس أفورقي)، نفت الحكومة الاثيوبية مشاركة أي قوات أجنبية في عملية إنفاذ القانون في الاقليم، وهو ما أكدته بعض القوى الدولية في بداية الصراع مثل الولايات المتحدة الامريكية قبل أن يتغير موقفها ولغة خطابها باعتقادها تورط الجيش الارتيري في الصراع الاثيوبي الداخلي، واستندت في ذلك إلى بعض الادلة مثل صور الاقمار الصناعية والاتصالات التي اعترضت وبعض التقارير الواردة من منطقة تيغراي، بالإضافة إلى رواية خمسة دبلوماسيين في العاصمة أسمرة[97].

قامت ارتيريا بنشر قواتها داخل حدود اثيوبيا لمساعدة الجيش الاثيوبي في حربه ضد الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي، إذ تحالفت ارتيريا مع حكومة رئيس الوزراء آبي أحمد، من أجل إحراز تقدم سريع في الاستيلاء على المدن الرئيسية في منطقة تيغراي، بما في ذلك العاصمة (مقلي)[98]، واستطاعت جبهة تحرير شعب تيغراي في 28 حزيران 2021 من السيطرة على عاصمة الإقليم (مقلي) ومعظم الاراضي التي اجتاحتها قوات الحكومة الفيدرالية، بعد أن حاصرت ما يقارب من عشرة الاف جندي من الجيش الفدرالي وأسرتهم، في حين قالت الحكومة الفدرالية بأنها انسحبت من الإقليم طوعاً ولدواعٍ إنسانية، والواضح أن (آبي أحمد) اختار توقيت الانسحاب مع ارتيريا مغامرة غير محسوبة كانت لها تداعيات سلبية كبيرة[99].

ترفض ارتيريا أي عملية تصالحية داخل اثيوبيا، إذ أعلن الرئيس الارتيري (أسياس افورقي) في لقاء مع التلفزيون المحلي، أن (التباهي) بـ(المفاوضات) كأجندة تكتيكية، لن يخدم مصلحة السلام والاستقرار الإقليميين، إذ وصف الانسحاب من تيغراي صيف عام 2021 بالمغامرة التي يجب الا تتكرر، وارتيريا تمثل أهم الحلفاء السياسيين والعسكريين لرئيس الوزراء الاثيوبي (آبي أحمد)، وكان لقواتها دور كبير في تحديد مسار الحرب حتى شهورها الاخيرة، وأيضاً كان لدعمها للإقليم العفري دورها في صد قوات التيغراي، كما أن انتشار قواتها على المثلث الحدوي الاثيوبي الارتيري السوداني، يمثل صمام امان يحون دون اختراق قوات التيغراي لهذه الجبهة، والنفاذ منها إلى السودان[100].

---

[96] Bridging the divide Ethiopia's North, international crisis group, 2020, P.10.

[97] احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (9)، ديسمبر 2020، الرياض، ص13.

[98] حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيرها على توازنات القوة الإقليمية، مصدر سبق ذكره، ص40.

[99] الانتخابات التشريعية الاثيوبية: قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والإقليمية، مصدر سبق ذكره، ص3.

[100] عبد القادر محمد علي، مستقبل عملية السلام في اثيوبيا في ضوء تداعيات النزاع في إقليم تيغراي، متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (24)، مارس 2022، الرياض، ص21.

يعتقد البعض أن دوافع الرئيس الارتيري بالانضمام للصراع الداخلي الاثيوبي يعد بمثابة محاولة لاستعادة منطقة (بادج) مرة أخرى بعد احتواء (آبي أحمد) لقادة الإقليم، وفي الوقت نفسه يتخوف (أسياس افورقي) من التداخل الاثني لقومية التيغراي بين البلدين، التي تشكل تهديداً على نظام حكمه[101].

ثانياً: السودان.

لقد كان السودان مؤيداً لبناء سد النهضة حتى نهاية 2020، وأن حدث اختلاف حول تاريخ هذا التأييد، هل هو منذ بداية الإعلان الاثيوبي عن البدء في تدشين السد في (نيسان) 2011، أي منذ إعلان الرئيس المعزول البشير في كانون الأول 2013 تأييده الرسمي للسد بقوله: (ساندنا سد النهضة لقناعتنا الراسخة أن فيه فائدة لكل الإقاليم بما فيها مصر)[102].

وكانت الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء الاثيوبي (آبي أحمد) إلى الخرطوم هو من أجل استمالة الموقف السوداني لمصالحها في مفاوضات سد النهضة، وأكد (عبد الله حمدوك) أن العلاقات بين البلدين ستسهم في إقامة تكامل يفيد الإقليم، وأن الطرفين بحثا العلاقات الثنائية، وتوصلا لتفاهمات مثمرة بشأن سد النهضة، والتكامل الاقتصادي بين البلدين، فضلاً عن بحث قضايا السلام والأمن في الاقليم، ودعا للتوصل إلى تفاهم ونتائج مثمرة، وبحث الجانبان سبل تقوية وتوسيع وتعميق التعاون الثنائي في المجالات كافة، وجدد الطرفان دعمهما كلاً للآخر، وتعزيز مساعيهما في تحقيق الاستقرار والسلام والديمقراطية، وجدد الوفد الاثيوبي الدعم لمطالب السودان المشروعة في إزالة اسمه من قائمة الولايات المتحدة الأمريكية للدول الداعية للأرهاب وإعفاء ديونه وأكد الطرفان (الاثيوبي والسوداني) أن بذل الجهود للوصول لنهاية ناجحة لمفاوضات سد النهضة الثلاثية الجارية برعاية الاتحاد الافريقي، لتحويل السد أداة تكامل بين الدولة التي تتشارك في حصص مياه النيل[103].

حدث خلاف بين الجانبين (السوداني والاثيوبي)، وأصل الخلاف هو على أرض زراعية حدودية في منطقة (الفشقة)[*] ، تقول السودان أنها تعود إليها بموجب إتفاقية توسيع الحدود التي وقعتها بريطانيا عام 1920 لوضع حد للسياسات التوسعية لإمبراطورية الحبشة في ذلك الوقت، في حين ترفض اثيوبيا ذلك فشجعت قبائل محلية اثيوبية على الاستيلاء عليها واستثمارها، إلى أن قام الجيش السوداني في منتصف كانون الأول 2020 باستعادتها، مستغلاً انشغال اثيوبيا بحرب تيغراي، وتبادل الطرفان لاحقاً الاتهامات حول من بدأ اطلاق النار[104].

ويستغل الطرفان حالياً هذه الازمة لاغراض داخلية، إذ يصورها (آبي أحمد) على أنها جزء من حرب إقليمية تهدد أثيوبيا ينبغي أن يلتف الشعب حول حكومته لمواجهتها، وقد أتهمت أديس أبابا السودان مراراً بدعم جبهة تحرير

---

(101) حنين كامل مهدي النظام السياسي في اثيوبيا (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، 2021، ص135.

(102) نقلاً عن بدر حسن شافعي، مصدر سبق ذكره، ص3.

(103) حنين كامل مهدي، المصدر السابق، ص146.

(*)الفشقة: هي أرض سودانية تقع على الحدود السودانية الاثيوبية يحدها شمالاً نهر ستيت وشرقاً نهر عطبرة، وهي نقطة محلية اشتقت من وضع المنطقة الطبيعي، إذ يقصد بالفشقة الاراضي التي تقع بين عوازل طبيعية مائية كالأنهار والخيران والمجاري، تبلغ مساحتها (250) كلم مربع، ينظر: علي بين فضل الله احمد، العلاقات السودانية الاثيوبية: رهانات الأمن والسياسة 2011-2021، تركيا، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر وجامعة سليمان الدولية، 2021، ص12.

(104) الانتخابات التشريعية الاثيوبية، قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والإقليمية، مصدر سبق ذكره، ص5.

شعب تيغراي، وفي المقابل يجد المكون العسكري في مجلس السيادة السوداني في النزاع الحدودي مع اثيوبيا فرصة لتعزيز وضعه في السلطة باعتبار أن البلاد تواجه تهديدات أمنية خارجية كبرى ينبغي التركيز عليها، في مقابل تحديات اقتصادية وسياسية، وأمنية داخلية متفاقمة[105].

تغير موقف السودان بخصوص سد النهضة، إذ اخذ الموقف السوداني يقترب من الموقف المصري بشأن السد، بعد أن كان يبدي مرونة أكبر حياله، وفي المقابل سعت الخرطوم إلى الحصول على دعم مصري في نزاعها الحدودي مع اثيوبيا للضغط عليها لإعادة ترسيم الحدود بما يضمن اعترافها بسودانية (الفشقة)[106].

بعد اندلاع المناوشات الحدودية بين السودان وأثيوبيا نهاية عام 2020 في منطقة الفشقة، ودخول القوات السودانية لهذه المناطق ومحاولة تخليص قاطنيها من هيمنة العصابات الاثيوبية المدعومة من عناصر من الجيش، أسهم في إغضاب أديس أبابا، التي باتت تتحدث عن أن هذه المناطق تابعة لها، وأنها لن تتفاوض مع السودان حتى الانسحاب منها، كما المحت إلى وجود (طرف ثالث داعم للخرطوم في هذه الازمة) في إشارة إلى مصر[107].

هناك معوقات تعترض تحقيق السلام والاستقرار بين السودان وأثيوبيا نتيجة عدم إكتمال ترسيم الحدود فيها بينهما بصورة نهائية، وتسلل المعارضة الاثيوبية عبر الحدود، بسبب التداخل القبلي والعرقي في المناطق الحدودية فضلاً عن المواقف المتباينة من الاتفاقية الاطارية حول اتفاقية مياه النيل، والموقف من سد النهضة[108].

ثالثاً: الصومال.

منذ تولي (حسن شيخ محمود) رئاسة الصومال، قامت محاولات من الطرفين الصومالي والاثيوبي لتجاوز أي توترات، واستمر هذا التوجه الصومالي في عهد الرئيس (محمد عبد الله فرماجو) مما عزز سياسة المصالح بين الطرفين، وبعد تسلم (آبي أحمد) السلطة في اثيوبيا تم توقيع عدة اتفاقيات في مجال التعاون بين البلدين إلا أن الانفتاح السياسي الاثيوبي يجعل علاقة الصومال باثيوبيا علاقة تبعية، باعتماد الحكومة الصومالية على القوى العسكرية في إرغام مخالفيها السياسيين ولاسيما الاحداث الدموية التي شهدتها مدينة (بيدوة) نتيجة للخلافات السياسية بين الحكومة الفيدرالية والشركاء السياسيين في ولاية جنوب غرب الصومال، والتي انتهت باستخدام الحكومة الفيدرالية سياسة العنف لفرض اتجاهاتها السياسية على سكان ولاية جنوب غرب الصومال[109].

ويريد (آبي أحمد) احتواء المشاكل السياسية والحدودية مع الصومال، إذ زار وبشكل مفاجئ العاصمة الصومالية مقديشو، ليصبح أول رئيس وزراء اثيوبي يزور مقديشو منذ عقود، ليعيد قراءة الواقع السياسي والامني بين البلدين، فبعد عودته إلى أديس أبابا قال في كلمة متلفزة: (إن الحديث عن تجاوزات العقيد منغيستو هيلا ميريام والجنرال محمد سيادبري، ضد الشعبين في أثيوبيا والصومال أمر لا طائل من ورائه)، وهذا يعني رغبة اثيوبيا في تجاوز سنوات

(105) الانتخابات التشريعية الاثيوبية، قرارات في النتائج والتفاعلات، مصدر سبق ذكره، ص5.
(106) المصدر نفسه، ص5.
(107) نقلاً عن: بدر حسن شافعي، مصدر سبق ذكره، ص3.
(108) حنين كامل مهدي، مصدر سبق ذكره، ص146-147.
(109) المصدر نفسه ، ص138.

الحرب والعداء، والانتقال إلى نهضة اقتصادية تمكن الشعبين من رخاء اقتصادي واستقرار سياسي وامني[110] ، وتُعد اثيوبيا من أهم حلفاء الصومال في حربها ضد الإرهاب الذي تمثله حركات الشباب المجاهيدن الصومالية، إذ تشكل القوات الاثيوبية، الجزء الاهم في القوات الافريقية المرابطة في الصومال لحفظ السلام (امبهوم)[111].

وأصبح التقارب الصومالي الاثيوبي مسألة رأي عام وقضية ألهبت حماس الكثيرين، وتحولت إلى قصة تثير الجدل والريبة، ودفعت الرئيس الصومالي (محمد عبد الله فرماجو) إلى عقد لقاء تلفزيوني يزيل الشكوك ونفى أن دولته وقعت اتفاقيات مع الجارة الاثيوبية تتضمن تشغيل موانئ صومالية باستثمارات اثيوبية[112] ، وفي الواقع تبدو مجريات الحرب في إقليم تيغراي أوضح الامثلة على التشابكات المعقدة بين السياسي والعسكري في التحالف الثلاثي الذي يضم كل من (أثيوبيا- ارتيريا- والصومال)، إذ أكد تقرير أممي مشاركة قوات صومالية كانت تتلقى تدريبات في ارتيريا في المعركة في إقليم تيغراي إلى جانب الجيش الارتيري[113].

المطلب الثاني / سياسات الدول الاقليمية ومنظماتها تجاه الازمة:-

يمكن إيجازها بالآتي :

أولاً: مصر.

أعلنت الرئاسة المصرية أن الرئيس المصري (عبد الفتاح السيسي) توافق مع رئيس وزراء اثيوبيا (آبي أحمد) على احترام حق التنمية دون مساس بحقوق الطرف الآخر، أثناء مناقشة تطورات موقف سد النهضة الاثيوبي، وجاء ذلك عقب استقبال الرئيس المصري (عبد الفتاح السيسي) رئيس الوزراء الاثيوبي (آبي أحمد) في زيارة له لمصر في حزيران 2018، إذ تأتي الزيارة الاثيوبية في ظل قلق مصري بالغ –وفق مراقبين- من تداعيات سد النهضة وأن تكون لسرعة ملء خزانه آثار سلبية وخشية أن يقلل من حصة مصر من نهر النيل[114].

لقد كان الموقف المصري طيلة عام 2020 يميل إلى فكرة تدويل الازمة سواء من خلال مجلس الأمن، أم من خلال التدخل الامريكي، لكن إزاء الرفض الاثيوبي لهذه الفكرة، والأصرار على أفرقة الازمة، أضطرت مصر للرضوخ أمام اثيوبيا، ورغم عقد قمتين مصغرتين في حزيران وتموز 2020 لرؤساء الدول الثلاثة برعاية جنوب افريقيا، إلا أن اثيوبيا أعلنت بعد القمة الاولى أنها ستبدأ في الملء الأول، وأعلنت بعد القمة الثانية عن إتمام هذه العملية، ما يعني أن فكرة الافرقة كانت في صالح أثيوبيا وليس مصر[115].

وبرغم تلك التجربة غير المثمرة، وافقت مصر على أفرقة الازمة من جديد بعد تولي الكونغو الديمقراطية رئاسة الاتحاد الافريقي، كان الموقف المصري هذه المرة مستنداً إلى اعتبارين[116]:

---

(110) نقلاً عن الشافعي ابتدون، مصدر سبق ذكره، ص4.
(111) محمد السبيطلي، القرن الافريقي في ظل الصعود الاثيوبي مستويات ومصالحات وتنافس على الموانئ، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 2018، ص12.
(112) الشافعي ابتدون، المصدر السابق، ص7.
(113) عبد القادر محمد علي، التحالف الثلاثي بين اثيوبيا وارتيريا والصومال، الطموحات والنتائج، اسطنبول، المعهد المصري للدراسات، 2021، ص7.
(114) الشافعي ابتدون، مصدر سبق ذكره، ص4.
(115) بدر حسن شافعي، التقارب المصري من السودان، محاولة للضغط على اثيوبيا، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2021، ص4.
(116) نفس المصدر، ص4.

1- إدراك مصر أن مجلس الأمن قد يرفض التدخل خلال الفترة الراهنة لاسيما في ظل سابقة الفيتو الروسي/ الصيني في عام 2020 على اتخاذ المجلس أية إجراءات ضد اثيوبيا، كما أن المجلس قد يحيل بموجب صلاحياته وفق الفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة، الأمر إلى الاتحاد الافريقي لتسوية الازمة، كما حدث في عام 2020.

2- الرغبة المصرية في التقارب مع السودان، واستغلال الخلافات السودانية الاثيوبية لصالحها.

لقد حاولت مصر زيادة وجودها في منطقة القرن الافريقي من خلال تعزيز علاقاتها بإقليم صوماليلاند وغيرها من مناطق القرن الافريقي، لاحتواء النفوذ الاثيوبي المتصاعد هناك، ومع ذلك فإن حالة الاستقرار النسبي، أو عدم وجود حالة من حرب العصابات الممتدة في إقليم التيغراي، قد تدفع إلى مزيد من التشدد في الموقف الاثيوبي، الذي أعلن عن البدء في ملء خزان السد في تموز 2021، سواء بإتفاق أو دون اتفاق[117].

ثانياً/ الاتحاد الافريقي.

لقد دعت عدة حكومات أجنبية، بما في ذلك الولايات المتحدة إلى وقف فوري للاعمال العدائية والحوار لحل النزاع في التيغراي، كما أصدر المجلس المشترك بين الاديان في اثيوبيا دعوة مماثلة، إلا أن حكومة (آبي أحمد)، رفضت قبول الجهود الدولية للوساطة بين الجانبين، وهو الأمر الذي وضع الاتحاد الافريقي الذي تستضيف أثيوبيا مقره في أديس أبابا، في موقف صعب لا يحسد عليه[118] ، إذ دعا الاتحاد الافريقي طرفي الصراع إلى الحوار وإنهاء القتال، تمهيداً للجلوس على طاولة المفاوضات لتسوية الازمة، وعين ثلاثة مبعوثين خاصين للدفع نحو وضع حل نهائي للصراع في البلاد دون أي جدوى، وإن أبدى بعض مسؤولي الاتحاد ولاسيما موسى فقيه رئيس مفوضية الاتحاد الافريقي في بداية الصراع تأييدهم للحكومة الاثيوبية في شن هجمات ضد جبهة تحرير تيغراي بهدف إعادة النظام والقانون والحفاظ على سيادة البلاد ووحدتها[119].

تقدم مفوضية الاتحاد الافريقي بالفعل الدعم لوزارة السلام الاثيوبية لبدء حوارات صغيرة النطاق لحل النزاعات المحلية في جميع انحاء البلاد، وينبغي أن تفعل المزيد على مستوى أعلى، إذ يمكنها على سبيل المثال، الضغط على أديس أبابا لتمديد قانون العفو ليشمل قادة المعارضة المسجونين[120] ، ولقد كان إخفاق الاتحاد الافريقي في ازمة تيغراي بمثابة تقويض لدوره في صنع السلام، إذ بات واضحاً أن فعاليته تقتصر على الدول الصغيرة أو الفاشلة، بينما يمارس تأثيراً محدوداً للغاية على الدول الافريقية الكبرى[121].

المبحث الثالث / السياسات الدولية ومنظماتها تجاه الازمة:

في هذا المبحث سيتم البحث في سيسات الدول الأخرى غير الأقليمية والمجاورة لأثيوبيا وكذلك موقف المنظمات الدولية من تلك الأزمة , وكالآتي :.

---

(117) حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيرها على توازنات القوى الاقليمية، مصدر سبق ذكره، ص42.

(118) حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي ، مصدر سبق ذكره ، ص41، وينظر كذلك : احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، مجلة متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (9)، ديسمبر 2020، الرياض، ص13.

(119) احمد عسكر، حسابات الصراع في إقليم تيغراي ومساراته: https://trendsresearch.org/ar/insight/calculations-of-the-comflict-in-tigray/ تاريخ الزيارة 2022/7/4، ينظر: Eight priorities for the African Union in 2021, international crisis group, (2022), P.6

(120) Ibid, P.7

(121) حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيراتها على توازنات القوى الاقليمية، مصدر سبق ذكره، ص41.

المطلب الأول/ السياسات الدولية تجاه الأزمة:

اولا / الولايات المتحدة الامريكية :

بدأ التغير في علاقات الولايات المتحدة الامريكية وأثيوبيا في عام 2020، عندما أعلنت إدارة دونالد ترامب السابقة وقف بعض برامج المساعدات الامريكية على خلفية رفض أديس أبابا مسودة الاتفاق الثلاثي الذي أعدته إدارة ترامب بخصوص سد النهضة[122]، كما دعت واشنطن إلى ضرورة إنسحاب الجنود الارتيريين من الأراضي الاثيوبية، إذ تزايدت الضغوط الامريكية عقب دعوة عضوين بمجلس الشيوخ الامريكي الحكومة الامريكية للنظر في فرض عقوبات على أي مسؤول سياسي أو عسكري يثبت بالأدلة تورطه في انتهاكات حقوق الانسان في الصراع الدائر في منطقة تيغراي الاثيوبية، وإن المشاركة الارتيرية في الحرب الاثيوبية من شأنها أن تتعارض مع الرواية التي سعى (آبي أحمد) إلى خلقها بشأن الصراع على أنه محدود النطاق، وأنه لإنفاذ القانون فقط، ومحلية بصفة أساسية دون مشاركة من الخارج[123].

ومع وصول إدارة (جوبايدن) إلى البيت الأبيض في كانون الثاني 2021، تزايدت الانتقادات الامريكية المباشرة لدور الحكومة الفيدرالية في الصراع في إقليم تيغراي، إذ نددت واشنطن بتدهور الاوضاع الانسانية في الإقليم، ومارست ضغوطاً لإخراج القوات الارتيرية والمليشيات الامهرية منه، وعينت الإدارة الامريكية في نيسان 2021، السفير (جيفري فيلتمان) مبعوثاً خاصاً للقرن الافريقي[124]، كما فرضت الولايات المتحدة الامريكية قيوداً على مسؤولين (أثيوبيين) و(أرتيريين) في أيار 2021 على خلفية إرتكابهم تجاوزات خطيرة خلال الحرب في تيغراي[125].

أن حكومة الولايات المتحدة التي لديها مبعوثها الإقليمي الخاص بها، صريحة بشأن الازمة واتخذت إجراءات عقابية، بالإضافة إلى الحث على المحادثات إذ سنت الولايات المتحدة عقوبات ولاسيما في 23 آب 2021 بتجميد أصول قائد الجيش الارتيري[126]، إذ فرضت واشنطن في تشرين الثاني 2021 عقوبات ضد أربعة كيانات ارتيرية رسمية واثنين من المسؤولين الارتيريين بسبب تورط القوات الارتيرية في الصراع الاثيوبي، وهددت باستهداف بعض الاطراف الاثيوبية خلال الفترة المقبلة، في محاولة لإجبار طرفي الصراع على تقديم تنازلات من شأنها إنهاء القتال والمضي قدماً نحو تسوية الصراع، وأيضاً هددت واشنطن باستثناء اثيوبيا من المزايا التفضيلية لقانون النمو والفرص في أفريقيا بحلول كانون الثاني 2022، وهو ما يهدد صناعة النسيج في اثيوبيا، وتداعيات تلك السلبية على تراجع الاقتصاد الاثيوبي[127].

---

(122) محمد عبد الكريم احمد، تطورات سياسة الولايات المتحدة الافريقية، حالة مقاربة الازمة الاثيوبية، مجلة متتابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (21)،ديسمبر 2021، الرياض، ص11.

(123) احمد عسكر، تداعيات الصراع في أثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، مصدر سبق ذكره، ص14.

(124) الحرب الأهلية الاثيوبية مساراتها واحتمالاتها، قطر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2021، ص3.

(125) الانتخابات التشريعية الاثيوبية،قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والاقليمية، مصدر سبق ذكره، ص3.

(126) Eight priorities for the African union in 2021, international crisis group, (2022), P.14

(127) احمد عسكر، حسابات الصراع في إقليم تيغراي ومساراته، https://trendsresearch.org/ar/insight/caculations-of-the-comflict-in-tigray/ تاريخ الزيارة 2022/7/5

ورغم التوتر الامريكي/الاثيوبي في نهاية عام 2021، فإن واشنطن ما تزال الفاعل الدولي الابرز في جهود الوساطة لتسوية الازمة الاثيوبية، بالتعاون عن كثب مع الاتحاد الافريقي والاتحاد الأوربي وشركاء دوليين آخرين[128].

ثانيا/ تركيا :

مثلت زيارة رئيس الوزراء الاثيوبي (آبي أحمد) إلى انقرة في 18 آب 2020 مؤشراً هاماً في سياق العلاقات التركية الاثيوبية، التي مرت في السنوات الأخيرة بأكثر من منعرج[129]، فعلى الرغم من عدم الاعلان عن تفاصيل الاسلحة فقد اجتذب إعلان مؤسسة الصناعات الدفاعية التركية عن مبيعات بقيمة (51,7) مليون دولار إلى أثيوبيا في آب 2020، وأن سبب لجوء اديس أبابا إلى انقرة هو من أجل إحداث فرق في جهات القتال مع قوات دفاع تيغراي التي نقلت المعركة من إقليمها إلى إقليمي عفر وأمهرة[130].

إذ أسفر هجوم جوي استهدف مخيماً للنازحين في منطقة دبديبيت في تيغراي 8 كانون الثاني 2022 عن مقتل ما يزيد على (50) شخصاً وإصابة ما يزيد على مئة أخرين، ودفعت الصور التي نُشرت في أعقاب الهجوم، والتي قدمها عمال الإغاثة إلى منظمة (بوليتيكو) الإخبارية السياسية، محققين إلى الاعتقاد بأن أحد الاسلحة المستخدمة في هذا الهجوم، ربما كان صاروخاً من طائرة مسيرة تركية الصنع من طراز (بيرقدار لي بي 2) وكشف (ويم أويجنينبورغ)، وهو محقق يعمل لدى مؤسسة (باكس) عن وجود طائرات مسيرة تركية في أثيوبيا في كانون الأول 2021 وسلط الضوء على صور التقطتها الأقمار الصناعية تظهر طائرات مسيرة تركية تقف في قاعدة جوية حكومية جنوب منطقة تيغراي[131].

ويمكن تلخيص أبرز الاسباب التي قد تدفع انقرة إلى الموافقة على تصدير مسيراتها في التالي[132]:

1- حماية الاستثمارات التركية في أثيوبيا من التهديدات التي قد تطالها في حال استمرار الحرب بين الطرفين بما قد يؤدي إلى إنهيار الدولة.
2- حماية الصومال من التداعيات الخطيرة لسيناريو الانهيار الاثيوبي، حيث يعد الصومال العمود الفقري للنفوذ التركي في القرن الافريقي والبحر الاحمر.
3- تفضيل أنقرة التعامل في سياستها الخارجية، واعتماد الحفاظ على تماسك الدول ووحدتها كمبدأ عام لها، وهو ما أشار إليه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في تشديده على (أهمية السلام واستقرار ووحدة اثيوبيا).
4- استفادة تركيا من الفرصة المتمثلة في لجوء (آبي أحمد) إليها لبناء تحالف سياسي إستراتيجي بين الطرفين.

---

(128) محمد عبد الكريم احمد، مصدر سبق ذكره، ص13.
(129) عبد القادر محمد علي، تركيا وأثيوبيا من الشراكة الاقتصادية إلى التحالف الاستراتيجي، اسطنبول، المعهد المصري للدراسات، 2021، ص1.
(130) المصدر نفسه، ص3.
(131) بيترماوي، أزمة تيغراي، ماذا نعرف عن الهجمات بطائرات مسيرة في أثيوبيا ومن الذي يرسلها، https://www.bbc.com/arabic/world-60164875 تاريخ الزيارة 2022/7/7
(132) عبد القادر محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص3-4.

5- ربما تمثل الارتباطات التي كونتها الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي مع قوى خارجية ولاسيما مصر عامل قلق لانقرة في حال تمكنها من السيطرة على سدة الحكم في أديس أبابا، وهي علاقة تؤكدها الحكومة الاثيوبية وتنفيها التيغراي.

6- عدم وجود عواقب جزائية مترتبة على توريد الاسلحة إلى أثيوبيا رغم بعض الدعوات إلى فرض حظر دولي على ذلك، لكن لم تجد هذه الدعوات طريقها إلى التطبيق حتى الآن.

7- رغم الضغط الغربي على أديس أبابا قد يكون دخول السلاح التركي على خط المعركة عاملاً مؤثراً في صنع توازنات عسكرية تدفع التيغراي تحديداً إلى تليين مواقفهم وخاصة عند النظر إلى أن قيادات عسكرية وسياسية من التيغراي أكدت سابقاً أن الطائرات المسيرة الإماراتية كانت عاملاً رئيسياً في الهزيمة التي أصابتها في تشرين الثاني 2020.

ثالثا / روسيا:

التقى رئيس الوزراء الاثيوبي (آبي أحمد) في قمة روسيا افريقيا التي عقدتها موسكو في سوتشي عام 2019 بالرئيس (فلاديمير بوتين) واتفقا على تعزيز التعاون العسكري وزيادة المبيعات العسكرية الروسية لأديس آبابا، التي اشتملت بموجبها منظومة الدفاع الصاروخي (بانتيسر إس 1) كما تم الاتفاق بين الطرفين لبناء محطة للطاقة النووية بأثيوبيا، وقبلها في عام 2017 أدرجت موسكو اثيوبيا ضمن أهم أسواق الاسلحة الروسية في أفريقيا[133]، إذ يبدو من الواضح أن الحكومة الاثيوبية بحاجة إلى دعم عسكري نوعي فقد لجأت إلى عقد إتفاقية عسكرية مع روسيا الاتحادية في تموز 2020[134].

تواصل التعاون العسكري الروسي الاثيوبي باتفاقيات جديدة لروسيا مع اثيوبيا عام 2020-2021، حول الامداد الروسي لإثيوبيا بالسلاح والعتاد والذخائر، وهذه الاتفاقيات اضطرت لها اثيوبيا بعد اشتداد ضراوة المعارك التي يشنها الجيش الاثيوبي ضد قومية التيغراي، والجماعات الاثنية الاخرى التي تقاتل الحكومة الفيدرالية، وحاجة اثيوبيا للسلاح والذخائر[135].

وتحاول اثيوبيا زيادة زخم علاقاتها العسكرية مع روسيا، لاسيما في هذه المدة العصيبة من تاريخها، إذ إنها تجابه تململاً داخلياً كبيراً للقوميات الاثيوبية، قد يطيح بالنظام القائم، ودعماً لهذا القول، فقد قامت اثيوبيا بتعيين وزير خارجية سابق ليكون سفيراً لها في موسكو، وهذا مؤشر قوي إلى أنها تحاول بناء علاقات قوية وفاعلة مع روسيا، خاصة في الفترة الحالية، لكبح جماح تمرد أثنية التيغراي والجماعات الاخرى[136]، واعترضت روسيا والصين في آذار 2021، على إصدار بيان لمجلس الأمن بشأن القتال في إقليم تيغراي، وقالتا إن ما يجري هناك هو شأن داخلي[137]،

---

(133) محمد صالح عمر، اتفاقية التعاون العسكري الروسي الاثيوبي.... ما الصالح التي تحققها لكلا الطرفين https://www.aljazeera.net/news/politics/2021/7/18 تاريخ الزيارة 2022/7/7.

(134) عبد القادر محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص3.

(135) محمد خليفة صديق، الحضور الروسي في اثوبيا وتأثيره في حرب التيغراي، مجلة متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، العدد (24)، مارس 2022، الرياض، ص12.

(136) المصدر نفسه، ص13.

(137) روسيا والصين تجهضان بياناً لمجلس الامن بشأن القتال في إقليم تيغراي الاثيوبي، https://www.aljazeera.net/news/2021/3/5/ تاريخ الزيارة 2022/7/7

وتحاول اثيوبيا الحصول على مساندة روسيا في المحافل الدولية، لتمرير أجندتها السياسية والاقتصادية دولياً وإقليمياً[138].

المطلب الثاني / موقف المنظمات الدولية من الأزمة :

يمكن إجمالها بالآتي :

أولا / الامم المتحدة:

أعلنت مفوضية حقوق الانسان في الامم المتحدة (ميشيل باشليه) توثيق ارتكاب القوات الاثيوبية والارتيرية سلسلة انتهاكات خطيرة، قد ترقى إلى جرائم حرب ضد الانسانية في إقليم تيغراي، وقالت (باشليه) إن مكتبها أثبت معطيات بشأن أحداث وقعت في تشرين الثاني 2020، تشير إلى عمليات قصف عشوائية في مدن مقلي وحمرة وآديفرات[139].

حذرت الامم المتحدة في 15 تموز 2021 من كارثة إنسانية تحيط بأكثر من (400) ألف شخص يواجهون المجاعة في تيغراي، كما يقف (1,8) مليون آخرون على حافة المجاعة[140]، كما لاحظت ثلاث فرق أممية منفصلة للامم المتحدة لتقييم الاوضاع في إقليم تيغراي الاثيوبي أن هناك قوات ترتدي الزي العسكري الارتيري تتحرك في بعض المناطق، مثل ميكيلي وشيري وعلى الجانب الاثيوبي من الحدود مع ارتيريا، بما يعني تورط القوات الارتيرية في الحرب ضد إقليم تيغراي[141].

اتسع نطاق صراع تيغراي إلى مستوى مقلق، إذ لم يستجب القادة في كل من أديس أبابا وميكيلي حتى الآن للمبادرات الدبلوماسية الخارجية وهذا سبب إضافي يدفع الجهات الدولية وخاصة الامم المتحدة من أجل تكثيف جهودها من أجل وقف القتال في اثيوبيا بين الحكومة من جهة وتيغراي من جهة أخرى، وهذا يعود إلى إدراكها للمخاطرات الكبيرة التي تنفذها إذا استمر الصراع في مساره الحالي[142].

ثانيا/ الاتحاد الاوربي.

دعا مفوض الاتحاد الأوربي للشؤون الانسانية (كريستوس ستايليا نيدس) إلى إجراء تحقيق مستقل بشأن الاحداث الدامية التي وقعت في منطقة (ماي-كادرا) في إقليم تيغراي وفي مناطق أخرى، بعد زيارته إلى مخيم (أم ركوبة) للاجئين في السودان الذي يستضيف نحو (10) الاف لاجئ من جراء النزاع، بينما تلقى هذه الدعوات بالتحقيقات الدولية ترحيباً من قبل قادة إقليم تيغراي الاثيوبي[143].

---

(138) محمد خليفة صديق، مصدر سبق ذكره، ص13.
(139) روسيا والصين تجهضان بياناً لمجلس الامن بشأن القتال في إقليم تيغراي الاثيوبي، https://www.aljazeera.net/news/2021/3/5/ تاريخ الزيارة 2022/7/7
(140) الانتخابات التشريعية الاثيوبية، قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والإقليمية، مصدر سبق ذكره، ص3.
(141) احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، مصدر سبق ذكره، ص14.
(142) The challenges for the UN in 2021-2022, international crisis group, (2022), P.8.
(143) احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، مصدر سبق ذكره، ص14.

وقد تصاعدت الضغوط الدولية على حكومة آبي أحمد بسبب التقارير الحقوقية الدولية المتعلقة بالاقليم، وأدى ذلك إلى تحول في موقف المانحين التقليديين لاثيوبيا، ففي كانون الاول 2020، جمع الاتحاد الاوربي (107) ملايين يورو كانت مخصصة لدعم ميزانية الحكومة[144].

كما تبرز التحركات الدولية من خلال الاتحاد الأوربي بالتعاون مع الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (إيجاد) والاتحاد الافريقي، إذ جدد الاتحاد الاوربي دعمه لأي مبادرة من (إيجاد) والاتحاد الافريقي بهدف معالجة الوضع في اثيوبيا[145]، فقد عين الاتحاد الأوربي في شباط 2021، وزير خارجية فنلندا (بيكاها فيستو) مبعوثاً خاصاً لحل النزاع في أثيوبيا[146].

مما يجب الاشارة اليه فأن لأقليم تيغراي أهمية سياسية كبيرة وخاصة كونه تسلم زمام السلطة بعد سقوط (مغنيستو ميريام) عام 1991 على يد جبهة تحرير تيغراي أما في ما يخص اسباب الحرب في أقليم تيغراي فهناك أسباب عدة منها سياسية وأيديولوجية وعرقية ولكن السبب الرئيسي من تلك الحرب هو قيام (آبي أحمد) عند وصوله إلى السلطة بتهميش قادة إقليم تيغراي وعزلهم عن منصبهم.

الخاتمة والاستنتاجات :

إن سياسات دول الجوار الإثيوبي وكذلك الدول الأقليمية والدولية وكل المنظمات الأقليمة والدولية تختلف مابين دولة وأخرى وما بين سياسة وموقف يتطلبه الوضع هناك ، لذا نجد مواقف متباينة بين تلك الدول تجاه أزمة تيغراي تؤدي بالمحصلة النهائية الى تحقيق أقصى حد من المصالح لتلك الدول لدى إثيوبيا ، ومن خلال البحث نستطيع أن نوجز أهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها وهي :-

1- يمتلك إقليم تيغراي أهمية كبيرة وذلك لعدة أسباب من أهمها موقعه الجغرافي حيث أنه يجاور عدة دول وايضاً لما يمتلكه ذلك الاقليم من خبرة كبيرة في الحياة السياسية منذ عام 1991 وحتى عام 2018.
2- هناك عدة أسباب أدت الى قيام الحرب في إقليم تيغراي منهم من يرجعها إلى تأخر الانتخابات، ولكن السبب الرئيسي في الحرب هو سياسي أيديولوجي، لاسيما بين تيار الفيدراليين وتيار الوحدويين الذين يؤمنون بأهمية الدولة القومية.
3- من حيث أهمية أثيوبيا فهي لها أهمية كبيرة على المستويين الاقليمي والدولي وذلك يعود إلى كثير من الاسباب ولكن أهمها هو موقع اثيوبيا في منطقة القرن الافريقي إذ تعد قلب المنطقة والسبب الاخر هو ما تحتويه على كم هائل من موارد المياه فهي المنبع الرئيسي لنهر النيل.

(144) الانتخابات التشريعية الاثيوبية، قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والإقليمية، مصدر سبق ذكره، ص3.
(145) احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، مصدر سبق ذكره، ص14.
(146) الحرب الأهلية الاثيوبية، مساراتها واحتمالاتها، مصدر سبق ذكره، ص3.

4- أما في ما يخص سياسات الدول تجاه أزمة تيغراي فهناك دول بالجوار تقف مع الحكومة في ارتيريا ودول تقف بالضد منها مثل السودان في حين على المستوى الاقليمي فهو نفس الحال فمصر مثلاً تقف بالضد من حكومة (آبي أحمد) أما (إسرائيل) تقف مع حكومة (آبي أحمد)، أما على المستوى الدولي فإن الولايات المتحدة الامريكية تقف مع جبهة تحرير شعب تيغراي أما روسيا فهي تقف مع حكومة (آبي أحمد).

المصادر:

الكتب العربية والمترجمة :

1ـ الانتخابات التشريعية الاثيوبية: قراءة في النتائج والتفاعلات الداخلية والإقليمية، قطر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2021
2ـ الحرب الأهلية الاثيوبية مساراتها واحتمالاتها، قطر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2021
3 ـ بدر حسن شافعي، التقارب المصري من السودان، محاولة للضغط على اثيوبيا، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2021
4ـ يونس عبدلي موسى، إثيوبيا بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، الصومال، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 2016
5ـ عبد الوهاب الطيب بشير، الاقليات العرقية والدينية ودورها في التعايش القومي في اثيوبيا من الامبراطورية الى الفدرالية 1930-2007، ط1، مركز البحوث والدراسات الافريقية، ليبيا، 2009
6ـ عبد القادر حقدوس محمد الجبرتي، بحث في الكتاب عن الجبرات والجبرتيين، ط1، ktab INC، بلا تاريخ
7ـ النور حمد وعبد الوهاب الطيب بشير، أوضاع اللغة العربية في القرن الافريقي ، تقاطعات الدين والهوية والإثنية، ط1، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2020
8ـ شوحة مريم وزعرور حسينة، الدولة القومية بين إدارة التعددية الاثنية واستراتيجات التسوية في منطقة القرن الإفريقي (دراسة حالة اثيوبيا)، ط المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2018
9ـ صهيب محمود، حرب إقليم تيغراي: خلفيات الصراع وتداعياته المحتملة، قطر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2020
10ـ أزمة تيغراي في اثيوبيا، مصر، وحدة الشؤون الافريقية والتنمية المستدامة بمؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الانسان، دون تاريخ
11ـ عباس محمد صالح عباس، النزاع في إقليم تيغراي...النتائج والتداعيات، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2021
12ـ .لشافعي ابتدون، اثيوبيا: المتغيرات الجيوسياسية ومستقبل التوازن في القرن الافريقي، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2018
13ـ محمد السبيطلي، القرن الافريقي في ظل الصعود الاثيوبي مستويات ومصالحات وتنافس على الموانئ، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 2018
14ـ عبد القادر محمد علي، التحالف الثلاثي بين اثيوبيا وارتيريا والصومال، الطموحات والنتائج، اسطنبول، المعهد المصري للدراسات، 2021
15ـ عبد القادر محمد علي، تركيا وأثيوبيا من الشراكة الاقتصادية إلى التحالف الاستراتيجي، اسطنبول، المعهد المصري للدراسات، 2021

المجلات والدوريات :

1ـ عبد السلام إبراهيم بغدادي، النظام السياسي الاثيوبي، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد (121)، آذار، 1997، العراق

2ـ الشافعي ابتدون، أثيوبيا: المتغيرات الجيوسياسية ومستقبل التوازن في القرن الافريقي، الدوحة، مركز الجزيرة، 2018

3ـ حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي وتأثيرها على توازنات القوى الاقليمية، مجلة قراءات افريقية، المنتدى الاسلامي، العدد (48)، ابريل 2021، السعودية

4ـ احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (9)، ديسمبر 2020، الرياض

5ـ عبد القادر محمد علي، مستقبل عملية السلام في اثيوبيا في ضوء تداعيات النزاع في إقليم تيغراي، متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (24)، مارس 2022، الرياض

5ـ احمد عسكر، تداعيات الصراع في اثيوبيا على منطقة القرن الافريقي، مجلة متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (9)، ديسمبر 2020، الرياض

6ـ محمد عبد الكريم احمد، تطورات سياسة الولايات المتحدة الافريقية، حالة مقاربة الازمة الاثيوبية، مجلة متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد (21)،ديسمبر 2021، الرياض

7ـ محمد خليفة صديق، الحضور الروسي في اثوبيا وتأثيره في حرب التيغراي، مجلة متابعات افريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، العدد (24)، مارس 2022، الرياض

الانترنت:

1ـ حمدي عبد الرحمن، حرب التيغراي ثلاث رؤى لمستقبل الصراع داخل اثيوبيا، https://futureuae.com/MainPage//Lem/5903 تاريخ الزيارة 2022/6/03.

2ـ الصراع في تيغراي: ماذا يجري هناك وكيف يمكن أن تتأثر دول المنطقة بما يجري: https://www-bbc-com.cdn.ampproject.org/v/s/www/.bbc.com/arabic/word-57669897 تاريخ الزيارة 2022/6/03.

3ـ حمدي عبد الرحمن حسن، حرب التيغراي ثلاث رؤى لمستقبل الصراع داخل اثيوبيا، https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/5903 ، تاريخ الزيارة 2022/6/05.

4ـ عباس محمد صالح عباس، التطرف الاثني في اثيوبيا...مخاطر البلقنة والصراع العرقي تحدق بالجمهورية، https://bit.ly/3Budy12 تاريخ الزيارة، 2022/6/05.

5ـ احمد عسكر، حسابات الصراع في إقليم تيغراي ومساراته: https://trendsresearch.org/ar/insight/calculations-of-the-comflict-in-tigray/ تاريخ الزيارة 2022/7/4

6ـ احمد عسكر، حسابات الصراع في إقليم تيغراي ومساراته، https://trendsresearch.org/ar/insight/caculations-of-the-comflict-in-tigray/ تاريخ الزيارة 2022/7/5

7ـ بيترماوي، أزمة تيغراي، ماذا نعرف عن الهجمات بطائرات مسيرة في أثيوبيا ومن الذي يرسلها، https://www.bbc.com/arabic/world-60164875 تاريخ الزيارة 2022/7/7

8ـ محمد صالح عمر، اتفاقية التعاون العسكري الروسي الاثيوبي.... ما الصالح التي تحققها لكلا الطرفين https://www.aljazeera.net/news/politics/2021/7/18 تاريخ الزيارة 2022/7/7.

9ـ روسيا والصين تجهضان بياناً لمجلس الامن بشأن القتال في إقليم تيغراي الاثيوبي، https://www.aljazeera.net/news/2021/3/5/ تاريخ الزيارة 2022/7/7

10– روسيا والصين تجهضان بياناً لمجلس الامن بشأن القتال في إقليم تيغراي الاثيوبي، https://www.aljazeera.net/news/2021/3/5/ تاريخ الزيارة 2022/7/7

الرسائل والاطاريح:

1– حنين كامل مهدي، النظام السياسي في اثيوبيا (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد، بغداد، 2021

المصادر باللغة الانجليزية :

1- Bridging the divide Ethiopia's North, international crisis group, 2020

2- Eight priorities for the African union in 2021, international crisis group, (2022), P.14

3-The challenges for the UN in 2021-2022, international crisis group, (2022)

المجلد الخامس/العدد
الثامن عشر- دجنبر2022.
مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
ISSN 2569-734X

التخطيط الجماعي ومسألة تقييم إدماج البعد البيئي من خلال آلية برنامج عمل الجماعة حالة جماعة القنيطرة

Collective planning and the question of evaluating the integration of the environmental dimension through a mechanism Community Action Program in the case of Kenitra

- **مصطفى خلادي**: مختبر التراب والبيئة والتنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة. Khalladi2n@gmail.com
- **ذ. التهامي ديبون**: مختبر التراب والبيئة والتنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة. daibounth@gmail.com

الملخص: يرمي التدبير الحضري إلى تهيئة وتنظيم المجال الحضري، ومحاولة تقويم ومعالجة اختلالاته، وذلك من خلال آلية التخطيط، بغية تحقيق هدف التنمية الحضرية المستدامة. من هنا تبرز محورية الجماعات الترابية، بحكم موقعها القاعدي، تحقيقا لمبدأ القرب في التدبير الترابي العمومية، حيث تسعى هذه الأخيرة، إلى إعداد التراب المحلي بمختلف أبعاده التنموية، السوسيو_إقتصادية والمجالية والبيئية، بشكل متوازن ومتكامل، اعتمادا على مبدأ التخطيط الجماعي الذي عرف تطورا مضطردا في ألياته المعتمدة.

وفي ضوء ما سبق، واعتبارا لأوجه القصور التي تطبع المخططات الجماعية خلال مختلف مراحل الإعداد، حيث تبقى بعيدة عن تلبية متطلبات التنمية الحضرية في بعدها البيئي. تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة مسألة تقييم مدى إدماج البعد البيئي بالمخططات الجماعية، ومدى استحضار مبدأي التوازن والتكامل بين مختلف أبعاد التخطيط الجماعي، وذلك من خلال نموذج تحليلي قائم على دراسة حالة جماعة القنيطرة، عن طريق تسليط الضوء على أهمية المخططات الجماعية، وتطورها كألية تدبيرية استراتيجية لدى الجماعات الترابية، وقياس أهمية البعد البيئي بها، ومدى اهتمام الفاعل المحلي بهذا البعد، وذلك باعتماد منهج وصفي للهندسة العامة لبرنامج عمل الجماعة.

الكلمات المفتاح: التخطيط الجماعي؛ التقييم؛ البعد البيئي؛ برنامج عمل الجماعة؛ التنمية المستدامة.

Abstract: Urban planning aims to manage and develop the urban space and fix its imbalances through mechanism of planning to achieve sustainable urban development. Hence, the centrality of the territorial authorities, by virtue of their basic position, emerges in order to achieve the principle of proximity in the public territorial management. Based on the principle of collective planning which has witnessed a steady development in approved mechanisms, the territorial authorities seek to manage the local territory in its various developmental, socio-economic, spatial and environmental dimensions in a balanced and integrated manner.

In light of what has been said above, and in view of the shortcomings that characterize collective plans during its various stages of preparation which remain far from meeting the requirements of urban development in its environmental dimension, this research article aims to evaluate the extent to which the environmental dimension is integrated in collective plans, and the extent to which the principles of balance and integration of the various dimensions of collective plans are evoked. Therefore, the study at hand is an analytical model based on a case study of the commune of Kenitra. It sets out to highlight the importance of collective plans and their development as mechanism of management, to measure the importance of their environmental dimension, and to evaluate the interest of local stakeholders in such a dimension, by adopting a descriptive approach to the general making of the commune work program.

Key words: collective planning ; assessment; environmental dimension; group work program; sustainable development.

عرفت المدن المغربية وتيرة متسارعة للنمو الديموغرافي والتوسع الحضري، الأمر الذي خلف اختلالات متعددة هي بمثابة تحديات على كل المستويات، الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، يتعين على المدن مواجهتها. من ناحية أخرى، فإن تعدد الإشكالات التنموية التي يعاني منها المجال الحضري للمدن المغربية، هي ناجمة بالأساس عن سوء في التدبير أو في غياب التجديد والتحديث والابتكار في الآليات والوسائل التدبيرية. ولتجاوز هذه الاختلالات وتحقيق هدف التنمية الترابية المحلية المنشودة، بات لزاما على الفاعل المحلي نهج الأساليب الناجعة في تدبير التراب قوامها تخطيط حضري فعال ومستدام مؤطرة بنظام حكامة جيدة.

وتحقيقا لهذه الغاية، يتعين تبني تدبير حضري مستدام قائم على إدماج مختلف الأبعاد: الاقتصادية، والاجتماعية، والمجالية، والبيئية، مع استحضار مبدأ الموازنة والتكامل بين هذه الأبعاد، خاصة خلال مرحلة وضع المخططات التنموية، ذلك أن هذا المبدأ ألية محورية في التدبير الترابي الجيد.

ومن هذا المنطلق، فإن الاهتمام بإشكالية انعدام أو ضعف الموازنة والتكامل بين أبعاد عملية التخطيط الحضري، يشكل مجالا خصبا للبحث والدراسة العلمية، من أجل الإسهام في تنبيه الفاعل المحلي لأهمية استحضار مبدأ الموازنة والتكامل كآلية منهجية خلال إعداد وهندسة المخططات التنموية المحلية.

في هذا السياق، وقصد معالجة الإشكالية الرئيسية المطروحة حول مدى إدماج البعد البيئي بالمخططات الجماعية التنموية، فإن هذه الدراسة ستتناول مسألة تقييم إدماج البعد البيئي في ببرنامج عمل الجماعات (PAC)، باعتباره أهم آلية من آليات التخطيط الحضري الحديثة، وذلك باعتماد منهجية دراسة الحالة من خلال دراسة برنامج عمل جماعة القنيطرة، حيث سنقف على أبعاد التشخيص الوارد في برنامج عمل جماعة القنيطرة، مع إبراز طبيعة ونوع الاختلالات البيئية المرصودة ودرجة تأثيرها، إضافة إلى إبراز مجمل التدخلات البيئية المسطرة بالبرنامج، وتحليلها من حيث العدد، والنوع، ومدى تمثلها لمبدأ الاستدامة، وأيضا دراسة الغلاف المالي المرصود لتنفيذ المشاريع البيئية المسطرة ومقارنتها مع باقي مشاريع القطاعات الأخرى، وذلك باعتماد مختلف وسائل التعبير البياني.

I. التخطيط الجماعي دعامة التدبير الحضري المستدام

التدبير الحضري من أهم محاور التدبير العمومي للتراب الذي يهدف إلى تهيئة وتنظيم المجال الحضري، وإدارته ومحاولة معالجة الاختلالات وتقويمها، وذلك من خلال آلية التخطيط الحضري بغية تحقيق التنمية الحضرية المتوازنة والمتكاملة والعمل على ضمان استدامتها. من هذا المنطلق، يعد التخطيط الركيزة الأولى للتدبير الحضري، ويُعَرف على أنه "عملية ذهنية إبداعية تعمل على رسم الأهداف

والتوجهات المراد اتباعها لإنجاز قانون ما، وعلى نهج أسلوب علمي لدراسة كل المعلومات والبيانات لاتخاذ القرارات اللازمة لتحقيق الأهداف". (كامل بربر، 1996، ص 6)

وبهذا المعنى، فإن التخطيط الحضري يتمثل "في مجموعة من التدابير التي يتخذها المسؤولون عن تدبير المدينة لتحسين صورتها بشكل أفضل مما كانت عليه، وجعلها بيئة حضرية مناسبة لعيش ساكنتها، من خلال تحسين جودة العمران وتناسقه، وتوفير التجهيزات والخدمات، خاصة الاجتماعية منها، وأيضا من خلال ضبط توسع المدينة بشكل عقلاني ومنظم." (نور الدين طاهير، 2019، ص 45)

1. الجماعات الترابية وآلية التخطيط الجماعي

التنمية المحلية هدف استراتيجي، وتحقيق ذلك يقودنا إلى الحديث عن أحد أنجع الوسائل والآليات الحديثة لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي والذي يتمثل في المخططات باعتبارها منهجية لتدبير الأهداف التنموية انطلاقا من تخصيص وتوجيه الإمكانيات والموارد المتاحة ومن استغلال الفرص الممكنة ومواجهة الاكراهات المحتملة، وذلك في أفق زمن منظور يمكن تصوره والتأثير فيه؛ فكسب رهان التنمية المحلية المستدامة لا يتم إلا من خلال كسب رهان التخطيط وفق مبادئ التوازن والتكامل.

1.1 التخطيط الجماعي: السياق العام

في سياق محاولة الدولة التصدي للوضعية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية الصعبة الموروثة عن الفترة الاستعمارية والتي تميزت "باختلال كبير على مستوى توزيع التجهيزات والبنيات التحتية، وبهشاشة البنية الحضرية التي كانت تعاني من عدة مشاكل على مستوى التهيئة والتدبير الحضريين". (حزوي محمد وحاج علي ألفة،2012 ، ص 48)وقد حاولت الدولة معالجة هذه الاختلالات الحضرية سواء من خلال سن قوانين تنظم تدبير المدن، أو من خلال التخلي عن بعض اختصاصات المركز لفائدة الفاعل المحلي، أو إشراكه في تدبير الشأن الحضري.

في هذا الإطار، مكن المشرع المغربي الجماعات الترابية إمكانية التدخل في تدبير التراب المحلي بأبعاده المتعددة، عبر آليات ووسائل مختلفة من أجل تحقيق التنمية المحلية المنشودة، والتي هي بمثابة مفتاح للتنمية الشاملة، وتتمثل في المخططات الجماعية، وذلك بالنظر إلى محورية الدور الذي تلعبه الجماعات الترابية، باعتبار أنها تشكل وحدة تنظيمية قاعدية لها القدرة على ضبط المجال والتعامل معه عن قرب وكذا قربها من المواطن.

لقد بات التخطيط الجماعي اليوم عنصرا أساسيا يكرس دور الجماعة الترابية ضمن المنظومة المؤسساتية لبلادنا، واستناد إلى قراءة تاريخية في الإطار القانوني المؤطر للمخططات الجماعية، نستنتج أنها عرفت تطورا هاما خلال كل مراحلها الأساسية:

المرحلة الأولى: من سنة 1960 إلى سنة 1976، تميزت هذه المرحلة بالتسيير الإداري للجماعات الحضرية والقروية، حيث جاء الميثاق الجماعي الأول لسنة 1960 متضمنا لاختصاصات اقتصادية واجتماعية قليلة جدا لأن المشرع لم يمنح للجماعات المحلية الحق في إحداث وتدبير المرافق العامة.

المرحلة الثانية: امتدت هذه المرحلة من سنة 1976 إلى سنة 2002 تميزت بالتسيير الشبه اقتصادي حيث منح المشرع في إطار الميثاق الجماعي الثاني الصادر 30 شتنبر 1976 عدة اختصاصات للجماعات الحضرية والقروية، أهمها: وضع مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة، وتحديد برنامج تجهيز الجماعة في حدود وسائلها الخاصة، وتقرير المساهمة في شركات الاقتصاد المختلط المحلية.

المرحلة الثالثة: انطلقت منذ دخول الميثاق الجماعي 78.00 الصادر في 3 اكتوبر 2002 حيز التنفيذ حيث تميزت باستراتيجية اقتصادية جديدة تهدف إلى تعزيز المسؤوليات الاقتصادية الجماعية وتوسيع الاختصاصات الاقتصادية والاجتماعية بين الدولة والجماعات الحضرية والقروية، وتخليق المرفق العام المحلي، وتبسيط الوصاية وجعلها أكثر فعالية، وإشراك الجماعات في العمليات التنموية وتعزيز الاستقلال المالي بغية تمويل التنمية المحلية.

مرحلة القانون التنظيمي 14/113: شكل دخول القانون التنظيمي رقم 14/113 المتعلق بالجماعات (الظهير الشريف رقم 1.15.85 صادر في 7 يوليو 2015، بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 14/113 المتعلق بالجماعات)حيز التنفيذ، انطلاق مرحلة جديدة في مجال التخطيط الاستراتيجي المحلي، بعد التجربة السابقة التي خاضتها الجماعات المحلية في ضل الميثاق الجماعي 2009. وهكذا، انتقلت الجماعات الترابية على مستوى التخطيط الترابي المحلي، من المخطط الجماعي إلى آلية برنامج عمل الجماعة، بتوجهات كبرى ترتكز أساسا على إدماج السياسات العمومية واستراتيجيات الدولة في مجال خدمات القرب، والإلتقائية والانسجام مع برنامج التنمية الجهوية وبرنامج تنمية الإقليم.

و إذا كان برنامج عمل الجماعة يتقاطع مع ما كان عليه الحال خلال فترة المخطط الجماعي للتنمية على مستوى منهجية الإعداد القائمة على التشخيص وتقييم الإمكانيات وتحديد الأولويات التنموية، علاوة على اعتماد المقاربة الأفقية، المتمثلة في البعد التشاركي، ومقاربة النوع والبعد البيئي للتخطيط، فإنه وخلافا لمقتضيات الميثاق الجماعي للتنمية، فإن القانون التنظيمي وضع قواعد مهمة تهدف إلى إلزام الجماعة بتنفيذ برنامج عملها كما تم إعداده والمصادقة عليه، وأيضا ضرورة توفر الجماعة على نظام للتتبع والتقييم يسمح بقياس النتائج المحققة.

2.1. آليات التخطيط الجماعي

تستعين الجماعة الترابية في تدبيرها للمجال الحضري بمجموعة من آليات التدبير، أبرزها آلية التخطيط الحضري والبرامج التنموية. فبموجب القانون التنظيمي 113/14 المتعلق بالجماعات، فقد أصبحت هذه الأخيرة تتمتع باختصاصات وصلاحيات هامة على مستوى التخطيط والبرمجة باعتباره "مقاربة تشاركية تسعى لدفع الفاعلين

المحليين إلى تحديد أهدافهم التنموية التي يتطلب تنفيذها تعبئة الموارد المحلية أولا، ثم موارد الشركاء من جهة ثانية". (المديرية العامة للجماعات المحلية، 2010).

وفي هذا السياق، فقد قام المشرع المغربي من خلال مقتضيات قانون التعمير رقم 90-12 بالتمييز بين وثائق التعمير ذات الطابع التوجيهي من جهة، والتي تحدد التوجهات العامة لرسم معالم التجمعات العمرانية، وتتشكل أساسا من مخطط توجيه التهيئة العمرانية (SDAU)، الذي يعتبر "وثيقة ذات طابع توجيهي، تطبق على رقعة أرضية تستوجب تنميتها أن تكون محل دراسة إجمالية نظرا لحجم الترابط القائم بين مكوناتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية." (خلوق جمال،2009 ، ص 106) وذلك خلال مدة لا يمكن أن تتجاوز 25 سنة. وبين وثائق التعمير التنظيمية والعملياتية من جهة أخرى، والتي تتشكل من تصميم التهيئة الحضرية (PA) وهو عبارة عن وثيقة تعميرية وتنظيمية تستهدف تخطيط المجال الحضري بشكل خاص والتحكم في التوسع العمراني للجماعات الترابية، ولا تتجاوز مدة صلاحيتها 10سنوات. وتصميم التنطيق (PZ) وهي وثيقة تعميرية تنظيمية يتم اللجوء إليها "أثناء المرحلة الانتقالية الواقعة بين تاريخ المصادقة على الوثيقة التقديرية للتخطيط التوجيهي وتاريخ الانتهاء من إعداد الوثيقة التنظيمية "تصميم التهيئة". (خلوق جمال،2009 ، ص 106) وتعتبر هذه الوثائق من بين الآليات التي تعتمد عليها الإدارة لتنظيم المجال العمراني، وذلك لما لها من أدوار ووظائف مهمة في التدبير الحضري.

وفي المقابل، تبقى أبرز أداة طورت آلية التخطيط الاستراتيجي للجماعات الترابية، هي آلية "برنامج عمل الجماعة (PAC)"، والذي جاء به القانون التنظيمي الجديد رقم 113/14 المتعلق بالجماعات، حيث عرفه المرسوم 02.16.301 كونه "وثيقة مرجعية للجماعة لبرمجة المشاريع والأنشطة ذات الأولوية المقرر أو المزمع إنجازها بتراب الجماعة بهدف تقديم خدمات القرب للمواطنات والمواطنين." (المرسوم 02.16.301 الصادر في 23 رمضان 1437 (29 يونيو 2016)

2. برنامج عمل الجماعة، الأسس والمرتكزات

يشكل برنامج عمل الجماعات مقاربة جديدة للتخطيط الاستراتيجي المجالي، من شأن استثماره على الوجه الأمثل المساهمة في تحقق رهان التنمية الحضرية المستدامة. ولتحقيق هذه الغاية، وضمان الفعل التنموي الإجرائي لبرنامج عمل الجماعة الترابية، باستحضار مبدأي الموازنة والتكامل، فقد أطرت المرجعيات القانونية لبرنامج عمل الجماعة الأسس والمرتكزات الأساسية التي يجب اعتمادها خلال هندسته وإعداده، ويمكن إجمالها على المستويات التالية: (المديرية العامة للجماعات المحلية، 2019)

أ. على المستوى التنظيمي:

- اعتماد آلية البرمجة متعددة السنوات، وآليات الحوار والتشاور.

ب. على مستوى مبادئ التخطيط:

- إدماج السياسات العمومية واستراتيجيات الدولة في مجالات خدمات القرب؛
- الاتقائية والانسجام مع الأهداف ذات الأولوية لبرنامج تنمية الجهة وبرنامج تنمية الإقليم/العمالة؛
- الأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات المتوفرة والتي يمكن تعبئتها من قبل الجماعة؛
- التعاطي مع الالتزامات في إطار التشاور بين الجماعة وباقي الجماعات الترابية، الهيئات، المؤسسات والمقاولات العمومية وكذا القطاعات الاقتصادية والاجتماعية بالجماعة.

ت. على المستوى المنهجي: يتم تحضير وإعداد برنامج عمل الجماعة بناء وفق منهجية:

- التشخيص، تقييم الإمكانيات، وتحديد الأولويات؛
- المقاربات الأفقية: البعد التشاركي، مقاربة النوع والبعد البيئي للتخطيط...

ث. على مستوى البرمجة: يخضع برنامج عمل الجماعة للبرمجة المالية متعددة السنوات، مما يسمح بصياغة رؤية تنموية تترجم في شكل أنشطة فعلية يتم إنجازها بشكل ناجع خلال فترة ست سنوات.

ج. على مستوى التنفيذ، التتبع والتقييم: وضع القانون التنظيمي قواعد تهدف إلى:

- إلزام الجماعة بتنفيذ برنامج عملها كما تم إعداده والمصادقة عليه؛
- ضرورة توفر الجماعة على نظام للتتبع والتقييم يسمح بقياس النتائج المحققة في إطار تنفيذ برنامج عملها من حيث الأهداف المحددة، النتائج والآثار على المستفيدين.

هذه المقاربة الجديدة التي بني عليها برنامج عمل الجماعة الترابية، تشكل مجالات خصبة للبحث العلمي، من حيث تقييم مدى حضور واعتماد الأسس والمرتكزات الأساسية لهذه المقاربة، وهو الأمر الذي نهدف إليه من خلال هذه الدراسة، من خلال تقييم مدى اعتماد وإدماج البعد البيئي في برنامج عمل الجماعة الترابية القنيطرة، باعتباره أحد الأبعاد الأساسية في التخطيط المستدام للمدينة، والذي يجب استحضاره وإدماجه ومنحه أهمية بالغة من التخطيط والتفكير والتمويل والابتكار وفق مبادئ التوازن والتكامل مع باقي أبعاد العملية التنموية المستدامة.

II. تقييم إدماج البعد البيئي ببرنامج عمل جماعة القنيطرة

1. إدماج البعد البيئي ومؤشرات التقييم

يهدف إدماج البعد البيئي في مسلسل التخطيط الجماعي إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية:

أ. تحديد وفهم الرهانات البيئية الحاسمة وترتيبها حسب أهميتها لمستقبل المجال الترابي، والوقوف على ترابطها مع المكونات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأخرى؛

ب. إدماج الرهانات البيئية ذات الأولوية للمجال الترابي في بناء رؤية التنمية وفي برمجة الأنشطة حسب مقاربة تشاركية وبطريقة مستعرضة؛

ت. تتبع التقدم المحرز في مجال إدماج الرهانات البيئي في التخطيط الجماعي، مع الاستناد إلى مؤشرات التنمية المستدامة في بعدها المجالي. (دليل إدماج البعد البيئي في التخطيط الاستراتيجي المحلي)

إذا كانت عملية إدماج البعد البيئي تهدف إلى تحقيق الأهداف الأساسية المذكورة، فإن عملية التقييم تبقى أساسية هي الأخرى، وهي لا تهم فقط الوقوف على مدى تحقيق الأهداف المسطرة، بل أيضا التحقق من كون كل الشروط المالية والتقنية متاحة أثناء الدراسة والتشخيص والتنفيذ كذلك، ذلك أن عملية التقييم هي عبارة عن مسلسل مستمر في جميع مراحل التدبير .ومن هذا المنطلق، فإن عملية التقييم تنصب أساسا على ثلاث مؤشرات:

أ. مؤشر الوسائل: يهم قيمة ما تم توفيره من موارد مالية وإمكانيات تقنية لدراسة وتنفيذ مشروع أو برنامج معين.

ب. مؤشر الإنتاجية: يتم من خلاله تحديد المنجزات سواء من حيث العدد أو النوع.

ت. مؤشر التأثير: يتعلق بتقييم وقع وانعكاسات البرامج التنموية المنجزة ونتائجها على حياة المواطنين.

وعلى هذا الأساس، فإن الارتكاز على مؤشرات التقييم المنهجية تتيح، من جهة، مساءلة علمية لأسس السياسة التنموية المحلية المسطرة، و المساعدة في التقويم وإعادة التوجيه، ومن جهة أخرى تتيح قياس درجة تحقق غايات التنمية المستدامة الكبرى المتمثلة في الجاذبية، المحافظة على البيئة وتحسينها، القدرة على التكيف والصمود، والاستخدام المسؤول للموارد الطبيعية، والتماسك الاجتماعي والرفاه، باعتبارها تشكل مداخل استراتيجية لتوجيه التدبير الترابي للمدن نحو الاستدامة والصمود أمام تحديات المستقبل المناخية والاجتماعية والاقتصادية. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2017، ص 153)

وفي ضوء ما سبق، نخلص إلى أن تقييم أداء الجماعات، عموما، من شأنه الدفع بمسلسل التحديث على مستوى التدبير وكذا على مستوى التخطيط، وجعله أكثر نجاعة وفعالية من حيث مساهمته في التوظيف الأمثل للإمكانيات المالية والتقنية والبشرية وتخطي تبديدها دون نتائج واضحة. والتحديد الدقيق للحاجيات ومجالات النقص وبالتالي تيسير مهمة اتخاذ قرارات وتدابير أكثر فعالية.

واستنادا إلى ما سبق، فإننا نتساءل عن مدى نجاح جماعة القنيطرة في إدماج البعد البيئي ببرنامج عمل الجماعة 2022/2017، ومدى تمثلها لمختلف المقتضيات والمناهج المعتمدة بمختلف مستويات الإعداد؟ وسنحاول الإجابة على هذا التساؤل من خلال الوقوف على ما جاء بوثيقة برنامج عمل الجماعة على مستوى التشخيص البيئي، وأيضا على مستوى مختلف الإجراءات والتدخلات البيئية المسطرة بالبرنامج.

2. برنامج عمل جماعة القنيطرة

1.2. مدينة القنيطرة: خصائص الموقع والموضع

تتميز مدينة القنيطرة بموقع جيوإستراتيجي هام جدا على الصعيد الوطني بحكم موقعها المركزي على محور طنجة والبيضاء على مشارف العاصمة الإدارية والسياسية. فهي تقع بين خطي طول 6.58 درجة غرب خط غرينتش، وخطي عرض 34.26 درجة شمال خط الاستواء.

تمتد على سهل الغرب، على مساحة 105 كلم² وتحيط بها غابة المعمورة من الشرق والجنوب وواد سبو من الغرب ومرجة الفوارات والطريق السيار من الشمال. وعلى بعد 12 كلم من المحيط الأطلسي وتفصلها عن مدينة الرباط 40 كلم ومدينة البيضاء ب 130 كلم، وعن مدينة طنجة ب 247 كلم، فهي بذلك تعتبر ملتقى للطرق والسكك الحديدية الرابطة بين وسط وشمال وجنوب المملكة.

بعد دمج جهتي الغرب الشراردة بني أحسن وجهة الرباط سلا زعير في جهة واحدة هي جهة الرباط سلا القنيطرة حسب التقطيع الترابي الجديد للجهات سنة 2015، لازالت مدينة القنيطرة تحتفظ بدورها الريادي على المستوى الإقليمي والجهوي. تضم مدينة القنيطرة حسب معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، حوالي 423.890 نسمة موزعة على الشكل التالي:

جدول رقم 1: عدد سكان مدينة القنيطرة

مجموع عدد السكان	423 890	
الذكور	206 848	بنسبة 49%
الإناث	217 042	بنسبة51 %

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط 2014

2.2. برنامج عمل جماعة القنيطرة: الهندسة العامة

أعدت جماعة القنيطرة برنامج العمل الجماعي عن الفترة 2022/2017 وفق ما تنص عليه القوانين التنظيمية المتعلقة بالجماعات الترابية، وذلك وفق مسارات وضحتها ديباجة وثيقة برنامج عمل الجماعة فيما يلي:

- اندماج جهة الغرب الشراردة بني أحسن في الجهة الجديدة الرباط سلا القنيطرة، حيث أصبحت مدينة القنيطرة مكونا من مكونات الجهة الجديدة بعدما كانت عاصمة جهوية بالتقسيم السابق.

- جاء برنامج عمل الجماعة الجديد كامتداد للمخطط الجماعي للتنمية عن فترة 2016/2011، وبناء على خلاصات التقييم لهذه المرحلة.
- الأخذ بعين الاعتبار المخطط الاستراتيجي للتنمية المستدامة المندمجة 2020/2015 على المستوى الإقليمي.

وقد جاءت هيكلة "برنامج عمل الجماعة" على خمسة أقسام:

- **القسم الأول:** خصص لوضع الإطار القانوني والمنهجي المتعلق بإعداد برنامج العمل الجماعي، إضافة إلى حصيلة تقييم المخطط الجماعي للتنمية السابق عن الفترة 20016/2011.
- **القسم الثاني:** تضمن نتائج التشخيص الترابي التشاركي لجماعة القنيطرة.
- **القسم الثالث:** وخصص لوضع الرؤية الاستراتيجية للتنمية المحلية بالجماعة من حيث الأهداف والمحاور العامة، إضافة إلى البرنامج العام لمجمل المشاريع التنموية على مستوى المشاريع الذاتية للجماعة ومشاريع البرمجة الثلاثية، وكذا مشاريع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.
- **القسم الرابع:** خصص لوضع التوقعات المالية ومصادر تعبئة هذه الموارد المالية.
- **القسم الخامس:** خصص لوضع خطة التتبع والتقييم والتواصل. (جماعة القنيطرة، 2017)

3. التشخيص البيئي ببرنامج عمل الجماعة

إذا كان "يتعين على كل مدينة تقديم حلول بشأن تدهور البيئة الحضرية، والتقليص من الكلفة الإيكولوجية، وتحسين إطار ونوعية عيش الساكنة. وينبغي أن يندرج هذا الانشغال في إطار سياسة حضرية مندمجة." (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2017، ص، 103) فإنه وتحقيقا لهذه الغاية، يجب الأخذ بعملية التشخيص البيئي لأنها تشكل المدخل الأساس لهذا الهدف، فأي خلل يصيب عملية التشخيص سواء على المستوى المنهجي والمعرفي، أو الإحصائي والزمني، قد يؤدي إلى نتائج وخيمة على مستوى فهم الاختلالات والحاجيات والأولويات الضرورية لاستدامة المدينة.

وفي نفس الإطار، ولضمان جودة التشخيص البيئي المطلوب، لابد من الانفتاح على التقنيات التكنولوجية الحديثة، والمؤشرات الواضحة، وكذا الأطر البشرية المتخصصة ذات الكفاءات العالية، وهذا ما يغيب كثيرا عن بعض مخططاتنا وبرامجنا التنموية، نظرا للكثير من الإكراهات المالية، والتقنية، الزمنية، وحتى الرغبة الغائبة أحيانا عن تحقيق الجودة في هاته البرامج. من هذا المنطلق، فقد مكنتنا دراسة وثيقة "برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017"، استنتاج مكانة التشخيص البيئي للمدينة بالبرنامج، على المستويين المنهجي والدراسة التشخيصية التشاركية ونتائجها.

على مستوى المنهجية المعتمدة، فبرنامج عمل الجماعة عن الفترة 2022/2017 اعتمد على منهجية ذات بعدين: بعد استراتيجي تشخيصي تشاركي من خلال آليات الحوار والتشارك المنصوص عليها قانونا وبعد علمي اعتمد منهجية "صوات " "SWOT" التي ترتكز على النقط الأساسية التالية: نقط القوة، نقط الضعف، الإكراهات، الفرص المتاحة." (برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017) كما تم تخصيص ورشة موضوعاتية خاصة بالبيئة.

أما على مستوى الدراسة التشخيصية، فقد تبين أن برنامج عمل الجماعة لم يضع التشخيص البيئي وفق المنهجية المشار إليها، واكتفى فقط بالإشارة إلى بعض مظاهر الحالة البيئية بالمدينة بمحور التشخيص التشاركي على سبيل المعلومات العامة التعريفية، حيث جاء ما يلي: «تتميز المدينة بمناخ متوسطي الذي يضمن لها كمية من التساقطات بحكم موقعها. وتزخر بأهم الأحواض على صعيد المملكة هو حوض سبو وتتوفر كذلك على مياه جوفية مهمة تشكل خزانا مائيا للمدينة والمدن المجاورة. وتتميز أيضا بحزام غابوي مهم وهو غابة المعمورة التي تشكل الرئة التي يتنفس بها السكان وفي المقابل يلاحظ أن هناك عدة مخاطر طبيعية كالفيضانات ومشكل انزلاق التربة والتلوث. يضاف إلى ذلك المخاطر الصناعية والتكنولوجية المحتملة التي لا يجب التقليل من تأثيرها على البيئة بالرغم من طابعها الاستثنائي. وبالنسبة لتدبير النفايات، علاوة على حجمها الذي يتزايد باستمرار، فإن النتائج السلبية على البيئة سواء بتسرب مادة "الليكسيفيا" إلى الأرض أو تلويث النهر والفرشة المائية أو تدهور الغطاء النباتي ... يمكن أن تعطي نتائج عكسية. وفي هذا السياق يوجد مخطط مديري لتدبير النفايات للإقليم القنيطرة تم إطلاقه بهدف خلق مطرح عصري للنفايات." (برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017)

وبالرجوع إلى تقرير الورشة الموضوعاتية المخصصة للموضوع البيئي، نجد ان الورشة خلصت إلى وضع تشخيص للحالة البيئية بالمدينة وفق منهجية SWOT، وجاء كما هو مبين بالجدول التالي:

جدول رقم 2: التشخيص البيئي لمدينة القنيطرة وفق منهجية SWOT

نقط القوة
توفر المدينة على مؤهلات بيئية (الغابة، النهر، البحر، البرك المائية)
نقط الضعف
▪ **استغلال إحدى المناطق الخضراء بالمغرب المعري B3 من طرف الباعة المتجولين مما تسبب في إتلافها.** ▪ **افتقار الزنقة 196 بحي الوحدة إلى حاويات لجمع النفايات.** ▪ **انبعاث روائح كريهة من المطرح العمومي.** ▪ **انبعاث دخان أسود خاصة بالليل بحي الوفاء 5 التابعة للمقاطعة التاسعة وذلك من جراء عمل إنتاج الفحم الخشبي.**

- الرعي الجائر بحي الوفاء 5.
- تلوث الفرشة المائية بمنطقة عين السبع المخاليف بسبب البناء فوق الفرشة المائية.

توصيات أو اقتراحات
▪ تأهيل العنصر البشري من حيث التكوين والتحسيس بمشاركة الجمعيات الفاعلة. ▪ التكوين الإجباري للجمعيات مع العمل على إلزامها بتوعية السكان بشكل دائم ومستمر. ▪ توعية السكان بالاعتماد على الإمكانيات الذاتية في الحصول على بعض المواد صديقة البيئة من قبيل تعليم النساء كيفية صنع الصابون الطبيعي الخالي من المواد الكيماوية. ▪ استغلال المياه الناتجة عن معالجة المياه العادمة في السقي بدل تحويلها إلى البحر. ▪ نظافة المقابر بالمدينة، ومقترح حول إعادة فتح مقبرة البوشتيين وتأهيلها. ▪ العمل على معرفة مصدر الغبار الأسود الذي أصبح يزعج الساكنة بالمدينة. ▪ منطقة القنيطرة غير قابلة لزراعة النخيل. ▪ حملة نظافة مع القيام بأغراس بحي الإرشاد. ▪ حث شركة النظافة على تنظيف منطقة المغرب العربي B3 مع خلق مساحة خضراء. ▪ القيام بحملات تحسيسية وتوعوية في صفوف أطفال المدارس بأهمية التربية البيئية. ▪ تحسيس الساكنة بصفة عامة من أجل بيئة نظيفة. مع حملات تحسيسية وتوعوية على مدار السنة. ▪ حملة نظافة بالزنقة 176 بحي الوحدة. ▪ إيجاد حل جدري لمشكل المطرح العمومي. ▪ التأثيث الحضري: مراحيض وكراسي عمومية. ▪ تخصيص شعار خاص بالمدينة. ▪ فتح أبواب بالسوق المتواجد بالوفاء 5 من أجل تجاوز مشكل الاكتظاظ وتراكم الأزبال. ▪ تفعيل صفحة الفايسبوك من أجل التواصل نع الجمعيات وساكنة المدينة.

المرجع: تقرير الورشة الموضوعاتية الخاصة بقطاع البيئة ليوم الجمعة 26 فبراير 2016

وكنتيجة لذلك، فرغم أن التشخيص البيئي ببرنامج عمل الجماعة لامس بعض الموضوعات البيئية الهامة جدا كمشكل جودة الهواء، ومشكل المطرح العمومي وانتشار الروائح الكريهة وتسرب العصارة، ومشكل تدهور المساحات الخضراء وغيرها، فإن افتقاره إلى تشخيص علمي ممنهج مدعوما بأرقام ومؤشرات يجعل منه تشخيصا بيئيا تقليديا يعتمد على تقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات، وهذا معطى لا ينسجم منهجيا مع متطلبات إعداد برنامج للتنمية الترابية القائم بالأساس على قاعدة التشخيص الجيد لكل المجالات.

فانعدام تشخيص جيد للقضايا البيئي الكبرى، من قبيل انبعاث الغازات الدفيئة، وحماية واستعادة وتحسين التنوع البيولوجي، والخدمات ذات الصلة بالنظم الإيكولوجية، وتنوع الموارد والحد من المخاطر الصحية، وأيضا التكيف مع المناخ، والاستهلاك الطاقي والمائي، فضلا عن مؤشرات تلوث الهواء والماء. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2017 ص، 148) يجعل من هذا التشخيص لا يرقى إلى مستوى إنتاج برنامج تدخلات بيئية تساهم في استدامة المدينة.

1.3. المشاريع البيئية المبرمجة ببرنامج عمل الجماعة

تبعا لعملية التشخيص الترابي للجماعة موضع دراستنا، وضعت مختلف الإجراءات والمشاريع الرامية لتحيق التنمية المحلية المنشودة، من خلال خمسة محاور عامة، حيث جاء الشق البيئي ضمن المحور العام الثالث والمتعلق بالتعمير والتنمية المجالية والمحافظة على البيئة، كما هو مبين بالجدول التالي:

جدول رقم 3: مشاريع برنامج العمل الجماعي بجماعة القنيطرة

المحور العام	الهدف الخاص	عدد المشاريع
1. مواصلة تعزيز التجهيزات الأساسية والبنيات التحتية	1. التأهيل الحضري للمدينة	24
2. تحقيق الإقلاع الاقتصادي والاجتماعي والرياضي والثقافي	1. التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتشجيع الاستثمار وتوفير فرص الشغل	29
	2. تأهيل المرافق والمؤسسات الصحية	2
	3. تأهيل البنيات الرياضية	15
	4. تحقيق نهضة ثقافية	9
3. التعمير والتنمية المجالية والمحافظة على البيئة	1. توفير السكن اللائق وتحسين الواجهات المبنية	3
	2. تحسين المجال البيئي	9
4. الحكامة المحلية	1. تحسين تدبير الشأن المحلي	12

المرجع: برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017

يتبين أن الإجراءات التي تهم المجال البيئي تم إدماجها مع مجال التعمير والتنمية المجالية، وهذا أمر قد يوجد له تفسير بحكم العلاقة الوطيدة بين التنمية المجالية والتعمير والجانب البيئي. غير أن التخطيط الاستراتيجي المستدام يرتكز بالأساس على إعطاء الجانب البيئي مكانة محورية بالبرامج. وفي نفس الإطار، جاء

برنامج عمل الجماعة بتسعة مشاريع مسطرة ضمن تحقيق الهدف الخاص المتعلق بتحسين المجال البيئي. والجدول التالي يبين المشاريع المبرمجة ببرنامج عمل الجماعة من أجل تحقيق هدف تحسين المجال البيئي بالمدينة.

جدول رقم 4: المشاريع المبرمجة ضمن هدف تحسين المجال البيئي

هدف خاص	المشاريع المبرمجة
تحسين المجال البيئي	1. إحداث مركز لدفن وتثمين النفايات 2. إطلاق عملية التشجير 3. إنجاز المنتزه الترفيهي، قبالة المنتزه الغابوي الساكنية 4. تهيئة المنتزه الغابوي الحضري الساكنية 5. المحافظة وتثمين الفضاءات الغابوية، التأهيل الترفيهي للغابات المحيطة بالمدينة، وغرس أشجار التصفيف. 6. تهيئة منتزه بجنبات مرجة الفوارات. 7. التطهير الصلب وتهيئة وصيانة المساحات الخضراء. 8. إحداث مرافق صحية عمومية

المرجع: برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017

ومن خلال الجدول رقم 4 والشكل رقم 1، يتضح لنا عدد المشاريع المبرمجة لتحقيق هدف تحسين المجال البيئي بالمقارنة مع باقي المجالات الأخرى المسطرة ببرنامج عمل الجماعة.

الشكل رقم 1: عدد المشاريع المبرمجة ضمن مختلف مجالات برنامج عمل جماعة القنيطرة

المصدر: تركيب الباحث اعتمادا على برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017

فالمشاريع ذات البعد البيئي بلغ عددها 9، في حين تمت برمجة 29 مشروعا لدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتشجيع الاستثمار وتوفير فرص الشغل، و24 مشروعا من أجل التأهيل الحضري للمدينة، وأيضا 15 مشروع لتأهيل البنيات الرياضية، إضافة إلى 12 مشروع برمجت من أجل تحسين تدبير الشأن المحلي. ثم هدف تحقيق نهضة ثقافية ب 9 مشاريع، ليأتي في الأخير هدف توفير السكن اللائق وتحسين الواجهات المبنية ب 3 مشاريع، ثم توفير السكن اللائق وتحسين الواجهات المبنية بمشروعين إثنين. والشكل رقم 2 يوضح نسبة المشاريع ذات البعد البيئي بالمقارنة مع المشاريع المبرمجة بباقي المجالات الأخرى.

الشكل رقم 2: نسبة المشاريع البيئية ضمن برنامج عمل الجماعة

المصدر: تركيب الباحث اعتمادا على برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017

من خلال الشكل رقم 2، تتضح مكانة المشاريع ذات العلاقة بالمجال البيئي المبرمجة، حيث تمثل حولي 8,74% من مجمل الإجراءات المسطرة، بالمقابل بلغت مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية نسبة 28.15%، ومشاريع التأهيل الحضري نسبة 23.30%.

هذا التشخيص العددي لمختلف المشاريع المبرمجة ببرنامج عمل الجماعة، يبرز بشكل جلي ضعف وقلة المشاريع المبرمجة لتحقيق أهداف الاستدامة البيئية بالمدينة، حيث تم توجيه الاهتمام صوب مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتأهيل الحضري. فيما تجدر الإشارة في هذا السياق، أن هناك إجراءات لها أبعاد بيئية بطريقة مباشرة وغير مباشرة ولكنها مبرمجة بمجالات أخرى غير محور تحسين المجال البيئي، ومثال ذلك إجراء حماية المدينة من الفيضانات وكذا إجراء الدراسات المتعلقة بمخطط التنقلات

الحضرية، هذه الإجراءات سيكون لها الأثر الكبير في تغير نسبة تمثيل محور تحسين المجال البيئي ببرنامج العمل.

2.3. الغلاف المالي للمشاريع البيئية المبرمجة

فعلى مستوى دراسة الغلاف المالي المرصود للمجال البيئي ببرنامج عمل جماعة القنيطرة مقارنة مع باقي المجالات الأخرى، فيتضح من خلال الجدول رقم 4 أن هدف تحسين المجال البيئي خصص له غلاف مالي يقدر ب 388 مليون درهم، في حين بلغ الغلاف المالي المرصود لهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتوفير فرص الشغل حوالي 409 مليون درهم، أما هدف التأهيل الحضري فقط حاز حصة الأسد بغلاف مالي قدر ب 740 مليون درهم.

جدول رقم 5: الغلاف المالي التقديري للأهداف الخاصة ببرنامج عمل الجماعة

المحور العام	الهدف الخاص	التكلفة المالية التقديرية
1. مواصلة تعزيز التجهيزات الأساسية والبنيات التحتية	1. التأهيل الحضري للمدينة	740 م.د
2. تحقيق الإقلاع الاقتصادي والاجتماعي والرياضي والثقافي	1. التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتشجيع الاستثمار وتوفير فرص الشغل	409 م.د
	2. تأهيل المرافق والمؤسسات الصحية	1 م.د
	3. تأهيل البنيات الرياضية	291 م.د
	4. تحقيق نهضة ثقافية	211 م.د
3. التعمير والتنمية المجالية والمحافظة على البيئة	1. توفير السكن اللائق وتحسين الواجهات المبنية	60 م.د
	2. تحسين المجال البيئي	388 م.د
4. الحكامة المحلية	1. تحسين تدبير الشأن المحلي	86 م.د

المرجع: برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017

أما على مستوى التكلفة المالية المخصصة للمشاريع المبرمجة ضمن هدف تحسين المجال البيئي ببرنامج عمل الجماعة، فيمكننا استنتاج أن هناك تفاوتات مهمة على مستوى التكلفة المالية التقديرية بين المشاريع الكبرى والأخرى المتوسطة والصغيرة، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم 5: المشاريع ذات البعد البيئي والتكلفة المالية ببرنامج العمل الجماعي

المشروع	التكلفة المالية التقديرية بالمليون درهم
1. إحداث مركز لدفن وتثمين النفايات	120
2. إطلاق عملية التشجير	5
3. إنجاز المتنزه الترفيهي بالساكنية	10
4. تهيئة المتنزه الغابوي الحضري الساكنية	11.5
5. المحافظة وتثمين الفضاءات الغابوية، التأهيل الترفيهي للغابات المحيطة بالمدينة وغرس أشجار التصفيف	5
6. تهيئة منتزه بجنبات مرجة الفوارات	40
7. التطهير الصلب	180
8. تهيئة وصيانة الساحات الخضراء	15
9. إحداث مرافق صحية عمومية	1
المجموع العام	387.5

المرجع: برنامج عمل جماعة القنيطرة 2022/2017

فمن خلال الجدول رقم 5 يتضح لنا أن هناك مشاريع كبرى ذات بعد بيئي تم تخصيص لها غلاف مالي مهمة، إحداث مركز لدفن وتثمين النفايات بغلاف مالي وصل إلى 120 مليون درهم، وهو مشروع بيئي كبير ومهم لمعالج مشكل النفايات الصلبة ونتائجها الوخيمة على المجال البيئي عموما، في حين تم إدراج قطاع

التطهير الصلب ضمن المشاريع المبرمجة بغلاف مالي يصل إلى 180 مليون درهم وهو يدخ ضمن الاختصاصات التدبيرية للجماعة عن طريق التدبير المفوض.

من خلال ما سبق نخلص إلى أن المشاريع ذات البعد البيئي ببرنامج عمل جماعة القنيطرة تبقى قليلة من حيث العدد وضعيفة من حيث الغلاف المالي المرصود لها مقارنة مع باقي المجالات، فبالرغم من برمجة مشاريع بيئية مهمة كمركز طمر النفايات، إلى أن ذلك لا يمنعنا من طرح إشكالية افتقار البرنامج لتفيل مبدأي الموازنة والتكامل بين المجلات المختلفة.

وفي نفس السياق، فغياب التشخيص البيئي المرتكز على المؤشرات والإحصائيات والدراسات البيئية الحضرية اللازمة وفق المناهج الحديثة، يجعل من برنامج عمل الجماعة بيع عن طموح تحقيق مخططات استراتيجية تتلاءم مع متطلبات مبدأ استدامة المدينة.

خاتمة:

إن مقاربتنا لأهمية التخطيط الجماعي وإشكالية إدماج البعد البيئي في هندسة برنامج عمل الجماعات الترابية بالمدن المغربية، باعتباره أحد اهم أليات التخطيط الاستراتيجي لدى الجماعات الترابية، وذلك من خلال دراسة حالة جماعة القنيطرة وبرنامج عمل الجماعة لفترة 2022/2017، مكننا من استخلاص مجموعة من الخلاصات، نجملها فيما يلي:

- برنامج عمل الجماعة الذي جاء به القانون التنظيمي 14/113 هو أحد أهم أدوات التخطيط الجماعي الذي من شأنه المساهمة في تحقيق التنمية الترابية المستدامة؛
- عملية إعداد برنامج عمل الجماعة أصبحت أكثر سهولة بالنسبة للفاعل المحلي، بفعل مواكبة الوزارة الوصية لعملية الإعداد من خلال إصدار دليل منهجي واضح يسمح بإنتاج برنامج عمل وفق متطلبات الاستدامة؛
- افتقار برنامج عمل جماعة القنيطرة للتشخيص البيئي السليم، وهو ما من شأنه إبطاء تحقق هدف استدامة المدينة؛
- باستثناء مشروع إحداث مركز لدفن وتثمين النفايات، فإن طبيعة المشاريع المسطرة من أجل تحسين المجال البيئي تبقى جد عادية ويندرج معظمها في إطار الاختصاصات الذاتية للجماعة؛

- بالنظر إلى الحالة البيئية للمدينة، فإن برنامج عمل الجماعة جاء مفتقرا إلى مخططات بيئية وبرامج مدروسة التي من شأنها المساهمة في مواجهة التحديات البيئية الكبرى للمدينة من قبيل مشكل جودة الهواء، الاستهلاك الطاقي، حماية النظم الإيكولوجية؛
- عدد المشاريع ذات البعد البيئي المبرمجة والغلاف المالي المخصص لها يبقى ضعيفا، مقارنة مع عدد المشاريع وغلافها المالي المسطرة بباقي المجالات.

وفي ضوء ما سبق، أضحى من الملح اتخاذ العديد من الإجراءات، والأخذ بعين الاعتبار لمجموعة من الملاحظات خلال مسلسل إعداد برنامج عمل الجماعات الترابية، بغية إدماج البعد البيئي خلال كل مراحل الإعداد، ومنها:

- ضرورة اعتماد التشخيص البيئي المرتكز على المؤشرات الإحصائية والمقارنة؛
- القضايا البيئية الكبرى، يجب أن تحظى بدراسات علمية محلية، مثل قضايا تلوث الهواء، والأثار السلبية للنفايات، وإشكالية انبعاث الغازات الدفيئة في أفق إنتاج مخططات للتنقل المستدام...
- تطوير أنماط ووسائل التخطيط لربح الرهانات البيئية، من قبيل المخطط المحلي لتتبع المناخ الحضري، المخطط الحضري للنجاعة الطاقية...
- ضرورة تفعيل مبدأ التوازن بين مختلف القطاعات الحضرية من حيث عدد المشاريع والغلاف المالي المخصص لها، لغاية تحقيق الإدماج الفعلي للبعد البيئي ببرنامج عمل الجماعات.
- يجب إرساء التزام محلي على مستوى كل مدينة، بما يكفل ترجمة التوجهات الوطنية نحو تحقيق التنمية المستدامة إلى خيارات وتدابير ملموسة على الصعيد المحلي.

وبناء على كل ما سبق، يتضح أنه على المدن المغربية والفاعلين المحليين بذل مزيد من الجهد المشترك في سبيل إنتاج مخططات جماعية تساهم في تحيق التنمية المستدامة المنشودة، وإعطاء الدعم اللازم برنامج عمل الجماعة باعتباره الآلية المحلية الأكثر نجاعة لكسب رهان بناء صورة إيجابية للمدينة، ذلك أن الأمر "يتعلق بتوفير بيئة اقتصادية إيجابية، وصحة عموميّة، ونجاعة طاقيّة، وعلاقات اجتماعيّة، وإمكانات ثقافية. لذلك ينبغي على كلّ مدينة على حدة أن تنخرط في تحقيق تنظيم حضري متوازن، وتثمن وَسَطها الطبيعي، والحفاظ على الاستدامات الإيكولوجيّة" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2017)

المراجع المعتمدة:

- جماعة القنيطرة، "برنامج عمل الجماعة" 2022/2017

- حزوي محمد وحاج علي ألفة،2012 : "سياسة المدينة بالمغرب، دوافع التنزيل وانتظارات التفعيل". منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الثالثة والعشرون.
- خلوق جمال،2009 "التدبير الترابي بالمغرب: واقع الحال ومطلب التنمية "، الطبعة الأولى، مكتبة الرشاد، الرباط.
- دليل إدماج البعد البيئي في التخطيط الاستراتيجي المحلي، لفائدة الجماعات الترابية، وزارة الداخلية، الوزارة المنتدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والماء والبيئة، المكلفة بالبيئة.
- الظهير الشريف رقم 1.15.85 صادر في 7 يوليو 2015، بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 14/113 المتعلق بالجماعات.
- كامل بربر، 1996، "الإدارة، عملية ونظام" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، إحالة ذاتية رقم 2017/32، إنجاح الانتقال نحو المدن المستدامة.
- المديرية العامة للجماعات المحلية، 2010، دليل المخطط الجماعي للتنمية، منشورات مركز الاتصال والبيئة.
- المديرية العامة للجماعات المحلية، 2019: "برنامج عمل الجماعة، دليل منهجي، مسلسل الإعداد، التتبع والتقييم" مطبعة المعارف الجديدة.
- المرسوم 02.16.301 الصادر في 23 رمضان 1437 (29 يونيو 2016) المتعلق بتحديد مسطرة إعداد برنامج عمل الجماعة وتتبعه وتحيينه وتقييمه وأليات الحوار والتشاور لإعداده.
- نورالدين طاهير، 2019: "التسويق الترابي كآلية للتدبير والتنمية الحضرية - مدينة بني ملال نموذجا" . أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

توظيف الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات
دراسة استطلاعية / جامعة إبن سينا / الخرطوم

Using smart phones to obtain information : Exploratory study/Ibn Sina University- Khartoum

د.احلام زبير محمد زبير[147].جامعة النيلين- السودان –ahlamzu_125@yahoo.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة اغراض استخدام الهواتف الذكية من قبل طلاب جامعة ابن سينا وامكانية توظيفها في العملية التعليمية، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي ، الاستبانة لجمع المعلومات.

من المخرجات: أن أولويات استخدام الهواتف هو التواصل مع الزملاء بالجامعة، والتأكيد على موثوقية المعلومات عبر الهواتف الذكية.

الكلمات المفتاحية :الهواتف الذكية: مصادر المعلومات: طلاب جامعة ابن سينا:

Abstract

The study aimed to know the purposes of using smart phones by Ibn Sina University students and the possibility of employing them in the educational process.The researcher used the analytical descriptive method, and the questionnaire to collect information.

Outputs: The preference of using smart phones is to communicate with colleagues at the university, and Ensure the reliability of the information through smart phones.

Key words: Smartphone- information resources-Ibn Sina student

توطئة

يشهد استخدام الهواتف الذكية انتشاراً واسعاً بين فئات المجتمعات السودانية، فضلاً عن اذدهار التطبيقات التي تميز هذه الهواتف عن غيرها من الأجهزة ، فقد مكنت المستفيد من الحصول على المعلومات في الزمان والمكان المطلوبين من قبل المستفيد من خلال ارتباطها بشبكات الانترنت والتي تتميز بالتفاعلية التي تسهل

[147]- رئيس قسم خدمات المستفيدين بمكتبات جامعة النيلين

تبادل المعلومات، كما أنها تتميز بالتطور الدائم والمستمر لهذه التطبيقات.وتأتي هذه الدراسة للتعرف على مدى استخدام طلاب جامعة ابن سينا للهواتف الذكية في الحصول على المعلومات.

مشكلة الدراسة

إن مسألة استخدام الهواتف الذكية ليست قضية امتلاك او استخدام فحسب، إنما يتعدى الأمر ذلك ، فالنظر إليها من حيث مبدأ الغرض من الاستخدام، ومجالات استخدامها، ومدى الموثوقية في المعلومات المتحصل عليها. وقد لاحظت الباحثة الاستخدام المكثف من قبل الطلاب في جامعة ابن سينا للهواتف في الحصول على المعلومات . وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

إلى أي مدى تم توظيف الهواتف الذكية من قبل طلاب جامعة ابن سينا في الحصول على المعلومات؟

أسئلة الدراسة

1- ما دوافع واحتياجات استخدام تطبيقات الهواتف الذكية؟
2- ما مدى توظيف الهواتف الذكية للوصول لخدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة ؟
3- ما مدى الموثوقية في المعلومات المتحصل عليها عبر الهواتف الذكية؟
4- ما التطبيقات المستخدمة في حفظ مصادر المعلومات المتحصل عليها؟
5- ما هي الصعوبات التي تواجه الطلاب عند استخدام الهواتف الذكية؟

أهداف الدراسة

- تهدف الدراسة للتعرف على مدى استخدام الهواتف الذكية من قبل طلال جامعة ابن سينا في الحصول على المعلومات.
- التعرف على دوافع استخدام الطلاب للهواتف الذكية.
- التعرف على الخدمات التي تقدمها المكتبات عبر الهواتف الذكية.
- التعرف على صعوبات استخدام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات.

أهمية الدراسة

تاتي أهمية الدراسة من أهمية الهواتف الذكية ودورها في خدمة المستفيدين في الحصول على مصادر المعلومات بأيسر وسيلة وفي متناول أيدي الباحثين.وأن العديد من مؤسسات المعلومات قد استفادت من خدمات الهاتف المحمول في اتاحة مستودعاتها الرقمية وأوعية المعلومات المقتناه.ومما يعزز من أهمية الدراسة أنها تتناول موضوعاً حيوياً يتمثل في التغير الواضح في اتجاهات المستفيدين نحو استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية.بالإضافة إلى أن هذه الدراسة تساهم في القاء الضوء على أهمية ما نحمله في أيدينا من هواتف في مجال التعليم .وتعد من الدراسات النادرة حسب علم الباحثة في هذا الموضوع.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية :اتخذت الدراسة من موضوع الهواتف الذكية حدوداً موضوعية لها.

الحدود الزمانية : اقتصرت الدراسة على رصد واقع استخدام الطلاب للهواتف الذكية في الحصول على مصادر المعلومات (الفصل الدراسي(2019/2018م).

الحدود الجغرافية: السودان / ولاية الخرطوم

الحدود المكانية: جامعة ابن سينا بالخرطوم ممثلة في طلاب وطالبات كلية طب الاسنان وجراحة الفم.

مجتمع الدراسة وعينتها

يتكون مجتمع الدراسة من طلاب كلية طب الأسنان وجراحة الفم/ الفرقة الرابعة /**جامعة ابن سينا.**

تم استخدام العينة في هذه الدراسة نسبة لاتساع مجتمع البحث ولعدم حصر كل مفرداته. فقد قامت الباحثة بأخذ عينة عشوائية طبقية .ويمكن توضيح ذلك بالجدول رقم (1) ادناه:

المتغيرات	الفئة العمرية	التكرارات	النسبة
العمر	21 - 23	38	%39.6
	24 – 26	38	% 39.6
	27 – 29	14	% 14.5
	أكثر من ذلك	6	% 6.3
	المجموع	96	% 100
الجنس	ذكر	40	% 42
	أنثى	56	% 58
	المجموع	96	%100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أكثر من (75 %) من عينة الدراسة تقع أعمارهم ما بين الفئة العمرية (18 - 25) أما الفئة العمرية الثالثة(26 -29) فقد بلغ عددهم (14) فرداً، بنسبة (14.5%). . وهنالك عدد (6) من المبحوثين تجاوزت أعمارهم (29) عاماً حيث بلغت نسبهم (6.3%). كما يتضح أن غالبية العينة المستجيبة كانت من الإناث وقد بلغ عددهن (56) طالبة وتمثل نسبة (58 %). أما عدد الطلاب الذين أجابو على الاستبانة فقد بلغ عددهم (40) طالباً بنسبة (42%).

منهج الدراسة وأدواتها

على ضوء ما تقدم تتبع الدراسة المنهج الوثائقي (التأريخي) من خلال استقراء الانتاج الفكري المنشور عن الموضوع، إضافة إلى المنهج المسحي للتعرف على طلاب جامعة ابن سينا واستخدامهم للهواتف الذكية. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد اعتمدت الباحثة على الاستبانة في جمع البيانات، حيث تم تصميمها لتغطي محاور الدراسة وتجيب على أسئلتها.

المراجعة العلمية

1- **دراسة سوزان محمد بدر زهر**.(2016م) . مهارات الطلاب في استخدام الهواتف الذكية للوصول إلى مصادر المعلومات: دراسة مقارنة بين كليتي الطب والآداب بجامعة بيروت العربية.

هدفت الدراسة إلى استطلاع مدى جاهزية طلاب السنة الجامعية الأولى في الكليات المعنية ، وقدرتهم على استخدام الهواتف الذكية في الوصول إلى مصادر المعلومات. استخدمت الدراسة المنهج الموصفي المسحي والمنهج المقارن. ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة أن نسبة كبيرة من الطلاب يستخدمون الهواتف الذكية والحواسيب اللوحية الخاصة بشركة (Samsung) أكثر من غيرها. كما أظهرت الدراسة تميز طلاب كلية الطب بتنوع خياراتهم التقنية على طلاب كلية الآداب.

وقدمت الدراسة توصيات تأمل أن تعزز سهولة الحصول على المعلومات عبر الهاتف.

2- **يحي بكلي**(2015م)دراسة بعنوان: تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات والمعلومات في البيئة العربية. مجلة إعلم، ع 15، (يوليو 2015م).الغرض من الدراسة التعرف على حالة فريدة تعتبر تجربة رائدة وهي مكتبة دبي العامة بالأمارات.وخرجت الدراسة بنتائج أبرزها تحمس وانجذاب الطلاب للمكتبة باعتبارها

قائمة على تقينة تعتبر أداة توصيل جيدة وحيوية.كما أكدت الدراسة على ضرورة التسويق والتعريف بهذه المكتبة.

3- **دراسة أماني محمد السيد**(2011م). استخدام الهواتف المحمولة في تعزيز الوصول للمحتوى الرقمي العربي: دراسة لمتطلبات النشر اللاسلكي ومقوماته. ورقة مقدمة لمؤتمر المحتوى العربي في الانترنت (التحديات والطموحات)- جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية: الرياض (3 -5 /2011/10م)

الهدف من الدراسة التعرف على مدى توافر مقومات استخدام الهواتف المحمولة في بث المحتوى لدى مؤسسات المحتوى الرقمي العربي.وتحديد المشكلات التي قد تنجم عن ذلك والتغلب عليها.وظفت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي. وقد استنتجت الدراسة أن الطلب على المحتوى الرقمي عبر الهاتف يعتبر ضعيفاً، مع ضعف بنية الانترنت ببعض الدول العربية- بالإضافة إلى صعوبة إدارة حقوق الملكية الفكرية للمحتوى الرقمي عبر الهاتف. وقدمت الدراسة توصيات تأمل في تذليل تلك الصعوبات.

ثانياً الدراسات الأجنبية

1- **Rajul Sharma, Margam Madhusudhan**. Use of Mobile Devices by Library and Information Science Students in Central Universities of Uttar Pradesh. DESIDOC Journal of Library & Information Technology. Vol. 37, No. 4, July (2017)

هدفت هذه الورقة إلى القاء نظرة ثاقبة على الاستخدام الفعلي للأجهزة المحمولة من خلال استخدام طلاب علوم المكتبات والمعلومات في الحياة اليومية، وتصوراتهم فيما يتعلق بفائدة وفعالية الهواتف المحمولة للأغراض الأكاديمية في الجامعات المركزية في ولاية أوتار براديش(الهند). كشفت نتائج الدراسة أن معظم المجيبين يستخدمون الأجهزة المحمولة يومياً لأكثر من 3 ساعات. وأن الهاتف الذكي هو الجهاز المحمول الأكثر استخداماً. وأن تطبيقات (Gmail) و(Whatsapp) وتطبيق وقارئ(adobe) و (PDF viewer) هي تطبيقات الجوال الأكثر استخداماً.

2- **Nor Shahriza Abdul Karim, Siti Hawa Darus, Ramlah Hussin**. Mobile phone applications inacademic library services:a students' feedback survey. Campus-Wide Information Systems.Vol. 23 No. 1, (2006).

سعت هذه الدراسة إلى استكشاف استخدام خدمات الهاتف المحمول في البيئة التعليمية ، واستكشاف طبيعة استخدام الهاتف المحمول بين طلاب الجامعة ، و مدى فهم طلاب الجامعة بشأن استخدامات الهواتف المحمولة في خدمات المكتبات والمعلومات.استخدمت الدراسة المنهج الوثائقي ،ولجمع البيانات وظفت المنهج المسحي لعدد (206) عينة من الطلاب بجامعة ماليزيا العامة.خلصت الدراسة إلى أن الخدمات التفاعلية هي الأكثر انتشاراً. وأن البحث في نظام (OPAC) لم يتم تقديمه بعد. ربما يرجع هذا القصور في تقديم التطبيق إلى العديد من القيود المفروضة على التطبيقات والأجهزة المتصلة بالشبكة اللاسلكية ، وتعقيد خدمات المكتبة وعملياتها.

3- **Amera H. Abdulrazzaq, Mayyadah Al-Ani**. The Awareness And Use Of Smartphone Applications To The Avaiable Services Of The University Of BAHRAIN LIBRARY: A Proposed Applivation. Journal of WEI Busines and Economics. Vo. 7 Number 1-. (April 2018)

هدفت هذه الدراسة التحليلية والكمية إلى استكشاف الاحتمالات في الاستفادة من تطبيقات وخدمات الهاتف الذكي في بيئة تعليمية،وتحديداً جامعة البحرين. وإدراك طلاب الجامعة وإدراكهم لخدمات المكتبة المتوفرة من خلال هواتفهم الذكية ، والفوائد الفعلية المستمدة.

أشارت النتائج الرئيسية إلى أن تصورات المجيبين حول اعتماد تطبيقات الهواتف الذكية لخدمات المكتبات والمعلومات ستكون إيجابية للغاية. أشار غالبية المشاركين إلى استعدادهم ليصبحوا مستخدمي هذه الخدمات إذا تم تطبيقها على خدمات المكتبات.

من خلال هذه الدراسات التي تم تناولها ، فإنها لا تخرج عن الإطار العام لهذه الدراسة، وتتشابه معها من حيث المنهج والأدوات. إلا أنها تختلف عنها من حيث البيئة التي طبقت فيها . و النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

الهواتف الذكية

تعتبر الهواتف الذكية من أكثر التقنيات انتشاراً، حيث يملك مُعظم الناس حول العالم إمكانية الوصول لها. وتواجه الهواتف الذكية معظم التحديات الأمنية التي تربطها بأجهزة الحاسوب عادة، إضافة إلى عدد من التهديدات الأخرى المرتبطة بقابليتها للتنقل، انتشارها الواسع، بُنية الشبكات غير الآمنة، خدمات تتبّع المواقع، التقاط الصور والفيديو وتسجيل الصوت، وغيرها من التهديدات المشابهة. وبالمقابل فإن فوائدها تتعدى الترفيه، فهي تساهم في التواصل الاجتماعي من خلال شبكات التواصل الاجتماعية، واختصار الوقت لأصحاب الأعمال ، كما إن ارتباطها بشبكة الانترنت يساعد في الاطلاع على الرسائل الواردة عبر البريد الالكتروني دون الرجوع لجهاز الحاسوب. وغيرها من الفوائد والتي من ضمنها قراءة وتحميل الكتب الالكترونية واستفادة الباحثين في المجال الأكاديمي.

وفي تقرير صادر عن صحيفة ايلاف الالكترونية العدد (6714) بتاريخ 9 اكتوبر 2019م ، أشار إلى أن أكثر من 200 مليون شخص حصلوا على أول جهاز موبايل لديهم في عام 2017 ، وأن ثُلثَي عدد سكان الأرض، الذي يبلغ 7 مليارات و 600 مليون ، لديهم موبايل، وأن أكثر من نصف أجهزة الهاتف المُستخدمة اليوم هي أجهزة " ذكية " ، لذلك يسهل على المستخدمين الاستمتاع بتجربة مزايا الشبكة العديدة أينما كانوا. وفيما يتعلق بالتفاصيل الدقيقة التي يتضمنها هذا التقرير ، أدناه أبرز الأرقام المتعلقة بالعالم الرقمي لشهر كانون الثاني من عام 2018 م . [148]

- بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في عام 2018 حوالي (4.021) مليار ، بزيادة تبلغ (7٪) سنوياً .
- عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في عام 2018 أصبح (3.196) مليار، أي بزيادة (13٪) سنوياً .
- بلغ عدد مستخدمي الهواتف المحمولة في عام 2018 حوالي (5.135) مليار ، بزيادة (4٪) سنوياً.
- لم يزدد عدد مستخدمي الانترنيت فقط ، بل ازداد الوقت الذي يقضيه المستخدم على الشبكة في الاشهر الـ (12) الأخيرة.

تعريف الهاتف الذكي

الهاتف الذكي (Smartphone) هو مُصطلح يُطلق على فِئة من الهواتف المحمولة الحديثة التي تستخدم نظام تشغيل متطور، ومُعظمها يستخدم شاشة اللمس واجهةً للمستخدم ويقوم بتشغيل تطبيقات المحمول.

وإن لم يتم الاتفاق بين الشركات المصنعة للجوالات على تعريف موحد للهاتف الذكي، فمنهم من يعتبر الهاتف الذكي هو الهاتف الذي يوفر مزايا تصفح الانترنت ومزامنة البريد الالكتروني وفتح ملفات الأوفيس ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة QWERTY، إلا أن التعريف الأصح والأكثر قبولاً اليوم هو أنه الجوال الذي يعمل على أحد أنظمة التشغيل التالية :ويندوز فون، وسيمبيان، أو مشتقاته،ولينوكس أو مشتقاته، وبلاك بيري .

148- https://elaph.com/Web/Opinion/2018/3/1196481.html ع 6714 بتاريخ 9 اكتوبر 2019م

ولا تختلف الهواتف الذكيّة عن الحواسيب المحمولة والحواسيب الشخصيّة أو أي جهازٍ آخر في شَيء، فكل الأجهِزة الذكيّة تتكون من جُزئَين مكملين لبعضهما وهما عتاد الحاسوب وهو الجزء الفيزيائي المُمكن لمسُه والبرمجية وهو الجُزء البرمجي المُشغَل للجهاز (نظام التشغيل) الذي يقود عتاد الحاسوب، والمستخدم بدوره يقوده .

ومثل ويندوز ولينكس لا يمكن لجهاز أن يعمل دون نظام تشغيل أو سيجد المستخدم نفسه مُقيَّداً داخل سجن من الأكواد المُزعجة، وقد بدأت أنظمة التشغيل في التطور على يد شركة نوكيا حيث أخرجت نظام سيمبيان وكان أول نظام تشغيل متطور بشكل كافي لتلبية الاحتياجات البسيطة وبعض المعقد منها. وفي نفس الحِقبة الزمنيّة كان نظام Bada OS الخاص بسامسونج يشق طريقه، وقد أُعتبرت الجوالات العاملة على أحد هذه الأنظمة جوالات ذكية لأنها في الغالب تتوفر فيها جميع الشروط السابقة (باستثناء عدم وجود لوحة المفاتيح الكاملة في أغلب الأجهزة. [149]

مميزات الهواتف الذكية

وتتسم الهواتف الذكية بعدة مميزات تجعلها مرغوبة للاستخدام من قبل الأفراد، ونذكر منها[150] :-

- ✓ القدرة على تقديم خدمات لا تعد و لا تحصى.
- ✓ تتصف بالذكاء لأن ذاكرته قادرة على التخزين.
- ✓ قدرته على الاتصال بشبكة الانترنت.
- ✓ وسيلة لمشاهدة القنوات المسموعة والمرئية،وقراءة الصحف، وتحديد المواقع وإمكانية التصوير والتسجيل الصوتي.
- ✓ يساعد في الحصول على المعلومات في أقصر وقت ممكن.
- ✓ إمكانية التواصل الصوتي والمرئي بين الأشخاص من خلال التطبيقات المجانية بالمتجر.

الهواتف الذكية وعالم المكتبات

بدأت معظم المكتبات الأكاديمية في استكشاف جدوى تقنيات الإنترنت. تحتاج المكتبات إلى دعم أنواع مختلفة من التفاعلات عبر الإنترنت مثل تفاعل مستخدم إلى مكتبة ومن مكتبة إلى مستخدم ومن مستخدم إلى مستخدم. كما يمكن التعامل مع استفسارات المستخدمين على الفور عبر الهاتف والبريد الإلكتروني. أيضاً استخدام خدمة الرسائل القصيرة ، التي تدعمها جميع الهواتف المحمولة تقريباً ، للتواصل مع المستخدمين الذين يقومون بإعادة المعلومات مثل الوافدين الجدد والأحداث القادمة وما إلى ذلك. يمكن للمكتبة إرسال معلومات واحدة لجميع مستخدميها أو المستخدمين المحددين عبر البث حيث يمكن إرسال رسالة واحدة في وقت واحد إلى عدة مستخدمين.([151])

مجالات استخدامات الهواتف الذكية في المكتبات

- **تطبيقات تحديد المكان** (Location awareness App) مثل تطبيق Wolf Walk، الذي يدعم استخدام خرائط Google وما يعرف بـ Geotag بحيث يتم تعريف التطبيق على موقع المكتبة.وعندما يستخدمه المستفيد للبحث عن مكتبة معينة يتم تزويده مباشرة بموقع المكتبة المرغوب فيها.

149- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D8%AA%D9%81_%D8%B0%D9%83%D9%8A تاريخ الدخول 2019/9/30 الساعة 10:17 صباحا .

150- شركة أرمكو السعودية.كوكب الهاتف الذكي. مجلة القافلة.مج 64، ع 2، (مارس/أبريل 2015م) .- ص 88

151 - R. Santha Kumar. Mobile Phones: A New Dimension in Library Services. International Journal of Library Science; Volume 07; Issue No. 1; Year 2013; p.41

- **الحوسبة السحابية وتطبيقات الهواتف الذكية** : إذ يمكن للمستخدم تخزين معلومات باستخدام أحد تطبيقات الحوسبة السحابية (Cloud Computing) مثل (Google Drive – Drop box بالإضافة إلى ملفات الموسيقى (Sound Cloud).
- **رمز الاستجابة السريعة(QR Code)**: بحيث يمكن تحويل محدد موقع المكتبة الالكتروني إلى رمز استجابة سريع (QR Code). وبمجرد مسحه ضوئياً من خلال هاتف متصل بالانترنت ،يتم الانتقال إلى موقع المكتبة الالكتروني.[152]
- **استجواب فهارس المكتبات وقواعد البيانات** : وهي من أبرز الخدمات على الاطلاق ومن أمثلتها (WorldCat Mobile) والذي تتيحه مؤسسة (OCLC). ومن خلال هذا التطبيق يمكن الاستفادة من خدمة تصفح فهارس المكتبات ، وتحديد أقرب مكتبة من موقع المتصفح، وإجراء مكالمات هاتفية للمكتبة المطلوبة، بالإضافة إلى تلقي المستخلصات والكشافات المطلوبة[153].
- **إتاحة المصادر الالكترونية عبر الجوال:** لقد أصبحت مصادر المعلومات الالكترونية جزءاً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه، نظراً للتسهيلات التي توفرها الحواسيب الالكترونية، وبالمقابل فقد تطورت تلك المصادر فأصبحت متاحة على شبكة الانترنت وفقاً لبرمجيات صُممت لخدمات المكتبات ومراكز المعلومات في شكل حزمة، يمكن تحميلها على أجهزة الحواسيب والهواتف الذكية[154].
- **حجز الكتب للإعارة وتجديد الإعارة** : حيث تفيد المستفيد بإرسال إشعارات عن الكتب المراد إرجاعها ومواعيد الرجوع، وكذلك تواريخ التجديد والكتب المحجوزة وأي بيانات أخرى ذات صلة بإعارة الكتب[155].
- **الخدمات المرجعية عبر الرسائل القصيرة(SMS):** يعد هذا النوع من الخدمات من أحدث الأساليب للخدمة المرجعية الرقمية، وهو يعطي للمستفيد فرصة توجيه السؤال والحصول على إجابة عبر الرسائل القصيرة(SMS) من خلال الهاتف.

وهذه الخدمة تتيح إمكانية التراسل بين المستفيد والمكتبي عن طريق الرسائل القصيرة من أجل الحصول على معلومات دقيقة ومختصرة، سواءً تلك المعلومات المتعلقة بالمكتبة (وقت الافتتاح ، وقت الإغلاق ، ...)، أو تلك المتعلقة بحاجات المستفيد اليومية.[156]

وقد تطورت في السنوات الأخيرة تكنولوجيا الهواتف وظهرت عدة برمجيات إتصال مثل (WhatsApp.) و (Telegram) و(Skype) . وقد استفادت بعض المكتبات من هذه البرمجيات في تقديم الخدمة المرجعية الرقمية[157].

152- سوزان محمد بدر زهر.مهارات الطلاب في استخدام الهواتف الذكية للوصول الى مصادر المعلومات: دراسة مقارنة بين كليتي الطب والآداب بجامعة بيروت العربية . Cybrarians Journal . ع 43،(سبتمبر 2016م) . ص 6.

153- يحي بكلي.تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات والمعلومات في البيئة العربية.مجلة إعلم ع 15، (2015م). ص 83-84

154- أشواق قايد القايد.اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في اتاحة مصادر المعلومات الالكترونية.- مجلة مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 2، ع 2، (اكتوبر 2014م) . ص 306

155- مدونة الفهرس العربي الموحد.انترنت الأشياء والمكتبات . http://blogaruc.blogspot.com/2018/04/blog-post.html تارخ النفاذ 2019/10/27م. الساعة 10:42 صباحاً

156- يحي بكلي . مصدر سبق ذكره . ص 88

157- سلمان جودي داود.الخدمة المرجعية الرقمية بالمكتبات الجامعية في العراق: دراسة استطلاعية. – المجلة الأردنية للمكتبات والمعلومات. مج 50، ع 3، (أيلول 2015م) . ص 33

الدراسة التطبيقية

جامعة ابن سينا هي جامعة سودانية خاصة تم إنشائها في عام 1999م باسم كلية الخرطوم للعلوم الطبية وكانت تعرف باسم كلية نصر الدين . في العام 2016م تم ترفيع الكلية إلى جامعة فأصبحت جامعة ابن سينا بقرار من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

أهداف الجامعة

- تطوير التعليم الجامعي الخاص في السودان
- المشاركة في تحقيق الخطط القومية للتعليم العالي بالسودان وذلك في مجال الطب وطب الأسنان والصيدلة السريرية والعلوم الطبية الأخرى .
- العمل على تثبيت وتأكيد ريادة السودان في مجال التعليم العالي .
- الحفاظ على المستوى الأكاديمي والمهني للخريج .
- استقطاب الخبرات السودانية من الأساتذة في مجال العلوم الطبية الذين يعملون بالخارج للعودة لوطنهم .
- إيجاد الفرص في التعليم العالي لأبناء السودانيين العاملين بالخارج والطلاب من الدول المجاورة الشقيقة والصديقة

طبقت هذه الدراسة على طلاب وطالبات كلية طب وجراحة الأسنان بجامعة ابن سينا. وبلغ إجمالي العينة (105) فرداً وقد استجاب للرد على الاستبانة (96) فرداً أي بنسبة (91.4%).

وقد توزعت محاور الاستبانة إلى ست محاور رئيسة.

المحور الأول: استخدام الهواتف الذكية

اشتمل هذا المحور على عدة استفهامات للتعرف على امكانية امتلاك أفراد العينة هواتف ذكية، ومعدل الاستخدام اليومي ، وأغراض هذا الاستخدام . ويمكن توضيح ذلك من خلال الجداول التالية:

جدول رقم (2) يوضح الذين يستخدمون هواتف ذكية

استخدام الهاتف الذكي	التكرارات	النسبة %
نعم	89	92.7
لا	7	7.3
المجموع	96	100

من خلال الجدول السابق اتضح أن غالبية العينة تمتلك هواتف ذكية وقد بلغت نسبتهم (92.7 %) ، بينما نجد أن هنالك عدد(7) من أفراد العينة لا يمتلكون هواتف ذكية ونسبتهم (7.3 %) . وقد تكون تلك النتيجة معقولة خاصة إذا نظرنا إلى كون الكلية هي كلية طبية ومن مؤسسات التعليم الأهلي ، وربما تدلل هذه النتيجة على أن الوضع المادي لهذه العينة بحالة تسمح بامتلاك أجهزة هواتف ذكية.

2- معدل استخدام الهاتف

جدول رقم (3) يوضح معدلات استخدام الهاتف من قبل الطلاب

معدل استخدام الهاتف الذكي	التكرارات	النسبة %
يومياً	66	68.7
مرة في الأسبوع	9	9.3
مرتين في الأسبوع	2	2
عند الضرورة	17	18
لا شيء من ذلك	2	2
المجموع	96	100

الجدول السابق رقم (3) يكشف لنا أن أعلى معدل استخدام للهواتف بين أفراد العينة كان يومياً وذلك بنسبة (68.7 %) ، فيما جاء الاستخدام عند الضرورة في المرتبة الثانية بنسبة (18 %). أما الذين يستخدمون الهاتف مرة في الأسبوع فقد بلغت نسبتهم (9.3 %). فيما تساوت نسبة الذين يستخدمونه مرتين مع الذين لا يستخدمونه أبدً ويمكن تبرير هذه النتيجة على أساس أن هنالك من لا يملكون هواتف ذكية حسب الجدول السابق رقم (2).

3- عدد ساعات الاستخدام اليومي للهواتف

جدول رقم(4) يوضح عدد ساعات الاستخدام اليومي لشبكات الهاتف المحمول

عدد ساعات استخدام الهاتف الذكي	التكرارات	النسبة %
ساعة واحدة	15	15.6
ساعتان	12	12.5
ثلاث ساعات	10	10.4
أكثر من ذلك	57	59.4
لا شيء من ذلك	2	2.1
المجموع	96	%100

الجدول السابق يوضح معدل استخدام الساعات اليومية . وقد أشارت نصف العينة إلى أن الاستخدام اليومي بمعدل أكثر من ثلاث ساعات قد بلغت نسبتهم (59.4 %) ، بينما تقاربت نسبة الذين يستخدمونه لمدة ثلاث ساعات وأقل من ذلك . إلا أن هنالك من أشار إلى لا شيء من ذلك وتبرر الباحثة ذلك بأن هذه الفئة هي التي أشارت إلى عدم استخدام هاتفاً ذكياً.وعن الاستفسار عن أغراض هذا الاستخدام الجدول أدناه يكشف ذلك.

4- أغراض استخدام الهاتف

جدول رقم (5) يوضح أغراض استخدام الهواتف الذكية

الغرض من استخدام الهاتف	التكرارات	النسبة
التواصل مع زملاء الدراسة	68	70.8
للأغراض التعليمية	47	48.9
الاتصال بشبكات فهارس المكتبات الأخرى	31	22.9
الاستفادة من قواعد بيانات المكتبات الالكترونية	21	21.8
أسباب أخرى	3	3.1

من استقراء الجدول أعلاه نلاحظ تعدد أغراض استخدام الهواتف المحمولة لدى أفراد العينة، حيث كان التواصل مع زملاء الدراسة من أول أغراض الاستخدام حيث بلغت نسبتهم (70.8 %) وهذا لا ينفي أن الاستخدام قد يتعلق

بالنواحي الأكاديمية. وجاء الاستخدام للأغراض التعليمية في المرتبة الثانية بنسبة (48.9 %) ، والاستخدام بغرض الاتصال بشبكات فهارس المكتبات فقد كان بنسبة (22.9 %).أما الذين يستخدمونه بغرض الاستفادة من قواعد بيانات المكتبات الإلكترونية فقد كان بنسبة (21.8 %) . وهنالك فئة تستخدمه لأغراض الترفيه وبلغت نسبتهم (3.1 %). وهذه الإجابات دلالة على وعي الطلاب واستخدام الهاتف الاستخدام الأمثل.

المحور الثاني : توظيف الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات

1- استخدام فهارس المكتبات من خلال الهاتف

جدول رقم (6) يوضح الذين يستفيدون من فهارس المكتبات عبر الهواتف الذكية

هل تقوم بالدخول على فهارس المكتبات والاستفادة من المصادر الالكترونية عبر الهاتف	التكرارات	النسبة
نعم	52	54.2
لا	44	45.8
المجموع	96	% 100

قراءة الجدول السابق توضح تقارب آراء الفئتين في استخدام أو عدم استخدام فهارس المكتبات، إلا أن الغالبية أشارت إلى اسخدام فهارس المكتبات والاستفادة منها. بينما أشارت عينة بنسبة (45.8 %) إلى عدم الدخول على فهارس المكتبات الأخرى ،وربما يعزى ذلك لعدم الترويج لخدمات المكتبة لمستفيديها. في الجدول أدناه نجد تبريراً لعدم استخدام فهارس المكتبات عبر الهاتف.

2- الاسباب وراء عدم توظيف الهواتف في الحصول على المعلومات

جدول رقم (7) يوضح أسباب عدم توظيف الهواتف في الحصول على المعلومات

أسباب عدم استخدام الهاتف في الحصول على المعلومات عبر الهاتف	التكرارات	النسبة %
عدم العلم بإمكانية الدخول على فهارس المكتبات من خلال الهاتف	14	31.8
عدم توافق إمكانية الجهاز الخاص بي مع هذه الخدمات	9	20.4
غير مهتم بذلك	33	75
سبب آخر	0	0

أكثر من نصف العينة وبنسبة بلغت (75%) برروا عدم استخدام الهاتف في الحصول على المعلومات بعدم اهتمامهم بذلك ، فيما أشار عدد (14) فرداً من أفراد العينة بأنهم لا يعلمون بإمكانية استخدام الهاتف في الدخول على فهارس المكتبات المختلفة، وهذا يعني عدم انتشار ثقافة الوعي المعلوماتي بين مجتمع المستفيدين .وأجابت فئة بنسبة (20.4 %) إلى أن أجهزة الهواتف الخاصة بهم هي هواتف تقليدية ولا تتمتع بمميزات الهواتف الذكية.

المحور الثالث : خدمات المعلومات التي تقدمها مكتبة الجامعة عبر الهواتف الذكية

جدول رقم (8) يوضح الخدمات التي تقدمها الجامعة عبر الهواتف الذكية

نوع الخدمة	التكرارات	النسبة %
الخدمة المرجعية من خلال (WhatsApp)	0	0
خدمات عامة عبر الرسائل القصيرة (SMS)	40	41.6
حجز الكتب وإعارتها	0	0
البحث في فهارس المكتبة	52	54.2
الإعلان عن الدورات التدريبية المتخصصة وورش العمل	1	1
تسويق خدمات المكتبات باستخدام تقنية (QR)	0	0

يتضح من الجدول السابق رقم (8) بأن خدمة الرسائل القصيرة عبر الهاتف المحمول هي الخدمة المتاحة بالجامعة. ويتم عبرها عن الاعلان عن مواعيد انعقاد الامتحانات وكيفية تسديد الرسوم الدراسية، والدورات التدريبية القصيرة التي تعقدها كليات الجامعة، وغيرها من الخدمات المعلوماتية التي تخدم مجتمع الطلاب. أما عمليات البحث في فهارس المكتبة فقد احتل هذا الخيار أعلى مرتبة ، حيث أشارت مجموعة مقدرة من العينة بتوظيف هواتفها للاستفادة من الفهرس الآلي للمكتبة وقد بلغت نسبة الاستجابة بـ (54.2%) من أفراد العينة المدروسة .وهذا النتيجة تحتسب لصالح خدمات المكتبات بجامعة ابن سينا.

بينما لم يتم تحقيق أو ابتكار خدمات أخرى عبر التطبيقات والتقنيات المختلفة.

المحور الرابع : إسهام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات

جدول رقم (9) يوضح مدى اسهام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات

إسهام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات	التكرارات	النسبة %
يساهم الهاتف في الحصول على المعلومات	66	68.75
ساعدت الهواتف في تنمية الوعي المعلوماتي	54	56.25
أثق في المعلومات المتحصل عليها عبر الهاتف الذكي	43	44.7
يعتبر الهاتف وسيلة فعالة للحصول على المعلومات	55	57.29

من قراءة الجدول أعلاه جاءت الاجابات متقاربة عن مدى اسهام الهواتف المحمولة في الحصول على المعلومات. وهذا يكشف أهمية الهواتف المحمولة لطلاب جامعة ابن سينا. وتسخيرهم للتقنيات والاستفادة منها. وهذا يؤكد مدى وعي المستفيدين من طلاب هذه الجامعة .

المحور الخامس :التطبيقات المستخدمة في تخزين وحفظ المعلومات عبر الهاتف الذكي

جدول رقم (10) يوضح تطبيقات الهواتف المستخدمة في تحميل وحفظ الملفات

التطبيقات المستخدمة في تخزين وحفظ المعلومات عبر الهاتف	التكرارات	النسبة %
Google Drive	41	42.7
Dropbox	27	28.1
I Cloud	14	14.5
لا شيء من ذلك	29	30.2

من خلال الجدول السابق نلاحظ تباين إجابات العينة بحيث أشار عدد كبير من أفراد العينة إلى استخدامهم لتطبيق (Google Drive)، بينما الذين يستخدمون (Dropbox) بلغت نسبتهم (28.1 %) ، أما تطبيق (I Cloud) فقد بلغت نسبة استخدامه (14.5 %) .فيما أجابت فئة أخرى بأنها لا تستخدم أياً من التطبيقات السابقة حيث بلغت نسبتهم (30.2 %) . نلاحظ من هذا الجدول أن جميع تطبيقات قوقل يتم استخدامها من قبل أفراد العينة، وهذه التطبيقات هي مجموعة من التطبيقات الإنتاجية، التي تقدمها شركة قوقل مجاناً، ومن ضمنها: بريد قوقل الإلكتروني جيميل Gmail، وتقويم قوقلGoogle Calendar ، وقوقل درايفGoogle Drive ، ومستندات قوقل Google Docs، ومواقع قوقلGoogle Sites ، وصفوف قوقل التعليمية Classroom. بالإضافة إلى إمكانية الوصول إلى العشرات من الأدوات التعاونية التي تملكها قوقل، مثل، اليوتيوبYouTube ، وشرائح قوقلGoogle Slides ، ونماذج قوقلGoogle Forms ، ومجموعات قوقلGoogle Groups ، وغيرها من الخدمات الأخرى. التي تسمح للمستخدمين بتحميل، وتعديل، وإنشاء عدّة أنواع من الملفات على الإنترنت مباشرةً، وتخزينها .

المحور السادس : صعوبات استخدام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات

جدول رقم (11) يوضح صعوبات الحصول على المعلومات عبر الهاتف المحمول

صعوبات استخدام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات	التكرارات	النسبة %
عدم توافق التطبيقات مع نظام تشغيل الهاتف الخاص بي	16	16.6
صعوبة فتح بعض أشكال الملفات	28	29.1
مشكلات عرض النصوص العربية	33	34.37
لا أدري كيف استخدم الهاتف في الحصول على المعلومات	26	27
لا توجد صعوبات	37	38.5

نلاحظ من قراءة الجدول السابق آراء أفراد العينة حول الصعوبات التي تواجههم عند استخدام الهاتف للحصول على المعلومات. ونلاحظ أن (38.5 %) أكدوا على عدم وجود صوبات عند تحميل وحفظ ملفات الانترنت عبر شبكات الهاتف المحمول.بينما توزعت صعوبات الاستخدام حيث أشار أكبر عدد وبنسبة بلغت (34.4 %) أن مشكلات عرض النصوص العربية هي في مقدمة المشكلات.بينما جاء في المرتبة الثانية مشكلة أشكال الملفات وصعوبة فتحها، وقد يكون مبرر ذلك عدم تحميل برامج فتح الملفات على الهاتف، أو أن لغة الهاتف المحمول لا تدعم صيغة هذه الملفات. وأما الذين لا يستطيعون الحصول على المعلومات عبر الهاتف فقد بلغت نسبتهم (27 %) وهذا يتطلب تكثيف المزيد من الجهود للتدريب على كيفية الدخول على المواقع المختلفة والاستفادة من الهاتف في الحصول على المعلومات سوا أكانت تعليمية أكاديمية أو معلومات عامة. أما الذين أشاروا إلى عدم توافق التطبيقات مع هواتفهم المحمولة فقد بلغت نسبتهم (16.6 %) وهم من الفئة التي أشارت إلى عدم امتلاكهم لهواتف ذكية كما هو موضح في الجدول رقم (2). ونفس العينة بررت في الجدول رقم (3) إلى عدم الدخول على فهارس المكتبات بأن هواتفهم لا تحمل خاصية الهواتف الذكية .

النتائج والتوصيات

من خلال الدراسة التحليلية السابقة، ترى الباحثة أن الهواتف المحمولة تعتبر أدوات مساعدة بقدر كبير تحتم استخدامها وتسخيرها في الحصول على المعلومات سواء في الحياة العامة أو في المجال التعليمي. وقد توصلت الدراسة للعديد من النتائج التي توصلت لها للإجابة على أسئلتها.

أولاً : النتائج

1. نتج عن الدراسة أن (93 %) يمتلكون هواتف ذكية.
2. اتضح من نتائج الدراسة أن نسبة الدخول على فهارس المكتبة بلغت (54.2%) .
3. أفرزت الدراسة أن من أولويات استخدام الهواتف الذكية بين أفراد العينة، هو التواصل بين زملاء الدراسة، ويليه في المرتبة الثانية الأغراض التعليمية.
4. اتضح من مخرجات الدراسة أن بنسبة (54.2 %) يتصفحون فهارس المكتبة عبر هواتفهم المحمولة.
5. تشير النتائج إلى أن الذين لا يستخدمون فهارس المكتبة عبر الهاتف مبررهم في ذلك عدم معرفتهم بذلك، فيما أشارت فئة ثالثة إلى عدم توافق أجهزتهم بهذه الامكانيات.
6. أجابت غالبية العينة بأن الخدمات التي تقدمها الجامعة عبر الهاتف عبارة عن رسائل قصيرة تتعلق بالامتحانات والرسوم الدراسية والدورات التدريبية.

7. أكد معظم أفراد العينة على إسهام الهواتف المحمولة في الحصول على المعلومات، مع التأكيد على موثوقية المعلومات المتحصل عليها عبر الهاتف.
8. أظهرت النتائج الاحصائية وبنسب متقاربة على التأكيد باستخدام تطبيقات الحوسبة السحابية المستفسر عنها في أسئلة البحث. حيث احتل تطبيق (Google Drive) مرتبة الصدارة بين التطبيقات الأخرى، بينما جاء تطبيق (Dropbox) في المرتبة الثانية ويليه تطبيق (I Cloud) .
9. أظهرت الدراسة التفاوت في صوبات استخدام الهواتف المحمولة في الحصول على المعلومات،حيث جاءت أعلى نسبة بلغت (38.5%) أشاروا إلى عدم وجود صوبات، بينما تقاربات النسب في بقية الصعوبات. أما الذين لا تواجههم مشكلات هم أصلاً لا يمتلكون هواتف ذكية.

ثانياً : التوصيات

1. توصي الدراسة بضرورة تكثيف البرامج الإعلامية لخدمات المعلومات بالمكتبات وكيفية الوصول إليها عبر السبل المختلفة.
2. توصي الدراسة بالتخطيط لتقديم خدمات معلومات يتم الوصول اليها عبر الهاتف المحمول من خلال تطبيقات بسيطة وسهلة.
3. على إدارة الجامعة تفعيل خدمات الهاتف المحمول في عمليات البحث في الفهارس الآلية لمكتبات الجامعة من خلال تقديم محاضرات وبرامج الوعي المعلوماتي للطلاب.
4. على إدارات مؤسسات التعليم العالي اتباع سياسة تعليمية قائمة على وسائل متعددة تخدم العملية التعليمية عن بعد.
5. تشجيع الطلاب على استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات من خلال برامج وأنشطة المكتبة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

أولاً: الدوريات

1- أشواق قايد القايد.اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في اتاحة مصادر المعلومات الالكترونية.- مجلة مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 2، ع 2، (اكتوبر 2014م) . ص 306

-2 سلمان جودي داود.الخدمة المرجعية الرقمية بالمكتبات الجامعية في العراق: دراسة استطلاعية. – المجلة الأردنية للمكتبات والمعلومات. مج 50، ع 3، (أيلول 2015م) . ص 33

-3 سوزان محمد بدر زهر.مهارات الطلاب في استخدام الهواتف الذكية للوصول الى مصادر المعلومات: دراسة مقارنة بين كليتي الطب والآداب بجامعة بيروت العربية . Cybrarians Journal . ع 43،(سبتمبر 2016م) . ص 6.

-4 شركة أرمكو السعودية.كوكب الهاتف الذكي. مجلة القافلة.مج 64، ع 2، (مارس/أبريل 2015م) .- ص 88

-5 يحي بكلي.تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات والمعلومات في البيئة العربية.مجلة إعلم ع 15، (2015م). ص 83-84

ثانياً : أوراق المؤتمرات

-1 أماني محمد السيد(2011م). استخدام الهواتف المحمولة في تعزيز الوصول للمحتوى الرقمي العربي: دراسة لمتطلبات النشر اللاسلكي ومقوماته. ورقة مقدمة لمؤتمر المحتوى العربي في الانترنت (التحديات والطموحات)- جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية: الرياض (3 -5 /2011/10م)

المصادر الأجنبية

1- Amera H. Abdulrazzaq, Mayyadah Al-Ani. The Awareness And Use Of Smartphone Applications To The Avaiable Services Of The University Of BAHRAIN LIBRARY: A Proposed Applivation. Journal of WEI Busines and Economics. Vo. 7 Number 1-. (April 2018)
2- Nor Shahriza Abdul Karim, Siti Hawa Darus, Ramlah Hussin. Mobile phone applications inacademic library services: A students' feedback survey. Campus-Wide Information Systems.Vol. 23 No. 1, (2006).
3- R. Santha Kumar. Mobile Phones: A New Dimension in Library Services. International Journal of Library Science; Volume 07; Issue No. 1; Year 2013
4- Rajul Sharma, Margam Madhusudhan. Use of Mobile Devices by Library and Information Science Students in Central Universities of Uttar Pradesh. DESIDOC Journal of Library & Information Technology. Vol. 37, No. 4, July (2017)

المصادر الالكترونية

1- https://elaph.com/Web/Opinion/2018/3/1196481.html ع 6714 بتاريخ 9 اكتوبر 2019م
2- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D8%AA%D9%81_%D8%B0%D9%83%D9%8A تاريخ الدخول تارخ الدخول 2019/9/30 الساعة 10:17 صباحا .
3- مدونة الفهرس العربي الموحد.انترنت الأشياء والمكتبات . http://blogaruc.blogspot.com/2018/04/blog-post.html تارخ النفاذ 2019/10/27م. الساعة 10:42 صباحاً

المجلد الخامس/العدد
الثامن عشر- دجنبر2022.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
ISSN 2569-734X

الموارد و أفاق التنمية المحلية بجماعة عين الدفالي

Resources and prospects for local développement in the Ain Defali community.

الشاوي ايمان ، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة ابن طفيل القنيطرة ، المغرب

imanechaoui16@gmail.com

ملخص: عرفت جماعة عين الدفالي تحولات اقتصادية واجتماعية ومجالية دفعتها إلى البحث عن التنمية بشتى الوسائل، ولعل هذا التحول هو ما يفسر الاهتمام المتزايد للدولة بتنمية المجالات القروية في زمن يهيمن عليه اقتصاد السوق المرتبط أساسا بالعولمة، ويهدف هذا الاهتمام إلى تجاوز مواطن الخلل في المجال الجغرافي والتخفيف من حدة الجوانب السلبية لهذا المجال، كما أن الاهتمام بالموارد ومعرفة مكامن القوة والضعف يساعد على تغيير واقع المنطقة والبحث عن حلول مناسبة تفتح الطريق أمام التنمية بشتى أنواعها.

الكلمات المفتاحية: التنمية – المجالات القروية - اقتصاد السوق- العولمة- الموارد .

Abstract : The Ain Al-Dafali community has known economic, social and spatial transformations that prompted it to search for development by various means. Perhaps this transformation explains the increasing interest of the state in developing rural areas at a time dominated by the market economy associated mainly with globalization, and this interest aims to overcome the imbalances in the geographical field and mitigate The severity of the negative aspects of this field, and the interest in resources and knowledge of strengths and weaknesses helps to change the reality of the region and the search for appropriate solutions that open the way to development of all kinds.

Keywords: development - rural areas - market economy - globalization - resources

مقدمة

أصبحت التنمية القروية من الأولويات في خطط كل الدول والحكومات والمنظمات الدولية، وكذا المنظمات الحكومية و غير الحكومية، وذلك لما يكتسيه العالم القروي من أهمية والمكانة التي يحتلها في إطار التنمية الشاملة، حيث نجد ظهور العديد من المنظمات الدولية التي تهتم بالتنمية المحلية، ومكوناتها ناهيك عن صدور العديد من التقارير الدولية عن المغرب تشير إلى مؤشرات التنمية المحلية، تقارير البنك الدولي وكذلك تقارير برنامج الأمم المتحدة للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، عبر صياغة العديد من المقترحات تطالب الدولة بتطبيقها، مرتبطة بإشكالية التنمية البشرية بصفة عامة والتنمية المحلية بصفة خاصة.

بالإضافة لهاته الاعتبارات أصبحت ضرورة الاهتمام بالتنمية المحلية بحكم التهميش والفقر الذي يطال العالم القروي الذي يسود فيه أبشع أنواع الإقصاء والتهميش والظلم والأمية والفقر وبروز فوارق اجتماعية واقتصادية صارخة.

وفي هذا الإطار تم وضع إستراتيجية للتنمية الاجتماعية، وبرامج اقتصادية واجتماعية رامية إلى الحد من الفوارق الاجتماعية والجهوية مستهدفة السكان الضعفاء الفقراء وخصوصا منهم سكان الوسط القروي، كل هذا ساهم في تحولات مهمة داخل الأوساط القروية ونموذج جماعة عين الدفالي استفاد هو الآخر من هذه البرامج التنموية، ومن بين هذه البرامج نجد على سبيل المثال برنامج كهربة العالم القروي، والذي استفادت منه الجماعة ب 98% ثم برنامج التزويد بالماء الصالح للشرب والذي كان بشراكة ما بين المكتب الوطني للماء الصالح للشرب والوكالة اليابانية للتعاون الدولي قامت بتجهيز وتوزيع الماء على 53 دوار من أصل 57 دوار مكون للجماعة، ومن البرامج الأخرى التي أنجزت بالجماعة نجد برنامج محاربة الأمية بالنسبة للكبار المعوزين ، وبرنامج مد الشبكة الطرقية والذي أنجز ضمن مشروع احد كورت وزان هذا إلى جانب غنى الجماعة بالموارد الطبيعية والبشرية التي فرضت نفسها لتستفيد من هذه المبادرات[158].

[158] - Nacer el kadiri: Genèse et développement de l'approche territorial au Maroc, article dans : Eléments d'analyse sur le développement territorial, Aspects théoriques et empiriques. P :18.

- **الإشكالية**

تنتمي جماعة عين الدفالي إلى جهة الرباط سلا القنيطرة وهي جماعة غنية بمواردها الطبيعية والبشرية، غير أن مؤشرات التنمية تبين ارتفاعا في نسبة الفقر، و تدني مؤشرات التنمية البشرية، هذه الوضعية تتطلب وضع تشخيص ترابي يستهدف تحديد إمكانات و إكراهات الجماعة.

- **المنهجية المعتمدة**

-العمل الببليوغرافي

يشكل العمل البيبليوغرافي أول خطوة في إنجاز مختلف الدراسات حيث يتم جمع المعطيات الأساسية المرتبطة بالموضوع عن طريق الاتصال بمجموعة من المصالح: الوكالة الحضرية لإقليم القنيطرة - مركز الأشغال الفلاحية بأحد كورت - الجماعة القروية عين الدفالي- المركز الفرعي للأشغال الفلاحية بعين الدفالي - قيادة عين الدفالي - المكتب الوطني للماء الصالح للشرب - المكتب الوطني للكهرباء - مديرية الإحصاء بالرباط -المديرية الإقليمية للفلاحة بسيدي قاسم - مصلحة الجماعات المحلية -المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الغرب .

-العمل الميداني:

استجلاء بعض المعطيات المتعلقة بالمجال المدروس، إذ تم الاعتماد على الملاحظة و المعاينة و الوصف و التوطين ثم القيام بزيارات و مقابلات و اتصالات و تحقيقات مختلفة و متنوعة مع أخد صور معبرة للظواهر بالمجال المد روس.

- العمل الكرطوغرافي

يعتبر العمل الكرطوغرافي من الوسائل المهمة التي إعتمدنا عليها، لتوطين المجال المدروس، وكذلك مختلف الظواهر المدروسة في توزيعها وتداخلها وتفاعلها بشكل شمولي ومبسط يسهل معه قراءة الظاهرة وتحليلها، مستعينين في ذلك ببرنامجArc Gis .

توطين المنطقة المدروسة:

خريطة رقم1 : توطين جماعة عين الدفالي داخل جهة الرباط سلا القنيطرة

المصدر: وثائق مديرية إعداد التراب الوطني ومقتضيات التقسيم الإداري للجهة 2010.

1- موقع جغرافي متميز:

تتوفرجماعة عين الدفالي على موقع جغرافي متميز تمر مهنا شبكة طرقية مهمة تجعل من الجماعة نقطة التقاء لمجموعة من طرق المواصلات التي تربط بين عدة مدن كبرى،هذه الوضعية المتميزة استفادت منها الجماعة منذ حقبة الاستعمار غير أنه لم يتم تثمينها بالقدر الكافي بغية تحريك عجلة التنمية المحلية.

2- موارد طبيعية متنوعة

2-1- التضاريس

تنتمي جماعة عين الدفالي إلى تلال مقدمة الريف،و من مميزات هذا الأخير طغيان طابع التلال الذي تتخلله مجموعة من المنخفضات نجدها بجانب واد الرضات. كلما اتجهنا من الشمال (أ ي الشمال الغربي من المنطقة الجبلّة بضواحي وزان، والجنوب قرب من جرف الملحة المنبسطة) إلى الجنوب يقل ارتفاع هذه التلال.

خريطة رقم2: طبوغرافية جماعة عين الدفالي

2 -2 -خصائص التربة:

تتميز الأتربة المنتشرة بجماعة عين الدفالي بالتنوع سواء من حيث أصلها أو من حيث توزيعها تبعا لبعض الاختلافات المحلية في نوعية الركيزة الصخرية والتدرج ولو بشكل خفيف في السطح والمناخ و الغطاء النباتي

وانطلاقا من قيمتها على الصعيد الإنتاج الزراعي، فإن التربة تعتبر من العوامل الأساسية في توزيع أصناف المزروعات ومن ثم

مساهمتها في تنوع المشهد الزراعي وفي تحديد نوعية الأنظمة الزراعية ويمكن أن نميز داخل جماعة عين الدفالي بين أربعة أنواع من الأتربة[159]:

شكل رقم 1 : أنواع التربة بجماعة عين الدفالي

Source : dpa-2007.monographie. de la commune rural de Ain dfali:p5.

2-3- الموارد المائية:

تعتبر تلال مقدمة الريف التي تنتمي إليها منطقة عين الدفالي غنية بالموارد المائية هده التلال تتلقى تساقطات مهمة تغدي الشبكة المائية السطحية و الجوفية معا.

الصورة رقم 1:واد ارضات بدوار جديد

المصدر: البحث الميدانى 2019

3- سكان جماعة عين الدفالي:

لعبت العوامل السياسية والتاريخية والطبيعية دورا مهما في استقرار الساكنة بالمنطقة فتتبع تطور الاستيطان في جماعة عين الدفالي يوضح أثر الظروف الطبيعية والمناخية في هذا الاستيطان وان كانت الصورة الأوضح تتجلى في الظروف الاجتماعية والسياسية إلا أنه من الصعب أن نتعرف على الاستقرار الحالي بمنطقة الغرب عموما ومنطقة عين الدفالي خصوصا .فما نعرفه عبر مختلف الأحداث التاريخية الكبرى أن الغرب كان محطة الحضارات

[159]- محمد بلفقيه: أولويات في الجغرافيا الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع ، ص 16.

المتباينة[160]. فقبائل المنطقة تنتمي إلى قبيلة بني سفيان وهم عرب هلاليون نقلوا من الايرقة (تونس)على يد المنصور الموحدي في القرن السادس الهجري الموافق لسنة1187 م[161].

خريطة رقم 3: تطور سكان دواوير جماعة عين الدفالي حسب إحصاءات - 1994 -2004-2014

المصدر:الإحصاء العام للسكان و السكنى 1994-2004-2014-بتصرف.

يتضح من خلال الخريطة أن النمو الديمغرافي بجماعة عين الدفالي مر برحلتين :

-المرحلة الأولى : تمتد من (1960) إلى (1982) بحيث تطور عدد السكان بشكل مهم، إذ انتقل عدد السكان من 20.744 نسمة في سنة 1960 إلى 28.862 نسمة سنة 1982 ، ويفسر هذا التزايد الطبيعي بارتفاع معدل الولادات وانخفاض معدل الوفيات نتيجة إلى تحسن الظروف الصحية والقضاء على بعض الأمراض الفتاكة و كذلك ارتفاع معدل الخصوبة الكلية، أي متوسط سن الإنجاب 49 - 15 (سنة)،

[160] - J. LE COZ (1964) le Gharb, Fellahs et colons, Etude de géographie régionale, thèse pour le doctorat Eslettres Faculté des lettres et des sciences humaine, France paris, p 223.

[161]- عبد القادر بوراس : بعض الجوانب التاريخية التي تهم جهة الغرب شراردة بني احسن، مجلة جسور تربوية ،العدد 4 -ص, 23- 24.

إضافة إلى عوامل اجتماعية واقتصادية أهمها انتشار الأمية وضعف المستوى التعليمي للمرأة، واعتبار إنجاب الأطفال ضمانا لاستمرار الزواج وموردا اقتصاديا للأسرة في المستقبل.

-**المرحلة الثانية** :تمتد من (1994) إلى (2014) إذ تراجع سكان جماعة عين الدفالي إلى 24.930 نسمة سنة 1994 وفي سنة 2004 وصل عدد سكان الجماعة إلى 24.521 نسمة بينما في سنة 2014 لم يتجاوز سكان جماعة عين الدفالي 25.002 نسمة حيث استقرت نسبة النمو في 06،1%.

4-الفلاحة ودورها في التنمية بجماعة عين الدفالي

تعتبر الأنشطة الفلاحية هي المورد الرئيسي للعالم القروي التي تتمثل في تنويع المنتوجات الفلاحية وخاصة أنه يغلب عليها الطابع العائلي الذي يبقى مهتما بمجالات محدودة المرتكزة على الأكبر سنا والتي تظل تحت رحمة التساقطات المطرية التي تختلف مقاييسها من موسم لآخر مع التغيرات المناخية التي يشهدها العالم باتجاه ارتفاع درجة حرارة الأرض

شكل رقم 2 : الوضعية القانونية للأرض بجماعة عين الدفالي

المصدر: مونوغرافية جماعة عين الدفالي2019

يتبين لنا من خلال المبيان أن مردودية الهكتار الواحد بالمنطقة ضعيفة هذا ما أكده البحث الميداني في سنة 2014 بكل من دوار العوالة ودوار العميرات فمردود القمح في دوار العوالة لم يتجاوز 17 قنطار في الهكتار أما دوار العميرات فقد وصل 11 قنطار في الهكتار وهو مؤشر رئيسي للدلالة على وضعية الإنتاج الزراعي بجماعة عين الدفالي.

4-1- يتميز الإنتاج النباتي بجماعة عين الدفالي بالتنوع

شكل رقم 3 :الأنظمة العقارية بدوار العوالة ودوار العميرات بجماعة عين الدفالي

المصدر: البحث الميداني 2019

يتبين لنا من خلال المبيان أن مردودية الهكتار الواحد بالمنطقة ضعيفة هذا ما أكده البحث الميداني في سنة 2019 بكل من دوار العوالة ودوار العميرات فمردود القمح في دوار العوالة لم يتجاوز 17 قنطار في الهكتار أما دوار العميرات فقد وصل 11 قنطار في الهكتار وهو مؤشر رئيسي للدلالة على وضعية الإنتاج الزراعي بجماعة عين الدفالي.

4-2- عوامل الإنتاج وتأثيرها على القطاع الفلاحي بجماعة عين الدفالي

تلعب عوامل الإنتاج دورا مهما و أساسيا في تحسين الإنتاجية الفلاحية بصفة خاصة، و عصرنة و تأهيل القطاع الفلاحي بصفة عامة.

4-2-1- استعمال المكننة بالحيازات الفلاحية بجماعة عين الدفالي

تشكل المكننة عنصرا مهما في مجموع نظام الإنتاج لكل حيازة، إذ يتأثر ويؤثر في نفس الوقت على العناصر الأخرى (استعمال التربة، اليد العاملة و المردودية) ومن هذا المنطلق فالمكننة بالحيازات الفلاحية لها دور أساسي في الرفع من إنتاجية ومردودية القطاع الفلاحي[162].

[162]- استراتيجية سلاسل الإنتاج النباتي في أفق 2020 ،المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، الرباط 19 يوليوز، مطبعة بني ازناسن سلا، ص3.

شكل رقم 4 : توزيع العوامل التقنية حسب فئات الحيازات الفلاحية بالهكتار و عدد الفلاحين المستعملين بكل من دوار العوالة ودوار العميرات

المصدر:البحث الميداني 2019

انطلاقا من معطيات الشكل نستنتج أنه من مجموع 49 فلاح الذين يمتلكون الحيازات الفلاحية الأقل من 5 هكتارات هناك فقط 23 فلاح مستعملين للعوامل التقنية التي تخص استعمال آلات الجرار، في حين أنه من أصل 15 فلاح الذين تتراوح حيازاتهم الفلاحية ما بين 5 و15 هكتار هناك 15 فلاح مستعملين لهذا النوع من العوامل التقنية، أما الفلاحين الذين تفوق حيازاتهم الفلاحية 15 هكتار فهم يستعملون المكننة المتعلقة بآلات الجرار و مكننة الحصاد. ويجدر بالإشارة أنه من أصل 55 فلاح هناك فلاح واحد فقط هو الذي يمتلك هذه المعدات هي حين أن الفلاحين المتبقيين يعملون على اكتراء هذه الآلات من الفلاحين المالكين لها.

5- البنيات التحتية بجماعة عين الدفالي

5 - 1- الشبكة الطرقية أداة لفك العزلة:

توجد جماعة عين الدفالي بملتقى طرقي مهم يربط الجماعة في حركة السير بمدينة وزان، جرف الملحة و الطريق الوطنية رقم 13 الرابطة بين الطاووس و سبتة والطريق الإقليمية رقم 4516 الرابطة بين عين الدفالي بلقصيري.

صورة رقم 2: الطريق الوطنية رقم 13

المصدر: البحث الميداني 2019

5-2- أهمية قطاع التعليم في جماعة عين الدفالي

تتوفر جماعة عين الدفالي على 27 وحدة مدرسية ابتدائية و ثانوية وإعدادية واحدة و ثانوية تأهيلية .يتمدرس بهذه المؤسسات 4564 تلميذ وتلميذة يتلقون تعليمهم على يد 170 أستاذ داخل ما مجموعه 110 حجرة دراسية.

جدول رقم1 : مجموعة مدارس عبد الله الشفشاوني

المدرسية الوحدة	الحجرات عدد	المعلمين عدد	التلاميذ عدد
المركزية المدرسة	09	12	445
العميرات فرعية	03	6	263
الخبزيين فرعية	03	5	123
الروكي مقام فرعية	03	2	75
الإمام البخاري اعدادية	18	36	1100
المتنبي التأهيلية الثانوية	11	26	588
المجموع	38	87	2594

المصدر:قيادة عين الدفالي 2019

5-3- المراكز الصحية

تعد التجهيزات الصحية نواة أساسية داخل كل مجتمع ما وعنصرا مهما في السيرورة البشرية، لكن هذه التجهيزات تختلف بين الدول والجهات و الأقاليم والجماعات فجماعة عين الدفالي تتوفر على مركز صحي واحد مع وحدة للتوليد و طبيب و مولدة و ممرضين.

جدول رقم 2 : التجهيزات الصحية بجماعة عين الدفالي

الجماعة	المؤسسات الصحية	عدد الأطباء	عدد الممرضين	عدد المولدات	سيارة الإسعاف
عين الدفالي	مركز صحي	1	4	1	1
	مستوصف قروي	-	1	-	-

المصدر :الجماعة القروية عين الدفالي 2019

6- الجماعة المحلية أداة أساسية لتنشيط التنمية المحلية تكمن

6-1- النسيج الجمعوي ودوره في التنمية المحلية

إن دور النسيج الجمعوي من أجل تحقيق مفهوم التنمية البشرية لا يقل شأنا عن دور القطاع الحكومي أو القطاع الخاص، خصوصا إذا ما انطلقنا من التجارب الدولية والعالمية والتي أثبتت وجود علاقة ايجابية بين المشاركة المدنية ومشاركة النسيج الجمعوي وبين ارتفاع الأداء الإقتصادي.

إن القطاع التعاوني بالمفهوم المتعارف عليه عالميا يعد المكون الأساسي للاقتصاد الاجتماعي، والإطار الأكثر استجابة لحاجة التشغيل الذاتي، ويضطلع بدور حيوي في محاربة الفقر و الإقصاء الاجتماعي، ويساهم بفعالية في التنمية المحلية.

6-2- المحاور المقترحة للتنمية المحلية بالجماعة

-المحافظة على الموارد الطبيعية وترشيد استغلالها: تعتبر الموارد الطبيعية أهم عناصر التنمية، نظرا لارتباطها الوثيق بالنشاط الفلاحي الذي يعتبر ركيزة أساسية في الاقتصاد .

- تدبير الموارد المائية: حماية الموارد المائية السطحية والجوفية باتخاذ التدابير الوقائية ومراقبة مجاري المياه ومحاربة تلوث المياه خاصة واد الرضات .

- صيانة التربة: اعتماد مبدأ التناوب الزراعي، لأن زراعة نفس المنتوج لعدة مواسم في نفس المشارة يؤدي إلى القضاء على الخصائص البيولوجية للتربة والدورة الزراعية[163] .

6-3- تقوية وتطوير أنظمة الإنتاج

- **تنمية القطاع الفلاحي عبر:**

- إعادة النظر في البنية العقارية للأراضي، فالوضعية الراهنة لتسيير الأراضي الجماعية لم تعد تساير التطورات الاقتصادية والاجتماعية وذلك بتصفية أراضي الجموع وتمليكها لذوي الحقوق ودمج الأراضي الجماعية في إطار تعاونيات[164].

[163]- فاطمة أبخار وعبد اللطيف أرويحا، (2007):تدهور الأراضي وإستراتيجية تدبير وصيانة التربة والموارد المائية في منطقة عبدة دكالة، ورد ضمن تدبير المحافظة على المياه والأتربة في المغرب عن الشبكة الوطنية للدراسة والبحث

- توسيع المجال المسقي بالجماعة نظرا لتوفر إمكانيات السقي وتعميم استعمال المكننة في الحيازات الفلاحية.

- **تطوير الأنشطة غير الفلاحية**

- توفير الشروط الملائمة لإقامة وحدات صناعية صغيرة في مجال الفلاحة الغذائية وذلك بتحويل المنتوجات الفلاحية في عين المكان لتوفير الشغل لليد العاملة بالجماعة.

- تطوير الأنشطة المدرة للدخل بالجماعة خاصة (تربية الأرانب، والأغنام، تربية الدواجن)نظرا لتوفر شروط ذلك.

- **دعم قطاع التعليم والتربية عبر:**

- الزيادة في عدد الحافلات للنقل بأثمنة رمزية.

- إحداث سكن للأطر التربوية بالقرب من المدارس والفرعيات التي يعملون بها.

- القيام بحملات محو الأمية بين صفوف الفلاحين بفتح حصص مسائية لهم وتكليف حاملي الشواهد بالجماعة بهذه المهمة.

- **تحسين الشبكة الطرقية عبر:**

-إصلاح الطرق الجهوية والإقليمية بالجماعة.

- تعبيد المسالك الطرقية الرابطة بين مختلف الدواوير.

- فتح مسالك طرقية للربط بين الدواوير التي تعاني من العزلة.

- الرفع من مستوى التزود بالماء الصالح للشرب والكهرباء.

- العمل على تعميم الكهرباء على كافة سكان الجماعة ودعم إصلاح الشبكة الكهربائية.

خاتمة:

الجماعة القروية عين الدفالي تعتمد على الفلاحة كقاعدة للاقتصاد المحلي، و بالرغم من أهمية هذا القطاع فهو يعرف الكثير من المشاكل و العراقيل، والتي ترتبط بالبنية العقارية ، وهيمنة الأراضي البورية وضعف عوامل الإنتاج،

[164]- عبد الله العوينة : في القضايا المحلية والجهوية، منشور جماعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط جامعة محمد الخامس اكدال ص11.

مما انعكس على الاقتصاد المحلي ككل، هذا في غياب أنشطة غير فلاحية يمكن أن تعمل على تحسين أوضاع الفلاحين.

و بالمقابل تعتبر تدخلات الدولة ضعيفة و لم ترق بعد إلى المستوى المطلوب، إذ ركزت الجماعة المحلية وشركاؤها على خلق بعض المشاريع المرتبطة بالتزويد بالكهرباء والماء الصالح للشرب و إنجاز و ترميم عدد من المسالك الطرقية. في حين نسجل غياب تشجيع الجماعة للاستثمار في المشاريع الاقتصادية و الاجتماعية القادرة على تنمية هذا المجال وتثبيت السكان فيه، وفي ظل غياب مخطط للتنمية الجماعية و التهيئة المحلية .

قائمة المراجع:

بالعربية:

1. -محمد بلفقيه: أولويات في الجغرافيا الزراعية ، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع ، ص 16.
2. عبد القادر بوراس : بعض الجوانب التاريخية التي تهم جهة الغرب شراردة بني احسن، مجلة جسور تربوية ،العدد 4 –ص: 23- 24.
3. استراتيجية سلاسل الإنتاج النباتي في أفق 2020 ،المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، الرباط 19 يوليوز، مطبعة بني ازناسن سلا، ص3.
4. فاطمة أبخار، وعبد اللطيف أرويحا 2007: تدهور الأراضي وإستراتيجية تدبير وصيانة التربة والموارد المائية في منطقة عبدة دكالة، ورد ضمن تدبير المحافظة على المياه والأتربة في المغرب عن الشبكة الوطنية للدراسة والبحث.
5. عبد الله العوينة: في القضايا المحلية والجهوية، منشور جماعي - كلية آلآداب والعلوم الإنسانية الرباط جامعة محمد الخامس اكدال ص11.

بالفرنسية:

6. **-Nacer el kadiri**: Genèse et développement de l'approche- territorial au Maroc, article dans : Eléments d'analyse sur le développement territorial, Aspects théoriques et empiriques,

P :18. .7

8. **J. LE COZ (1964)** :le Gharb, Fellahs et colons, Etude de- géographie régionale, thèse pour le doctorat Eslettres Faculté des lettres et des sciences humaine, France paris, p 223.

الجمعيات الدولية والمحلية، أية استراتيجيات تنموية؟

دراسة ميدانية بمجال الريف الأوسط الجنوبي الشرقي: حالة دائرة أكنول

International and Local Associations and Strategies for Development: A Field Study in the Middle-Southeastern Countryside of Morocco.

Aknol District as a Case in Point

التايري عبد القادر، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
abdelkadertayri@gmail.com
بوبشيري حياة، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب
Boubchiri8hayat@gmil.com

الملخص

إن نجاح التنمية المستدامة بمجال دائرة أكنول ضرورة ملحة، ولا يمكنها أن تستقيم الا بانخراط واسع ومسؤول للساكنة المحلية في توطيد صرح التنمية. وهذا الشرط القاعدي اللازم يفرض على سكان مجال دائرة أكنول أن يكون لهم دور فعلي في شحن وتجسيد هذه الغاية الجماعية المرجوة على أرض الواقع. فهم المختصون في بيئاتهم والأكثر دراية بمنطقتهم سواء تعلق الأمر بمحاربة الفقر أو المحافظة على الموارد أو التنمية المستدامة. وقد كان للجمعيات المحلية التي ينخرط فيها المهاجر دور مهم لدعم الحركة الجمعوية بدائرة أكنول وذلك رهين بطبيعة العلاقة التي ينسجها مع الجمعيات المحلية من جهة، وبالجهود التي تبذلها هذه الأخيرة لجلب اهتمام المهاجرين ومن ثم انخراطهم في العملية التنموية من جهة أخرى.

Abstract:

The success of sustainable development in Aknol district is an urgent necessity that can only be achieved through the broad and responsible involvement of the local population in this process of development. This basic condition requires that the inhabitants of the area play an important role in achieving this collective objective. The population is the best party that is well informed about the region, whether in terms of the fight against poverty, the conservation of resources or sustainable development. The local associations in which immigrants are involved have also played an important role in supporting the associative movement in the Aknol district, depending on the nature of the relationship that they build with the local associations on the one hand, and the efforts deployed by these associations to arouse the interest of immigrants and involve them in the development process on the other hand.

Key words: Development strategies - political openness - international associations - sustainable development

مقدمة

تميز العمل الجمعوي بمجال دائرة أكنول بجملة من التحولات على امتداد العقود الأخيرة، حيث تحولت بنيته من مؤسسات تقليدية ذات نشاط محدود، إلى جمعيات محلية وأخرى دولية تعددت مجالات تدخلها، وذلك بهدف توفير الخدمات الاجتماعية وتعزيز المسيرة التنموية لساكنة المنطقة.

وهكذا فقد بلغ القطاع الجمعوي اليوم درجة كافية من النضج جعلته يتمتع بنوع من الاستقلالية، وينشط في مجال تدخل واسع نسبيا، ويتمثل ذلك أساسا في توفير خدمات اجتماعية وتنمية مجتمعية، جعلته مصدرا للابتكار والفعالية والمسؤولية إذن:

- فما هي مكامن قوة وضعف الجمعيات المحلية والدولية بمجال دائرة أكنول؟
- وأين تتجلى التحديات التي تعاني منها هذه الجمعيات؟
- وكيف السبيل لجعل العمل الجمعوي يساير قاطرة التنمية؟

1- مجال الدراسة

ينتمي مجال دائرة أكنول للريف الأوسط الجنوبي الشرقي، (خريطة رقم 1) مشكلا مجالا انتقاليا بين سلسلة جبال الريف شمالا ومقدمته جنوبا، وبهذا يعتبر مجال اكزناية جزءا من المجالات الجبلية ذات البنية التضاريسية الصعبة التي يغلب عليها التنوع والتعقيد. ويقع هذا المجال جهويا ضمن النفوذ الترابي لجهة لجهة فاس- مكناس، وينتمي إداريا إلى إقليم تازة الذي يبعد عن مجال اكزناية بـ80 كلم، ومعظم تضاريس المنطقة يغلب عليها الطابع الجبلي.

توطين مجال الدراسة

ويندرج هذا المجال ضمن نطاق المناخ المتوسطي، الذي يتميز بشتاء ممطر وبارد، وصيف حار وجاف. وهو كباقي مناخات مناطق المغرب الشمالي يخضع لتيارات مختلفة تتحكم فيها تارة الكتل الهوائية المدارية الحارة التي تصدر عن مركز الضغط المرتفع الآصوري والصحراوي، والكتل الهوائية القطبية، التي تأتي إما من المحيط الأطلسي فتكون معتدلة ورطبة، أو من أوربا الوسطى فتكون باردة وجافة تارة أخرى.

2 - التطور الكمي والنوعي للجمعيات

شهد العمل الجمعوي تحولات متعددة على المستوى الكمي والنوعي بالمغرب، تمثلت في تطور عدد الجمعيات بشكل ملموس من جهة، وتعدد تصنيفاتها وأنواعها من جهة أخرى. ومن أهم هذه التصنيفات تلك التي قدمها الباحثان Denoeux Guillain وGateaux Laurent اللذان قسما الجمعيات في المغرب إلى ثلاثة أصناف حسب درجة استقلالها عن الدولة ومجالات تدخلها، وهي: الجمعيات الجهوية، والجمعيات ذات الطابع السياسي (الجمعيات الأمازيغية، وجمعيات حقوق الإنسان، وجمعيات المرأة) ثم الجمعيات الاجتماعية والاقتصادية (كالجمعيات التنموية، وجمعيات الصحة، وجمعيات البيئة).

ويعتبر الانفتاح السياسي الذي شهده المغرب في السنوات الأخيرة من الأسباب الرئيسية لهذه الحركية. ما جعل الدولة تراجع سياساتها القديمة، خصوصا بعد فشلها في إدارة مجموعة من القطاعات الأمر الذي ساهم في تفشي مجموعة من المشاكل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لا سيما بالمناطق التي تعرف ضعفا في مقوماتها التنموية. وهذا التطور في العمل الجمعوي والتوسع في مجالات أنشطته، يعكس تقدما ملموسا في الثقافة الجمعوية وديناميكية متواصلة للحركة الجمعوية، تتمثل في تزايد حجم المنظمات غير الحكومية التي تم إنشاؤها، والتي تقدر حسب التعداد الذي أجراه القسم المغربي لمنظمة العفو الدولية بنحو 40000 منظمة.

وهكذا أصبحت الجمعيات في الوقت الحاضر رهانا للتنمية المجتمعية، بما تلبيه من حاجيات ضرورية وتوفره من خدمات اجتماعية. وهي بذلك تبدو آلية أساسية تعمل من أجل بناء مجتمع مسؤول من خلال علاقات القرب مع الساكنة المستهدفة، وأداة متميزة تستجيب لتطلعات واحتياجات هذه الأخيرة، وذلك من أجل إكمال العمل الذي تقوم به الدولة.

3 - أهداف العمل الجمعوي بدائرة أكنول

إن الأهداف التي ترمي الجمعيات المدروسة تحقيقها تتركز أساسا في بروز أسس تنمية محلية بمجال دائرة أكنول، مع التمييز بين الغايات الكبرى للعمل والأهداف الإجرائية التي تصبو بإليها تلك الجمعيات، وذلك من خلال توخيها الظفر بالمقاصد الاستراتيجية التالية (خطاطة رقم 1):

* الغايات الكبرى للجمعيات، تدور كلها حول فكرة تحقيق تنمية ذات طابع مستدام بمجال دائرة أكنول، يتمثل ذلك في تحسين الوضع المادي والمعيشي للساكنة المحلية، من خلال إحداث مشاريع وبرامج مندمجة ذات مردودية اقتصادية وازنة.

وتتلخص الغايات الكبرى للجمعيات بصفة عامة في محاربة الفقر، وخلق أنشطة مدرة للدخل، ودعم الأنشطة الاقتصادية بمختلف أشكالها: فلاحية، وصناعة محلية، وسياحة جبلية، وذلك بهدف خلق مناصب شغل، والنهوض بوضعية المرأة (من منظور مقاربة النوع) وفك العزلة عن الدواوير، والمحافظة على الموروث بكل أشكاله وخاصة الموروث الثقافي والبيئي، إلى جانب الإسهام في إحداث بنيات تحتية تلبية لحاجيات الساكنة المحلية.

* الأهداف الإجرائية للجمعيات، تعتمد على المبادئ التي يقتنع بها الفاعل الجمعوي والمشروع الذي يؤطر عمل كل جمعية على حدة، وفي هذا الصدد نذكر بعض أهداف جمعيتي التوازن، واكزناين للتنمية. تنطلق جمعية التوازن من اقتناع يرتكز على ضرورة خلق أنشطة بديلة لتلك الموجودة بالمجال، والتركيز على إمكانية تطوير الأنشطة القبلية بسبب دراية السكان بها وسابق احتكاكهم معها، وبحكم مكتسباتهم الموروثة وخلق أنشطة موازية مندمجة وداعمة شريطة مراعاة هشاشة الوسط الإيكولوجي والإمكانات المتاحة من بنيات تحتية وتجهيزات، وذلك بمراعاة الأمور التالية:

* دعم المرأة القروية من خلال خلق أنشطة تحفزها على الإنتاج.
* المحافظة على خصوصيات المجال الاقتصادي والثقافي.
* جعل المشاريع مندمجة مع نمط الإنتاج السائد ونوعية العقليات وتقاليد الاستهلاك.
* التخوف من أنشطة بديلة قد لا تتلاءم مع الواقع السوسيو- ثقافي للمجال، وما قد يترتب عنها من انعكاسات سلبية أو غير مرغوب فيها.

أما جمعية اكزناين للتنمية فتنطلق من اقتناع مفاده ضرورة تحسين ظروف الساكنة المحلية، وتبني كل ما من شأنه أن يحقق تنمية بالأرياف، وذلك بدعم ما هو كائن وخلق أنشطة بديلة، بغض النظر عن مظاهر اندماجها من عدمه مع الخصوصيات المحلية.

وتختلف هذه الجمعيات فيما بينها من حيث الأولويات، ففي الوقت الذي تنشط فيه جمعية اكزناين للتنمية في الجانب الاقتصادي، وهذا ما تعكسه المشاريع التي كانت طرفا في إنجازها كدعم المزروعات المعيشية والاهتمام بمغروسات اللوز والزيتون، وذلك بغية الحفاظ على التوازن الرعي– زراعي، بالإضافة إلى دعم المقاولات الصغرى. وفي المقابل نجد أن جمعية انحناحن للهجرة والتنمية تجعل من دعم الأنشطة الثقافية والتعليمية والصحية أبرز أولوياتها. حيث إن أغلب مشاريعها تسير في هذا الاتجاه كتجهيز بعض المؤسسات التعليمية بالمكتبات ومختلف لوازم العتاد المدرسي، وتجهيز القاعات والساحات، والقيام بعملية التسييج وبناء الحدائق، وتنظيم الرحلات للأطفال المتمدرسين، والمشاركة في تزويد بعض الدواوير بالماء الصالح للشرب، والعمل على جعل المرأة تسهم في التنمية بواسطة دعم الصناعات التقليدية النسوية. وكل هذا يساهم في خلق تنمية مستدامة يكون المهاجر بدائرة أكنول طرفا فاعلا فيها.

وقد شهد العمل الجمعوي تطورا بارزا في أدواره التنموية. حيث تحتل الجمعيات الناشطة في مجال التنمية المحلية المرتبة الأولى بنسبة تقارب 20%، تليها الجمعيات العامة التي تعمل في مجال الخدمات الاجتماعية والمجال الصحي بنسبة 17.5% ثم الجمعيات الثقافية بنسبة 13.3%. أما الجمعيات النسائية وحقوق الإنسان فتمثل 9%. وقد ترتب عن ذلك تعدد وتنوع مجالات تدخل الجمعيات. إذ أصبح لها تأثير ايجابي في تعزيز التنمية المحلية، فمعظمها ينشط في مجال التعليم بنسبة تقدر بحوالي 53%، ومجال التنمية بنحو 42%، ومساعدة الفقراء بما يناهز 14%، في حين سجل تأثير ضعيف للجمعيات المهتمة بالمساعدات الغذائية والشغل.

وهذه الجمعيات تكون غالبا ذات أهداف غير ربحية أي لا تحركها دوافع ربحية أو السعي المباشر للوصول إلى مواقع السلطة السياسية. كما أنها تعتمد في دورها التنموي على مبدأ المشاركة التي تقوم على أساس الشمولية والمساواة، حيث أن للجميع الحق في المشاركة على قدم المساواة دون تمييز على أساس الجنس أو غيرها من الفروقات الاجتماعية، مما يشجع مشاركة كل الفئات الاجتماعية في التخطيط والتنمية المحلية.

3–1 المهاجر الدولي بدائرة أكنول والعمل الجمعوي

عرف المهاجر بدائرة أكنول ثقافة جمعوية قديمة جدا. فالمؤسسات التقليدية ظهرت مع الجيل الأول من المهاجرين ثم تأطرت وتقننت لتندمج ضمن النسيج الجمعوي المحلي، الذي يشهد اليوم تطورا ملموسا يتمثل في تكاثر الجمعيات وتعددها. ففي العشر السنوات الأخيرة بلغ عدد الجمعيات 205 على مستوى المنطقة، وهي تتباين من حيث توزيعها الجغرافي ومجالات تدخلها (جدول رقم 1). حيث تبوأت جماعة تيزي وسلي المرتبة الأولى من حيث حجم الجمعيات بنسبة 22.1 % تليها جماعتي سيدي علي بورقبة بنحو 18.8% وأجدير بحوالي 17.9%، ومركز أكنول بنسبة 15.5%, وهي نسب جد مهمة إذا ما قورنت بجماعة اجبارنة التي سجلت أدنى النسب أي ما يمثل 5.16% فقط، أما باقي الجماعات فتمثل نسبا تتجاوز 10% بقليل وتشمل جماعتي اكزناية الجنوبية وبورد .

جدول رقم 1: التوزيع الجغرافي للجمعيات وأصنافها بمجال دائرة أكنول

الجماعات	اجتماعية	نسائية	مهنية	مسجدية	فلاحية	رياضية	ثقافية	تعليمية	المجموع	%
أكنول	15	2	2	3	1	3	4	3	33	15,5
تيزي وسلي	16	1	1	4	12	6	1	6	47	22.1
سيدي علي بورقبة	13	-	-	6	6	3	5	7	40	18.8
أجدير	19	1	-	4	3	2	7	2	38	17,9

بورد	11	-	-	0	3	3	2	3	22	10.32
اكزناية جنوبية	9	1	-	1	3	1	-	7	22	10.32
جبارنة	3	-	-	4	1	-	-	3	11	5.16
المجموع	86	4	3	22	30	18	19	31	213	100

المصدر: البحث الميداني 2016 - 2018

وتختلف مجالات تدخل الجمعيات المتمركزة في منطقة دائرة أكنول بحسب طبيعة أنشطتها. ويمكن التمييز فيها بين ما هو اجتماعي ومهني وفلاحي ورياضي وتعليمي وغيره. هذا إلى جانب جمعيات تم إنشاؤها وتمويلها ودعمها من قبل الدولة ومؤسساتها، وهي جمعيات تدخل في قاموس الصالح العام، نذكر على سبيل المثال لا الحصر التعاونيات الإنتاجية والتسويقية، وجمعيات أسست من قبل فئات مثقفة وواعية، تشتغل في ميادين مختلفة (مبيان رقم 1) وهي كالتالي: جمعيات اجتماعية بدائرة أكنول بلغت نسبتها 39%، والجمعيات التعليمية تمثل 15% والجمعيات الثقافية بنسبة 8%، والجمعيات النسائية بنحو 2%، كجمعية نساء اكزناية بأكنول، وجمعية الأمل لدار الأمومة بأكنول، والجمعية النسوية لعين الحمراء للتنمية والثقافة والتواصل بأجدير، بالإضافة إلى الجمعيات المهنية التي لم تتجاوز عتبة 2%.

مبيان رقم 1: توزيع الجمعيات بحسب مجال تدخلها في مجال دائرة أكنول

المصدر: العمل الميداني 2016-2018

ونظرا لقلة مواردها المادية والبشرية، فإن عنصر التنمية لم يبرز عند هذه الجمعيات إلا في السنوات الأخيرة وذلك بدعم وشراكة مع جمعيات تنموية أخرى كجمعيات المهاجرين ومنظمات دولية غير حكومية.

عموما استطاعت الجمعيات المحلية إعادة القيمة إلى الرأسمال الاجتماعي المحلي، وأعطت خصوصية للنسيج الجمعوي بدائرة أكنول. حيث أصبحت أحد أبرز المكونات الفاعلة في المجتمع المدني وإطارا تنظيميا للساكنة، يعمل على تعزيز الاندماج والمشاركة في المسلسل التنموي. كما أصبحت مصدرا أساسيا في قيادة ذلك المسلسل، وخير دليل على ذلك إشراك المرأة وإقحامها بشكل بارز لاتخاذ القرار والتسيير كمؤطرة منتجة ومستفيدة من برامج الجمعيات (محو الأمية، والتكوين في مجالات عدة) .

ويبقى المهاجر من بين الفئات المستهدفة خاصة من قبل بعض الجمعيات التي فطنت إلى أهمية دوره في تعزيز دينامية الجمعيات بمجال دائرة أكنول، بما يخدم التنمية المحلية.

3- 2 دور المهاجر الدولي في دينامية الجمعيات المحلية: قيمة جمعوية مضافة مرحب بها

إن معرفة الدور الذي يقوم به المهاجر لدعم الحركة الجمعوية بدائرة أكنول رهين بطبيعة العلاقة التي ينسجها مع الجمعيات المحلية من جهة، وبالجهود التي تبذلها هذه الأخيرة لجلب اهتمام المهاجرين، ومن ثم انخراطهم في العملية التنموية من جهة أخرى.

وتندرج مساهمة المهاجرين في دعم المشاريع التنموية بمجال أكنول ضمن الهياكل التقليدية بما في ذلك مؤسسة "الجماعة"، التي عرفت انخراطا مهما لمهاجري الجيل الأول. فكثيرة هي تلك المشاريع التي رأت النور بفضل المساهمات المالية للمهاجرين منذ سنوات خلت، لعل أبرزها بناء المساجد وترميمها، وحفر الآبار، وبناء السواقي ومد القرى بالماء والكهرباء. أما في الوقت الراهن، فقد ارتبط دعم ومشاركة المهاجرين في الجمعيات المحلية بنوع الجمعية ومجال تدخلها. فالجمعيات التي تعنى بالجانب الاجتماعي تحظى باهتمام واسع للمهاجرين وتنفرد بمساهماتهم المالية. بالإضافة إلى أن بعض الجمعيات أدمجت المهاجرين منذ مراحل التأسيس الأولى وتطورت العلاقات بينهما وتجاوزت تلك المساهمات والانخراط إلى تأسيس فروع لجمعيات بمختلف الدواوير. الأمر الذي يبرز الدور الريادي للجمعيات المحلية في تعزيز المسيرة التنموية من جهة، ويعكس المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمهاجر في البنية الاجتماعية من جهة أخرى. ومن تلك الجمعيات نذكر: جمعية اكزناين للتنمية التي لها فروع في العديد من دول أوربا الغربية، وجمعية رحماء بهولندا، وجمعية انحناحن للهجرة والتنمية بفرنسا. وهي في الغالب جمعيات النخبة والفئات المثقفة من أبناء مهاجري دائرة أكنول، وتسعى بدورها إلى الاستفادة من الشراكة مع المهاجرين أفرادا وجمعيات، وذلك بهدف إدماجهم بصفتهم فاعلين ومستفيدين.

تستفيد الجمعيات المحلية من دعم المهاجر بشكل متباين. لا سيما وأن توزيع الجمعيات يتسم بتفاوته الواضح بين جماعات مجال دائرة أكنول (خريطة رقم 1). وهو ما يمكن تفسيره بالحاجة الملحة لساكنة الدواوير لإسهامات المهاجرين في تحفيز الدور التنموي لتلك الجمعيات. فأغلبها ذات علاقات وطيدة مع أفراد الجالية، كمنخرطين وأعضاء شرفيين ومسيرين في بعض الحالات. وذلك لما يشكله المهاجر من أهمية بالغة ضمن النسيج الجمعوي المحلي، باعتباره صاحب رأسمال ومساهمة مالية وصاحب مبادرات وأفكار، وهو ما جعلها تتنافس فيما بينها لاستقطاب أكبر عدد ممكن منهم. فإذا كان الصيف بمثابة عطلة للمهاجرين، فالجمعيات تعتبره فرصة لعرض أنشطتها وبرامجها التنموية بغية جلب اهتمام المهاجر ودعمه. وتختلف آليات الاستقطاب من جمعية لأخرى، وهي عموما تركز على تنظيم مهرجانات سنوية تتخللها أنشطة وندوات لها علاقة بالهجرة والتنمية، كما هو الشأن بالنسبة لجمعية انحناحن للهجرة والتنمية وجمعية اكزناين للتنمية البارزتين بنشاطاتهما المتنوعة بمجال دائرة أكنول.

خريطة رقم 1 : توزيع الجمعيات بدائرة أكنول

المصدر: البحث الميداني 2018 - 2016

4- الجمعيات الدولية ومجالات تدخلها لتحفيز التنمية بدائرة أكنول: مبادرات إنسانية محمودة والأعباء ثقيلة

رغبة في تنمية الجانب الاقتصادي والاجتماعي وتطوير العلاقات الاجتماعية ومأسستها، ساهم العديد من المهاجرين - سواء على شكل مبادرات مبتكرة منهم أو بتشجيع من الجمعيات المحلية- في خلق فروع لجمعيات دولية تنشط بدول الاستقرار. وهي في الغالب جمعيات مستقلة تربط بين أفراد الجالية المهاجرة المنتسبين لدائرة أكنول بمسقط رأسهم الأصلي، وذلك بهدف فتح آفاق تنموية وتطوير المبادرات الانفرادية حتى تصبح مبادرات جماعية يكون لها وقع إيجابي ومستدام على سكان ومجال دائرة أكنول. هذا إلى جانب توسيع الشراكة بين الجمعية الأم المتجذرة ببلد المهجر وفروعها المستحدثة بالبلد الأصلي، فبمعية تلك الفروع يمكن عقد اتفاقيات مع منظمات وجمعيات أجنبية وجمعيات محلية، وهو ما يميز جيل المهاجرين الحاليين بدائرة أكنول. حيث تمثل الجمعيات التي لها علاقات مؤسساتية مع مهاجرين دوليين نسبة مهمة من مجموع الجمعيات بالمنطقة. فجمعيات المهاجرين الدوليين العاملة بمجال دائرة أكنول تفوق 15 جمعية، منها ما هي فروع لجمعيات نجدها فقط بالدواوير، ومنها جمعيات أسست من قبل الفئات المثقفة من أبناء الجالية. وخلال هذا البحث ستتم دراسة عينة من أربع جمعيات دولية فاعلة بالمنطقة لها شراكات وعلاقات واسعة مع النسيج الجمعوي الذي يتحرك بدائرة أكنول، وهي كما يلي:

أ- جمعية انحناحن للهجرة والتنمية: تأسست في 28 / 01 / 2018 بمدينة ميرماس جنوب فرنسا. يبلغ عدد المنخرطين بها 160 منخرطا. وتهدف إلى المساهمة في تنمية المنطقة من خلال تنمية الموارد البشرية خاصة على المستوى التعليمي والصحي، وتحقيق أهداف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية والبحث مع الجهات المحلية المعنية عن الحلول الناجعة لتشجيع المبادرات والمشاريع الرامية الى التنمية المحلية.

من بين الأنشطة الصيفية لجمعية انحناحن للهجرة والتنمية، تنظيم مهرجان سنوي يصادف اليوم العالمي للمهاجر (10 غشت)، وقد شكلت سنة 2018 الدورة الأولى للمهرجان الذي حضره نخبة من المثقفين داخل الوطن وخارجه. تخللت هذا المهرجان ندوات وأنشطة حول موضوع الهجرة الدولية بمشاركة مهاجرين منحدرين من دائرة أكنول إلى جانب فئات مثقفة محلية تحت شعار" العمل الجمعوي ومطلب التنمية بدائرة أكنول قرية انحناحن نموذجا"، بالإضافة إلى تنظيم مسابقة ثقافية لفائدة أطفال دوار انحناحن بصفة خاصة.

ومن بين أنشطة جمعية انحناحن للهجرة والتنمية أيضا تدعيم التعليم، عبر ترسيخ فكرة "التعليم للجميع". حيث قامت الجمعية بتوزيع محفظات ومستلزمات دراسية على تلاميذ فرعية سيدي موسى، وعملت على إصلاح دورة المياه لمجموعة مدارس انحناحن، وذلك بهدف محاربة الهدر المدرسي وتشجيع التمدرس وخاصة لدى الإناث.

وتفعيلا لأنشطتها الاجتماعية والتنموية المحلية، قامت الجمعية بتنسيق مع وزارة الصحة وجمعية أباء وأولياء التلاميذ بتعزيز الجانب الصحي بالمنطقة. حيث قامت بإرسال قافلة طبية لفائدة ساكنة دوار انحناحن التابعة إداريا للجماعة القروية أجدير وذلك يوم 2018/7/5، وتطوع للعمل في تلك القافلة طاقم طبي يتكون من أطباء مختصين في أمراض الأطفال وأمراض النساء وأمراض القلب والشرايين، وكان ذلك في مقر مجموعة مدارس انحناحن رغبة منها في التخفيف من حدة تردي الوضع الصحي بالدوار المذكور.

عموما تعتبر جمعية انحناحن للهجرة والتنمية من الجمعيات الدولية النشيطة في مجال دائرة أكنول عامة ودوار انحناحن خاصة. ويتبين ذلك جليا من خلال الأنشطة التنموية التي تقوم بها هذه الجمعية النموذجية في المجالين التعليمي والصحي، وأيضا في مجال إصلاح الطرق وإنجاز القناطر كما هو الحال بالنسبة لإقامة قنطرة فوق وادي أعمران بجماعة أجدير لفك العزلة عن دواويرها القروية التي تعاني من الفقر والهشاشة. بالإضافة إلى دور نفس الجمعية في تحفيز المجال الرياضي، عبر إصلاح ملعب انحناحن الذي نظم به دوري مصغر لكرة القدم شارك فيه شباب قرية انحناحن، ومساهمتها كذلك في تنظيم برامج اجتماعية واقتصادية وثقافية، وتقديم عروض وندوات لتعزيز النقاش حول المشاكل التي تعاني منها ساكنة دائرة أكنول، ومحاولة جعل العمل الجمعوي بكل تمظهراته حافزا مهما للتنمية.

ب - جمعية اكزناين للتنمية: مقرها يحتضنه مركز أكنول، تم تأسيسها سنة 2015، تضم 600 عضو وتتكون من مجموعة من الفروع، تتوزع كالتالي:

- فروع محلية: تشمل فرع أكنول، وفرع اجبارنة، وفرع تيزي وسلي، وفرع سيدي علي بورقبة، وفرع اجدير، وفرع بورد. وهذه الفروع المحلية بالإضافة إلى دورها كباقي الفروع الأخرى تعمل على تنزيل المشاريع التي تنوي الجمعية القيام بها في مجال دائرة أكنول، باعتبارها تنتشر على مجموع تراب دائرة أكنول. ويتفرد فرعي أكنول واجبارنة بموقع متميز يجعله يخاطب السلطات المحلية على مستوى دائرة أكنول.

– فروع دولية: فرع كورسيكا، وفرع جنوب فرنسا، وفرع شمال فرنسا، وفرع البنليكس وغيرها. تمارس دورها كبقية الفروع وتضاف إلى مهامها توحيد جهود مهاجري دائرة أكنول المستقرين بمختلف ربوع أوربا، بالإضافة إلى مخاطبة السلطات الدبلوماسية المغربية من سفارات وقنصليات من جهة ومؤسسات المجتمع المدني اللافتة للنظر بأوربا من جهة أخرى. وكل فرع من هذه الفروع المتوخى منها فائدة نفعية يمكن أن يساهم في تنمية مجال دائرة أكنول حسب المهام التي خصصت له.

- فروع وطنية: تضم كلا من فرع الرباط والدارالبيضاء، وهي فروع تقوم بمهامها ككل الفروع، وتنضاف لها مهمة مخاطبة السلطات المركزية والوزارية المختلفة وكل إدارة لها صلة بتنمية دائرة أكنول على المستوى المركزي والوطني.

- فرع إقليمي: يخص فرع تازة الذي يؤدي دوره ككل الفروع، والذي ينحصر بالأساس في مخاطبة السلطات الاقليمية من مديريات مختلفة ومؤسسات ذات الصلة بتنمية دائرة أكنول التابعة ترابيا وإداريا لإقليم تازة.

- فروع جهوية: تشمل فروع فاس، وعين تاوجطات، ومكناس، هذه الفروع هي أيضا تلبي دورها ككل الفروع وتنضاف إليها مسؤولية مخاطبة السلطات الجهوية وكل ما يقترن بتنمية دائرة أكنول ومقرها الإداري يوجد بمدينة فاس.

وقد قامت جمعية اكزناين للتنمية بمجموعة من المبادرات التي استفادت منها ساكنة دائرة أكنول، التي تعاني غالبا من الفقر والتهميش. ومن أهم المبادرات التنموية المحسوبة لها نذكر ما يلي:

❖ مبادرة النقل الجامعي، حيث استفاد طلبة جامعيين من أبناء دائرة أكنول، الذين لا يتوفرون على تكاليف النقل والكراء، من خدمة حافلة نقل عززت بمكتبة تجعل من فترة السفر وقتا للمراجعة والمطالعة خلال الأسبوع. أما أيام السبت والأحد وأيام العطل، فتستخدم الحافلة في النقل الرياضي والرحلات المدرسية.

تكلف بتتبع مبادرة النقل الجامعي المجلس الإداري لجمعية اكزناين للتنمية، وعقد شراكات مع الجماعات السبع التي تحتويها دائرة أكنول والمجلس الإقليمي والجهوي ووكالة تنمية الأقاليم الشمالية وغيرها من المصالح والإدارات ذات الاهتمام المشترك. وتم فتح حساب خاص لتمويل تلك المبادرة من قبل أبناء دائرة أكنول المقيمين بأوربا، وذلك لنقل فئة من طلاب مجال دائرة أكنول إلى الكلية المتعددة التخصصات بتازة، خاصة الذين لا يمكنهم الإقامة بمدينة تازة لأسباب مادية.

لقد ساهمت مبادرة النقل الجامعي في التخفيف من المشاكل التي تعترض طلبة ساكنة دائرة أكنول على مستوى السكن والتنقل. وفي مقدمتها انقطاع مجموعة من الطلبة عن الدراسة، إلى جانب هذا قد يكون الطالب متفوقا في شعبة لكنه يضطر إلى التسجيل في شعبة أخرى لا تستوجب الحضور (وهذا في حد ذاته هدر مدرسي من نوع آخر)، أو الهجرة مع أسرته إلى مدن تأوي جامعات تتقدمهم مدينتي وجدة وفاس، هذا إلى جانب مواجهة إشكالية الأمية والهدر المدرسي خاصة من قبل الفتيات من جهة. وتشجيع المتفوقين في المجال الدراسي من الشباب من جهة ثانية. وعموما تشكل مبادرة النقل الجامعي وتشجيع التلاميذ المتفوقين، رغم بساطتها قيمة مضافة تتمثل في تشجيع التعليم ونشر ثقافة الكتاب في أوساط أبناء دائرة أكنول.

❖ توجيه حاملي المشاريع: باعتبار الشباب ركيزة أساسية في المشروع التنموي، وفي إطار ورشة حاملي المشاريع نظمت جمعية اكزناين للتنمية الملتقى الصيفي لسنة 2019, كان شعاره "التواصل بين أبناء اكزناية رهان التنمية". وذلك من أجل توجيه الشباب حاملي المشاريع وتشجيعهم على تقديم مشاريع تنموية تخدم سكان المنطقة وتخفف من حدة البطالة والفقر بها، نذكر منها مشروع للخياطة العصرية ومشروع فقاسة البيض وتربية الدواجن. وقد تم تمويل المشروعين من خلال مساهمات المنخرطين الجمعويين المحليين ومساهمات مهاجرين دوليين ينحدرون من دائرة أكنول، وذلك من خلال رابط تم إنشاؤه من قبل أعضاء الجمعية لجمع التبرعات من أبناء دائرة أكنول القاطنين خارج الوطن وداخله.

❖ مبادرات اجتماعية وصحية، منها المساهمة في إعادة بناء منزل سيدة مسنة من دوار أزروا أقشار نواحي تيزي وسلي.

وفي الجانب الصحي، قامت جمعية اكزناين للتنمية بمجموعة من الأنشطة لفائدة نساء المنطقة. نخص بالذكر منها توجيه قافلة طبية لفائدة مركز جماعة سيدي علي بورقبة، بدعم من وزارة الصحة وتنسيق مع المندوبية الإقليمية لوزارة الصحة بتازة، وذلك بهدف الكشف المبكر عن سرطان الثدي وعنق الرحم، استفادت منها 260 امرأة وتم توجيه 10 حالات لإجراء فحوصات الماموغرافيا بمستشفى ابن باجة بتازة. وبالإضافة إلى ذلك توصلت نفس الجمعية بهبة من أبناء دائرة أكنول بالمهجر, عبارة عن 48 سرير طبي أهدتها لها جمعية Sport et culture en méditerranée سنة 2019، الأمر الذي كان له وقع حسن على سكان المنطقة.

وبهذا يتبين الدور الحاسم الذي تلعبه جمعية اكزناين للتنمية في تنمية الجانب الاقتصادي وتطوير العلاقات الاجتماعية، بما يعود بالفائدة على مجال وسكان دائرة أكنول.

ت- جمعية التوازن بهولندا: تم تأسيس هذه الجمعية في 14/04/2014 بهولندا, عنوانها, Stataionsweg 86, 2515 BP, S - Gravenhage ,Nederland تتشكل من200 عضو، لها عدة أهداف من أهمها دعم التنمية الاجتماعية والثقافية، وبناء التواصل والتعايش المشترك مع جميع شرائح المجتمع الهولندي وخاصة منهم المغاربة الوافدين من دائرة أكنول.

في الجانب الصحي، قامت جمعية التوازن بمجموعة من الأنشطة التي تروم تنمية الجانب الصحي وذلك لمساعدة ساكنة دائرة أكنول التي تعاني من التهميش في هذا المجال. وتتجلى هذه الأنشطة في التالي:

- اقتناء جهاز الفحص بالصدى قدم كهبة تبرعية مجانية لدار الأمومة بمركز أكنول، تستفيد منه أغلب نساء دائرة أكنول وتجنبهم بالتالي عناء الذهاب إلى مدينة تازة للفحص.
- اقتناء 12 كرسي متحرك، منها اثنان يدويان وعشرة كهربائيين، قدموا كخدمة إنسانية طالت عددا من الأشخاص يعانون من وضعية إعاقة ووزعت عبر مختلف مناطق دائرة أكنول.
- إنشاء مشروع دورة المياه خاص للنساء بمركز أجدير.
- تقديم دعم لدار الأمومة المتمثل في مساعدات للمرأة الحامل والرضع أثناء الولادة.
- اقتناء 10 آلات للخياطة قدمت كخطوة مواطنة نبيلة لفائدة النساء القرويات الوافدات على النادي النسوي بأجدير بهدف تعلم الطرز والخياطة.

ج – جمعية رحماء الهولندية: في بادرة طيبة منها

دعما للتعليم ومحاربة الهدر المدرسي، قامت جمعية رحماء بتعاون مع صندوق الدعم الهولندي المسمى ويلدخانزن فوندي / الأوز البري ومؤسسة رحماء الهولندية، بإنجاز مشروع في قطاع التعليم له انعكاسات جد إيجابية على تلاميذ ساكنة دائرة أكنول، وذلك لمحاربة الأمية والهدر المدرسي على مستوى مجال دائرة أكنول قاطبة من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، تمثل في تقديم تسع حافلات للنقل المدرسي منها 4 حافلات ماكسي طولها 7 أمتار تتسع لثلاثين مقعدا، و5 حافلات كومبي طولها 6 أمتار تتسع لعشرين مقعدا. وقد بلغ عدد المستفيدين من هذا المشروع التنموي الخيري 220 تلميذ وتلميذة، ولقد لقيت هذه العملية الحميدة استحسان ومباركة الجمعيات المستهدفة التسع على مستوى مجال دائرة أكنول ، ونعني بها:

1– ازكريتن المبادرة والتنمية

2 – بورد للتنمية والرياضة للجميع

3 – بويسلي للتنمية والتضامن

4- اهروشن للتنمية والبيئة والفلاحة

5 – ازوران الريف

6- خطوات اقروعن

7- جمعية دعم التمدرس والمدرسة الجماعاتية ملال

8 – جمعية آباء وأولياء التلاميذ انحناحن

9 – جمعية تيزي نرار.

وفي نفس السياق، ودعما للمتفوقين في الدراسة تم اقتناء مجموعة حواسب إلكترونية، قدمت كهبة لثانوية 2 أكتوبر بأكنول. والأمثلة يطول ذكرها في هذا المجال، على اعتبار أن الجمعيات التي لها علاقة وطيدة مع المهاجرين استطاعت أغلبها تجاوز العلاقة التقليدية المتمثلة في الاستفادة من الدعم المالي لتمويل المشاريع إلى علاقات مؤسساتية هدفها تعزيز حركة تنموية بمجال دائرة أكنول.

5 - المستوى التعليمي للفاعلين في جمعيات مهاجري دائرة أكنول

يعتبر المستوى الثقافي لأفراد الجمعيات أحد أهم المؤشرات التي تعكس مدى قدرة هذه المؤسسات على الانخراط الجاد في دعم البرامج التنموية، ووضع تصورات وبرامج قابلة للإنجاز. وهذا المؤشر له وزن كبير لأن المستوى المعرفي للأعضاء يفيد في التواصل مع الغير ووضع خطط مستقبلية للعمل، إضافة إلى القدرة على ترجمة الوعي بالمشاكل التي يعاني منها السكان إلى اقتراحات وإجراءات عملية.

يتميز المستوى التعليمي لأعضاء الجمعيات الدولية في مجال دائرة أكنول بتفاوته، وإن كان الطابع الغالب هو انخراط فئة لها مستويات تعليمية عالية (مبيان رقم 2) في العمل الجمعوي، وهذا ينعكس حتما على حركية ونشاط تلك الجمعيات.

مبيان رقم 2: المستوى التعليمي لأعضاء الجمعيات الدولية النشيطة بدائرة أكنول

المصدر: البحث الميداني 2018-2016

تتميز معظم الجمعيات بأسلوب عمل منضبط وأهداف عامة تراعي خصوصيات المجال في شموليته. وتنظم نفسها على شكل خلايا على النحو التالي:

- خلية العمل الميداني، تلعب دور المنسق على المستوين الوطني والدولي وذلك لجمع التبرعات والهبات.
- خلايا تقوم بالدراسات وتحديد خطط العمل، تنشط على المستويات المحلية والإقليمية والوطنية والعالمية، وذلك تحت إشراف رئيس الجمعية.

6- مصادر تمويل جمعيات مهاجرين دائرة أكنول

يشكل مصدر تمويل الجمعيات آلية هامة من آليات دعم العمل الجمعوي التي عن طريقها يمكن توفير كل أنواع الدعم الممكنة: المالية والخدماتية والتقنية والاستثمارية وغيرها. ولهذا فجل الجمعيات تعمل جادة لتنويع مصادر تمويلها عن طريق ربط علاقات وشراكات مع فاعلين أو ممولين أو متبرعين، أفرادا كانوا أو جمعيات متقاربة تصوراتهم من حيث الأهداف التي تروم تحصيلها. وكلما كان حجم تلك الشراكات كبيرا كان هناك نوع من الجدية في التعامل والارتباط بالعمل التضامني.

أغلب مصادر تمويل الجمعيات الدولية عبارة عن مساهمات الأعضاء المنخرطين. وتتراوح تلك المساهمات ما بين 100 و250 أورو في السنة، بالإضافة إلى تبرعات المحسنين وأصحاب المحلات التجارية الكبرى بأوربا. حيث تقوم الجمعيات في شهر رمضان بتنظيم وجبات إفطار للزائرين يتم أثناءها التعارف بين أفراد الجالية من مهاجري دائرة أكنول وجمع تبرعاتهم من قبل اللجنة المنظمة المشتركة للجمعيات. وفي حالات أخرى، يتم تنظيم أنشطة ثقافية اجتماعية مشتركة مع بلديات أوربية والجمعيات النشيطة بمجال دائرة أكنول الهدف منه جمع التبرعات. ففي لاهاي بهولندا مثلا، قامت بلديات ومؤسسات مدنية مثل صناديق الدعم الوطنية منها فوندس 18 /18 / مجلس الكنائس / يوليانا فوندس / برانس بيرنارد بستكود/ لوتراي يانصيب البريد / مؤسسة رحماء الهولندية / ويلدخانون فوندس / الأوز البري بجمع التبرعات لدعم مشروع إنساني خيري تنموي، مقدم من طرف الجمعيات المحلية العاملة بمجال دائرة أكنول، له ارتباط بالمجال الصحي أو التعليمي أو يسعى إلى تحسين وضعية البنية التحتية على مستوى الطرق أو القناطر أو حفر آبار أو ربط الساكنة بشبكة الكهرباء وغيره.

وقد قامت بعض الجمعيات الدولية بإبرام مجموعة من الشراكات لتنشيط حركة التنمية بمجال دائرة أكنول، نذكر منها جمعية بويسلي للتنمية والتضامن. فقد بادرت هذه الجمعية منذ تأسيسها لبناء تصور عام للتنمية المحلية آملة أن تجعل منه في ذات الوقت مرجعا موجها ورافعة للنمو الاجتماعي والاقتصادي والثقافي على مستوى مجال دائرة أكنول، وذلك لمسايرة الدينامية التي يعرفها مجموع التراب الوطني في إطار ما يعرف بالمبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي تتماشى وطموحات الجمعية في الاهتمام بالعنصر البشري. فقامت هذه الجمعية بمجموعة من الأعمال بمركز نشأتها حيث تم بناء قنطرة تيزي وسلي التي تعتبر أول قنطرة بهذه الجماعة تشيد من طرف سواعد أبنائها المقيمين بالمهجر.

وقد بادرت جمعية بويسلي للتنمية والتضامن إلى البحث عن شركاء، باعتبار الشراكة أسلوبا فعالا وناجحا للتغلب على معيقات التنمية المحلية وإطارا تضامنيا لمواجهة كل العقبات والصعوبات التي تواجه الجمعيات ذات الموارد المالية المحدودة. وبذلك أبرمت اتفاقيات تعاون وشراكة (جدول رقم 2) تصب كلها في خانة التنمية المحلية،

ويتعلق الأمر باتفاقية شراكة تم إبرامها مع مصالح منظمة "ميدا " تقضي بتشجير مائتي هكتار بأشجار اللوز والزيتون، وبناء حواجز للحد من الانجرافات، وتنظيم أيام تكوينية ورحلات لفائدة الفلاحين، وإصلاح عين للماء الشروب، وإخراج مشروع لتربية النحل، وأيضا مناقشة إنشاء مشاريع تربية الماعز المهجن والأرانب لصالح الساكنة، وقد تم تنفيذ كل تعهدات تلك الاتفاقية بكاملها.

وقامت جمعية اكزناين للتنمية بالتعاون مع جمعية "بويسلي للتنمية والتضامن" بدعم الجمعية المحلية، وذلك بهدف تحسين أوضاع الساكنة، وللإشارة فإن الجمعية المذكورة كانت مكونا وشريكا أساسيا في مشروع تزويد دوار "بويسلي" بالماء بحوالي 4000000درهم في إطار "المبادرة الوطنية للتنمية البشرية" لسنة 2006. كما حظيت الجمعية بثقة اللجنة الإقليمية للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2010 من خلال اعتماد مشروع تربية النحل الذي يعرف حاليا تطورا ملحوظا. وخلال سنة 2012 تم إنجاز الشطر الثاني من مشروع تزويد دوار" بويسلي" بالماء بشراكة مع جماعة "اكزناية الجنوبية".

جدول رقم2 : الشراكات والاتفاقيات المبرمة مع الجمعيات العاملة بمجال دائرة أكنول

اتفاقية الشراكة	الشريك	المشروع	تكلفة المشروع		تاريخ إبرام الاتفاقية
			مساهمة الجمعية	مساهمة الشريك	
إصلاح عين مزوار	ميدا	إصلاح عين مزوار	1000000 درهم	المواد الخام	2005
اتفاقية تشجير	ميدا	تشجير	غرس الأشجار	مسطحات وحفر وشتائل	2006
مشروع تزويد دوار بويسلي بالماء (حفر بئر ومد القنوات)	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية جمعية بويسلي والتضامن بفرنسا	حفر بئر ومد القنوات	4000000 درهم	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية 32000000 درهم جمعية بويسلي والتضامن بفرنسا 4000000	2006
اتفاقية تشجير	ميدا	تشجير	غرس الأشجار	مسطحات حفر شتائل	2007
اتفاقية لتكوين في ميدان الاهتمام بشجرة اللوز	مكتب الامم المتحدة للتنمية (عن طريق مكتب UNOPS)	تكوين الفلاحين في مجال الاهتمام بشجرة اللوز	إعداد لوائح المستفيدين وتوفير مكان ومستلزمات التكوينين النظري والعملي	توفير المكونين	2011

المصدر: نائب رئيس جمعية بويسلي للتنمية والتضامن. 2017

وبناءً على هذه الحقائق، فإنه إذا ما انطلقنا من النماذج السابقة الذكر وحاولنا تحليل مساهمة المهاجرين في دعم الجمعيات المحلية نجد أن ذلك يتم عبر ثلاث طرق رئيسية، وهي كالتالي:

أولا : المساهمة المباشرة من خلال المساعدات العينية والمالية.

ثانيا: مساهمة المهاجرين عبر تأسيس جمعيات هدفها دعم التنمية المحلية في المناطق الأصلية، وهي إما فروع لجمعيات محلية أو جمعيات مستقلة تربطها علاقات مع الجمعيات التنموية المحلية.

ثالثا: مساهمة المهاجرين عن طريق جمعيات الوساطة بين الجمعيات المحلية والمانحين الدوليين، فهذه الجمعيات الوسطية تبحث عن تمويلات لمشاريع مبلورة محليا.

وإذا تم تقسيم عملها من حيث مساهمتها في التنمية المحلية، فإن ما يمكن الخروج به هي محدودية هذه المساهمات. فهي محدودة في الزمان، باعتبار أن معظم التجارب التي تمت أجرأتها كانت أنشطة مناسباتية، ومحدودة

من حيث الموارد، إذ لم تصل إلى مستوى إحداث تغيير كبير في مجال دائرة أكنول, اللهم ما تعلق بمشاريع النقل المدرسي والدعم المدرسي، ودعم المعوزين الذي كانت نتائجه جد ايجابية باعتراف الجمعيات وأفراد المجتمع المدني بدائرة أكنول. على اعتبار أنها استهدفت فئة اجتماعية تعاني من ارتفاع نسبة الهدر المدرسي خاصة في صفوف الإناث وذلك لطول المسافة، حيث أن أقرب إعدادية أو ثانوية تبعد بنحو 12 كلم أو أكثر.

ورغم محدودية هذه التجارب، فمجرد التفكير في إفراز وإنشاء جمعيات من قبل المهاجرين تجعل من بين أهدافها الأساسية التنمية المحلية هو في حد ذاته دليل على الارتباط بمجال دائرة أكنول. وإذا كان أفراد نطاق بعض الجمعيات يرى أن مساهمة المهاجر تقتصر على تقديم الدعم المادي، فإنه ينبغي تغيير تلك النظرة والارتقاء بها إلى مستوى اعتبار المهاجرين فاعلين تنمويين. كما أن نظرة المهاجرين إلى ذواتهم يجب أن ترتقي إلى مستوى القدرة على تعبئة الموارد المالية والمساهمة بالأفكار من جهة، واعتبار أنفسهم فاعلين في التنمية المحلية من جهة أخرى.

إن المهاجر وخاصة ابن الجيلين الثاني والثالث بإمكانياته المعرفية قادر على التواصل والبحث عن المنظمات الحكومية وغير الحكومية المانحة للدعم، وذلك بهدف تعبئتها للمساهمة في التنمية المحلية بدائرة أكنول. وإن نظرة كهذه ترتقي بدور المهاجر من مساهم بماله الخاص إلى وسيط فاعل بين الجمعيات المحلية والمنظمات الدولية، تفتح الأبواب لخلق مشاريع يكون آثرها على الفئات المستهدفة مهما جدا.

وبهذا فالعمل الجمعوي بمجال دائرة أكنول عرف جملة من التحولات على امتداد العقود الأخيرة. حيث تحولت بنيته من مؤسسات تقليدية ذات نشاط محدود، إلى جمعيات محلية وأخرى دولية تعددت مجالات تدخلها، وذلك بهدف توفير الخدمات الاجتماعية وتعزيز المسيرة التنموية لساكنة المنطقة.

لقد ساهم المهاجر- المتشبع بثقافة جمعوية عريقة والمرتبط ارتباطا وثيقا بتقاليد وأعراف محلية ترسخ قيم التآزر والتعاون والمحافظة على الروابط العائلية- في تعزيز حركة التنمية المحلية من خلال تقديم الدعم للمشاريع التنموية التي تعتمدها الجمعيات المحلية منها والدولية على السواء، وذلك بهدف تحسين الوضع الاجتماعي والصحي والمعيشي لساكنة الجماعات القروية. ومن الجمعيات المحلية التي تعنى بالتنمية نذكر الجمعية النسوية لعين الحمراء وجمعية التنمية والثقافة والتواصل بأجدير، بالإضافة إلى جمعية نساء دائرة أكنول وجمعية الأمل لدار الأمومة بأكنول. وقد لعبت تلك الجمعيات دورا هاما في إعادة القيمة إلى الرأسمال الاجتماعي المحلي، وأعطت خصوصية للنسيج الجمعوي بدائرة أكنول. وأصبحت بذلك من أبرز العناصر الفاعلة في المجتمع المدني بما أحدثته من تحسن في وضعية النساء والأطفال.

وتندرج مساهمة المهاجرين في تحفيز التنمية بمجال دائرة أكنول خاصة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي وتطوير العلاقات الاجتماعية ومأسستها. وذلك بهدف التخفيف من الفقر، وخلق أنشطة مدرة للدخل، ودعم الأنشطة الاقتصادية الحيوية وخاصة في مجالات: الفلاحة والصناعة المحلية والسياحة الجبلية، من خلال خلق مناصب شغل وتحسين وضعية المرأة وفك العزلة عن الدواوير القروية، بالإضافة إلى تعزيز البنيات التحتية ولاسيما التزويد بالماء الصالح للشرب بما يلبي حاجيات الساكنة المحلية.

خاتمة

لقد ساهم إنشاء فروع لجمعيات دولية في تعزيز دينامية التنمية بمجال دائرة أكنول، وذلك بهدف تطوير التجارب والمبادرات بما يكون له انعكاس ايجابي على المجال والمجتمع، وتوسيع الشراكة والتعاون بين الجمعية الأم الخبيرة

والسخية ببلد المهجر وفروعها الحديثة النشأة والتجربة بالبلد الأصلي، بغية دعم الأنشطة الاجتماعية والتنموية المحلية وخلق أنشطة موازية مندمجة وداعمة تراعي هشاشة الوسط الإيكولوجي والإمكانات الجد متواضعة المتاحة من بنيات تحتية وتجهيزات أساسية. بالإضافة إلى دعم مصادر تمويل الجمعيات المحلية من خلال هبات وتبرعات لاعتماد مشاريع خيرية تنموية بالمجال الاجتماعي أو التجهيزات الضرورية. وبهذا تعد الجمعيات الدولية والمحلية بوصفها عاملا محفزا للعمل الجمعوي رهانا لتحقيق تنمية محلية بمجال دائرة أكنول. وذلك لأهمية علاقة القرب للجمعيات مع الساكنة المستهدفة ولدورها المتميز في الاستجابة لتطلعاتها واحتياجاتها.

المراجع باللغة العربية

- أبو حلاوة كريم ، 1992. إشكاليات نشوء وتطور مفهوم المجتمع المدني في المجتمع المعاصر، مجلة الوحدة العربية، العدد 9.

- الحودايجي رشيد، 2004. المجتمع المدني في المغرب، الحلقة الدراسية المشتركة، الإدارة حول توضيح مهام الدولة والمجتمع المدني والقطاع الخاص في الحياة الاقتصادية ومكافحة الفقر في إفريقيا، طنجة، المغرب، 24 – 27, مايو.

-عامر محمد والصوافي محمد، 2000، دليل جمعيات السكان العاملة، في الأحياء، المنتدى الحضري للمغرب.

- ناصيف جورج، علي مقلد محمد، عتريسي طلال، 1997 ندوة مؤسسات المجتمع المدني ورهان التغيير، مجلة المنطلق، العدد 118, ص 59،94.

- وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن،2011. تقرير وطني حول مؤشر المجتمع المدني بالمغرب. وما ينبغي الإشارة إليه في هذا الإطار، أن هذا التقرير الذي تم إنجازه في أكثر من 60 دولة عبر العالم، يعتبر أداة هامة وفعالة في فهم دينامية المجتمع المدني. وقد أنجزت الدراسة ابتداء من مارس 2011، عبر تحقيق وطني ودراسات حالات أنجزت مع عينة ممثلة الساكنة ومنظمات المجتمع المدني المغربي وشركائهم عبر مختلف المناطق، وقدمت نتائجها يوم 16 /3/ 2011.

❖ **Ouvrages et Etudes**

- Association Nationale des Améliorations Foncières de l'Irrigation et de Drainage (ANAFID), 1991, Gestion des grands périmètres irrigués au Maroc, Rabat.

- Bendaoud El Mataoui, (2004), Le nouveau rôle de l'état dans le développement économique: Institution et gouvernance , Repères et perspectives, n°6, pp. 89-104.

- BOUJROUF S. (1996), "La montagne dans la politique d'aménagement du territoire au Maroc", R.G.A., numéro special, "La montagne marocaine: développement et protection", n°4.

-De Haas. H, Vezzoli. S, 2010. " Il est temps de tempérer les espoirs, comparaison des expériences en matière de migration et développement au Maroc et au Mexique. Institut Des Migrations Internationales, université d'Oxford.

-Denoeux. G, Gateau. L, 1995 . "l'essor des associations au Maroc à la recherche d'une citoyenneté? Monde Arabe et Maghreb, n° 150, p 20.

مكانة المراكز الصاعدة في التنمية الترابية بإقليم تاونات: حالة مركز كلاز

The position of emerging centers in territorial development in the Taounate region : 'Galaz' as a case study

عبد المجيد دريزي: مختبر الدراسات والأبحاث في التنمية الترابية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة.

majiddrissi7@gmail.com

الملخص: أصبح موضوع المراكز القروية الصاعدة يحظى بأهمية محورية في مقاربة إشكالية التنمية بالمغرب، نظرا لارتباطه بتنزيل الجهوية المتقدمة، التي تهدف تحقيق الحكامة الترابية والتوازن المجالي وضمان التنافسية والجاذبية، ويفسر ذلك، على مستوى إقليم تاونات، انخراط السلطات العمومية في تأهيل عشرة مراكز قروية صاعدة، وتزويدها بتصاميم التهيئة التي تتضمن إحداث مناطق ذات التجهيز التدريجي، وإعادة هيكلة الأحياء الناقصة التجهيز، إضافة إلى إنجاز أشغال تهيئة الطرق ومرافق القرب.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مستوى تنمية المراكز القروية الصاعدة في إقليم تاونات من خلال دراسة حالة مركز كلاز، وذلك بتشخيص وضعية هذا الأخير ومؤهلاته وإكراهاته، وكذا رصد تدخلات الفاعلين واستراتيجيتهم في تأهيله. وقد اعتمدنا في معالجة هذه الإشكالية على المقاربة الترابية باعتبارها أداة للتشخيص والتحليل. وتوصلنا إلى نتائج تتمثل في محدودية التدخلات العمومية لإدماج هذا المركز في عملية التنمية السوسيواقتصادية والمجالية.

الكلمات المفتاح: مراكز صاعدة، التنمية الترابية، مركز كلاز. الهجرة القروية، التأهيل الحضري.

Abstract:

The issue of emerging rural centers has become crucial in approaching the problem of development in Morocco, as it is linked to the implementaton of advanced regionalization, which aims to achieve territorial governance and spatial balance, and ensure competitiveness and attractiveness. This includes the creation of progressively equipped areas, the restructuring of under-equipped neighborhoods, in addition to the completion of road works and local development.

This study aims to determine the level of development of the emerging rural centers of the Taounate region, in particular the Galaz Center, by diagnosing its current state, its qualifications and its constraints, and by monitoring the interventions of the actors and the territorial development strategy, relying on a territorial approach as a diagnostic and analysis tool. The results showed the limited public interventions so that we can integrate this center into the process of socio-economic and spatial development of the Taounate region.

Key words : emerging centers ; territorial development ; Galaz center ; Rural Migration ; urban rehabilitation.

مقدمة

تزايدت نسبة التمدين في المغرب منذ الاستقلال، حيث انتقلت من 42.6 % سنة 1982 إلى 60.3 % سنة 2014 (الإحصاء العام للسكان والسكنى، 1982 و2014)، وترتب عن ذلك ارتفاع عدد المدن من 250 مدينة إلى 391 مدينة بين 1982 و2004. وترجع عوامل هذه الزيادة إلى الأهمية التي أعطيت للمناطق الحضرية على حساب المناطق القروية، وتحول المراكز القروية إلى مراكز حضرية بفعل استقطاب تيارات هجرة قروية كثيفة نتيجة استفادتها من عدة مؤهلات مجالية وطبيعية وبشرية واقتصادية. وأصبحت تساهم ب 69 % من نسبة التمدين في المغرب و8 % من التيارات الهجرية (المنتدى الجهوي للشاوية ورديغة حول سياسة المدينة، 2014، ص. 3).

وتحقيقا لهذه الغاية، يتعين تبني تدبير حضري مستدام قائم على إدماج مختلف الأبعاد: الاقتصادية، والاجتماعية، والمجالية، والبيئية، مع استحضار مبدأ الموازنة والتكامل بين هذه الأبعاد، خاصة خلال مرحلة وضع المخططات التنموية، ذلك أن هذا المبدأ ألية محورية في التدبير الترابي الجيد.

بناء على ذلك، أقدمت السلطات العمومية على ترقية بعض المراكز القروية إلى مراكز صاعدة للتخفيف من الهجرة القروية الوافدة على المدن الكبرى والمتوسطة التي أصبحت غير قادرة على استيعاب العدد الهائل للمهاجرين القرويين على مستوى السكن والتجهيزات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية والبنيات التحتية. لذلك أكد المخطط الوطني لإعداد التراب سنة 2004 على الاهتمام بالمراكز القروية الصاعدة التي أضحت تشكل أداة أساسية لتنمية متوازنة للتراب الوطني، ورافعة للتنمية المحلية والمجالية (وزارة أعداد التراب الوطني والماء والبيئة، قطاع إعداد التراب الوطني، 2004، ص. 27).

يتطرق هذا المقال إلى دور المركز القروي الصاعد لكلاز، الذي يقع بدائرة غفساي التابعة لإقليم تاونات (الشكل 1). ويعتبر هذا المركز نواة شبه حضرية تلعب دورا مهما في إحداث نوع من التوازن في التنمية بين المجالات القروية والحضرية، وخلق تكامل بين المركز ومحيطه المتكون من الدواوير والجماعات القروية القريبة منه، وتنويع الأنشطة الاقتصادية، والتحكم في النمو الحضري. ومن هنا يمكن أن نطرح التساؤلات التالية:

كيف ساهم مركز كلاز في التنظيم المجالي للدواوير المحيطة به، وتحقيق التنمية الترابية؟ وما ظروف نشأة وتطور هذا المركز وطبيعة العلاقات التي تربطه بالدواوير المجاورة له؟ وما هي الإكراهات المترتبة التي يعرفها هذا المركز؟ وإلى أي حد يمكن أن يحافظ مركز كلاز على الدور الذي يلعبه؟

يهدف هذا المقال تسليط الضوء على الأدوار التي يلعبها مركز كلاز في تقريب النموذج الحضري من الساكنة والحد من الهجرة القروية إلى المدن، وتحسين مستوى عيش سكان المركز والدواوير المحيطة به عن طريق تقريب وتسهيل الولوجية للخدمات والتجهيزات العمومية الأساسية. ويهدف كذلك الخروج بمجموعة من الاقتراحات لتقوية الأدوار التي يقوم بها المركز في تنظيم المجال المحيط به، خاصة بعد تراجع عدد سكان الجماعة من 18471 نسمة

سنة 2004 إلى17333 نسمة سنة 2014، بنمو سلبي وصل 0.6- % (المديرية الإقليمية لإعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة، 2016، ص.4).

اعتمدنا في هذا المقال على المنهج الوصفي التحليلي لتحديد ظروف تشكل مركز كلاز والمؤهلات التي يتوفر عليها التي ساهمت في تطوره وتنظيمه للدواوير المجاورة له، معتمدين في ذلك على الدراسة البيبليوغرافية، والمعطيات التي توفرها الإدارات، إضافة إلى العمل الميداني والخرائطي.

III. نشأة ونمو مركز كلاز

يقع مركز كلاز بالجنوب الشرقي للجماعة، وتنتمي إداريا إلى إقليم تاونات (جهة فاس- مكناس)، يبعد عن مدينة فاس بـ 100 كلم (خريطة رقم 1)، ويتميز بعدة خصائص من حيث الموضع والموقع. وقد كان قبل الاستقلال عبارة عن أراضي فلاحية منبسطة ذات تربة خصبة تستغل في إطار الزراعة السقوية والبورية مستفيدا من واد أمزاز، مما ساهم في تركز السكان بالمنطقة، ودفع السلطات العمومية إلى تأسيس جماعة كلاز سنة 1959وإقامة مركز يضم بعض الإدارات العمومية الأساسية لتقريبها من المواطن القروي في إطار الجهود التي تقوم بها الدولة لتنمية العالم القروي والحد من الهجرة الريفية. فبدأ هذا المركز ينمو عشوائيا على ضفاف واد أمزاز، وارتفعت كثافته السكانية، مما جعل السلطات المعنية تعطي انطلاقة دراسة متعلقة بإنجاز مخطط تنمية وتأهيل مركز كلاز سنة 2015 بهدف إدماجه ضمن مسار التنمية الجهوية، ومعالجة آثار الاختلالات المجالية(Agence urbaine de Taza-Taounate, 2018, p. 21). مستهدفة تقوية القدرة التنافسية لهذا المركز الصاعد، وفق مقاربة تروم التقائية الاستراتيجيات القطاعية والسياسات العمومية بشكل يتماشى والأولويات الوطنية. ويندرج انجاز هذه الدراسة في سياق تنفيذ التوجهات الملكية لخطاب العرش بتاريخ 30 يوليوز 2015 بخصوص منح الأسبقية للمناطق القروية ذات العجز الكبير من جهة، وتفعيل التوجهات الاستراتيجية لوزارة التعمير وإعداد التراب الوطني من جهة أخرى. وقد ساهمت هذه التدخلات في إعادة تأهيل المركز من خلال إنجاز بعض المرافق العمومية وأشغال تهيئة الطرقات، وإعادة هيكلة الأحياء الناقصة التجهيز، ونتج عن ذلك ارتفاع الهجرة من الدواوير المجاورة إلى مركز كلاز، نظرا للمؤهلات التي يتوفر عليها كالموقع الاستراتيجي على الطرق الإقليمية رقم 5308 و5311 و5317 التي تربط بين كلاز بالجماعات المجاورة لها كالبيبان وغفساي وسيدي المخفي، وللإمكانيات التي يوفرها لاستقطاب الأنشطة الاقتصادي والاجتماعي التي تساهم في تحقيق التنمية. إلا أن المركز لازال يعاني من ضعف النشاط الاقتصادي الذي يتأثر بتقلبات الموسم الفلاحي والهجرة القروية.

خريطة رقم 1: موقع المجال المدروس ضمن جماعة كلاز

IV. اكتسب مركز كلاز طابعا شبه حضري مجاليا واقتصاديا

عرف مركز كلاز ضعفا واضحا في التعمير إلى حدود سنة 2000، إلا أن هذه الوثيرة تسارعت منذ تفعيل تصميم التهيئة سنة 2015، حيث بدأت التحولات في النسيج العمراني الذي تميز بتداخل السكن القروي والحضري، وهيمنة السكن غير اللائق المحتفظ بالخصائص العمرانية للمجال الريفي (المباركي حسن، 2005، ص. 29)، فظهرت التجزئة السكنية الوحيدة بالمركز المكونة من طابقين أو ثلاثة في إطار الجهود المبذولة من طرف السلطات المحلية للحد من انتشار السكن العشوائي والسكن القروي الذي تصل نسبته 31 %، و66.1 % من المنازل المغربية. وكانت التجزئة النموذجية التي أنجزت من طرف شركة التعمير الضحى تمثل أهم حي منظم سواء على مستوى الشكل أو على مستوى مظهر السكن الذي أصبح موازيا لنظيره الحضري (الجدول 1)، مما ساهم في التأهيل الحضري للمركز، وتجاوز ما كانت تعانيه أغلب أحياء المركز من تردي حالة الأزقة والشوارع، وغياب الترصيف ونقص الإنارة العمومية وضيق الأزقة، والتي تشوه المشهد العمراني للأحياء (OCDE, 2018, p. 127).

جدول رقم 1: مميزات السكن بمركز كلاز حسب إحصاء 2014

نوع السكن	%	صفة المسكن	%	المرافق الأساسية	%	التجهيزات الأساسية	%
دار مغربية	66,1	مالك	79.8	مطبخ	98	الكهرباء	96.8
قروي	31	مكتري	10.8	مرحاض	95.9	الماء	70.7
نوع آخر	2.9	صفة أخرى	9.4	حمام	61.2	الصرف الصحي	22

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014

ويرتبط المركز بشبكة الكهرباء بنسبة 96.8 %، والماء الصالح للشرب بـ 70.7 %، لكنه لم يستفد من شبكة الصرف الحي، باستثناء التجزئة السكنية الحديثة التي تخضع لجميع المعايير المعمارية مما ساعد الساكنة على التخلص من البرك المائية الراكدة. أما باقي المنازل السكنية بالمركز، فتعتمد على حفر الصرف الصحي الموجودة بجانب كل سكن، حيث يؤدي امتلائها بسرعة إلى تلوث البيئة والتأثير على صحة الساكنة وانتشار الحشرات التي تسبب بعض الأمراض الموسمية (منوغرافية الجماعة الترابية كلاز، 2010، ص. 39).

ومن أكبر المشاكل التي يعاني منها مركز جماعة كلاز، هي تدبير النفايات الصلبة خاصة في كيفية جمعها ومعالجتها، ومما يزيد الأمر تعقيدا وصعوبة هو عدم وجود موارد بشرية مختصة ومؤهلة للتعامل مع هذه الآفة البيئية (أزمري مريم، 2019، ص. 165). وقد عملت جماعة كلاز بمعية السكان إلى جمع النفايات المنزلية بواسطة عربة تجرها دابة، إلا أن هذه الطريقة التقليدية يستفيد منها سكان المركز فقط، أما ساكنة الدواوير الأخرى فهي تتخلص من النفايات المنزلية برميها مباشرة في الوسط الطبيعي بالقرب من الدواوير أو الأودية، مما يشكل خطرا على الساكنة والبيئة.

ساهم الموقع الجغرافي لمركز كلاز بالجنوب الشرقي من الجماعة، وقربه من الجماعات الترابية الهامشية في إقليم تاونات مثل سيدي المخفي والبيبان، وتواجد بعض الأنشطة الإدارية والاجتماعية في تزايد عدد السكان، وارتفاع كثافته السكانية، حيث أصبح يضم 9 % من سكان الجماعة. وهكذا ارتفع سكان مركز كلاز من 1122 نسمة سنة 1994 إلى 1346 نسمة سنة 2004، ثم إلى 1558 نسمة سنة 2014 (الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2004 و2014)، ويعزى هذا التزايد إلى النمو الطبيعي والهجرة القروية التي أدت إلى نمو المركز بشكل عشوائي على المستويين المجالي والسوسيواقتصادي.

وتتميز هذه الساكنة بالفتوة، فعلى مستوى البنية العمرية، تهيمن فئة الشباب (15 - 60) على سكان المركز ب 60.9 %، تليها فئة الأطفال (0 - 14) بنسبة 30.9%، فيما تمثل فئة الشيوخ 8.3 % فقط من مجموع سكان مركز كلاز. أما على مستوى الجنس، فيظهر تقارب كبير بين عدد الذكور الذي يبلغ 783 نسمة، مقابل 775 نسمة للإناث. كما تتميز بأهمية الساكنة النشيطة التي بلغت 41.9 %، يشكل الذكور 72.5 % منها والإناث 11.8 % (الإحصاء العام

للسكان والسكنى، 2014) (مبيان رقم 2). ويفرض التزايد الديموغرافي والساكنة النشيطة تأهيل المركز بالبنية التحتية والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسكن اللائق الذي يستجيب لكل الشرائح الاجتماعية.

مبيان رقم 1: الدخل الفردي لأرباب الأسر بالدرهم بمركز كلاز

المصدر: بحث ميداني، 2020

V. أدوار مركز كلاز في هيكلة محيطه

يشكل مركز كلاز منطقة جذب لسكان الدواوير القريبة والجماعات المجاورة مثل جماعة سيدي المخفي والبيبان، مما يجعله يوسع إشعاعه ويرفع أهميته على مستوى هيكلة المجال المحيط به(KERZAZI M, 2009, p.25)، نظرا لأهمية الأنشطة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية يتوافر عليها مثل المؤسسات التعليمية المتمثلة في الثانوية الإعدادية والتأهيلية، ودار الطالبة. وتبرز الاستمارة الميدانية التي شملت 120 عينة أهمية مركز كلاز الذي أصبح يستقطب معظم ساكنة دواوير الجماعة فيما يتعلق باستكمال الدراسة والخدمات وتيارات الهجرة من أجل الاستقرار، وكذلك التحركات اليومية للاستفادة من الإدارات العمومية (الشكل 3).

خريطة رقم 2: توزيع التجهيزات العمومية والسكنية بمركز كلاز

المصدر: بحث ميداني + صور الأقمار الاصطناعية Google Earth

3. كلاز، مركز جذب وتثبيت تيارات الهجرة القروية من الدواوير المجاورة

نظرا لضعف مردودية القطاع الفلاحي بالدواوير المجاورة للمركز وتوالي سنوات الجفاف، ارتفعت ظاهرة الهجرة القروية نحو المدن الكبرى مثل فاس والدار البيضاء وتاونات منذ ثمانينات القرن الماضي، ولعب مركز كلاز دورا مهما في استقطاب جزء من تيارات الهجرة نتيجة تركز بعض الأنشطة الاقتصادية والإدارية، وتزايد معدل الفقر والبطالة بالدواوير المجاورة. وقد بينت نتائج الاستمارة الميدانية، أن 78.3 % من الأسر هاجروا من الدواوير المجاورة المنتمية للجماعة مثل علونة الحياك، القليعة اولاد كيلان، السيوان، عين زيتون الغريفة، ازبار امشيط والمراج، أما 14.8 % فقد نزحوا من خارج الجماعة خاصة من جماعة سيدي المخفي والبيبان، في حين أن 6.9 % يمثل المركز مقرهم الأصلي (بحث ميداني، 2020). وقد أدت هذه الظاهرة إلى تزايد الطلب على السكن والأراضي المجهزة للبناء حيث وصلت نسبة الأسر المالكة للسكن 79.8 %، والمكترية 10.8 % (الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2014).

4. مركز كلاز، نواة الخدمات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية للدواوير المجاورة

يعتمد الاقتصاد المحلي لمركز كلاز على الأنشطة الصغرى التجارية والخدماتية، إذ يمكن أن نميز بين أنشطة تقليدية ترتكز على تحويل المنتوجات الفلاحية، وأنشطة حديثة تجارية وإدارية وخدماتية المتمثلة في السوق الاسبوعي الذي يقصده الزوار من مختلف الدواوير التابعة لجماعة كلاز، وكذا تجار وساكنة الجماعات المجاورة.

ويعرف السوق الاسبوعي ثلاثاء كلاز حركة تجارية مهمة خلال السنوات الأخيرة، حيث يعتبر مصدرا مهما للموارد الخاصة للجماعة التي ازدادت بمعدل 15%، ويبلغ عدد المحلات التجارية بمركز كلاز 60 محلا تجاريا تابعا للملك العام الجماعي يحيط بالسوق الأسبوعي (منوغرافية الجماعة الترابية كلاز، 2010، ص. 52)، تمثل موردا مهما بالنسبة لمداخيل الجماعة سواء تعلق الأمر بمنتوج الكراء أو الرسم المهني. كما أن الحركة التجارية تبقى على العموم متوسطة باستثناء اليوم الذي يصادف انعقاد السوق، وتوفر هذه المحلات لساكنة المركز، ودواوير الجماعة المواد الغذائية الأساسية. غير أن أهم ملاحظة تميز المحلات التجارية المتواجدة بالدواوير هي اقتصارها على توفير بعض حاجيات الساكنة من المواد الأساسية، كقنينات الغاز والزيت والسكر والتي غالبا ما يتم جلبها من المحلات التجارية المتواجدة بمركز الجماعة (جدول رقم 2).

جدول رقم 2: جرد للتجهيزات العمومية والسوسيوثقافية والخدماتية المتواجدة بمركز كلاز

التجهيزات العمومية	العدد	التجهيزات السوسيوثقافية	العدد	قطاع الخدمات	العدد
مركز الجماعة	1	النادي النسوي	1	سوق أسبوعي	1
مركز البريد	1	دار الشباب	1	محلات تجارية	60
المركز الفلاحي	1	دار الطالب والطالبة	1	مطحنة	1
مدرسة ابتدائية	1	ملعب	1	معصرة زيتون	1
ثانوية إعدادية	1	حديقة	1	غسيل السيارات	3
ثانوية تأهيلية	1	مسجد	2	محطة الطاكسي	1
مركز صحي	1	روض الأطفال	1	مقهى	2
المجموع	7	المجموع	8	المجموع	69

المصدر: بحث ميداني، 2020

تتوزع معظم الأنشطة حول السوق الأسبوعي والطريق الإقليمية رقم 5317، وتشغل يدا عاملة تقدر بأكثر من 60 عاملا. وتساهم هذه الأنشطة في استقطاب واستقرار السكان القرويين النازحين من الدواوير المجاورة، الذين يعملون في بعض القطاعات غير المهيكلة، مما يستلزم تنظيمها حفاظا على المشهد الحضري. وبذلك أصبح مركز كلاز مهيكلا لمحيطه ومساهما في تثبيت السكان بالمنطقة التي تستفيد من بعض الخدمات الأساسية كدار الطالبة والثانوية الإعدادية والتأهيلية التي ساهمت في تقليص ظاهرة الهدر المدرسي، والربط بشبكة العمومية للماء الصالح للشرب.

VI. التحديات التي تواجه مركز كلاز وتعيق تطوره

رغم مؤهلاته الفلاحية وموقعه الاستراتيجي، يواجه مركز كلاز عدة إكراهات تعرقل مسار التنمية الترابية، نذكر منها:

ث. **مشكل التعمير:** يعرف مركز كلاز حركة عمرانية بطيئة، فعلى الرغم من أن المركز يتوفر على تصميم للتهيئة سنة 2015، وعلى تجزئة سكنية مجهزة بشبكة الكهرباء والماء، إلا أنه مازال يعاني من التوسع العشوائي، يرجع ذلك إلى تعقد المساطر للحصول على رخص البناء، فتلجأ ساكنة المركز الى البناء بدون على رخصة من أجل تلبية طلباتها المتزايدة على السكن؛

ج. **البنية التحتية:** تعاني أحياء المركز من ضعف البنية التحتية وتردي حالة الأزقة والشوارع، وغياب الترصيف ونقص الإنارة العمومية وضيق الأزقة، والتي تشوه المشهد العمراني داخل الأحياء. ولا يستفيد المركز من شبكة الصرف الصحي باستثناء التجزئة السكنية الحديثة التي تخضع لجميع المعايير المعمارية حيث تم تجهيزها بكل الضروريات من ماء، وكهرباء، وتطهير السائل، الشيء الذي ساعد الساكنة على التخلص من البرك المائية. أما باقي المنازل السكنية فتعتمد على حفر الصرف الصحي، إذ يؤدي إلى امتلائها بسرعة إلى تلوث البيئة والتأثير على صحة الساكنة وانتشار الحشرات؛

ح. **تدبير النفايات الصلبة:** من أكبر المشاكل التي يعاني منها مركز جماعة كلاز، هي تلك المرتبطة بتدبير النفايات الصلبة خاصة فيما يتعلق بكيفية جمع ومعالجة هذه النفايات، ومما يزيد الأمر تعقيدا وصعوبة هو عدم وجود موارد بشرية مختصة ومؤهلة للتعامل مع هذه الآفة البيئية. وقد عمد سكان مركز كلاز إلى جمع النفايات المنزلية بواسطة عربة تجرها دابة. ويتم تتخلص من النفايات المنزلية برميها مباشرة بالوسط الطبيعي أو الوديان مما يشكل خطرا على الساكنة والبيئة؛

خ. **ضعف الربط وصعوبة الولوجية:** يعبر تراب مركز كلاز طريقين معبدين ضيقين ومتهالكين يصل طولهما 34 كلم، وهي الطريق الإقليمية رقم 5317 الرابطة بين كلاز وسيدي المخفي والتي تمر بدواوير حراقة اغدوسة وباب الحمراء. والطريق الاقليمية رقم5308 الرابطة بين مركز الجماعة وجماعة البيبان (منوغرافية الجماعة الترابية كلاز، 2010، ص. 35). كما يرتبط مركز الجماعة بشبكة من المسالك التي تربطه بالدواوير التابعة لجماعة كلاز، إلا أنها تتميز بكثرة الانعراجات وشدة الانحدار ورداءتها، مما يجعلها لا تقوم بالدور الذي أنجزت من أجله بسبب الأخطار التي تتعرض لها خاصة خلال فصل الشتاء، ومن بينها خطر انجراف التربة وانهيار المنشآت الفنية، ويجعل الساكنة في عزلة تامة خاصة دواوير الزاوية مولاي عبد الرحمان، سيدي لحسن، الصنوبر، قلعة وراش، ازبار امشيط، سيدي الجاي وبوزرقة، كما وقع خلال نهاية سنة 2010 عندما انهارت قنطرة واد أمزاز، وتسببت في صعوبة ولوج الساكنة إلى الخدمات الصحية والتعليمية، وتوقف التنقلات اليومية للعمل. وقد أثرت هذه المشاكل سلبيا على الأنشطة الاقتصادية داخل المركز وخصوصا السوق الاسبوعي ثلاثاء كلاز؛

د. **ضعف الاستثمارات:** يعتبر ضعف الاستثمارات العمومية والخاصة من أكبر المشاكل التي تحد من التنمية الترابية بمركز كلاز. ويتضح ذلك من خلال محدودية الموارد المالية لمركز الجماعة التي

تتشكل من المداخيل الذاتية لجماعة من منتوج كراء بعض الأملاك الجماعية كالسوق الأسبوعي ثلاثاء كلاز، الدكاكين الجماعية، الدور السكنية، إضافة الى بعض الضرائب والرسوم المحلية كالرسم المهني، وضريبة الذبح بمجزرة السوق، والرسم على استخراج مواد المقالع، ورسوم الحالة المدنية وتصحيح الإمضاء وغيرها من الضرائب ذات القيمة الضعيفة. وتمثل المداخيل 6 075 515.98 درهما، بينما تصل المصاريف إلى 10 610 146.67 درهما. وما يلاحظ في توزيع ميزانية جماعة كلاز خلال سنة 2010 هو ارتفاع نفقات مصاريف التسيير الى 79.67 % على حساب مصاريف الاستثمار التي تمثل 60.55 % (منوغرافية الجماعة الترابية كلاز، 2010، ص. ص. 99-100). مما يبين ضعف إعادة تأهيل المركز على مستوى البنية التحتية والتجهيزات الأساسية التي تستقطب الاستثمارات الخاصة. ويعزى ذلك، لضعف تدخلات السلطات المنتخبة التي لا تأخذ بعين الاعتبار حاجيات المواطنين، وغياب رؤية شمولية وتشاركية، وعدم قدرتها على استقطاب الاستثمارات الخاصة التي ركزت اهتمامها على بعض المشاريع التجارية والخدماتية الصغرى كالمحلات التجارية والمقاهي، التي لا تساهم في تحقيق التنمية الترابية بالمركز، مما يؤدي إلى فشل المشاريع التنموية المبرمجة.

خاتمة:

ساهم مركز كلاز في التأثير على محيطه وتقريب النموذج الحضري من الدواوير المجاورة له، ويتجلى ذلك من خلال استقطاب عدد مهم من الأسر القروية التي استقرت بالمركز، وتثبيت الساكنة المرشحة للهجرة نحو المدن الكبرى كفاس والدار البيضاء وطنجة. إضافة إلى تحسين إطار عيش السكان عن طريق تقريب وتسهيل ولوجهم للخدمات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، وتنويع الأنشطة الاقتصادية التي تخلق فرص الشغل، وتقوية التماسك الاجتماعي والمجالي. وعلى الرغم من هذه الأهمية، فإن المركز يخضع لعدة تحديات تعيق تطوره.

من المؤكد أن تعزيز التنمية الترابية بمركز كلاز لا يمكن ضمانها دون تطوير سياسة القرب وتحويل المركز إلى قطب للتنمية المحلية والإقليمية، وضمان تنمية متوازنة ومستدامة ترتكز على استراتيجية تشاركية ومستدامة، تسمح بتحسين مستوى البنية التحتية الأساسية لتسهيل مستوى الولوجية، وتحسين الإطار العمراني وتنويع العرض السكني، وتشجيع الاستثمارات التي تولد وظائف ذات قيمة مضافة، لاسيما في قطاعات تجهيز وتسويق المنتجات الزراعية والخدمات المرتبطة بها وتنويع الأنشطة غير الفلاحية التي توفر فرص الشغل.

ستساعد هذه المحاور الاستراتيجية على التقليل من الاختلالات الاجتماعية والمجالية، وعدم المساواة بين المدن والأرياف، وتخفيف عبء الهجرة الريفية التي تتحملها المدن المجاورة. بالإضافة إلى ذلك، ستساهم هذه الاستراتيجية في تطوير المركز على أساس المعايير الاجتماعية والاقتصادية والبيئية. فعلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ستساعد في تأهيل الاقتصاد الريفي من خلال تنويع أنشطته شبه الزراعية والاهتمام بالأنشطة غير

الفلاحية، وتدبير أمثل للاستثمار العام المخصص للمركز، مع تشجيع الاستثمار الخاص، وتحسين مستوى عيش السكان القرويين (تلبية الاحتياجات من حيث الإسكان والخدمات الاجتماعية والصحية والترفيهية والتعليمية) لضمان تنمية ترابية مستدامة.

المراجع المعتمدة:

- أزمري مريم، 2019: "الأدوار، التحديات وآفاق التنمية الترابية: المراكز القروية الصاعدة بالمغرب، حالة مركز سيدي علال التازي بجهة الرباط- سلا – القنيطرة"، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، العدد 6، ص. ص.151-170.
- بوجي بلال وعزي هرو، 2018: "المراكز القروية بالمغرب ودورها في تنظيم المجال القروي المحيط بها: حالة مركز كرونة بجماعة تمسمان (شمال الريف الشرقي)"، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد 23. ص. ص. 23-38.
- فتوحي محمد، 2009: استراتيجية تنمية المدينة: مقاربة منهجية قابلة للتطبيق على المراكز الناشئة في المجال الريفي المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 162، الرباط، ص.ص. 15-22.
- المباركي حسن، 2005: "المجال شبه الحضري بين المنظور التقني الإداري والتحليل الجغرافي، حالة الدواوير الهامشية بضاحية مدينة مراكش"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 122، ص. ص. 29-48.
- المنتدى الجهوي للشاوية ورديغة حول سياسة المدينة، 2014: "المراكز الصاعدة، رافعة للتنمية الترابية"، دراسة أنجزت في إطار شراكة بين الوكالة الحضرية لسطات والمعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الحوار الوطني لسياسة المدينة، 10 ص.
- المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات 1982 و2004 و2014.
- منوغرافية الجماعة الترابية كلاز، 2010.
- وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة، المديرية الإقليمية بتاونات، 2016: "تأهيل المراكز الناشئة بإقليم تاونات"، 106 ص.
- KERZAZI, M., 2009 : " Les centres ruraux et petits centres urbains, outil de structuration de l'espace rural au Maroc ". In Kerzazi M. (sous-direction), l'urbanisation de la campagneau Maroc, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat. Serie colloque et séminaires, n° 162, p.p. 25-44.
- OCDE, 2018 : "Les liens urbain-rural dans les provinces de Taounate (Région Fès-Meknès) et Berrechid (Région Casablanca-Settat)", Dialogue Maroc-OCDE sur les politiques de

développement territorial : Enjeux et Recommandations pour une action publique coordonnée, Éditions OCDE, Paris, 289 p.

- Agence Urbaine de Taza, 2016 : Plan d'aménagement de la ville de Taunate et sa zone périphérique, Rapport : diagnostic, analyse et évaluations prospectives, 18

الحرف التقليدية، تراث ثقافي متميز ومدخل استراتيجي للتنمية المحلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، كتلة تازكا أنموذجا

Traditional crafts, a distinguished cultural heritage and a strategic entry point for local development in the northeastern Middle Atlas, the Tazka massif as an example

1- فاطمة العمراني، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه تخصص جغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية fatiah043021@gmail.com
2- المصطفى ندراوي، أستاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية nadraoui3@yahoo.com
3- عبد المجيد السامي، أستاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية abdelessami@yahoo.fr

الملخص: تشكل الحرف التقليدية إلى جانب كونها تراثا ثقافيا، نشاطا مدرا للدخل يمكن من تحقيق الاستقلالية المادية للعديد من النساء القرويات. فهذا القطاع، يمثل محورا أساسيا للتنمية المحلية، نظرا لمكانته الهامة على مختلف الأصعدة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال مساهمته في مجال التوظيف والإنتاج والاستثمار. سنتعرف في هذا المقال على أهم الحرف التقليدية بالمنطقة، ودورها في النهوض بالتنمية المحلية للكتلة.

الكلمات المفاتيح: الصناعة التقليدية، الحرف، الحرف التقليدية، الحرف الجميلة، الحرف المصنعة، التنمية المحلية

Abstract :

Besides being a cultural heritage, traditional crafts constitute an income-generating activity that enables the financial independence of many village women. This sector represents an essential focus for local development, due to its important position on the various cultural, social and economic levels, through its contribution to employment, production and investment. In this article, we will learn about the most important traditional crafts in the region, and their role in promoting the local development of the bloc.

Key words: traditional industry, crafts, traditional crafts, fine crafts, manufactured crafts, local development

مقدمة:

منذ القدم انهمكت النساء، على مر الزمن، في صنع ونسج زرابي وألبسة متعددة الأشكال والألوان، حاكتها أيادي النساء الشغوفات والمبدعات، مما مكن المغرب من الاغتناء برصيد متنوع وواسع.

تجسد الحرف التقليدية، التي تتميز بتناسق أشكالها الهندسية وألوانها الجذابة، تشبث المرأة الأمازيغية بالتقاليد المغربية والعادات الشعبية، المتمثلة في صناعة هذا المنتوج الأصيل الذي يؤرخ لتاريخ وطقوس وهوية قبائل بني وراين.

تشكل المرأة الأمازيغية بكتلة تازكا عماد الحرف التقليدية، إذ تحولت مع مرور الزمن إلى مبدعة بالفطرة في هذه الحرف، لا سيما أنها تقوم برسم العديد من الأشكال الفنية والإبداعات الساحرة؛ ما يجعل منتوجاتها- لوحات تشكيلية رائعة، تحتفظ بصورة عن التراث الأمازيغي المغربي الأصيل، وتمثل جزءا من هوية قبائل المنطقة ونشاط سكانها، الذين يستمدون خيوطها وألوانها ومفردات أناقتها من التراث القديم.

الإشكالية:

من خلال علاقة الحرف التقليدية بالتنمية المحلية، تبرز لنا معالم الإشكالية التي سنعمل على معالجتها والإجابة على التساؤل الرئيسي المتمثل في: كيف تساهم الصناعات التقليدية والحرف المحلية في النهوض بعجلة التنمية المحلية؟ من خلال هذا يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية:

- ماذا نعني بالصناعات التقليدية والتنمية المحلية؟
- ما هو دور الحرف التقليدية في التنمية المحلية بكتلة تازكا؟
- كيف يمكن الحفاظ على هذا التراث الثقافي وتثمينه؟

الفرضيات:

- تعتبر الحرف المحلية إبداع يغلب عليه الطابع اليدوي، باعتماد مواد محلية تقليدية بالدرجة الأولى، وأيضا آلات وأدوات ذات طابع تقليدي.
- تساهم الحرف المحلية في الدفع بعجلة التنمية المحلية.
- تواجه الحرف التقليدية مجموعة من العراقيل وجب تجازها .

الأهداف: تتركز أهداف الدراسة فيما يلي:

- التعريف بالتنمية المحلية، والحرف التقليدية
- التعرف على دور هذا القطاع في الدفع بعجلة التنمية.
- اقتراح مجموعة من الاستراتيجيات الكفيلة بتطوير هذا التراث الثقافي وتثمينه والحفاظ عليه.

المنهج المتبع: لدراسة هذا الموضوع استخدمنا المنهجين الوصفي، لإعطاء شرح للإطار النظري للتنمية والتراث الثقافي، والتحليلي لتحليل الإحصائيات المتحصل عليها.

1 **الصناعة التقليدية والحرف:** تعتبر الحرف التقليدية آلية من آليات النهوض بالاقتصاد المحلي، وسنتطرق في هذا العنصر إلى ما يلي:

1.1 **تعريف الصناعة التقليدية والحرف:** تعتبر الصناعات التقليدية نتاجا حضاريا لآلاف السنين من التفاعل الحي بين المجتمعات المحلية وبين المجتمعات الأخرى. وهي مكون أصيل للذاكرة الحضارية ورصيد مخزون للإمكانيات الإنتاجية الذاتية داخل كل مجتمع محلي. وعليه لا يوجد تعريف عالمي موحد للصناعة التقليدية والحرف، لذلك سنذكر مجموعة من التعاريف منها:

1.1.1 تعريف منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية-(UNIDO): قسمت منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية الحرف اليدوية إلى أربعة أقسام، وفقا للسوق المستهدف كما يلي:

- **الحرف التقليدية الجميلة**: هي التي تعبر منتجاتها عن الخصائص العرقية والتراث التقليدي حيث تكون ذات طابع فريد من نوعه، تنتج بالوحدة وتصنف ضمن الأعمال الفنية. كما تعرض منتجاتها في المتاحف والمعارض الفنية، ويتم شراؤها من قبل محبي جمع الآثار.

-**الحرف التقليدية:** هي حرف تستخدم أساليب تقليدية وتكون منتجاتها مصنوعة يدويا باستعمال مواد أولية تقليدية وتكنولوجية. ويكمن الفرق بينها وبين الحرف التقليدية الجميلة في كون أن الحرفيين يلجئون إلى مصممين لمساعدتهم على ضبط المنتج حسب متطلبات السوق مع ضمان ظهور الخصائص العرقية والخلفية التاريخية والمحافظة عليها، كما يمكن أن تنتج بكميات كبيرة.

- **الحرف التجارية:** تكون منتجاتها مصنوعة تقليديا ومكيفة حسب احتياجات وأذواق السوق وبدرجة عالية اتجاه الموضة وتخصص للأجانب، تنتج بكميات كبيرة وباستخدام عدد وأنواع وسائل أكبر وتعرض في المتاجر المتخصصة والمحلات التجارية.

- **الحرف المصنعة:** تمثل كل نماذج الصناعة التقليدية المعاد إنتاجها بواسطة آلات أوتوماتيكية، تنتج بأحجام أكبر، وقد لا يلتزم المنتجون لها بالطابع التقليدي للمنتج[165].

2.1 تعريف التنمية المحلية:- التنمية المحلية: " هي العملية التي بواسطتها يمكن تحقيق التعاون الفعال بين الجهود الشعبية والجهود الحكومية للارتفاع بمستويات التجمعات المحلية والوحدات المحلية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وحضريا من منظور تحسين نوعية الحياة لسكان التجمعات المحلية في مستويات الإدارة المحلية في منظومة شاملة ومتكاملة"[166].

-" ترتبط التنمية المحلية بشكل جوهري بمفهوم متعدد الأبعاد للتغيير يجمع بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، مع الابتكار عبر وفي الفراغات بين هذه الأبعاد، نظر إليه على أنه طريقة تساعد على تحسين نوعية الحياة، ودعم أو تسريع تمكين الناس العاديين، وتطوير الأصول المحلية أو الحفاظ عليها، والتغلب على إخفاقات السوق، وتعزيز التماسك، وتحديد مشاريع التنمية الشعبية وتقديمها"[167].

3.1 التراث الثقافي: تعرف "اليونسكو" التراث بأنه: "ميراث الماضي الذي نتمتع به في الحاضر وننقله إلى الأجيال القادمة"[168]. وتعتبر التراث الثقافي بأنه: "ميراث المقتنيات المادية وغير المادية التي تخص مجموعة ما أو مجتمع لديه موروثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت-للأجيال المقبلة[169].

2: المهارات الحرفية التقليدية تراث ثقافي غني ومتنوع

---

[165] سعيدة حمادي و نبيلة عرقوب،(2020)، الصناعة التقليدية والحرف كمدخل استراتيجي لتنمية القطاع السياحي، المجلة الدولية للأداء الاقتصادي/ جامعة أمحمد بوقرة بومرداس/ مخبر أداء المؤسسات الاقتصادية الجزائرية في ظل الحركية الاقتصادية الدولية، العدد 5، ص 75- 76.

[166] شيباني مليكة، حفصي بونبعو ياسين(2021)، دور القطاع السياحي في تحقيق التنمية المحلية بولاية تيبازة، دفاتر البحوث العلمية، المجلد 9، العدد1،ص5.

[167] Marjorie, Katalin ,Jean-Pierre,Péter,et Nadége,april 2010,p.10.

[168] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "التراث الثقافي المادي"، مكتب اليونسكو بالقاهرة.

[169] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "النصوص الأساسية المتعلقة باتفاقية التراث العالمي 1972"، (نشرة 2005)، المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، (17 أكتوبر-21 نوفمبر 1972).

تشكل المهارات الحرفية التقليدية، إحدى المكونات الأساسية للشخصية المحلية، فهي الوسيط بين الماضي والحاضر، تنتجها الأيادي الإبداعية لتبلغ رسالة أصيلة من عمق التاريخ القديم والتراث الإنساني الذي صهرته عبر الزمن[170].

تحتل الصناعة التقليدية مكانة بارزة في بعض الجماعات القروية بأرياف الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، جنوب مدينة تازة، نظرا لأصالتها وأهميتها الاقتصادية. ويمكن تفسير ذلك بمجموعة من العوامل: منها الاستقرار البشري القديم، وتوفر المادة الأولية منها الحيوانية والنباتية والطين، والاستجابة للحاجيات الأساسية للسكان. وأهم الأنشطة الصناعية الأصيلة المعروفة بالمنطقة هي:

1.2 الزربية الوراينية

اشتهرت هذه المنطقة أكثر من غيرها بزرابي ثقيلة تستعمل لمقاومة البرد القارس، أو ما يعرف بالزربية الوراينية التي كانت لها سمعة وطنية، أما عن طريقة صنعها فقد كان يتم اختيار فصل الربيع، كفصل مناسب "لجز الصوف وغسلها وتجفيفها وتصنيفها حسب اللون والجودة. لتعمل النساء على إحضار آلة صغيرة تسمى "امشطن" ومغزل صغير "طزتشت" لنسجها على شكل خيوط "[171].

لوحة صور رقم 1 :أنواع الزرابي بالمنطقة الأولى مصنوعة من الخيط والثانية من الصوف

المصدر تصوير شخصي بتاريخ : 2019/07/12

يلاحظ من خلال الصور أن الزخارف التي تزين بها هذه المصنوعات التقليدية ... عبارة عن تكوينات مجردة تعتمد على الخطوط المستقيمة والأفقية[172]، والزربية الوراينية ارتبطت بشكل المربع أو المعين، ويكون إما مغلقا أو مفتوحا، هذا الأخير يدل رمزيا على الآمال والطموح اللامتناهي للمرأة الوراينية، هذه الأخيرة تربطها بزربيتها أسرارا دفينة لأنها تغزلها بحب، وتتفنن في إبداع أشكال هندسية.

[170] منير الصادكي، التراث بالمغرب بين التنوع والاكراهات واستراتيجيات التثمين، محاضرة في الجغرافية.

[171] عبد الواحد بوبرية وآخرون.(2011). التراث الأمازيغي الورايني والتنمية المحلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي. صص101-123، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو" الثقافة ورهانات التنمية" الشركة العامة للتجهيز والطبع. ص.112.

[172] العادات والتقاليد في المجتمع المغربي.(2007). ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. ص 51.

صورة رقم 2 : الصوف المصبوغ يدويا من طرف الساكنة

تصوير شخصي بتاريخ: 2019/07/15

يظهر من خلال الصورة اختلاف في ألوان الصوف، هذه الأخيرة يتم الحصول عليها بطريقة يدوية أيضا، فالحصول على البرتقالي يتم انطلاقا من غلي قشور الرمان، أما فيما يخص اللون الأسود فإنه يتم بوضع الصوف في ماء مغلى مع قشور الجوز "الكركاع"[173]. وتبدأ الطقوس الأولى لصناعة هذه الزربية في ماي، بجز صوف الغنم وغسله وتنظيفه في مياه وديان المنطقة الرائقة، ثم تنشيفه وتمشيطه وصباغته بالنباتات الطبيعية، ثم غزل الخيوط الصوفية لتتحول فيما بعد إلى حكايات منقوشة على زرابي تخلب الألباب.

على اعتبار أن تحضير المادة الأولية يتم بطريقة يدوية، فهذه مجموعة من الأدوات المساعدة على ذلك توضحها الصور التالية:

لوحة صور رقم 3: الأدوات المستعملة للنسج

المصدر تصوير شخصي بتاريخ: 2019/07/15

يتضح من الصور أعلاه أن الأدوات التي يتم استخدامها في نسج الزرابي هي أدوات بسيطة يتم اقتناء بعضها والبعض الآخر يتم تركيبه يدويا. فقد شكّل المغزل والمنسج وخيوط الصوف الملونة طفولة بنات منطقة مغراوة بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي. حيث تجد المرأة الوراينية- نفسها نساجة- حيث الغزل والنسج جزء من يوميات كل امرأة، والمنسج أداة أساسية في كل بيت. ليست الزرابي عملا يدويا هدفه الربح فقط. بل إنها جزء من هوية هؤلاء النساء، فهن يطلقن العنان لمخيلتهن وأحاسيسهن لرسم لوحات فنية ساحرة، وتتحول الخيوط الصوفية الملونة في أيديهن إلى ريشة مطواعة تنقل على المنسج لحظات فرحهن وحزنهن وعشقهن وانتظارهن وأحلامهن.

[173] شهادة شفوية للحاجة لويز عطومة من دوار العنصر الموجودة بالصورة، جماعة مغراة بتاريخ 2019/07/15

2.2 أصالة اللباس والأفرشة التقليدية:

تتجلى أصالة اللباس التقليدي لهذه المناطق في كونها ملابس محلية بامتياز، تصنع بهدف مقاومة قساوة المناخ خلال فترة الشتاء الطويلة إلى درجة جعلت ابن الخطيب يرى أن "ريحه عاصف، وبرده لا يصفه واصف". وهو ما يحتم على الساكنة السعي في الحصول على الدفء، ولن يتأتى ذلك إلا بالحصول على اللباس والأغطية. وهو ما يتحدث عنه ابن خلدون قائلا: "اعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية: لا بد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في الكن. ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد"[174]. يتم نسجها بالتعاون بين أفراد العائلة من خلال توزيع الأدوار حسب الجنس، حيث يقوم الذكور بتجهيز قطعان الماشية، وجز الغنم، أما النساء فدورهم هو تنظيف الصوف ونفشه وغزله، للحصول على خيوط صوفية غاية في النعومة، ومن أنواع الألبسة التي يتم نسجها: الجلباب والحندیرة.

لوحة صور رقم 4: اللباس التقليدي والأفرشة

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ 2019/07/15

تنتج النساء كذلك مجموعة من المجوهرات التقليدية لتزيين العروس، والتي نوردها كالتالي:

- تبرطين : يصنع من تودعين، العقيق والموزون والخيط الذي مصدره هو صوف الخروف. يوضع فوق رأس العروس بعد أن تصبح في بيت الزوجية.
- العقيق: يوضع في عنق العروس.
- الحمالة: توضع فوق الرأس أو على شكل حزام يصنع من الخيط والموزون.
- مرفد: يوضع فوق الرأس.

[174] عبد الرحمان ابن خلدون.(2001). المقدمة لديوان المبتدأ والخبر. الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ص.516.

لوحة صور رقم 5: مجموعة من المجوهرات المصنوعة يدويا

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ2019/07/15

تعبر الصور عن إبداع المرأة الوراينية، التي استطاعت أناملها أن تتفنن في صنع هذه الحلي الجميلة، وأن تعطيها أسماء محلية خاصة بكل قطعة. خاصة وأن تزيين العروس بها يعطي لمسة نوعية تعبر عن أناقة المرأة الجبلية. لكن ما موقع هذا الابتكار ضمن الحلي المبتكرة في مناطق جبلية أخرى، والتي فرضت نفسها في مسلسل التسويق الوطني؟

3.2 صناعة الفخار

يعتبرالفخار صناعة فنية مختلفة، تنوعت باختلاف الحضارات التي عرفها تاريخ المغرب. إنها صناعة عريقة ترجع إلى عصور قديمة، وتعكس وجها من وجوه الصانع والمواطن المبدع. هذه الصناعة لا تعكس شكلا واحدا ولا نوعا واحدا فقط، بل إنها متعددة ومختلفة باختلاف الصناع والمناطق. فهي أصناف ولكل صنف طابعه الخاص.

يعتبر-الفخار بمنطقة تازة وخصوصا بمنطقة بوشفاعة- ذو طابع قروي، غني بأشكاله القديمة التي تجسد البيئة القروية، ولا يقف هذا التصنيف عند هذا الحد بل يتعداه وذلك بفعل الاختلافات الموجودة في طرق الإنتاج والتقنيات البسيطة المستعملة.

لا يمكن اعتبار هذه الصناعة سهلة يمكن تعلمها بسرعة، بل إنها تتطلب تجربة وممارسة وصبرا خارقا لأنها صناعة شاقة[175].

لوحة صور رقم 6 : أواني من الفخار ذات الاستعمال المنزلي

قبل التجفيف فوق النار بعد طهيها فوق النار وصقلها

تصوير شخصي بتاريخ : 2019/07/17

تعتبر هذه الصناعة حكرا على النساء، يستعمل فيها الطين كمادة أولية والمتوفرة بشكل كبير محليا، نظرا لطبيعة المنطقة الطينية، تقوم بتوفير بعض الأدوات البسيطة التي تستعمل داخل المنزل مثل الطاجين، الكانون الصغير "الفراح".

4.2 صناعة الدوم والحلفاء تنتشر هذه الصناعة ببعض الدواوير كدوار الدرودار، وأدمام بجماعة باب بودير ودوار العنصر بمغراوة ... تعتمدها النساء في صناعة مجموعة من الأدوات المنزلية والتي توضحها الصور التالية:

لوحة صور رقم 7 : أدوات من الدوم والحلفاء

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ 2019/07/15

نستنتج إذن أن تقسيم العمل في الصناعة التقليدية بقبائل الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، كان للمرأة فيه نصيب مهم؛ فدورها داخل وحدة الإنتاج كان محوريا. أما عن المبادلات وتسويق المنتوج الصناعي بالمنطقة، فقد كان جد محدود، ولم يوجه إلا للاستهلاك الذاتي[176].

[175] مندوبية الصناعة التقليدية تازة، دراسة تشخيصية حول قطاع الفخار بإقليم تازة.

3. الحرف التقليدية: تراث ثقافي غني

تمثل الصناعات والأنشطة التقليدية، جزءا من الثقافة في تاريخ الحضارة الإنسانية، إلى جانب كونها موروثا ثقافيا يرمز إلى التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، بالرغم من أن الكثير منها قد اندثر، إلا أنها تظل شاهدا على قدرة الإنسان القروي على أن يحيى ويصارع صعاب الحياة[177].

يمثل قطاع الصناعة التقليدية بمجال تازكا، إحدى المكونات الأساسية لبنياتها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية، فبالإضافة إلى كونه أحد أهم مظاهر الحياة التراثية والثقافية التي تعبر عن العادات الاجتماعية المتوارثة، وتنبع من صميم مميزات الشخصية والهوية المحلية، فهو كذلك مجال اجتماعي يشغل نسبة مهمة من اليد العاملة، بالإضافة إلى كونه قطاعا اقتصاديا يساهم في التنمية المحلية للمنطقة.

مبيان رقم 1: نوع النشاط الحرفي الممارس من طرف الساكنة

المصدر: بحث ميداني تاريخ 2019/07/17

يلاحظ من خلال المبيان أن الحرفة الغالبة هي صنع الأثاث المنزلي، والأمر هنا يتعلق خاصة بالزربية، التي تعتمد بالدرجة الأولى على الصوف كمادة أولية، ويتراوح ثمنها ما بين 20 و45 درهما للكيلوغرام الواحد، حسب جودة ونظافة الصوف، التي غالبا ما يتم جلبها من السوق اعتمادا على ادخار شخصي لرأس المال. أما الزربية المصنوعة من الخيط فإن ثمن الكيلوغرام الواحد يبلغ 165 درهما. غالبا ما تكون فترات تسويقها حسب الطلب ويتم عن طريق وسطاء حيث يتم بيعها إلى أسواق خارجية كصفرو وخنيفرة وهرمومو...[178]

[176] عبد السلام الأشهب. (2017-2018). الصناعة وآفاق التنمية المحلية بإقليم تازة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، ص.58

[177] هيام ميلاد زريبة.(2018). الإبداع والابتكار والتنمية في العمارة والتراث والفنون والآداب، الرؤى الجمالية لموضوعات الصناعات التقليدية الليبية في اللوحة التشكيلية المعاصرة، كلية الفنون والإعلام- جامعة طرابلس-ليبيا. بتصرف. ص 67.

[178] مقابلة شفوية مع الساكنة بتاريخ 2019/07/12

لوحة صور رقم 8: منتوجات حرفية محلية ذات استعمالات مختلفة

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ 2019/07/26

يلاحظ من خلال الصور أعلاه، أن النشاط الحرفي المهيمن هو صناعة الأثاث، والمتمثلة بالدرجة الأولى في الأغطية والزربية، تم إدخال على هذه الأخيرة مجموعة من التعديلات، من قبيل الألوان بعدما كانت ترتكز بالدرجة الأولى على المربعات السوداء. تظهر الصورتان الأولى والثانية صناعة الملابس كالجلباب أو تاحلاست .

يرتبط هذا القطاع ارتباطا وثيقا بالسياحة، باعتباره يستأثر باهتمام السياح على مستوى اقتناء منتجات يدوية محلية، وبالتالي فإن الحرف التقليدية بهذا المجال، تمثل إحدى المقومات السياحية الحضارية والثقافية الأساسية بالمنطقة، كما تعكس التطور الاقتصادي والاجتماعي لساكنتها، وتعتبر كذلك موردا هاما لعدد كبير من العائلات وأخص بالذكر هنا الزربية الوراينية؛ حيث يفوق 2000 درهما للزربية الواحدة.

تعتبر هذه الحرف المحلية مكونا أساسيا في النسيج الإنتاجي والثقافي، ورافعة حقيقية للتنمية المحلية؛ وذلك لاحتضانه فئة مهمة من السكان النشيطين المبدعين الذين يحافظون على هذا الإرث المهم، ناهيك على أنه يلعب دورا مهما في توفير فرص الشغل القارة وتنمية العنصر البشري.

4: إكراهات القطاع الحرفي والاستراتيجيات الكفيلة بتثمينه

1.4 إكراهات القطاع الحرفي بكتلة تازكا

تعترض في المقابل جملة من المشاكل والمعيقات، التي تحول دون تطور هذا القطاع البالغ الأهمية في تحريك عجلة التنمية بالمنطقة. ويمكن تلخيص المعيقات الأساسية لتنمية القطاع الحرفي كالآتي:

- تعاني المنتجات التقليدية من منافسة نظيرتها المصنعة على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فهناك عدة عوامل تتدخل في إضعاف المنتوج التقليدي المحلي، منها منافسة المنتوجات الصينية؛
- القطاع في حاجة ماسة إلى التأطير في المجالات التقنية، والعلمية، والفنية على المستوى العالي للاستجابة لمتطلبات السوق؛
- الغياب شبه التام للدراسات، والمعلومات والمعطيات الدقيقة حول الصناع الأمر الذي لا يشجع على وضع استراتيجية فعالة للتنمية، وبرامج عمل على المدى القريب والمتوسط؛
- قنوات تموين ليست محددة وقلة منافذ تسويق المنتوج وطرقه الحديثة؛
- الزرابي في طريق الانقراض، نظرا لتدني الجودة وعدم الابتكار ؛
- عدم الاستجابة لأذواق المستهلكين وبالتالي عدم الإقبال الكبير عليها؛
- عدم وجود الخلف لضمان الاستمرارية؛
- المنافسة الشرسة للصناعة الحديثة والأجنبية.

2.4 سبل تثمين المنتوج المحلي: يعتبر تثمين هذا القطاع الحيوي من الأولويات الكبرى المحلية، والتي بإمكانها التوفيق بين التطلعات الاجتماعية والاقتصادية للبلاد مع ضرورة الحفاظ على التراث الطبيعي والثقافي، وفي ما يلي جملة من الإجراءات للنهوض بهذا القطاع الحساس:

- يجب تقوية المقاربة التشاركية وتطوير استراتيجية التدخل للرفع من مستوى القدرات الذاتية للصانع التقليدي.
- تخصيص دورات تكوينية لفائدة النساء الحرفيات من أجل المساهمة في تطوير الصناعة التقليدية.
- تعتبر عملية تنظيم الحرف التقليدية من أهم الأهداف المرسومة في الاستراتيجية الوزارية لتنمية القطاع، وذلك بتشجيع الحرفيين لتنظيم أنفسهم في إطار جمعيات وتعاونيات حرفية، تمكنها من حماية حرفها والبحث عن أسواق لتصريف منتوجاتها[179].
- تقديم الدعم بكافة أنواعه للتجمعات المهنية الخاصة بالصناعات التقليدية(كالنحاس والجلود والفخار) من أجل تعزيز تنافسية المنتوج.
- تخصيص دورات تكوينية لفائدة النساء الحرفيات من أجل المساهمة في تطوير الصناعات التقليدية.

تعتبر المعارض بصفة عامة الواجهة الرئيسية للتعريف بأي منتوج مهما كان نوعه، فهذه التظاهرات تكون محدودة في الزمان والمكان، الهدف منها تمكين الصانع التقليدي من الفضاءات المناسبة لإشهار وترويج منتوجه التقليدي، وكذا خلق جو من المنافسة والاحتكاك لتشجيع الخلق والإبداع وتحسين جودة المنتوجات[180].

[179] الحرفي، مجلة الصانع التقليدي، العدد الثالث.2012.ص 13.

[180] الحرفي، مجلة الصانع التقليدي، العدد الثالث.2012.ص 13.

صورة رقم 9: المعرض الجهوي للصناعة التقليدية

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ 2019/07/26

يلاحظ من خلال الصورة أعلاه أن هذه المناسبات المتعلقة بتنظيم المعارض، تعتبر فرصة سانحة لكل مبدع، يريد التعريف بمنتوجه. فأثناء زيارتنا للمعرض، سجلنا حضورا محتشما لصناعة الفخار من منطقة بوشفاعة، أما صناعة الزربية فقد مثلتها فقط تعاونية تيسلت للزربية الوراينية من تاهلة، وتعاونية النهضة من تازة.

خلاصة:

إن التنوع الثقافي بكتلة تازكا انعكس على تنوع وغنى وتميز منتجاتها الحرفية، مما جعل هذه الأخيرة تشكل مدخلا استراتيجيا وقاعدة أساسية لتنمية المنطقة فالصناعات التقليدية تعتبر تراثا حضاريا وثقافيا وجب تثمينه والحفاظ عليه وضمان تناقله عبر الأجيال، لأنه يشكل مصدرا مهما للناتج الداخلي، وأيضا عنصرا مهما للجذب السياحي. وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- يلعب قطاع الصناعة التقليدية بكتلة تازكا دورا مهما في تنمية المنطقة.
- تعرف الحرف التقليدية بالمجال المدروس جملة من الإكراهات أهمها منافسة المنتوجات العصرية، تغير البيئة وعدم استقرارها، إضافة إلى عدم تبني الفاعلين على القطاع سياسة تسويقية واضحة المعالم.

لتجاوز هذه الإكراهات وجب على الدولة تبني مخططات استراتيجية تنموية لتطوير هذا القطاع وبذل المزيد من الجهود لبلوغ الأهداف المرجوة، وتنمية السياحة على اعتبار أن هذا القطاع يعتبر اليوم بمثابة محرك أساسي للتنمية، وأيضا نهج المقاربة التشاركية لتدعيم وتطوير وترقية قطاع الصناعات التقليدية وحمايتها من الاندثار وذلك

عبر التعريف به وتحسين ظروف ممارسة العمل الحرفي، وتخصيص محلات لتوسيع نشاط الحرفيين والقيام بحملات إعلامية واسعة للتعريف بالمنتوجات المحلية على الصعيد الوطني والعالمي.

المراجع والمصادر:

باللغة العربية:

كتب:

1-العادات والتقاليد في المجتمع المغربي. ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. 2007.

2-عبد الرحمان ابن خلدون. المقدمة لديوان المبتدأ والخبر. الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2001.

3-عبد الواحد بوبرية وآخرون. التراث الأمازيغي الوراثي والتنمية المحلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي. صص101-123، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو" الثقافة ورهانات التنمية" الشركة العامة للتجهيز والطبع،2011.

مقالات ضمن مجلات علمية:

4-سعيدة حمادي ونبيلة عرقوب، الصناعة التقليدية والحرف كمدخل استراتيجي لتنمية القطاع السياحي، المجلة الدولية للأداء الاقتصادي/ جامعة أمحمد بوقرة بومرداس/ مخبر أداء المؤسسات الاقتصادية الجزائرية في ظل الحركية الاقتصادية الدولية، العدد 5،2020.

5-شيباني مليكة، حفصي بونبعو ياسين، دور القطاع السياحي في تحقيق التنمية المحلية بولاية تيبازة، دفاتر البحوث العلمية، المجلد 9، العدد1، 2021.

6-هيام ميلاد زريبة، الإبداع والابتكار والتنمية في العمارة والتراث والفنون والآداب، الرؤى الجمالية لموضوعات الصناعات التقليدية الليبية في اللوحة التشكيلية المعاصرة، كلية الفنون والإعلام- جامعة طرابلس-ليبيا. 2018 بتصرف.

7-مجلة الصانع التقليدي الحرفي، العدد الثالث.2012.

8-منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "التراث الثقافي المادي"، مكتب اليونسكو بالقاهرة.

9-منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "النصوص الأساسية المتعلقة باتفاقية التراث العالمي 1972"، (نشرة 2005)، المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، (17 أكتوبر-21 نوفمبر 1972).

أطاريح:

10-عبد السلام الأشهب، الصناعة وآفاق التنمية المحلية بإقليم تازة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز،2018/2017.

مصالح إدارية:

11-مندوبية الصناعة التقليدية تازة، دراسة تشخيصية حول قطاع الفخار بإقليم تازة

باللغة الفرنسية:

1-Marjorie Jouen, Katalin Kolosy, Jean-Pierre Pellegrin, Peter Ramsden, Péter Szegvari, Nadège Chambon, «Cohésion Policy support for local développement best practice and future Policy options, Final Report. (April 2010).

المجلد الخامس/العدد الثامن عشر- دجنبر2022.
مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
ISSN 2569-734X

الأشخاص في وضعية شارع وإشكالية الإدماج خلال زمن كورونا

مدينة العرائش نموذجا

People in a street situation and the problem of integration during the time of Corona

The city of Larache is a model

فتاح الزهر ابن الشيخ، جامعة عبد المالك السعدي

fatahzharbenchikh@gmail.com

ملخص البحث: يتناول هذا البحث إشكالية إدماج الأشخاص في وضعية شارع خلال زمن كورونا، ونستحضر عنصرين أساسيين؛ عنصر الأشخاص وعنصر المؤسسات. فيما يتعلق بالأشخاص، فهم يشكلون فئة غير متجانسة من حيث النوع والمستوى التعليمي. كما أنهم يشكلون فئة متباينة المعالم على المستوى الجسدي والنفسي والثقافي والجغرافي... الخ. ومن جهة أخرى هناك العوامل التي تجعل منهم عرضة للعيش في وضعية الشارع. وثالثا هناك المؤسسات المحتضنة بخصوصياتها الهيكلية المؤسساتية والعملية والاستراتيجيات التي تعمل بواسطتها من أجل ضمان إدماج أفضل لهؤلاء الأشخاص سواء داخل الأسرة أو في المجتمع بشكل يمكنهم من التفاعل بشكل إيجابي وتحقيق الذات والمساهمة في تنمية المجتمع.

وبشكل أدق، فإن هذا البحث يهتم أولا برصد شامل للواقع الراهن لهذه المؤسسات الموجودة بمدينة العرائش، وثانيا بدراسة مدى نجاعة وتلاؤم الخدمات المقدمة لهذه الفئة والاستراتيجيات المتبعة من طرف المؤسسات المستقبلة مع طبيعة الاختلالات التي تعانيها فئة المتواجدين في وضعية شارع، والتي تتميز بالتنوع.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف سلكنا منهجا علميا يتمثل في المنهج الوصفي التحليلي، معتمدين عدة أدوات بحثية متنوعة منها ما هو كمي (الاستمارة)، ومنها ما هو كيفي (دراسة الحالة- والملاحظات الناجمة عن المعايشة)، منطلقين من إشكالية أساسية تتمثل في التساؤل حول الظروف التي تسم وضع فئة الأشخاص في وضعية شارع بمدينة العرائش، وكذا الدور الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات الاجتماعية الموكل إليها التكفل بالأشخاص في وضعية شارع، من خلال عملية الإدماج، متسائلين عن نوعية الخدمات وحجم المساعدة التي تقدمها لهم على جميع المستويات. ومنطلقين كذلك من فرضية عامة مفادها أن المؤسسات الاجتماعية بالعرائش تساهم في إدماج الأشخاص في وضعية شارع، كإجابة مؤقتة عن تساؤلات البحث، وبعد البحث الميداني؛ توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن أسباب هذه الظاهرة تتعدد وتختلف، إلا أن أهمها، يظل ذو طابع اجتماعي بامتياز، إضافة إلى الأسباب النفسية والصحية المتمثلة في وجود أمراض نفسية وأخرى صحية جسدية، ناهيك عن الأسباب الاقتصادية، والتي يبقى من أهمها الفقر والهشاشة، والبطالة...، هكذا إذن، وبفعل كل تلك الأسباب والعوامل؛ يجد هؤلاء الأشخاص أنفسهم بدون مأوى، عرضة لمختلف أشكال العنف والمرض والإهمال، مما يدفعهم إلى التعاطي للمخدرات بمختلف أشكالها.

وفيما يخص النتائج المرتبطة بالإدماج الأسري، أثبتت أن هذا الأخير قد طغى على عملية الإدماج التي باشرتها جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية بمعية مندوبية التعاون الوطني، الشيء الذي يجد تفسيرا منطقيا بالعودة الى الوضعية الصحية للعينة المبحوثة، حيث تشكل الاعاقة الذهنية والاضطرابات النفسية نسبة كبيرة منهم، مما يعيق أي محاولة لإدماجهم مهنيا.

الكلمات المفاتيح: الأشخاص بدون مأوى، مشكلة ، الإدماج، فيروس كورونا.

Abstract : This research addresses the problem of integrating homeless people during the time of corona virus , and we recall two basic elements; people and institutions. With regard to persons, they constitute a group that is heterogeneous in terms of gender and level of education. They are also a well - defined group at the physical, psychological, cultural and geographical levels etc. On the other hand, there are factors that make them vulnerable to living on the street. Thirdly, there are institutions that embrace their institutional and practical structural specificities and the strategies by which they work in order to ensure better integration of these persons, both within the family and in society, in a way that enables them to interact positively, realize oneself and contribute to the development of society.

More specifically, this research is concerned, first, with a meticulous observation of the current realities of these institutions in the city of larache, and, secondly, with examining the efficiency and adequacy of the services provided to this social group and the strategies used by the receiving institutions with the nature of the dysfunctions experienced by this group in the street position, which is characterized by diversity.

In order to reach these goals, we have adopted a descriptive analytical approach, using a variety of research tools, including quantitative instruments (questionnaire), along with qualitative ones (case study - participant observations). The basic research questions revolve around the conditions in which those homeless people live in the city of Larache, as well as the role that social institutions entrusted with taking care of them can play through the process of integration, asking about the quality of the services and the amount of assistance they provide to them at all levels. It is also based on the general premise that social institutions contribute to the integration of people living in such conditions, as a tentative answer to the research questions. The empirical fieldwork yields a set of findings. It is worth to mention that the causes of this phenomenon are many and different. However, the most important of these factors remain of a privileged social nature, along with a number of psychological and health issues, not to mention the economic ones such as poverty, vulnerability and unemployment. These persons find themselves homeless, exposed to various forms of violence, disease and neglect, which lead them to use all sorts of drugs.

With regard to the results associated with family integration, it is clear that the latter has overshadowed the integration process initiated by the Social Assistance Appeal Association in coordination with the National Cooperation Delegate, which finds a logical explanation for returning to the health condition of the sample, where mental disability and psychological disorders constitute a significant proportion of them, thus impeding any attempt at professional integration.

Keywords : Homeless people, problem, integration, corona virus.

مقدمة:

إن اختيارنا لهذا الموضوع نابع أولا من حجم هذه المشكلة داخل المجتمع المغربي، وبما أن من مميزات البحث العلمي هو طبيعته التراكمية، سننحو بدورنا منحى تراكميا؛ من خلال محاولة معالجة الإشكالات والقضايا المرتبطة بهذه الظاهرة، وذلك من زاوية لم يسبق أن تطرقت لها أبحاث أو دراسات سابقة، على اعتبار أن من مميزات البحث السوسيولوجي الجدة والإجرائية، وهذه الأخيرة كانت من أهم دوافع اختياري لهذا الموضوع، بحكم ممارستي المهنية داخل نفس مجتمع البحث المدروس، الذي سأشتغل عليه، ألا وهو "الأشخاص في وضعية شارع" بمدينة العرائش، ومعايشتنا الميدانية لهذه الفئة عن قرب وذلك خلال فترة تزامنت مع جائحة كورونا، وهي تجربة يمكنها أن تسمح لنا بالنفاذ إلى عمق الظاهرة بغية فهم وخلخلة بنياتها وتفكيك جزئياتها، ومن تم إيجاد حلول لمعالجتها، معتمدين في ذلك مسلكا منهجيا يتسم بالتنوع والغنى، يتجلى ذلك في اعتمادنا على مناهج تمتح من المقاربة الكيفية وأخرى تمتح من المقاربة الكمية، مع إمكانية تكييفها

خلال مراحل البحث، وذلك تماشيا مع السياقات البحثية، عبر اتباع جملة من الأدوات المنهجية؛ كالاستمارة؛ التي سنحاول من خلالها رصد إجابات المبحوثين عبر طرح مجموعة من الأسئلة تروم الكشف عن الأسباب المفسرة للظاهرة، وتفاعلاتها وتشعباتها الممكنة، وكذا الآثار والانعكاسات النفسية والاجتماعية الناجمة عنها. هذا فضلا عن استخدام تقنية دراسة الحالة؛ عبر تتبع ثلاث حالات من أفراد العينة المبحوثة؛ تستهدف الكشف عن قرب أسباب الظاهرة ومكامنها...؛ بالإضافة إلى تقنية الملاحظة المباشرة (المعاينة، المعايشة الميدانية)، الملاحظة بالمشاركة، بحكم معايشتي لمدة أربعة عشر شهرا مسترسلا لحكم مهمتي الإدارية، (مساعد اجتماعي بمندوبية التعاون الوطني العرائش).

ويعزى اعتمادنا على هذه المقاربات والأدوات المنهجية المتعددة إلى طبيعة الموضوع التي فرضت علينا هذه المزاوجة المنهجية بين المنهجين الكيفي التفهمي الذي وضع أسسه الأولى عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر"، كمنهج يستهدف فهم الظواهر الاجتماعية من منطلق أن البحث عن المعرفة لذاتها، ولا لشيء آخر، في مقابل السوسيولوجيا التدخلية. والمنهج الكمي، الذي يستهدف الوقوف عن الأسباب التي تقف وراء الظواهر. إن هذا "التنوع المنهجي"، كفيل بفهم وتفسير الظاهرة من جميع جوانبها، خاصة ونحن أمام ظاهرة اجتماعية تأخذ أبعاد مختلفة منها ما هو نفسي وما هو اقتصادي أو ثقافي...، وتتميز بطابعها المعقد والمركب.

من هذا المنطلق، سنحاول من خلال اعتمادنا على هذه الأدوات، والمفاتيح المنهجية اقتحام الميدان، عبر إجراء استطلاعات ودراسات ميدانية داخل مجتمع البحث الذي يتمثل في: "جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية بمدينة العرائش"، حيث سيشمل البحث الميداني عينة تمثيلية لمختلف الفئات العمرية، الوافدة على الجمعية من مختلف المدن والمناطق المغربية، ولعل في ذلك احترام لمبدأ الشمولية، بغية فهم الظاهرة في كليتها عبر المقارنة بين مختلف فئاتها العمرية ومجالاتها البحثية، مستهدفين رصد دور هذه التنظيمات في معالجة الظاهرة وكذا الدور الذي يمكن أن تلعبه في عملية الإدماج السوسيواقتصادي لهذه الفئات الاجتماعية، سواء داخل الجمعية أو خارجها (الأسرة مهنيا ومساعدتهم على خلق مشاريع مدرة للدخل خاصة بهم...).

وفيما يخص الحدود الزمنية لهذا البحث، تطلب منا البحث الميداني خمسة أشهر في زمن كورونا، موزعة بين الدراسات الاستطلاعية الاستكشافية، والدراسة الميدانية.

إشكالية البحث:

ينطلق بحثنا هذا من إشكالية مركزية، تتأسس على ملاحظات ميدانية (المعايشة الميدانية)؛ وتتمثل في التساؤل حول الظروف التي تسم وضع فئة الأشخاص في وضعية شارع بمدينة العرائش، وكذا الدور الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات الاجتماعية الموكل إليها التكفل بالأشخاص في وضعية شارع؛ من خلال عملية الإدماج السوسيواقتصادي، متسائلين عن نوعية الخدمات وحجم المساعدة التي تقدمها لهم على جميع المستويات.

علاوة على الدور الذي يمكن أن تلعبه التنظيمات والمؤسسات الوطنية في إيجاد حلول لهذه الظاهرة والاستراتيجيات التي تعتمدها في هذا الصدد.

وبناء عليه، تتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

❖ السؤال المركزي:

ما هي أهم العوامل والأسباب الكامنة وراء ظاهرة الأشخاص في وضعية شارع، وإلى أي حد تساهم المؤسسات الاجتماعية في إدماجهم اجتماعيا ومهنيا بمدينة العرائش؟

❖ الأسئلة الفرعية:

1. ما هي أهم العوامل التي تدفع الأشخاص إلى الشارع؟
2. هل تؤدي المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمبحوثين إلى تواجدهم بالشارع؟
3. وما هي الآثار والانعكاسات الاجتماعية والنفسية والصحية لهذه الظاهرة على الأشخاص المعنيين (العينة المبحوثة)، وعلى محيطهم الاجتماعي؟
4. ما هي المؤسسات التي تسهر على التكفل بظاهرة الأشخاص في وضعية شارع؟
5. إلى أي حد تساهم هذه المؤسسات في إدماج الأشخاص في وضعية شارع، وما هي أهم استراتيجياتها التي تعتمدها في ذلك؟

ثانيا: الفرضيات

كلما تدنى المستوى الدراسي للشخص كلما كان أكثر عرضة للشارع؛

كلما كان الشخص لديه مشاكل اجتماعية وصحية كلما أدى به إلى اتخاذ الشارع ملجأ له؛

كلما تواجد الشخص في وضعية شارع كلما كان عرضة للعنف بشتى أنواعه؛

كلما تواجد الشخص في وضعية شارع كلما تعاطى للمخدرات بشتى أنواعها؛

كلما تحسنت الوضعية الصحية للمبحوثين، كلما سهلت عملية إدماجهم مهنيا، والعكس صحيح؛

أفترض أن المؤسسات الاجتماعية المتكفلة بالأشخاص في وضعية شارع بمدينة العرائش، تعمل على إدماج هذه الفئة اجتماعيا ومهنيا.

رابعا: أهداف البحث

- ✓ يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:
- ✓ معرفة خصائص الأشخاص في وضعية شارع، بإقليم العرائش.
- ✓ الوقوف على العوامل التي دفعت بهم لعيش وضعية الشارع.

- ✓ الكشف عن الصعوبات والمخاطر التي يعيشها الأشخاص في وضعية الشارع.
- ✓ رصد التحديات والصعوبات التي تعترض عمل المساعدين الاجتماعيين، في التكفل والادماج.
- ✓ اقتراح استراتيجيات وإجراءات وبرامج عمل هيكلية، مندمجة ومتكاملة من أجل ضمان ادماج مستدام وأفضل للأشخاص في وضعية شارع.
- ✓ رصد دور المؤسسات الاجتماعية في تدبير عملية إدماج الأشخاص في وضعية شارع بمدينة العرائش.

خامسا: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث من الناحية العلمية في كونه أحاط بموضوع يعد التراكم السوسيولوجي بشأنه ضئيلا، بحيث تناول إشكالية ادماج الأشخاص في وضعية شارع. وما يضفي عليه طابع الخصوصية هو كونه يحاول تناول خصوصيات جميع الفئات، ذكورا واناثا، أخذا بعين الاعتبار فئاتهم العمرية وخصوصياتهم النفسية والعقلية والجسدية والاجتماعية والثقافية والمادية.

كما أن البحث يستمد أهميته من جدة موضوعه، بحيث يلاحظ وجود ندرة على مستوى الأبحاث والدراسات المهتمة بالموضوع.

الإجراءات المنهجية للبحث

أولا: المنهج المتبع:

اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي، لأنه يسمح لنا بوصف دقيق للظاهرة المدروسة من خلال وصف أهم الأسباب والعوامل المتحكمة فيها، وكذا تبيان دور المؤسسات الساهرة على التكفل بالأشخاص في وضعية شارع، وتحليل البيانات المرتبطة بالظاهرة بعد تجميعها.

ثانيا: الأدوات المنهجية:

اتبعت في بحثي هذا جملة من الأدوات المنهجية؛ تمتح من المقاربتين الكمية والكيفية، بالنسبة للمقاربة الكمية نجد **الاستمارة**؛ التي حاولنا من خلالها رصد إجابات المبحوثين عبر طرح مجموعة من الأسئلة تروم الكشف عن الأسباب المفسرة للظاهرة، وتفاعلاتها وتشعباتها الممكنة، وكذا الآثار والانعكاسات النفسية والاجتماعية الناجمة عنها، وقد ضمنت الاستمارة 5 محاور رئيسية؛ وهي كالتالي: بالنسبة للمحور الأول معنون ببيانات شخصية، فيما المحور الثاني معنون بالبيانات الصحية، ونجد المحور الثالث معنون بالبيانات الاجتماعية، والمحور الرابع تحت عنوان: بيانات حول مرحلة العيش في وضعية شارع، ثم المحور الخامس المعنون بالإدماج وإعادة الإدماج، وقد بلغ عدد الأفراد الذين أجرينا معهم البحث 100 فرد، أي 100 استمارة موزعة بين 90 مبحوثا من الذكور و10 إناث. والجذير بالملاحظة فالاستمارة هي عبارة عن مجموعة من الأسئلة "المكتوبة" المنظمة بشكل دقيق، وتهدف للحصول على عدد معين من المعلومات التي يمتلكها أفراد مجموعة

محددة، وتهم بالأساس قياس تكرار مجموعة من الخصائص: (الوضعيات الاجتماعية، السلوكات، الآراء والمواقف، الخ.) أو بالأحرى تحليل العلاقات الموجودة الممكنة بين مختلف هذه الخاصيات[181].

وبالنسبة للمقاربة الكيفية فقد اعتمدنا تقنية **دراسة الحالة**، بلغ عددها ثلاث حالات لمبحوثين تم إدماجهم. ويمكن تعريف تقنية دراسة الحالة باعتبارها تفسيرات للمعلومات المتعلقة بالفرد موضع الدراسة والفحص وتوصيات العمل والتطبيق ومتابعة الحالة للتحقق من استمرار نموها...[182]بالإضافة إلى تقنية الملاحظة المباشرة (المعاينة، المعايشة الميدانية)، الملاحظة بالمشاركة. كل هذه الأدوات من شانها مساعدتنا على رصد دقيق لواقع الظاهرة المدروسة وكذا الأسباب المتحكمة فيها.

ويعزى اعتمادنا على هذه المقاربات والأدوات المنهجية المتعددة إلى طبيعة الموضوع التي فرضت علينا هذه المزاوجة المنهجية بين المنهج الكيفي التفهمي الذي وضع أسسه الأولى عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر"، كمنهج يستهدف فهم الظواهر الاجتماعية من منطلق أن البحث عن المعرفة لذاتها، ولا لشيء آخر، في مقابل السوسيولوجيا التدخلية والمنهج الكمي، الذي يستهدف الوقوف عن الأسباب الثاوية وراء الظواهر. إن هذا "التنوع المنهجي"، كفيل بفهم وتفسير الظاهرة من جميع جوانبها، خاصة ونحن أمام ظاهرة اجتماعية تأخذ أبعاد مختلفة منها ما نفسي واقتصادي، اجتماعي وثقافي...، وتتميز بطابعها المعقد والمركب.

ثالثا: مجالات البحث

وتتحدد في ثلاثة:

1. المجال الجغرافي:

يتمثل المجال الجغرافي لبحثنا هذا في (مؤسسة التكفل بالأشخاص في وضعية شارع، زنقة تزنيت رقم 09، شارع الزرقطوني، العرائش)، وتبلغ طاقته الاستيعابية 120 مستفيدا.

2. المجال البشري:

شمل البحث الميداني عينة تمثيلية لمختلف الفئات العمرية، الملتحقين بالمركز من مختلف المدن والمناطق المغربية، وتم سحبها بطريقة قصدية، عمدية، وبلغ عدد أفرادها 100 أفراد موزعين بين 100 فرد تم استجوابهم عبر آلية الاستمارة كما سبقت الإشارة، ومن ضمنهم 4 أفراد تم إجراء دراسة الحالة معهم. وبناء على ذلك فقد تم اعتماد مبدأ الشمولية، بغية فهم الظاهرة في كليتها عبر المقارنة بين مختلف فئاتها العمرية ومجالاتها البحثية، مستهدفين رصد دور هذه المراكز في معالجة الظاهرة وكذا الدور الذي يمكن أن تلعبه في عملية الإدماج الاجتماعي لهذه الفئات الاجتماعية وكذا إعادة إدماجها، سواء داخل المؤسسات أو خارجها (الأسرة، مساعدتهم على خلق مشاريع مدرة للدخل خاصة بهم).

---

[181]- ميري يمينة، محمد عبد الخلقي، المناهج الكمية، المبادئ النظرية والإجراءات التطبيقية، الطبعة الأولى، مراكش 2019، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، ص139.

[182]- حمدي عبد الله عبد العظيم، مهارات التوجيه والإرشاد في المجال المدرسي، سلسلة تنمية مهارات الأخصائي النفسي رقم1، الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2013، ص151.

3. المجال الزمني:

بدأ هذا البحث من الناحية الزمنية منذ انطلاق عملية الحجر الصحي بسبب الحالة الوبائية التي عرفتها بلادنا ونتيجة لذلك أشرفت المندوبية الإقليمية للتعاون الوطني بمدينة العرائش على عملية إيواء الأشخاص في وضعية شارع انطلاقا من شهر مارس 2020 وانتهت في شهر مايو 2021. ولعل تحديدنا للمجال الزمني لبحثنا لا يمنعنا من الإشارة الى أننا عايشنا الظاهرة منذ ثلاث سنوات خلال حملات الشتاء التي يشرف عليها التعاون الوطني سنويا بمعية كافة المتدخلين، مما شكل عاملا مساعدا في فهم حيثيات الظاهرة عن قرب، وملامسة واقعها عن كثب، كما تجب الإشارة إلى أن خلال مدة البحث الذي أنجزناه والمتمثلة في 14 أشهرا تخللتها عدة مراحل بحثية انطلاقا من الملاحظات الاستكشافية التي ساعدتنا على بلورة المشكلة التي عالجناها، لتأتي مراحل أخرى متعلقة بالبحث الميداني، والمعايشة الميدانية.

سادسا: النظريات المفسرة للبحث:

حاولت العديد من النظريات النفسية والاجتماعية كالتفاعلية الرمزية والسلوكية **ونظرية الانحراف**...، إعطاء تفسيرات نظرية لظاهرة الأشخاص في وضعية شارع، بحيث نجد نظرية الانحراف تربط حدوث هذه الظاهرة بحالة التحلل المعياري (الأنومي)، ويرتبط انحراف الأشخاص في وضعية شارع بفقدان القيم الأساسية دورها ومعناها ووظائفها. وبالتالي يخرج هؤلاء الأشخاص إلى الشارع نتيجة لعدم التكيف أو عدم التقبل لأهداف المجتمع. وهكذا فانعدام التوافق يؤدي إلى حالة من التفكك واللانظام، وتفكك الروابط، وعدم الاتفاق حول الأهداف الاجتماعية، كما يؤدي إلى إضعاف الروابط التقليدية، وبالتالي تؤدي هذه الحالة من اللانظام والفوضى إلى توليد مشكلة ظاهرة الأشخاص في وضعية شارع[183].

إن هذه الانعكاسات الناجمة عن حالة التفكك واللانظام، والمتجلية في سلوكات الانحراف والخروج إلى الشارع، تنظر إليه **نظرية التفاعلية الرمزية**، من باب تفاعل مجموعة من العوامل والأسباب، ذات أبعاد ثقافية، اجتماعية، نفسية، اقتصادية...، بحيث ينظر أصحاب هذه النظرية إلى حدوث ظاهرة الأشخاص في وضعية شارع بفعل العديد من الأسباب وذلك ما لمسناه من خلال الدراسة الميدانية، حيث أكدت نتائجها على تفاعل ما هو نفسي (أمراض نفسية، عقلية)، وما هو اجتماعي (تفكك أسري، مشاكل عائلية، طلاق، عنف أسري...)، وما هو اقتصادي (الفقر، الهشاشة...)، إضافة إلى ما هو ثقافي، كلها عوامل ساهمت كل من جانبه في حدوث الظاهرة وتفاقمها.

لا شك أن المنظور التفاعلي الرمزي قد يقدم بعض الإضاءات على طبيعة أفعال المبحوثين في غضون الحياة اليومية التي عاشوها في الشارع[184].

---

[183]- عيسى عثمان إبراهيم، مقدمة في علم الاجتماع، الطبعة العربية الثانية، 2009، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 311-312.

[184]- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، تقديم وترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 2001، ص77.

وفي سياق البحث الميداني الذي أجريناه بالمركز المؤقت لإيواء الأشخاص في وضعية شارع بمدينة العرائش، باعتباري مساعد اجتماعي أعمل مع هذه الفئة، من خلال توفير مجموعة من الخدمات المتمثلة في المساعدة الاجتماعية المتمثلة في الرصد والاستقبال والاستماع والتوجيه والتطبيب، والوساطة والدعم والإرشاد النفسي وهنا تبرز الحاجة إلى **النظرية السلوكية**، التي تهتم بمعالجة قضايا مثل التغير والضبط الاجتماعي والشخصية، كما تهتم أيضا بدراسة العلاقة المتبادلة بين الشخصية الفردية والبناء الاجتماعي[185]، من خلال التركيز على السلوك؛ أي كيف يتعلم الشخص في وضعية شارع، بعد استقباله ورصد حالته وكيف يتغير، بعد توجيهه وتقديم مجموعة من الخدمات له بهدف تعديل سلوكه وجعله سويا، وذلك لن يتأتى إلا من خلال دور المساعدة الذي قمت به ميدانيا، بحيث كما يرى ذلك رواد هذه النظرية أن السلوك يمكن أن يتشكل من خلال عمليتي المثير والاستجابة، يتمثل المثير هنا في الخدمات والتوجيه والدعم النفسي والاستماع والتوجيه، وبذلك استطعت التأثير في العديد من سلوكات هؤلاء الأشخاص، وما يزكي ذلك هو أن أغلب الحالات أصبح سلوكها سويا بعدما ولجت المركز بسلوك غير سوي وغير متوافق، وكمخرجات لذلك تمكنا بمعية مؤسسات التعاون الوطني وجمعية النداء للمساعدة الاجتماعية، من إدماج هؤلاء الأشخاص أسريا واجتماعيا وكذلك مهنيا.

ثامنا: أهم الدراسات السابقة حول موضوع البحث

تمهيد:

النسق العلمي ذو طبيعة تراكمية يتطلب من الباحثين الإلمام بما سبق من جهد وما تم جمعه من بيانات وما تبلور من تصورات حتى يمكن أن يتضح المجال أمام الباحثين والدارسين، ولذا فإن الاطلاع على الدراسات السابقة وفهمها جيدا تنمي لدى الباحث مهاراته وخبراته في وضع تساؤلاته وتحديد الأهداف التي تحاول الدراسة تحقيقها، كما تساهم في تقديم الكثير من الأفكار التي تمكنه من فهم جوانب موضوع البحث.

وفي هذا الصدد يمكن القول بأن الدراسات السابقة فيما يتعلق بموضوع بحثنا والمتعلق بالأشخاص في وضعية شارع وإشكالية الإدماج، تتسم بالندرة، وحتى وإن وجدت، فهي تظل محدودة وقاصرة في جوانبها، بحيث، نجد بعضها يركز على فئات بعينها مثل الاهتمام بفئة الأطفال، ويغفل باقي الفئات الأخرى، أو فئة المسنين دون باقي الفئات، أو فئة الشباب لوحدها... ولذلك يمثل هذا الفصل محاولة علمية نهدف من ورائها عرض وتحليل بعض الدراسات السابقة التي تتعلق بموضوع الأشخاص في وضعية شارع وإشكالية الإدماج، وفيما يلي نورد أهم تلك الدراسات:

[185]- محمد عبد الرحمان عبد الله، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2006، ص103.

الدراسات الوطنية

1. دراسة محمد مومن "ظاهرة أطفال الشوا رع بالمغرب"[186]

يهدف الباحث محمد مومن من وراء هذه الدراسة إلى معرفة خصائص أطفال الشارع والعوامل التي دفعت بهم إلى اللجوء للشارع، وكذا التعرف على الظروف الاجتماعية والنفسية التي يعيشونها، وعلى تمثلاتهم وانتظاراتهم وأخيرا توفير معطيات تساهم في إيجاد حلول ممكنة لمواجهة الظاهرة، وشملت عينة الدراسة 143 طفلا وطفلة تتراوح أعمارهم بين 09 و 18 سنة، منها 132 ذكورا و11 إناثا تم اختيارهم بطريقة عشوائية، إضافة إلى 30 إطارا تربويا، علاوة على عينة تتكون من 10 مسؤولين حكوميين يعملون لفائدة أطفال الشوارع، تم اختيارهم بطريقة قصدية. وقد استخدم الباحث مقاربتين كمية وكيفية، معتمدا على المنهج الوصفي التشخيصي، واستخدم الباحث أدوات منهجية متنوعة في دراسته هاته، مثل المقابلة والاستمارة، الملاحظة العلمية الميدانية، وقد أسفرت الدراسة على النتائج التالية:

- معظم أطفال الشوارع المبحوثين هم ضحايا الفقر والاحتياج وطلاق الوالدين والوفاة والنزاعات العائلية، وتخلي الأب أو الأم على الطفل التي تعد من ضمن الأسباب التي ساهمت بشكل كبير في حدوث الظاهرة.
- الفئة التي حاورناها من أطفال الشوارع تعد حديثة بالشارع (أقل من سنة) وتشكل الأغلبية من المبحوثين (46.23%) بالنسبة للذكور، (54.54%) بالنسبة للإناث.
- غالبية الأطفال المبحوثين يحبذون العيش بالشارع مع مجموعة الرفاق.
- ممارسة بيع أكياس البلاستيك، ومسح الأحذية، ومسح زجاج السيارات، وبيع منادل الكلينيكس، وممارسة التسول، وبيع السجائر...هي أهم "الأعمال والأنشطة" التي يمارسها أطفال الشوارع لكسب قوتهم اليومي، وهي في مجملها أعمال صغيرة وهامشية ومدرجة بالترتيب.
- قرب وداخل محطات السكك الحديدية والمحطات الطرقية، وإشارات المرور ومواقف السيارات والحدائق العمومية (وقت للراحة) والأسواق والمتاجر العصرية والمقاهي والمطاعم وجوار المساجد...هي الأماكن التي يتردد عليها أطفال الشوارع أثناء النهار، وهي مرتبة حسب التكرارات.
- الحدائق العمومية ومحطات السكك الحديدية والمحطات الطرقية وأمام أبواب العمارات وقرب المقاهي وجوار المساجد هي الأماكن التي يلجأ إليها أطفال الشوارع للنوم مع ملاحظة تهم الطفلات (11 حالة)، حيث اقتصرن في اختياراتهن على المحطات الطرقية ومحطات السكك الحديدية، باعتبارها أكثر أمانا مقارنة مع الأماكن الأخرى حسب رأيهن.
- صعوبة العيش وسوء المعاملة والضرب والشتم والتعرض للأمراض والاستغلال الجنسي تعتبر من أهم المشاكل أو المخاطر التي يتعرض لها أطفال وطفلات الشوارع باستمرار.
- غالبية الأطفال والطفلات المبحوثين يحملون صورة سلبية عن ذواتهم وأن النظرة الموجهة إليهم من طرف المجتمع ينظرون إليها نظرة احتقار.

[186] - مومن محمد، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، منشورات طوب بريس، الرباط، الطبعة الثانية، ماي 2010.

- بالنسبة للانتظارات والتمثلات المتعلقة بإعادة الإدماج المعبر عنها من طرف هؤلاء الأطفال الذين يعيشون بشوارع الرباط وسلا، جاءت كالتالي:

- أكثر من 80 % من هؤلاء الأطفال يوافقون على إعادة إدماجهم بالمجتمع بنسبة 86.36 % بالنسبة للذكور، و81.81 % بالنسبة للإناث.
- أكثر من 80 % بالنسبة للذكور و60 % بالنسبة للإناث يرغبون في العودة للأسرة.
- أكثر من 90 % من هؤلاء الأطفال والطفلات يرغبون في الحصول على مهنة (شغل).

غالبية طفلات الشوارع يرغبن في العودة إلى مدرسة، 66.67%، مقابل الأقلية من الأطفال الذكور 35.37 % من فضلوا نفس الاختيار.

الدراسات العربية

2. **دراسة وسن محسن حسن " ظاهرة تشرد الاناث بين التهميش والاندماج دراسة ميدانية / دار تأهيل الاحداث المشردات في مدينة بغداد بالعراق"**[187]

يرنو هذا البحث إلى دراسة ظاهرة التشرد لدى الإناث وهي عبارة عن دراسة ميدانية بدار تأهيل الأحداث المشردات في مدينة بغداد وقد رسمت هذه الدراسة مجموعة من الأهداف يمكن الإشارة إليها كالتالي:

- الوقوف على مشكلة التشرد في المؤسسة الإيوائية وتحليلها سوسيولوجيا.
- نشر الوعي الاجتماعي بين افراد المجتمع بمخاطر هذه المشكلة للحد من مخاطرها.
- تسليط الوء على مشكلة التشرد عموما نظرا لقلة الدراسات العلمية التي تناولتها...
- الاطلاع على الاوضاع الادارية والبرامج البحثية والتدريسية والتأهيلية والصحية والتعليمية والنفسية في مؤسسات إيداع أحداث المشردين والتي تشكل بمجموعها العمل الاجتماعي في تلك المؤسسات.

كما انطلقت الدراسة من مجموعة من الفرضيات كإجابات مؤقتة عن أسئلة الدراسة، ثم محاولة التحقق منها من خلال الدراسة الميدانية، ويمكننا تناولها كما يلي:

- طلاق الوالدين يساهم في تشرد الإناث.
- زواج الأب بأكثر من زوجة يساهم في تشرد الاناث.
- زواج الأم بعد وفاه الأب أو (الطلاق) يساعد في تشرد الإناث.
- وفاه الأب أو فقدانه يساعد في تشرد الإناث.
- وفاة الأم أو فقدانها يساعد في تشرد الإناث.
- وفقهما معا (الأب والأم) أو فقدانهما يساعد في تشرد الإناث.
- أساليب التربية الأسرية الخاطئة التي تتعرض لها الفتيات الصغار تساعد في التشرد.

[187] - وسن محسن حسن " ظاهرة تشرد الاناث بين التهميش والاندماج دراسة ميدانية / دار تأهيل الاحداث المشردات في مدينة بغداد بالعراق"، منشورات مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 25، العدد 4، 2014.

- عدم متابعة المدرسة يساهم في تشرد الاناث.
- العمل في الأماكن غير الأخلاقية يساهم في تشرد الإناث.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي وهو أحد المناهج المسحية المتبعة في الدراسات والبحوث العلمية، معتمدا على الأدوات التالية: المقابلة؛ حيث تم مقابلة المستفيدات من أجل استقصاء البيانات وتم إجراء دراسة حالة لكل واحدة منهما.

أما فيما يخص عينة البحث فهي تتكون من الأحداث الإناث المودعات في الدار وفق المواد القانونية في هذا المجال من قانون رعاية الأحداث المرقم 76 لسنة 1983 مستهدفا الفئة العمرية ما بين (11 – 22 سنة).

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تبين من نتائج البحث أن 8% من المبحوثات تراوحت أعمارهن ما بين (10و12 سنة) في حين لوحظ أن الأعمار ما بين (12-14) سنة بالنسبة للمبحوثات كانت بنسبة 11% بينما وجد نسبة 7% من بين أفراد أو عينة المبحوثات تراوحت ما بين (14-16) بينما لوحظ هناك نسبة 7% لفئة المبحوثات تراوحت أعمارهن ما بين (16-18) وقد لوحظ أن نسبة 17% للمبحوثات اللواتي يفوق سنهن 18 سنة فما فوق.
- أظهرت نتائج البحث أن المستوى التعليمي لدى المبحوثات كان بمستوى الأميات وبنسبة 27% في حين لوحظ هنالك نسبة 11% منهن في مرحلة الابتدائية بينما وجدت نسبة 4% في مرحلة المتوسطة وقد لوحظ هناك نسبة 5 % من المبحوثات تاركات للدراسة.
- وفيما يتعلق بالأسباب التي دفعت بالمبحوثات لترك الدراسة كانت بسبب جهل الوالدين بأساليب التنشئة التربوية وبنسبة 16% وكانت نسبة 11% من المبحوثات مؤكدات أن افتقارهن لرب الأسرة من بين تلك الأسباب التي دفعتهن لترك الدراسة في حين لوحظ هناك نسبة 1% من المبحونات مؤكدات أن أسباب عدم انخراطهن في المجال الدراسي هو رغبة والديهن في ممارسة مهنة التسول بينما وجد هناك نسبة 14% من المبحوثات موضحات بين أسباب عدم دخولهن أو تركهن للتعليم الخلافات الأسرية (تفكك أسري) بالإضافة إلى تردي الوضع الاقتصادي.
- أظهرت نتائج البحث أن نسبة 32% من المبحوثات أن مسقط رأسهن هو منطقة بغداد موزعات بين المناطق الأكثر فقرا وسجلت نسبة 14% منهن أن مسقط رأسهن هو محافظة ميسان في حين لوحظ هناك نسبة 4% من المبحوثات أن مسقط رأسهن محافظة كربلاء وكذلك الحال بالنسبة لمحافظات الكوت والنجف والديوانية.
- لوحظ أن 15% من المبحوثات كان أحد والديها متوفى وهو الأب في حين وجد نسبة 5% منهن أن أحد والديها متوفي وهي الأم بينما أكدت وبنسبة 30% من المبحوثات أن كلا والديها متوفى.
- تبين من نتائج البحث أن النسبة المهيمنة على المستوى التعليمي للمبحوثات هي نسبة المبحوثات اللواتي ليس لهم مستوى دراسي (أمي) وذلك بنسبة 22%، في حين لوحظ أن هناك نسبة 12% للمبحوثات المستوى التعليمي لوالديهما هو (القراءة والكتابة) فقط يقابلهم 9% من المبحوثات المستوى الدراسي لوالديهما هو الابتدائي وسجلت نسبة 7% منهن أن المستويات الدراسية لوالديهما هو مرحلة المتوسطة.

- أظهرت نتائج البحث أن من بين أسباب تشرد المبحوثات هو (التفكك الأسري المتمثل بخلاف الوالدين أو المشكلات ما بين الأباء والأبناء أو زواج أحد الأبوين وبنسبة 18% في حين أكدت المبحوثات وبنسبة 8% أن سوء معاملة أفراد الأسرة لهن وقد أكدت وبنسبة 7% من المبحوثات أن من بين أسباب التشرد هو تردي الوضع الاقتصادي يقابلهن وبنسبة 12% من المبحوثات مؤكدات أن أسباب تشردهن هو ممارستهن لمهنة التسول بينما لوحظ هناك نسبة 5% من المبحوثات أن أسباب تشردهن هي الهروب من البيت بسبب إقامتهن علاقات صداقة أحد الأشخاص واتخاذهن الشارع ملجأ لهن بسبب خوفهن من تلقي عقاب من قبل أسرهن .
- تبين من نتائج البحث أن المبحوثات لديهن الرغبة في التعليم والتدريب وبنسبة 32% منهن في حين أكدت نسبة 4% من المبحوثات لديهن رغبة في إيجاد فرص عمل لهن تؤمن مستقبلهن بينما أكدت وبنسبة 5% من المبحوثات الرغبة في إيجاد مأوى لهن بعد أن يتم قطع علاقتهن بالدار في حين أكدت وبنسبة 9% منهن لديهن الرغبة في العودة لأسرهن.

3. دراسة أميرة محمد محمود فايد "إسهامات الجمعية الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى"[188]

هدفت هذه الدراسة الراهنة إلى تحديد إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق كل من الحماية الصحية، الحماية الأسرية والاجتماعية، الحماية الثقافية والترفيهية، والحماية الاقتصادية للمسنين المشردين بلا مأوى، وبناء على ذلك تبلورت مشكلة الدراسة في تحديد إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين وأيضا في الوصول إلى رؤية مستقبلية لتفعيل إسهامات الجمعيات الاهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى. وانطلقت هذه الدراسة من أربع فرضيات رئيسية وهي:

من المتوقع أن يكون مستوى إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى مرتفعا؛

- توجد فروق جوهرية دالة إحصائيا بين استجابات المسنين المشردين بلا مأوى والمسؤولين فيما يتعلق بتحديدهم لمستوى إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى؛
- توجد فروق جوهرية دالة إحصائيا بين استجابات المسنين المشردين بلا مأوى فيما يتعلق بتحديدهم لمستوى إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى؛
- توجد فروق جوهرية دالة إحصائيا بين استجابات المسؤولين فيما يتعلق بتحديدهم لمستوى إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى؛

وقد اعتمدت الدراسة منهج المسح الاجتماعي الشامل للمسؤولين ومنهج المسح الاجتماعي بأسلوب العينة للمسنين المشردين بلا مأوى، واستخدم الباحث أدوات تمثلت في:

[188] - محمد محمود فايد أميرة، إسهامات الجمعية الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد 50، المجلد 2، أبريل 2020.

- استمارة استبار للمسنين المشردين بلا مأوى حول إسهامات الجمعيات الاهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى؛
- استمارة استبيان للمسؤولين حول إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى؛
- وفيما يتعلق بعينة الدراسة، فقد شملت الفئات التالية:
- عينة المسؤولين بالجمعيات الأهلية المعنية برعاية المسنين المشردين عددها 47 فردا؛
- عينة من المستفيدين من خدمات الجمعيات الأهلية في مجال التطبيق وعددها 75 فردا؛

وتوصلت الدراسة في أهم نتائجها إلى أن مستوى إسهامات الجمعيات الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى (مرتفعة)، وتبين أنه توجد بعض المعوقات التي تواجه الجمعيات الأهلية تتمثل في ضعف الموارد المالية الكافية لتحقيق الحماية الاجتماعية، الافتقار إلى الخبرات المهنية الملائمة، ضعف المتابعة والتقويم المستمر لبرامج الحماية الاجتماعية، وأخيرا ضعف التنسيق والاتصال بين الجمعيات والجهات المعنية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى.

تعقيب:

والملاحظ من خلال الدراسات التي توقفنا عندها، خاصة تلك المرتبطة بالمجتمع المغربي أنها لا تتناول جميع الفئات العمرية، بل اقتصرت على فئة الأطفال فقط، بينما يهتم بحثنا بالإحاطة بجميع الفئات العمرية للأشخاص في وضعية شارع. أما بالنسبة للدراسات العربية فكما جاء أعلاه، كانت هناك دراستين، الأولى ركزت على فئة الأطفال وتحديدا الإناث، أما الثانية فركزت على فئة المسنين المشردين الموجودين داخل مراكز الإيواء. ومن هنا يتضح قصور الدراسات العربية حول موضوع الأشخاص في وضعية شارع، وفي هذا السياق يأتي بحثنا ليكمل هذا الصرح من خلال اهتمامه بجميع الفئات العمرية وكذا الجنسين معا.

المتدخلين في عملية التكفل بالأشخاص في وضعية شارع بإقليم العرائش

لا بد هنا من الإشارة إلى أهم المتدخلين الاجتماعيين في التكفل بالأشخاص في وضعية شارع بإقليم العرائش، وكذا الخدمات التي تستفيد منها هذه الفئة عبر البرامج أو المؤسسات، بالإضافة إلى المؤسسات الساهرة على إدماج الأشخاص في وضعية شارع بالعرائش.

حيث سنقتصر على الحديث عن مجموعة من المتدخلين من قبيل: المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، مندوبية التعاون الوطني، جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية، مديرية الشبيبة والرياضة، مندوبية وزارة الصحة، الوقاية المدنية، الأمن الوطنية، المحكمة، المجلس الإقليمي، الجماعة الترابية العرائش، وهي مؤسسات ذات تخصصات متشعبة تلتقي في اهتمامها بالعنصر البشري.

الجدول رقم 1: المتدخلين في عملية التكفل بالأشخاص في وضعية شارع بإقليم العرائش

المتدخلين الاجتماعيين	الخدمات المقدمة
المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	الدعم
مندوبية التعاون الوطني	الاشراف والتسيير الاداري والمالي والاجتماعي.
جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية	حاملة المشروع والمساهمة في التسيير
مديرية الشبيبة والرياضة	توفير المقر
مندوبية وزارة الصحة	التتبع الصحي
الوقاية المدنية	الإسعافات
الأمن الوطني	الأمن والحماية
المحكمة	التدخل في إعادة توجيه القاصرين
المجلس الإقليمي	الدعم خلال مرحلة الحجر الممتدة من شهر أبريل الى غاية شهر يوليوز 2020
الجماعة الترابية العرائش	المساهمة بالمقاربة الميدانية عبر نقل الأشخاص في وضعية شارع الى مركز الايواء توفير الأطر العاملة مركز الايواء.

كما هو مبين في الجدول أعلاه المتعلق بالمتدخلين الاجتماعيين في التكفل بالأشخاص في وضعية شارع بإقليم العرائش، أن هناك تنوع وتكامل بين المتدخلين نجد القطاع العمومي ممثل في:

- السلطات الإقليمية من خلال المبادرة الوطنية للتنمية البشرية؛
- التعاون الوطني؛
- الصحة العمومية؛
- الأمن الوطني؛
- الدرك الملكي؛
- الوقاية المدنية؛
- الفاعل السياسي من خلال مؤسستي المجلس الإقليمي والجماعة الترابية العرائش؛
- المجتمع المدني ممثلا في جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية؛

مما يحيلنا على أهمية نهج برامج مندمجة بين مختلف المتدخلين المجالين كل حسب تخصصه:

- **المبادرة الوطنية للتنمية البشرية:**

المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، مشروع تنموي انطلق رسمياً بعد الخطاب الملكي في 18 ماي2005، ويستهدف تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفئات الفقيرة...، وجعل المواطن المغربي أساس الرهان التنموي، وذلك عبر تبني منهج تنظيمي خاص قوامه الاندماج والمشاركة.

تهدف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، إلى محاربة الفقر والهشاشة والإقصاء الاجتماعي، ومساهمة المواطنين المعنيين في تشخيص حاجياتهم ومطالبهم وتحقيقها، إضافة إلى الحكامة الجيدة مع إشراك كل الفاعلين في التنمية وفي اتخاذ القرار.

وتمحورت المبادرة في مرحلتها الأولى (2005-2010) حول أربعة برامج، استهدفت مختلف الفئات الاجتماعية، وتتمثل في إطلاق برنامج محاربة الفقر في الوسط القروي، وبرنامج محاربة الإقصاء الاجتماعي في الوسط الحضري، برنامج محاربة الهشاشة، إضافة إلى برنامج يهم جميع الجماعات القروية والحضرية غير المستهدفة.

أما المرحلة الثانية للمبادرة (2011-2015)، فقد أعطت دفعة قوية للمبادرة، تجلت في الرفع من الغلاف المالي المخصص لها، واستهداف مئات من الجماعات القروية والأحياء الحضرية الفقيرة، إضافة إلى استهداف مليون مستفيد قاطن ب 3300 دوار، ينتمي إلى 22 إقليم معزول أو جبلي.[189]

المرحلة الثالثة من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، (2019-2023)، التي أشرف جلالة الملك محمد السادس على انطلاقتها يوم الأربعاء 19 شتنبر 2018، تسعى إلى تحصين المكتسبات السابقة، وترتكز على أربعة برامج أولها، تدارك الخصاص على مستوى البنيات التحتية والخدمات الأساسية بالمجالات الترابية الأقل تجهيزا، من أجل فك العزلة وتحسين الظروف السوسيواقتصادية للفئات المعوزة، فيما يهم البرنامج الثاني مواكبة الأشخاص في وضعية هشاشة، ويهدف إلى التكفل وإعادة الإدماج الاجتماعي للفئات الهشة، ويروم البرنامج الثالث، تحسين الدخل والإدماج الاقتصادي للشباب، باعتماد مقاربة ترابية مبنية على مواكبة القرب وتثمين المؤهلات والثروات المحلية، بينما يهدف البرنامج الرابع إلى دعم التنمية البشرية للأجيال الصاعدة، من خلال الاستثمار في الرأسمال البشري.

ويندرج تدخل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في حملة برد 2021/2020، الى جانب مندوبية التعاون الوطني كقطاع وصي، وجمعية النداء للمساعدة الاجتماعية، ضمن اهتمامها بالفئات الهشة، وكمحور تلاقي شكل أرضية لإبرام اتفاقية شراكة ثلاثية.

[189] - أشرقي عبد العزيز، الجماعات الترابية، الآفاق المستقبلية وتحديات التنمية المستدامة، الجهات، العمالات والأقاليم والجماعات الترابية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، طبعة 2016، ص152-154.

- **التعاون الوطني:**

أنيط بالتعاون الوطني في البداية، مهمة تقديم مختلف أنواع المعونة والإسعاف والمساعدات على جميع أشكالها لفائدة الفئات الفقيرة والمحتاجة، وكذا المساهمة في إنعاش المجتمع والأسرة. كما عهد إليه بتجميع المساعدات والهبات والتبرعات المختلفة، وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، والمساهمة في إنشاء المؤسسات والمراكز التي تسهّل ولوج الشغل والاندماج في الحياة العامة. ومراقبة الجمعيات الاجتماعية للإسعاف والإحسان التي تستفيد من إعانته المالية، بموجب الفصل الأول من القرار الوزاري بتاريخ 16 رمضان 1354 (13 دجنبر 3195) بشأن مراقبة المؤسسات الخصوصية للإسعاف والإحسان التي تمنحها الدولة مساعدات مالية. ويمكن استشارته في ضرورة إحداث كل مؤسسة عمومية ذات صبغة اجتماعية أو إحسانية، وكذا في التدابير العامة أو الخاصة التي تهمّ التضامن والتعاون، فضلا عن مساهمته في تكوين الأعوان العاملين بالمؤسسات التي تخضع لمراقبته.

الإطار التنظيمي الإداري:

يسيّر التعاون الوطني مجلس إداري تترأسه وزيرة الأسرة والتضامن والمساواة والتنمية الاجتماعية، وهو يتألف من 12 عضوا، يمثلون وزارات مختلفة (الأسرة والتضامن والمساواة والتنمية الاجتماعية/ الداخلية/ الاقتصاد والمالية/ التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر/ التربية الوطنية والتكوين المهني/ الشباب والرياضة/ الصحة/ التشغيل والاندماج المهني/ الإنعاش الوطني/ الأمانة العامة للحكومة/ رئاسة الحكومة) بالإضافة إلى عضوية الديوان الملكي. ويدير شؤون التعاون الوطني مدير ينفذ مقررات المجلس الإداري للمؤسسة، وهو معيّن طبقا للشروط المنصوص عليها في التشريع المعمول به. ويخضع تنظيم واختصاصات المصالح المركزية والخارجية للتعاون الوطني لقرار وزيرة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن تحت رقم 265 بتاريخ 26 يوليو 2011 (الذي تم تعديله بالقرار الوزاري الأخير لوزيرة الأسرة والتضامن والمساواة والتنمية الاجتماعية رقم 343 بتاريخ 2017/10/16) والذي يحدّد تنظيمه الإداري.

ويلتقي التعاون الوطني كقطاع المساعدة الاجتماعية مع برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية من خلال الفئات المستهدفة والمتمثلة في:

- الفتيات والنساء في وضعية صعبة؛
- الأطفال في وضعية صعبة؛
- الأشخاص في وضعية إعاقة؛
- الأشخاص المسنون بدون عائل أو مورد؛

<u>والتي تستفيد من خدماته عبر برامج أو مؤسسات موزعة على الصعيد الوطني كالتالي:</u>

- 12 منسقية جهوية؛
- 70 مندوبية إقليمية؛
- 4196 مؤسسة ومركزا اجتماعيا استقبلت 580000.مستفيدا ومستفيدة.

<u>بنيات وفضاءات القرب (الإدارية والاجتماعية) :</u>

- مقرات المنسقيات الجهوية (وحدات إدارية بالخصوص)؛

- مقرات المندوبيات الإقليمية (وحدات إدارية بالخصوص)؛
- مراكز المساعدة الاجتماعية؛
- مراكز توجيه ومساعدة الأشخاص في وضعية إعاقة؛
- وحدات حماية الطفولة؛
- الفضاءات متعددة الوظائف للمرأة في وضعية صعبة؛
- مراكز التربية والتكوين؛
- مراكز التكوين بالتدرج المهني؛ مؤسسات الرعاية الاجتماعية (الداعمة للتمدرس/ الخاصة بالأطفال والنساء في وضعية صعبة/ الخاصة بالأشخاص المعاقين/ الخاصة بالأشخاص المسنين...)؛
  - رياض الأطفال؛
  - فضاءات محو الأمية؛
  - دور المواطن؛
  - مراكز الأشخاص في وضعية إعاقة؛
  - المركبات الاجتماعية متعددة الاختصاصات؛
  - فضاءات ومراكز المؤسسات والجمعيات الشريكة؛
- **جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية .**

تشمل بين أعضائها مجموعة من المتمرسين الميدانيين في مجال المساعدة الاجتماعية، الذين راكموا عبر تكوينهم في المجال، وممارستهم المهنية والجمعوية مهارات ادرية واجتماعية مكنتهم من التدخل المعقلن في مجال الأشخاص في وضعية شارع عبر تجاوز الخدمات الكمية والمتمثلة في احصاء المرتفقين واطعامهم او تمكينهم من خدمات الاستحمام والحلاقة، الى الخدمات النوعية عبر المعايشة، وتوفير خدمات الدعم النفسي، وجلسات الاستماع، من أجل تقويم السلوك، ومحاربة الإدمان عبر منع المرتفقين من تناول السجائر والمخدرات طيلة فترة الاقامة.

وقد تأسست الجمعية وفقا للأهداف التالية:

1. النهوض بأوضاع الأشخاص في وضعية هشاشة؛
2. توفير الايواء المؤقت للأشخاص بدون مأوى؛
3. التمكين الاقتصادي للأشخاص في وضعية هشاشة؛
4. الإدماج السوسيواقتصادي للأشخاص في وضعية شارع
5. محاربة الإدمان؛
6. توفير الدعم النفسي والاجتماعي للأشخاص في وضعية شارع؛
7. توفير العناية الطبية للأشخاص في وضعية الشارع؛
8. التكوين والتكوين المستمر لفائدة الفاعلين في مجال محاربة الهشاشة؛

فيما أن باقي المتدخلين في المجال من مؤسسات عمومية وفاعل سياسي، فقد جاءت تدخلاتهم انطلاقا من اختصاصاتهم والتزاماتهم المهنية؛

I. المؤسسات الساهرة على إدماج الأشخاص في وضعية شارع بالعرائش

"دار الحنان للأطفال المتخلى عنهم": ويتم تمويلها بشكل سنوي من طرف التعاون الوطني، في حين تتكلف المبادرة الوطنية بالبناء والتجهيز، ويتم التسيير من طرف أعضاء الجمعية.

"دار المسنين بالعرائش والقصر الكبير": تتكفل بالمسنين بدون عائل أو عون، ويتم تمويلها وتوفير الأطر العاملين داخلها من طرف مندوبية التعاون الوطني. ويتم تسييرها من طرف أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية بالعرائش.

"الفضاء المتعدد الوظائف للنساء في وضعية صعبة": وتسهر هذه المؤسسة على التكفل بالنساء ضحايا العنف بشتى أنواعه وأشكاله. بحيث توفر لهم الإيواء والتكوين في حرف متعددة كالحلاقة، الطرز والخياطة وتصميم الأزياء. كما تمنحهم دبلومات عند نهاية التكوين. فضلا عن هذا، يتم توفير الاستقبال والاستماع والرصد والمواكبة والتبليغ والدعم النفسي والطبي والعلاجي للحالات التي تتواجد في وضعية عنف، وتمكين هذه الفئة اقتصاديا عن طريق اقتراح مشاريع والتنسيق مع الشركاء الاقتصاديين، كالمبادرة الوطنية للتنمية البشرية والوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والكفاءات (.(ANAPEC).

نتائج البحث

نستنتج من خلال بحثنا هذا حول: ظاهرة الأشخاص في وضعية شارع وإشكالية الإدماج خلال زمن كورونا، وبناء على الجانب النظري الذي قمنا من خلاله بالاطلاع على أهم ما كتب حول موضوع بحثنا، كدعامة أساسية للبحث الميداني، الذي اعتمدنا فيه على عينة تتكون من 100 مبحوث ومبحوثة، منها 90 ذكورا، و10 إناث، سالكين المنهج التحليلي الوصفي، اعتمادا على عدة أدوات بحثية أهمها؛ من الناحية الكمية (الاستمارة)، ومن الناحية الكيفية (دراسة الحالة، والملاحظة بالمعايشة...)، ومن خلال عرض وتحليل نتائج البحث الميداني، وفي علاقة بالفرضيات التي اقترحناها في البداية كإجابة مؤقتة عن تساؤلات البحث، توصلنا إلى النتائج التالية:

فيما يخص المحور الأول: الخاص بالبيانات الشخصية:

- أبانت نتائج البحث على أن غالبية أفراد العينة يقعون ضمن فئة الشباب، أي الفئة النشيطة.
- وفيما يتصل بالانتماء الجغرافي لأفراد العينة المدروسة، نجد الأغلبية منهم وافدين من مختلف مدن المملكة، وخاصة منها المدن الفقيرة التي تغيب فيها فرص العمل، ونظرا لاعتبار مدينة العرائش مدينة عبور نحو مدينة طنجة، للبحث عن عمل أو من أجل الهجرة، وعلى اعتبار أيضا أن مدينة العرائش تقع بالقرب من الوجهات السياحية والاقتصادية الشمالية للمملكة، فإننا نستفيق يوميا على جحافل بشرية يتم ترحيلها خلسة الى مدينة العرائش ومدينة القصر الكبير، وخاصة المدمنين والمختلين عقليا.
- وفيما يتعلق بالمستوى التعليمي لأفراد العينة المدروسة نجد أن نسبة الأمية شكلت الفئة الأكثر عرضة للشارع من ضمن العينة المدروسة سواء بالنسبة للذكور أو الإناث معا. وهذا ما يتماشى مع الفرضية التي

وضعناها أعلاه ومفادها أنه كلما كان الشخص غير متمدرسا كلما أدى به ذلك إلى العيش بالشارع.

- بالنسبة لأسباب انقطاع أفراد العينة المدروسة نجد بالنسبة للذكور يشكل العامل الاقتصادي سببا مهما في الانقطاع عن الدراسة، في حين يشكل عامل التفكك الأسري لدى الاناث عاملا أساسيا في الانقطاع الدراسي.
- وعلاقة بالسؤال المرتبط بالاستفادة من التكوين المهني، نجد أن الغالبية الساحقة من أفراد العينة لم تستفيد من التكوين المهني.
- وفيما يتصل بالنشاط الذي سبق للمبحوثين مزاولته سابقا، أظهرت النتائج أن أغلب الأنشطة المهنية الممارسة تدخل ضمن القطاع الغير المهيكل.

فيما يخص المحور الثاني: الخاص بالبيانات الصحية

أظهرت النتائج أن الاعاقات الذهنية والأمراض النفسية تشكل النسبة الأكبر؛ وهو الشيء الذي يجد تفسيرا منطقيا في طبيعة العيش في وضعية شارع، وما يتعرض له الشخص من عنف معنوي وجسدي.

فئة الأشخاص في وضعية إعاقة يشكلون ثلث الفئة موضوع البحث، وخاصة منها الإعاقة الذهنية، التي شكلت السمة الغالبة على المرتفقين الذين تم استقبالهم بالمؤسسة، الإعاقة التي نتجت في غالبها عن التعاطي والإدمان على المخدرات، والتي كانت سببا من الأسباب المباشرة وراء التواجد في وضعية شارع، وقد لاحظنا أن المرتفقين يجهلون جهلا كليا خدمات صندوق التماسك الاجتماعي "اتفاقية الشراكة الثلاثية بين وزارة الاقتصاد والمالية، ووزارة الأسرة... والتعاون الوطني" الذي يقدم مجموعة من الخدمات للأشخاص في وضعية إعاقة.

فيما يخص المحور الثالث: الخاص بالبيانات الاجتماعية

- فيما يتعلق بالحالة العائلية، أظهرت النتائج أن أغلب الأشخاص الممثلين في العينة المدروسة عازبين، سواء الذكور أو الإناث منهم.
- وهذا يدفعنا للقول بأن الأشخاص في وضعية شارع، غالبا ما يفشلون في بناء علاقات اجتماعية عادية، او الاحتفاظ بها.
- وفيما يتعلق بالدوافع التي جعلت المبحوثين يعيشون في الشارع، نجد أن مجموع الأسباب التي أبرزها البحث الميداني، أسباب اجتماعية بامتياز إذا تحدثنا عن العلاقة بالأسرة ووضعها الاجتماعي، وزواج القاصرات، فيما يأتي المرض في مرحلة ثانية، وقد تمثل المرض في الاضطرابات النفسية التي يصعب التعامل معها في غياب الخدمات الطبية الضرورية بالنظر لعدم وجود مستشفيات خاصة بالأمراض العقلية والنفسية في كل مدن المغرب، وكذلك ارتفاع الكلفة بالنسبة للأسر التي تعاني من الأساس شتى أنواع الفقر والهشاشة، مع غياب تغطية صحية. وهو الأمر الذي يزكي صدق الفرضية التي تقول: كلما كان الشخص لديه مشاكل اجتماعية وصحية كلما أدى به إلى اتخاذ الشارع ملجأ له.

فيما يخص المحور الرابع: بيانات حول مرحلة العيش في وضعية شارع

وبالحديث عن العنف الذي يتعرض له الأشخاص في وضعية شارع، نجد أن العنف الغالب لدى هذه الفئة هو عنف جسدي جنسي، في حين أنه من خلال المعايشة فإن العينة المدروسة تعاني من كل أشكال العنف بدءا بالعنف الاقتصادي الذي يدفعهم للاقتيات على القمامة، أو امتهان التسول أو السرقة أحيانا، مرورا بالعنف

الاجتماعي الذي يحرم هذه الفئة من كل الخدمات الضرورية المأوى، الصحة وإعادة الإدماج، ووصولا إلى العنف الملموس والمتجسد في العنف الجسدي والجنسي، وهو تحصيل حاصل لوضعية الشارع، نظرا لكون هذه الفئة تعيش خارج المنظومة الاجتماعية وما يحكمها من قوانين وأعراف وقيم، وغالبا ما يكون العنف الجنسي ناتج عن ذات الفئة. وهو ما يعزز صحة الفرضية أعلاه والتي تقول كلما تواجد الشخص في وضعية شارع كلما كان عرضة للعنف بشتى أنواعه.

فيما يتعلق بتعاطي المبحوثين في وضعية شارع للمخدرات، نجد الفئة الغالبة من العينة المدروسة إناثا وذكورا، قد عبرت عن تعاطيها لشتى أنواع المخدرات، وتتعاطى أكثر للأنواع البخسة الثمن من سيليسيون وحشيش وأقراص مهلوسة، نظرا للوضع الاقتصادي الذي تعيشه هذه الفئة. وهذا ما يعزز صحة الفرضية التي تقول بأنه كلما تواجد الشخص في وضعية شارع كلما تعاطى للمخدرات بشتى أنواعها.

وفيما يتعلق بمدى احتكاك المبحوثين بالقانون، أكدت النتائج أن النسبة الكبيرة منهم لم يسبق له أن كان في تماس مع القانون.

فيما يخص المحور الخامس: مرحلة الإدماج

علاقة بالسؤال المتمحور حول فكرة المشروع، أظهرت النتائج أن أغلب الأفكار المعبر عنها تدخل ضمن المشاريع المنتشرة، والتي يغلب عنها الطابع التجاري، وهي مشاريع بعيدة كل البعد عن مجالات التكوين المعبر عنها في مستهل الدراسة، باستثناء مشروع الحلاقة.

وفيما يتعلق بالروابط الأسرية، أثبتت النتائج أن نسبة كبيرة من المبحوثين، الذكور كما الإناث يتوفرون على روابط عائلية وأسرية من الدرجة الأولى والتي من المفروض أنها لعبت دورا أساسيا في تربية النشء، لكن أسباب من قبيل: تخلي المؤسسات التعليمية عن دورها في التنشئة الى جانب الأسرة، انشغال الأسرة في البحث عن موارد اقتصادية وتخليها عن الأدوار التربوية، التحولات الاجتماعية وخاصة من الأسرة الممتدة الى الأسرة النووية...تؤدي بالنشء للبحث عن حياة الرفاهية في الشارع، نفس الشارع الذي أصبح غير آمن تنتشر فيه كل الظواهر الاجتماعية بشكل مرئي، قد يكون مغريا في البداية، لكن سرعان ما يحكم قبضته على الوافدين الجدد.

وفيما يخص النتائج المرتبطة بالإدماج الأسري، أثبتت أن هذا الأخير قد طغى على عملية الإدماج التي باشرتها جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية بمعية مندوبية التعاون الوطني، الشيء الذي يجد تفسيرا منطقيا بالعودة إلى الوضعية الصحية للعينة المبحوثة، حيث تشكل الإعاقة الذهنية والاضطرابات النفسية نسبة كبيرة منهم، مما يعيق أي محاولة منا للإدماج المهني، وبالتالي ظل الخيار المطروح هو الادماج الأسري، بما يحمله من نواقص في ظل غياب الخدمات الاستشفائية لفائدة الأشخاص المختلين عقليا، وهذا في الغالب ما يفسر صعوبة الإدماج الأسري نظرا لعدم التزام الأسرة بمواكبة الحالة، بداية لقصر ذات اليد، ثم لصعوبة التكفل بشخص مختل عقليا، مما يجعله يعود للشارع وبالتالي يعود للتعاطي أحيانا بوثيرة أكبر.

لتبقى مؤسسات الرعاية الاجتماعية، كملجأ أساسي لإدماج الفئات المستهدفة المتنوعة بين الأطفال الذين تم

إيداعهم بدار الحنان للأطفال المتخلى عنهم، والمسنين في كل من دار المسنين العرائش والقصر الكبير. وهذا ما يزكي صدق الفرضية التي وضعناها سالفا والتي تقول، بأنه كلما تحسنت الوضعية الصحية للمبحوثين، كلما سهلت عملية إدماجهم مهنيا، وكلما كانت الوضعية الصحية للمبحوثين سيئة، كلما صعب إدماجهم مهنيا، وبالتالي يمكن إدماجهم أسريا.

خاتمة:

من خلال النتائج المتحصل عليها في البحث والممارسة الميدانية التي سمحت لنا بالإجابة على تساؤلاتنا والتي بينت لنا بأن ظاهرة الأشخاص في وضعية شارع متفشية بمدينة العرائش رغم أن النتائج أكدت بأن الانتماء الجغرافي للأشخاص في وضعية شارع (العينة المبحوثة) كانت من خارج مدينة العرائش، أي من مدن مغربية مختلفة، ولكنهم يتخذون من مدينة العرائش كنقطة عبور اتجاه مدينة طنجة باعتبارها توفر فرص شغل مدرة للدخل أفضل من تلك التي توفرها باقي المدن المتوافد منها، ولعل هذا ما زكته النتائج التي أثبتت أن أسباب هذه الظاهرة تتعدد وتختلف، إلا أن أهمها، يظل ذو طابع اجتماعي بامتياز، إضافة إلى الأسباب النفسية والصحية المتمثلة في وجود أمراض نفسية وأخرى صحية جسدية، ناهيك عن الأسباب الاقتصادية، والتي يبقى من أهمها الفقر والهشاشة، والبطالة...، هكذا إذن، وبفعل كل تلك الأسباب والعوامل؛ يجد هؤلاء الأشخاص أنفسهم وسط الشارع، عرضة لمختلف أشكال العنف والمرض والإهمال، مما يدفعهم إلى التعاطي للمخدرات بمختلف أشكالها...

فمهما كانت أسباب هذه الظاهرة، ونتائجها، فإن التعامل معها ومعالجتها تطلب منا، باعتبارنا جزء من الظاهرة (مساعد اجتماعي)، التدخل من أجل محاولة إدماج هذه الفئة، بحيث باشرت جمعية النداء للمساعدة الاجتماعية بمعية مندوبية التعاون الوطني في هذه العملية، من خلال إدماجهم سواء أسريا، أو مهنيا...

وبناء على ذلك واعتمادا على مقاربة نتائج هذا البحث التي وقفنا عنها، فإن مجابهة ظاهرة "الأشخاص في وضعية شارع"، تستلزم وضع سياسة قطاعية مندمجة، بين مختلف القطاعات وعلى مختلف المستويات، وهو الأمر دفعنا إلى اقتراح مجموعة من التوصيات والمقترحات على الشكل التالي:

ضرورة وجود سياسة مندمجة تتدخل فيها شتى القطاعات المعنية من:

- التعاون الوطني- المبادرة الوطنية للتنمية البشرية- الصحة- التربية الوطنية والتكوين المهني- مندوبية الشباب والرياضة- الأمن- الوكالة الوطنية لإنعاش الشغل والكفاءات – العدل- الفاعل السياسي والمجتمع المدني.
- الدفع بمخطط التنمية الجهوية، وخلق أقطاب اقتصادية على صعيد الجهات لخلق فرص العمل والحد من ظاهرة الهجرة بين المدن، وأيضا التفكير في الهجرة السرية.
- إحداث مراكز إيواء مندمجة من أجل إيجاد حلول نهائية للظاهرة.
- إحداث مستشفيات خاصة بالأمراض العقلية.
- إحداث مراكز محاربة الإدمان.
- توفير دعم قار ومستمر لمراكز التكفل بالأشخاص في وضعية شارع.

- استحضار دور التربية الذي كانت تلعبه الأسرة، المدرسة، المسيد، مراكز الشبيبة والرياضة، الجيران، القدوة.
- بناء الثقة بين المدرسة والطفل من جهة، ومحاربة عوامل الهدر المدرسي المتعلقة بالأسباب ذات العلاقة المباشرة مع المؤسسة التعليمية من عنف مدرسي، ومراعاة المستويات المختلفة للتلاميذ داخل الفصول المدرسية، من خلال محاربة الاكتظاظ في الفصول الدراسية، وتوفير دروس التقوية للجميع، مع برمجة الأنشطة الترفيهية والتربوية داخل الفضاءات المدرسية، إضافة الى محاربة الفوارق الاجتماعية من خلال المطعم المدرسي، وتشجيع الأنشطة التضامنية، وحث جمعيات الآباء والأولياء للتدخل من أجل اسعاف الحالات الاجتماعية الهشة. إضافة الى خلق جسور التواصل بين الأسرة والمدرسة، وتشجيع وحدات الاستماع والمواكبة داخل المؤسسة التعليمية لتتبع الطفل ومواكبته داخل وخارج الفضاء المدرسي.
- قد يشكل الأشخاص في وضعية شارع ظاهرة اجتماعية تستوجب الدراسة من أجل الوقوف على الأسباب، لكنها ظاهرة ليست بمعزل عن باقي الظواهر التي باتت تغزو شوارع مجتمعنا، نذكر منها التسول، الإدمان، الجريمة، احتراف الجنس، وغيرها من الظواهر التي تلازم هذه الفئة كنتيجة حتمية للوضعية من أجل البحث عن موارد لتوفير الطعام والمخدرات أو الكحول وغيرها...
- ضرورة إعادة النظر في المنظومة التربوية التي من المفروض أنها حقنة مناعة ضد الانحرافات السلوكية، وبالتالي إعادة النظر في مؤسستي الأسرة والتعليم، مع محاربة شتى أنواع المخدرات التي باتت تغزو كل الشوارع.
- إعادة النظر في معايير التنمية التي يجب أن تضع في صلب الاهتمام العنصر البشري، الشيء الذي تم معالجته في إطار النموذج التنموي الجديد الذي من المفروض أن منح إجابات جريئة على أسباب فشل النموذج التنموي المعتمد سابقا.

ضرورة تبني عمل مندمج بين مختلف المتدخلين بدءا من مراكز الإيواء مرورا بتنزيل مجموع البروتوكولات ووصولا الى الإدماج وإعادة الإدماج، وذلك على غرار السياسة المندمجة لحماية الطفولة.

مراجع البحث

باللغة العربية:

- أشرقي عبد العزيز، الجماعات الترابية، الآفاق المستقبلية وتحديات التنمية المستدامة، الجهات، العمالات والأقاليم والجماعات الترابية، مطبعة النجاح الجديدة الدارالبيضاء، طبعة 2016.
- أحمد مصطفى محمد، التكيف والمشكلات الدراسية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996.
- الخمليشي الزهرة، الأطفال في وضعية التخلي الوصم يعيق الاندماج، تقديم: النجار زينب، طنجة، سليكي أخوين، الطبعة الأولى، فبراير 2018.
- زهرو رضوان، نموذجنا التنموي، من أجل تعاقد جديد، منشورات مسالك في الفكر والسياسة والاقتصاد، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، 2019.

- زعيرك حنان، إعاقة أم اختلاف صعوبات الاندماج وممكنات التفوق، ضمن، خلود السباعي (التنسيق)، الأشخاص في وضعية إعاقة وقضايا الدمج، منشورات دار الأمان، 2020.
- شرايمي محمد، تقديم، ضمن نادية الذهبي، حدث في زمن كورونا: مجموعة قصصية مستوحاة من الواقع، الرباط، منشورات دار الأمان، 2020.
- شرايمي محمد، الخدمة الاجتماعية، بحث في مهنة المساعدة الاجتماعية بالمغرب، دار النشر: طوب بريس، الطبعة الأولى 2013.
- عيسى عثمان إبراهيم، مقدمة في علم الاجتماع، الطبعة العربية الثانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.
- عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2006.
- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، تقديم وترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 2001.
- محمود فايد أميرة، إسهامات الجمعية الأهلية في تحقيق الحماية الاجتماعية للمسنين المشردين بلا مأوى، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد 50، المجلد 2، أبريل 2020.
- مزوز بركو، محاضرات في الإدماج وإعادة الإدماج، للسنة الرابعة علم النفس المدرسي، قسم علم النفس جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007.
- مومن محمد، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، منشورات طوب بريس، الرباط، الطبعة الثانية، ماي 2010.
- ميري يمينة، عبد الخلقي محمد، المناهج الكمية، المبادئ النظرية والإجراءات التطبيقية، الطبعة الأولى، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش 2019.
- وسن محسن حسن " ظاهرة تشرد الاناث بين التهميش والاندماج دراسة ميدانية / دار تأهيل الاحداث المشردات في مدينة بغداد بالعراق"، منشورات مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 25، العدد 4، 2014.

باللغة الفرنسية والإنجليزية:

- Damon Julien., La question SDF, ciblages et bricolages, Thèse de doctorat, Université de Paris IV, 2001.
- Pichon Pascale et autre (dir.), sdf, sans abri, itinérant oser la comparaison, Louvain : Presses universitaire de Louvain, 2008.

المواقع الإلكترونية:

- www.twassolonline.com
- https://www.legisocial.fr/definition-sdf-sans-domicile-fixe.html .1
- https://sansabri.typepad.fr/conference_de_consensus/files/confrence_de_consensus_fichepdf1.
- https://www. Oxford reference.com
- https:// www.universalis.fr/dictionnaire/insertion/
- https://sans-abri.typepad.fr/conference_de_consensus_fiche_1.pdf

- https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus/coronavirus.
- https://entraide.ma/ar/

التصورات الماكروسوسيولوجية لعلاقة التربية بالهيمنة

Macrosociological perceptions of the relationship betwen éducation and domination

مجيدة لغزال – طالبة بسلك الدكتوراة (جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية – المغرب)

الإيمايل: majida.loghzel-etu@etu.univh2c.ma

ملخص المقال:

يحاول هذا المقال التطرق لأبرز المواقف الماكروسوسيولوجية حول علاقة التربية بالهيمنة وكيفية تفاعلهما، من خلال الانفتاح على أهم اجتهادات سوسيولوجيي التربية وخاصة الفرنسي إميل دوركايم والألماني ماكس فيبر. وقد جاء اجتهادهما نتيجة لما عرفته المجتمعات الأوروبية (خلال القرن 19 وبداية القرن 20) من تحولات جذرية، تمثلت في الانتقال من نظام فيودالي يهيمن عليه الديني والرمزي، إلى نظام بورجوازي حداثي يهيمن عليه العقل والعلم. لكن إذا كان كل هؤلاء السوسيولوجيون قد تأثروا جميعا بهذا التحول المجتمعي الثوري، وإذا كانوا قد أشادوا جميعهم بإيجابيات هذا الحدث فإن تحليلاتهم للنظام الجديد واختياراته وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية، قد اختلفت وتباينت إلى حد التناقض. وسنكتفي هنا بالتطرق لأبرز تحليلاتهم المتعلقة بمسألة التربية والثقافة، والتعليم وعلاقتها بالسلطة والهيمنة، بالانطلاق من مدخل التوازن الذي يمثله إيميل دوركايم والختم بمدخل الحياد الذي جاء به ماكس فيبر.

الكلمات المفتاحية: الماكروسوسيولوجيا – التربية – الهيمنة – إميل دوركايم -ماكس فيبر.

Abstract :

This article attempts to address the most prominent macrosociological positions on the relationship betwen education and domination and how they interact, by opening up to the most important jurisprudences of the sociologists of education, especially the French Emile Durkheim and the German Max Weber. Their diligence came as a result of what European societies knew(During the 19th and the beginning of the 20th century) radical transformations, represented in the transition from a feudal system dominated by religious and symbolic, to a modern bourgeois system dominated by reason and science. But if all these sociologists were all affected by this revolutionary societal transformation, and if they all praised the positives of this event, then their analyzes of the new regime and its political, social, economic, cultural and educational choices and orientations differed and varied to the point of contradiction. We will suffice here to address their most prominent analyzes related to the issue of education, culture, and education and its relationship to power and domination, starting from the approach of balance represented by Emile Durkheim and concluding with the approach of neutrality that Max Weber brought.

Keywords: macrosociology - education - domination - Emile Durkheim - Max Weber.

مقدمة:

سيحاول هذا المقال التطرق لأبرز المواقف الماكروسوسيولوجية حول موضوع علاقة التربية بالهيمنة وكيفية تفاعلهما، عند أبرز رواد السوسيولوجيا الفرنسية والألمانية، وهم: إميل دوركايم وماكس فيبر (وبعض من يدور في فلكهم أو يتقاطع معهم، سواء من داخل أو خارج السوسيولوجيا). وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء قد بلوروا تحليلاتهم السوسيولوجية في إطار ما عرفته المجتمعات الأوروبية (خلال القرن 19 وبداية القرن 20) من تحولات جذرية، تمثلت في الانتقال من نظام فيودالي يهيمن عليه الديني والرمزي، إلى نظام بورجوازي حداثي يهيمن عليه العقل والعلم.

لكن إذا كان كل هؤلاء السوسيولوجيون قد تأثروا جميعا بهذا التحول المجتمعي الثوري، وإذا كانوا قد أشادوا جميعهم بإيجابيات هذا الحدث فإن تحليلاتهم للنظام الجديد واختياراته وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية، قد اختلفت وتباينت إلى حد التناقض. وسنكتفي هنا بالتطرق لأبرز تحليلاتهم المتعلقة بمسألة التربية والثقافة والتعليم وعلاقتها بالسلطة والهيمنة.

1 - اللحظة السوسيولوجية الدوركايمية: مدخل الإدماج والتوازن:

يرجع الفضل إلى "**إميل دوركايم Émile Durkheim**" 1858-1917 في نقل مستوى الاشتغال بالتربية من مجال التأمل الفلسفي الخالص إلى مجال العلم، إذ يعد هذا العالِم، بلا منازع أول من وضع الحجر الأساس لسوسيولوجيا التربية كعلم مستقل متفرع عن السوسيولوجيا العامة، عِلم لا يتعامل مع الظاهرة التربوية كظاهرة عامة ومجردة ومتعالية عن المجتمع وعن مكان وزمان وجودها، بل يتعامل مع الظاهرة التربوية كما لو كانت شيئا، أي كحادثة اجتماعية موضوعية وخارجية وإكراهية ومستقلة عن ذات الباحث. وبناء على ما سبق يرى دوركايم أن لكل مجتمع تربية خاصة به، بل ولكل لحظة تاريخية من تاريخ مجتمع معين تربيتها الخاصة. ما يعني أنه يصعب على بلد كالمغرب استعارة نموذج تربوي جاهز، إلا إذا تمت أقلمته وتكييفه مع خصوصيات واقعه المحلي.

لقد عاصر دوركايم لحظة تحول حاسم في نمط التربية، حيث عايش لحظة أفول واحتراق التربية الكنسية الدينية، وانبثاق ومولد تربية جديدة، هي التربية الأخلاقية اللائكية، يقول:" لقد قررنا في مدارسنا، أن نمنح أطفالنا تربية أخلاقية لائكية تماما. وما ينبغي أن نفهمه من هذه التربية هو كونها ترفض من حيث المبدإ استعارة أي شيء من الديانات السماوية، وألا تستند إلا على الأفكار والمشاعر والممارسات التي تكون مبررة من طرف العقل وحده، وبكلمة واحدة أن نمنح أطفالنا تربية عقلانية خالصة[190].

هكذا إذن، يقتضي التحول الذي طرأ على السلطة السياسية تحولا في وظيفة التربية، حيث ستصبح المدرسة قطعة في بنية هيمنة الدولة الجديدة، هدفها هو صناعة الإنسان المناسب للمرحلة الجديدة، أي المواطن البورجوازي واللائكي والعقلاني والحداثي. فكما أن التربية خلال المرحلة الكنسية السابقة كانت بمثابة آلة لصناعة الكائن المسيحي، فكذلك ستصبح التربية في عصر دوركايم أداة لإنتاج المواطن الحداثي الجديد اللائكي والحر والمسؤول.

[190] Durkheim Emile, (1963), L'éducation morale, PUF,1ère Edition.

وهذه المهمة الجديدة التي وضعتها المدرسة على عاتقها ليست حسب دوركايم مهمة سهلة وميسرة، بل إنها مهمة تدخل في صلب إدماج الناشئة ضمن أفق ثقافي جديد لا زال في طور التشكل. فالأمر لا يتعلق فقط بنقل ثقافة جاهزة من قبل الراشدين إلى الناشئة، ذلك أن " كل تربية مدرسية تقتضي في الواقع، انتقاء المضامين الموجهة للأجيال الجديدة انتقاء دقيقا، وإعادة بلورة هذه المحتويات بصفة مستمرة"[191]. وهو انتقاء لا يخلو من صعوبات في إطار هذه المرحلة: تكمن أولى هذه الصعوبات في خضوع عملية اختيار المضامين المعرفية والثقافية لصراعات واعتبارات ترتبط بميزان القوى بين المجموعات المتصارعة داخل المجتمع، ذلك أنه لا بد من حصول توافق بين هذه القوى على جملة من المعارف والعناصر الثقافية وتغييب واستبعاد أخرى، وذلك وفق الصورة المثالية للإنسان الذي ينشده المجتمع وتتطلع إليه الدولة المركزية القوية. أما الصعوبات الثانية فتتمثل في تعذر فرز الأخلاق اللائكية خاصة تلك التي امتزجت بشكل عضوي بالأخلاق الدينية المسيحية، ما يجعل عزلها عما هو ديني أمرا في غاية التعقيد.

تكمن جدة دوركايم في كونه انتبه للأهمية السوسيولوجية لانتقاء الثقافة المدرسية متجاوزا الفكرة القائلة بأن التربية ما هي إلا تنشئة تقوم على النقل البريء لتراث الأجداد الثقافي الموحد والمنسجم، من قبل الراشدين إلى الناشئة." لقد أخضع دوركايم (كما يقول فوركان) الثقافة المدرسية في شقها المتعلق بالمحتويات المدرسية إلى بحث نسقي تبين على ضوئه أن بناء هذه الثقافة، هو بناء اجتماعي بالأساس. وسننتظر حتى سبعينيات القرن الماضي لكي يتحول ما فكر فيه دوركايم في هذا المجال إلى برنامج بحثي تحت ما يسمى سوسيولوجيا المنهاج في بريطانيا"[192]

انطلاقا مما سبق سينتج دوركايم سوسيولوجيا تربوية تستجيب للمكان والزمان الذي ظهرت فيه (فرنسا زمن ما بعد الثورة الفرنسية) وتقطع مع المرحلة الاقطاعية الكنسية، وذلك من خلال التركيز على الأخلاق اللائكية التي تدافع عن العقلانية والحرية والانضباط والمسؤولية والتسامح والحق في الاختلاف... إنها تربية تتنافى مع ما هو ميتافيزيقي متعالي وتقطع مع ما هو روحي وديني وتتجاوب مع المؤنسن.

لقد استوعب دوركايم بذكائه وحسه السوسيولوجي دقة المرحلة التي عايشها، وعمل ما في وسعه لترسيخ المبادئ والأسس والقيم التي تتجاوب مع المرحلة، وحارب في هدوء الثقافة اللاهوتية المنافية للعلم والتقدم في المدارس الفرنسية، التي احتك بها طويلا، وراكم من خلال ذلك، خبرات وتجارب كثيرة وغنية بشأنها. ويمكن رسم المعالم البارزة للتربية الأخلاقية اللائكية عند دوركايم من خلال الوقوف على مبادئ ثلاث تؤسس لهذه التربية:

- روح الانضباط و الارتباط بالمجموعة (أو المجتمع) و استقلالية الفرد وحرية إرادته.

يتضح من خلال ما سبق كيف كان دوركايم السباق إلى إنزال التربية من عليائها التجريدية والميتافيزيقية، ووضعها في إطارها الاجتماعي والزماني والمكاني الخاص، وبالتالي تعامل معها مثلما يتم التعامل مع "الأشياء".

[191] Forquin Jean Claude, (1996), Ecole et culture, le point de vue des sociologues britanniques, département de Boeck, Université Paris Bruxelles, p13.

[192] أكراصي عمر والدهمي أحمد، (2019)، القيم والمناهج التربوية، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، المغرب.ص 50.

كما أنه نظر إلى التربية بما هي فعل اجتماعي وممارسة هادفة، موجهة إلى صناعة الإنسان الذي تحتاجه المرحلة، الإنسان المتشبع بالقيم الأخلاقية اللائكية والعقلانية، دون أن تحد هذه الصناعة وهذا التشكيل من حريته واختياره ومسؤوليته.

وقد اهتدى من خلال حسه السوسيولوجي إلى أن عملية الصناعة أو الدمج داخل نسيج المجتمع تقتضي حدقا ومهارة وبعد نظر، لأن الأمر لا يتطلب فقط نقل وتشريب ثقافة بإطلاق الاسم من الراشدين إلى الناشئة، وإنما يقتضي الأمر انتقاء عناصر ثقافية وتجاهل أخرى، وتعديل وتطوير ثالثة، والحفر في الأخلاق الدينية عن قيم أخلاقية أصيلة غمرتها مياه الدين واللاهوت العكرة، وتنقيتها من هذه الشوائب وبعثها كقيم عقلانية حداثية متوهجة. وهي عملية لا تخلو من صراعات وتجاذبات بين المكونات السياسية للدولة الحديثة، بحسب ما يقتضيه ميزان القوة. وهذا ما جعل من دوركايم المؤسس " للمنـهاج" Le curriculum في صورته الجنينية والذي سيُكتب له إعادة الولادة مع سوسيولوجيا التربية الإنجليزية خلال ستينات القرن الماضي.

لقد كان دوركايم بحق الرجل المناسب للمرحلة المناسبة: صحيح أنه لم يترك لنا مدرسة دوركايمية على غرار الماركسية مثلا، ولكن غنى المواضيع التي تطرق إليها والعمق والتنوع المنهجي الذي اتسمت به تحليلاته، وبعد النظر الذي ميز فكره، كل ذلك ترك صدى سوسيولوجيا مهما لدى العديد من السوسيولوجيين أمثال محمد الشرقاويMohamed Cherkaoui وفيفيان إسامبير-جماتي Viviane Esambert- Jamati وبازيل برنشتاين Basil Bernstein...

إن جل المشاكل التي تعرقل تطور نظامنا التعليمي ترتبط بالانطلاقة المتذبذبة التي عرفها هذا النظام منذ الاستقلال. فلم تكن " البورجوازية المغربية" نتاجا لتطور تاريخي طبيعي، وإنما كانت بورجوازية مستوردة عن طريق الاحتكاك بالمستعمر. لذلك لم تستطع هذه البورجوازية، بعد الاستقلال، الحسم بجرأة في اختيار الطريق اللائكي الحداثي العقلاني والعلمي (كما هو الأمر بالنسبة للبورجوازية الأوروبية/ الفرنسية) وتم الانتصار للتوفيق أو التلفيق (أو الرتق Bricolage) بين التقليد والحداثة. لقد كان الطريق الأمثل بالنسبة للمغرب وسائر الدول العربية والإسلامية المشابهة له، هو اقتحام طريق الحداثة الكونية وذلك بإجراء قطيعة مع الكثير من ثقافات الماضي وممارساته وقيمه التقليدية اللاعقلانية التي لا تستجيب لمتطلبات العصر الحديث، والحاجات الحقيقية للمواطنين..

وتزداد الحاجة اليوم إلى مثل هذا المشروع التربوي التحديثي والعقلاني، في ظل الفجوة التي تتسع يوما بعد يوم بيننا وبين المجتمعات الديموقراطية المتقدمة التي حققت قفزات نوعية على مستوى المعرفة العلمية والذكاءات الاصطناعية، والتكنولوجيات ووسائل التواصل الرقمية... وذلك دون التضحية بالجوانب المتنورة من مقومات هويتنا الثقافية والدينية والحضارية التي نعتز بها.

2- اللحظة السوسيولوجية الفيبرية: مدخل الحياد

لم تحظ سوسيولوجية التربية عند فيبر بنفس الاهتمام الذي حظيت به لدى إميل دوركايم، وذلك لأنه جعل سوسيولوجيا الهيمنة في قلب اهتماماته، إذ يخترق مفهوم الهيمنة تقريبا كل مؤلفاته، بالإضافة إلى أنه خصص كتابا

مستقلا للهيمنة يحمل نفس العنوان La domination[193]. ومع ذلك نعثر بين ثنايا كتاباته المختلفة تحليلات سوسيولوجية مهمة لمختلف أنماط التربية.لذلك سنحاول التطرق لعلاقة التربية بالهيمنة عند فيبر انطلاقا من تحديد مفهوم الهيمنة ثم بسط أهم نماذجها المثالية ses types idéaux، ثم نمر بعد ذلك لعرض أهم النماذج المثالية للتربية، وسنتطرق أخيرا لطبيعة العلاقة القائمة بين هذه النماذج ونظيرتها الخاصة بالهيمنة.

1-2 مفهوم الهيمنة حسب فيبر:

يعتبر مفهوم الهيمنة من بين المفاهيم الأكثر غموضا وتعقيدا، وذلك بالنظر إلى تداخله وتشابكه مع عدد من المفاهيم المجاورة له أو المتقاطعة معه، وكذا بالنظر إلى تعدد أشكاله وأنواعه وتشعب مجالاته وحقوله. ومع ذلك حاول ماكس فيبر جاهدا تنقية هذا المفهوم من مختلف الشوائب غير العلمية التي أحاطت به، وذلك بهدف بنائه بناء علميا ونظريا مجردا، يمكنه أن يُسعِف العلماء والمختصين كأداة إجرائية في بحوثهم وأعمالهم الميدانية.

في بنائه لمفهوم الهيمنة، انطلق ماكس فيبر من تحليل هذا المفهوم " الهيمنة herchaft " في معناها العام والذي يحيل إلى: «قدرة شخص ما على إجبار أشخاص آخرين على تعديل سلوكهم في ضوء إرادته الخاصة»[194] فوجد أن هذا المعنى يلتقي إلى حد كبير بالدلالة التي يشير إليها مفهوم القوة Macht(pouvoir)، والتي هي: «حظ شخص معين في فرض إرادته الخاصة داخل علاقة اجتماعية معينة، كيفما كان الأساس الذي يقوم عليه هذا الحظ، بما في ذلك إمكانية مواجهة مقاومات»[195]

إلا أن فيبر، سيستبعد هذا المفهوم الذي يتسم بالعمومية والقصور السوسيولوجي (une notion amorphe)، إذ يقول في هذا الصدد: «إذا كان مفهوم الهيمنة (بالمعنى العام للقوة) يتسم بقدر كبير من الشمولية، فلا يمكنه تبعا لذلك أن يشكل مقولة قابلة للاستعمال العلمي(السوسيولوجي)[196]

بعد أن فك فيبر الارتباط بين مفهوم الهيمنة ومفهوم القوة بالنظر إلى كون مفهوم القوة مفهوما شديد العمومية، وذي حمولة إكراهية وتعسفية، وغير مكتمل سوسيولوجيا، انتقل إلى محطة أخرى، حيث قابل فيها هذه المرة بين الهيمنة في بعدها الاقتصادي domination économique، والهـيمنة الخالصة La domination tout court (أي التي تخترق سائر الميادين: سياسية واجتماعية وثقافية...) مبرزا أن الهيمنة الاقتصادية هي هيمنة محكومة بمنطق الربح وبمنطق السوق والاحتكار[197]. وبالتالي فهي هيمنة ضيقة ومخصوصة، في حين أن النمط الثاني من الهيمنة (الخالصة

[193] تجدر الإشارة إلى أن أغلب نصوص الهيمنة تم نشرها ضمن كتب أخرى لفيبر خلال العشرية الثانية من القرن العشرين، وأنها كتبت ما بين 1911 و1914، وربما لم يتيسر لفيبر نشرها في كتاب واحد بسبب استفحال مرضه وكذا بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، لذلك تكلفت زوجته ماريان فيبر بجمعها وتبويبها ونشرها تحت عنوان الهيمنة بعد موت فيبر عام 1920. وأما ترجمة هذا الكتاب إلى الفرنسية فلم تتم إلا مؤخرا سنة 2015 من قبل " Isabelle kalinovsky "

[194] Weber, M, (2015), la domination, Editions la découverte, Paris., p 44.

[195] Weber, ibid, p45

[196] Ibid p 45.

[197] ibid.p45.

)، فهي لا تستند إلا على الزوج: أمر- طاعة: إنها السلطة المتمثلة في القدرة على إعطاء أوامر وواجب الامتثال لهذه الأوامر، يتمثل نموذجها الأمثل في سلطة الأب والسلطة الإدارية أو سلطة الأمير.[198] سيستبعد فيبر إذن النمط الأول من الهيمنة أي الهيمنة الاقتصادية، وسيبقي على النمط الثاني الذي هو الهيمنة الخالصة، معززا إياها بمفهوم آخر هو مفهوم الانضباط (La discipline). لقد استدعى مفهوم الانضباط باعتباره: «عنصرا مكملا، جيء به مباشرة بعد تعريف مفهوم الهيمنة: وهكذا تصبح هذه الهيمنة، في صورتها المثالية، قائمة على حظ العثور لدى جماعة اجتماعية ما على قابلية راسخة للامتثال دون نقد أو مقاومة"[199]

هذه هي أهم المحطات التي قطعها فيبر في محاولته بناء مفهوم الهيمنة بناء علميا، يجعل منه أداة أو مفهوما نظريا من شأنه مساعدة السوسيولوجيين على فهم وتحليل وتأويل الوقائع الامبريقية المختلفة التي يصادفونها في مجتمعاتهم أو في مجتمعات أخرى وقع عليها اختيارهم.

يتضح من خلال هذه المحطات كيف انتشل فيبر مفهوم الهيمنة أولا من دلالته الأولى، العامة والفضفاضة والتي تختزله في مفهوم القوة الفجة والمتعسفة، ثم انتقل ثانية إلى إبعاد مفهوم الهيمنة الخالصة عن مفهوم الهيمنة الاقتصادية نظرا لارتباط علاقات الهيمنة الاقتصادية بقيم الربح والمنفعة والاحتكار، ليُقربها أخيرا من مفهوم الانضباط وما يقتضيه هذا المفهوم من طاعة غير مشروطة (عمياء) من قبل المهيمن عليهم تجاه المهيمنين ، دون شرط أو قيد ، وهي أقرب إلى طاعة الأمر الأخلاقي الداخلي عند كانط، على حد تعبير Catherine Colliot-Thélène.[200]

لكن السؤال الأساسي الذي سيُطرح على فيبر هنا هو: ما هي الأسس أو الشروط التي تجعل المهيمن عليهم يقبلون الامتثال إراديا وعن طيب خاطر للمهيمنين؟ وهل وجود هذا الشرط وحده كفيل باستمرارية الهيمنة، أم تحتاج هذه الشروط نفسها إلى المراجعة والصيانة بكيفية مستمرة؟

بخصوص شروط القبول الإرادي بالهيمنة، يرى فيبر أن الأمر يختلف باختلاف وتعدد بنيات وأنماط الهيمنة، وهذا ما يستدعي منا الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما هي أهم الأنماط النموذجية للهيمنة؟ وما هي شروط وأسس مشروعية كل نمط؟ وهل يكفي وجود هذه الشروط لدوام واستمرارية الهيمنة؟

أما الأسباب التي تجعل المُهيمن عليهم يمتثلون بكامل إرادتهم للمهيمنين، فهي أسباب متعددة ومختلفة، إما ترتبط بالعادات والتقاليد، أو ترتبط بالاندفاعات العاطفية والانفعالية، أو ترجع إلى قناعات عقلانية، وذلك بحسب اختلاف وتعدد أنماط الهيمنة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن فيبر توصل إلى هذه الأنماط الثلاثة للهيمنة انطلاقا من تحليله للأفعال الفردية، حيث لاحظ أن هذه الأفعال تتراوح بين تلك الصادرة عن العاطفة، وتلك الصادرة عن مجرد التقليد، وأخيرا الأفعال الصادرة عن

[198] Ibid.p45.

[199] Weber, ibid, p 21.

[200] Weber, ibid, index22 p 20.

العقل. ومعنى هذا أن فيبر كان سباقا إلى استعمال الفردانية المنهجية والتي ستتردد فيما بعد عند عدد من السوسيولوجيين الكبار أمثال ريمون بودون.

الأنماط المثالية للهيمنة: يميز فيبر بين ثلاثة نماذج مثالية trois idéaux types للهيمنة هي:

✓ **الهيمنة التقليدية La domination traditionnelle:**

وهي عبارة عن سلطة فرد (أو مجموعة أفراد) ممارسة على جماعة اجتماعية ما، تقبل الخضوع الإرادي لهذه السلطة، وذلك بموجب تشبعها الذاتي بقدسية التقاليد والأعراف العريقة، أو ما يسميه فيبر بسلطة الأمس الأبدي (l'autorité de l'éternel hier). وتمارس هذه السلطة من قبل الأب أو السيد الإقطاعي أو الأمير... وهذا النوع من السلطة لا تنظمه قواعد وقوانين مجردة (لا شخصية وعقلانية)، وإنما يحتكم في الغالب للعلاقات الشخصية القائمة على تكريس العادات والتقاليد والمستندة إلى معايير القرابة الدموية والقبلية والمصاهرة والغنى والثراء وعامل السن... ويكون وعي المهيمن عليهم بأفعالهم وعيا ضعيفا أو منعدما، أما مدة الحكم في إطار السلطة التقليدية - السياسية (فهي في الغالب مدة طويلة) ما لم تحدث تغيرات ثورية أو انقلابات...

✓ **الهيمنة الكاريزمية La domination charismatique:**

وهي سلطة فرد (أو جماعة ما) على مجموعة أفراد آخرين، يؤمنون إيمانا قويا بهذه السلطة، على أساس ما يُبرهن عليه (أصحابها) من صفات أو قدرات أو إنجازات خارقة. وقد ارتبطت السلطة الكاريزمية على الخصوص بالأنبياء وقادة الحروب والكهنة والديماغوجيون وقادة الأحزاب السياسية... ويؤسس القائد الكاريزمي مشروعيته على عدد من السمات، كقوة الإقناع والدعاية المحبوكة، وتعبئة واستقطاب الحشود، كما يبنيها على ما يقترحه من أفكار وما يدلي به من تنبؤات واعدة... وتمتاز السلطة الكاريزمية بكونها سلطة ثورية إذ غالبا ما تأتي بشكل فجائي لتقلب حكما تقليديا عمَر طويلا. وأما وعي المهيمن عليهم فيكاد يكون منعدما تحت التأثير السحري للقائد الملهم... لكن فترة حكم السلطة الكاريزمية تكون في الغالب فترة وجيزة مقارنة بالسلطة التقليدية.

✓ **الهيمنة العقلانية القانونية La domination légale-rationnelle :**

هي سلطة قانون شكلي une loi formelle مجرد وغير شخصي، تفرض نفسها على مجموعة من الأفراد، ومعنى ذلك أن الأفراد هنا ملتزمون بالامتثال لنظام من القواعد والضوابط المنظمة للعلاقات الاجتماعية والمهنية والمؤسساتية... كقانون الوظيفة وقانون الشغل والقانون الداخلي وقانون السير... وفي إطار هذه الهيمنة، لا يكون الامتثال أو الولاء للأشخاص ذوي المراتب العليا في الوظيفة، ولكن يكون فقط للقانون الذي يمثلونه. أما المميزات التي يتصف بها الحاكم أو المسؤول البيروقراطي فهي فقط التأهيل والاستحقاق والكفاءة والأقدمية. وأخيرا، فإن وعي المهيمن عليهم ضمن هذه العلاقة، يكون وعيا عقلانيا بعيدا عن كل انفعال أو عاطفة أو قرابة دموية... (هنا نتذكر امتداح كارل ماركس للبورجوازية التي جاءت لتدمر العلاقات العاطفية وتُرسي بدلها العلاقات العقلانية الجافة والباردة).

هذه هي أهم الأشكال المثالية للهيمنة، وتجدر الإشارة إلى أنه من الصعب مصادفة شكل خالص من هذه الأشكال في لحظة تاريخية معينة، إذ غالبا ما يحضر إلى جانب هذا الشكل الخالص أو ذاك بعض العناصر من الشكلين الآخرين.

كما تجدر الإشارة إلى أن فيبر ابتكر نمذجتين جديدتين إلى جانب النمذجة المثالية الثلاثية للهيمنة، ويتعلق الأمر بنمذجة سياسية رباعية تضم: الهيمنة البيروقراطية، والهيمنة الباتريموانية، والهيمنة الفيودالية والهيمنة الكاريزمية، بالإضافة إلى نمذجة ثنائية تضم: الهيمنة السياسية والهيمنة الهيروقراطية.

من جهة أخرى فإن فيبر لم يقدم أي تفسير للكيفية التي تتمفصل بها النمذجات الثلاث التي اقترحها: النمذجة الثلاثية والرباعية والثنائية، اللهم بعض الشذرات المتفرقة هنا وهناك والتي يمكن الاستعانة بها لحل هذا المشكل.

فمن السهل توضيح الكيفية التي تتمفصل بها الهيمنة السياسية والهيمنة الهيروقراطية - النمذجة الثنائية - بالرجوع إلى كتاب économie et société حيث يعرف فيبر الهيمنة الهيروقراطية بكونها تؤسس مشروعيتها على الإكراه النفسي المتعلق بقبول أو رفض مساعدات الخلاص. خلافا للهيمنة السياسية التي تقوم على الإكراه البدني المشروع داخل تراب وطني معين.

هذا فيما يخص الطريقة التي تتمفصل بها النمذجة الثنائية: السياسية/ الهيروقراطية مع باقي النمذجات، أما فيما يخص العلاقة بين باقي النمذجتين الثلاثية - أشكال الهيمنة الخالصة - والرباعية، فيقترح سانتومير رد الهيمنة الرباعية إلى الثلاثية وذلك باختزال الهيمنتين الباتريمونيالية والفيودالية في الهيمنة التقليدية، والإبقاء على الهيمنتين العقلانية القانونية والكاريزمية كما هما.

إن ما يبرر انشغالنا بكيفية تمفصل هذه النمذجات الكثيرة هو تهيئة الطريق للحديث عن علاقة أنماط/أشكال التربية بأشكال الهيمنة عند فيبر.

سنعتمد إذن النمذجة الثلاثية الأصلية لأشكال الهيمنة في علاقتها مع الأنماط الثلاثة للهيمنة.

2-2 أنماط التربية وعلاقتها بأشكال الهيمنة عند فيبر:

يميز "فيبر" في إطار التربية بين قطبين متعارضين: هما التربية الكاريزمية من جهة والتربية المتخصصة العقلانية من جهة ثانية، يتوسطهما نموذج ثالث يقوم على التكوين الثقافي formation culturelle. ويتضح من خلال ما سبق وجود ثلاثة أنماط تربوية مختلفة هي: التربية الكاريزمية والتربية كتكوين ثقافي و التربية البيروقراطية المتخصصة.

هذا التمييز بين أشكال التربية الوارد بشكل مقتضب في كتاب الهيمنة عند فيبر، ورد على نحو أكثر وضوحا ودقة في كتاب سابق له هو كتاب الكونفشيوسية والطاوية Confucianisme et Taoïsme والذي صدر ضمن عنوان عام " مقدمة في الأخلاق الاقتصادية للأديان العالمية" Introduction à l'Éthique économique des religions universelles. يتضح من خلاله كيف ترتبط النماذج التربوية الثلاث بأشكال الهيمنة الثلاث، لكن ما هي طبيعة العلاقة التي تربط هذه النماذج التربوية الثلاث بأشكال الهيمنة المثالية الثلاث؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال، سنحاول أولا تسليط الضوء على أهم النماذج التربوية مع إبراز علاقتها بأشكال الهيمنة - المشروعة – الثلاث.

التربية الكاريزمية:

يميز "فيبر" في كتابه "الهيمنة" بين نوعين بارزين من الهيمنة الكاريزمية هما: الهيمنة الكاريزمية الفردية، والهيمنة الكاريزمية الجماعية (كاريزما الوظيفة Le charisme de fonction)

فالكاريزما الفردية هي كاريزما الفرد (النبي، أو القائد الحربي...) الذي يتسم بصفات خارقة تمكنه من تعبئة أتباع ومساعدين، يعيشون على هدايا أو قرابين أو مكاسب حربية، أو مغانم صيد...

وأما النوع الثاني للهيمنة الكاريزمية فهو الهيمنة الكاريزمية الممأسسة التي عرفتها أوروبا خاصة في العصور الوسطى عندما أصبحت الكنيسة إطارا مؤسسيا يتشكل من عدد من الكهنة المهنيين، الذين يشتغلون ضمن تراتبية بيروقراطية، ويتقاضون رواتب قارة، ويدّعون كاريزما تحقيق الخلاص والنجاة للأتباع في الآخرة. (وتجدر الإشارة إلى أن كاريزما الوظيفة هي عبارة عن نتيجة لتطور الكاريزما الفردية). والموظفون الكاريزميون مطالبون بنزع الاعتراف من المتدينين عن طريق إظهار كفاءات خارقة في الإقناع أو التبشير أو الإيثار أو حتى في الطيبوبة Charisme de bonté.

إذا كانت الهيمنة الكاريزمية في بعدها الفردي أو الجماعي، تقوم على حيازة صفات خارقة وفوق طبيعية تميز أشخاصا أو جماعات دون غيرهم، فهل من سبيل إلى تعليم هذه الصفات ونقلها إلى المتعلمين؟

يرى فيبر أنه يستحيل تعليم أو نقل صفات خارقة من المعلم إلى المتعلم، لأنها ليست سمات موضوعية قابلة للنقل Transmissible أو التلقينEnseignable ، بل بالإمكان فقط رصدها مبكرا عند أشخاص بعينهم والعمل على إيقاظها أو إحيائها Eveiller. ولكن تعليم هذه الصفات ممكن شريطة أن يكون المستهدف الناشئ مهيأ لذلك بالفطرة، أي أن يكون حائزا على مجموعة من الاستعدادات المستترة القابلة للتحويل إلى صفات خارقة. ومن هنا يكون التعليم مجرد إيقاظ وإحياء لشيء موجود قِبلا وعلى نحو ضمني لدى الناشئة.

يتعين إذن على الهيأة التربوية المشرفة على هذه المهمة القيام بمجموعة من الاختبارات على عدد كبير من المترشحين، قصد رصد بوادر خاصية كاريزمية ما، وبالتالي انتقاء الأشخاص المحظوظين الذين يحملون هذه البوادر أو العلامات، فيتم بعد ذلك عزلهم عن وسطهم وعن جميع ارتباطاتهم الاعتيادية والعائلية، والزج بهم ضمن مجموعة تربوية تم اختيارها بعناية، في فضاء معزول يشبه إلى حد ما الثكنة العسكرية. والغرض من ذلك هو إلحاق تغيير جذري بنمط حياتهم الكاملة، وذلك بإخضاعهم لتمرينات قاسية ومن خلال إجبارهم على حياة الزهد والتقشف، وكذا بإخضاعهم لتمرينات جسدية وروحية صارمة. ومتى نجح المربي في بعث الصفة الكاريزمية الراقدة في المتعلم، فإنه يكون قد حوله إلى شخصية جديدة أو منحه ولادة جديدة.

يقول فيبر بصدد سيرورة التكوين هاته ومقتضياتها: "يتم في كل محطة من محطات التكوين التحقق من مدى إتقان الشخص للنعمة الكاريزمية التي يتدرب على إحيائها، وذلك عبر اختبارات سيكولوجية وجسدية قاسية، يخضع خلالها

المتدربون لشتى أنواع التعذيب والتنكيل بل والتشويه الجسدي كبتر الأعضاء (...) ويختتم الفوج تكوينه باستقبال احتفالي رسمي للمتفوقين بحسب درجاتهم، ويتم إعلان دخول الناجحين ضمن دائرة حملة الكاريزم Porteurs de charisme"[201]

هذه هي بصفة عامة طريقة إيقاظ أو إحياء القدرة الخارقة أو البطولية في إطار التربية الكاريزمية. ورغم اعتراف فيبر بالتعارض الكبير القائم بين هذه الطريقة والتربية المتخصصة، إلا أنه يسلم بإمكانية تقاطعهما، وذلك بحسب الأهداف المرجوة من التربية الكاريزمية تبعا لنوعها (الكاريزما الفردية/ أو كاريزما الوظيفة)، وذلك وفقا لما نريد إيقاظه لدى المستهدفين: فإذا أردنا أن نصنع أبطال حرب أو أطباء ...فلا بد من تلقينهم دروسا في المعرفة المتخصصة. وتبقى الإشارة هنا إلى أن المستهدفين من هذه التربية الكاريزمية يعتبرون أنفسهم محظوظين لأنه تم اختيارهم من بين العديد من المترشحين، رغم قساوة التمارين الجسدية والروحية والمعرفية، وذلك لاقتناعهم الطوعي بأهمية الكاريزم الذي هو مفتاح النجاح.

التربية كتكوين ثقافي أو كتشكيل نمط حياة:

يرتبط هذا النمط من التربية الذي يتوسط كلا من التربية الكاريزمية والتربية القائمة على التكوين المتخصص، ببنية الهيمنة التقليدية. ولما كان هذا الشكل المثالي للهيمنة يضم تحته بنية الهيمنة السياسية الفيودالية، وبنية الهيمنة الباتريمونيالية، فقد ارتأينا الوقوف على نموذج تربوي عن كل بنية. وتجدر الإشارة إلى أن نوع التكوين الثقافي يختلف اختلافا جذريا بين الفيودالية والباتريمونيالية، يقول فيبر: " تتميز الفيودالية عن الباتريمونيالية الأبوية /القبلية بشكل حاسم، ذلك أن كل واحدة منهما تحاول بلورة إيديولوجيات سياسية واجتماعية مختلفة تماما عن الأخرى، وتتيح بالتالي أنماط حياة مختلفة "[202] لكن رغم اختلاف نمطي التربية كتكوين ثقافي، إلا أنهما يلتقيان في نهاية المطاف حول غاية واحدة وهي تشكيل أنماط حياة ثقافية. ماذا نقصد إذن بالتربية الفيودالية؟ وماذا نعني بالتربية الباتريمونيالية؟

- **التربية الفيودالية**: يؤكد "فيبر" أنه حيثما بلغ النظام الفيودالي مستوى من التطور، تظهر فيه طبقة اجتماعية مشكلة من النبلاء، يتبلور موازاة مع ذلك نظام تربوي ينسجم مع نمط الحياة الأرستقراطي، ومع خصوصيات وتقاليد طبقة النبلاء. وهكذا تنضاف إلى التربية الرياضية والعسكرية السائدة، التربية الفنية الراقية(أو ما يسميه بتربية ربات الفن l'éducation par les muses) وهذا يُفسح المجال لتفتق المواهب الثقافية والفنية سواء في مجال الأدب أو الموسيقى أو الفنون الجميلة. إن الهدف الأساسي من خلق هذا النوع من التربية هو إسعاد الطبقة المهيمنة وخلق الأجواء المناسبة لها لكي تنتشي بتميزها الاجتماعي واستعلائها وحظوتها الطبقية.

- **التربية الباتريمونيالية:** تعتبر الصين خير ممثل لهذا النوع من التربية كتكوين ثقافي. لقد شكلت الصين أعظم دولة في آسيا حيث لعبت دورا كبيرا في بروز العديد من الحضارات كالحضارة اليابانية والهند -الصينية

[201] Weber,ibid,317.

[202] Weber, Ibid. p 259.

والتيبيت Tibet. اتسمت هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف بنمط هيمنة تقليدي خالص يقوم على الولاء التام للثالوث المقدس: المدينة، الأمير، الله... واشتهر الصينيون كذلك بتغلغل العادات والتقاليد في حياتهم بحيث كانوا يقدسون أيضا العلاقات الأسرية، ويسعون إلى تعميمها في سائر علاقاتهم الاجتماعية.

وإذا كان الصينيون لم يعرفوا ديانة رسمية ذات نفوذ وانتشار، فإنهم تعلقوا بالأخلاق الكونفشيوسية التي أثرت على حياتهم على نحو كبير. لقد كانت الأخلاق الكونفشيوسية أخلاقا دنيوية Profane تدعو إلى تطويع العالم لصالح الإنسان، ولم تكن ديانة خلاص. كما كانت تعطي أهمية كبيرة للثقافة وللتربية، بل ترى أن جميع المشاكل الاجتماعية يمكن حلها عن طريق التربية واكتساب الثقافة. إن ترسخ التعاليم الكونفشيوسية في الصينيين هو ما جعلهم يفسحون المجال للتربية الثقافية والأدبية على نحو واسع، خاصة بعد نجاح الحكم الإمبراطوري على أنقاض المملكات المتناحرة (حوالي القرن الثاني قبل الميلاد). لقد فُتحت المدارس في جميع ولايات الصين، وسُمِح للجميع مبدئيا بتعليم أبنائه، بعد أن فُرض على كل ولاية التكفل بالتمويل اللازم لإنجاح هذا المشروع.

أما التكوين في هذه المدارس فقد قُسِّم إلى ثلاثة مراحل: المستوى الأول والمتوسط والمستوى العالي. يتلقى تلامذة كل مستوى تكوينا مناسبا لهم، ويخضعون لاختبارات في آخر كل سنة. وإذا كان تكوين المستوى الأول يقتصر فقط على ضبط الكتابة والتعبير، فإن المستوى الثاني يقتضي فهم النصوص وتحليلها في شكل مقالي فلسفي. أما المستوى الثالث أو العالي، فينتظر من المنتسبين إليه التمكن من القانون الإداري، ويخضعون لامتحان يُشرف عليه الإمبراطور نفسه وتُطرح عليهم أسئلة من إعداده تتعلق بالتدبير الإداري المعمول به آنذاك. ويتيح اجتياز هذا الامتحان للمستحقين ولوج أسلاك الوظيفة العليا المدنية والعسكرية، وهي وظائف تضمن لهم الحظوة وشرف الوظيفة، أكثر من قيمة الأجور التي يتقاضونها والتي تكون غالبا متواضعة.

التربية المتخصصة العقلانية:

إذا كانت التربية الكاريزمية قد ارتبطت ببنية الهيمنة الكاريزمية، والتربية "كتكوين ثقافي أو تشكيل نمط حياة" بالبنية التقليدية (الباتريمونيالية والفيودالية)، فإن التربية المتخصصة (أو التعليم المتخصص) قد اقترنت ببنية الهيمنة العقلانية القانونية. والواقع أن التعليم المتخصص كأسلوب بيروقراطي، ليس وليد مطلع القرن العشرين، ولكنه ارتبط أيضا بأشكال التربية التقليدية والكاريزمية (سواء في الصين أو في أوروبا الإقطاعية والكنسية)، غير أن هذا النمط المتخصص من التربية لم يتبلور في شكله الخالص إلا في إطار البيروقراطية العقلانية في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20.

ويرجع الفضل إلى "فيبر "باعتباره من العلماء الأوائل الذين سعوا إلى تحديد مفهوم التنظيم البيروقراطي باعتباره مفهوما نظريا وتجريديا قابلا للاستعمال العلمي، وليس مجرد وصف لحالة بيروقراطية قائمة، حيث عرفه بكونه " نموذجا من الهيمنة الشرعية العقلانية، تُبنى فيه السلطة على أساس عقلاني قانوني، ويُحدِّد بشكل موضوعي وعلمي

أساليب ممارستها بطريقة تُلغي الولاءات الشخصية، ويجعل السلطة مُمَارسَة لصلاحية مثبتة قانونيا. ولا تعود الطاعة في تنفيذ الأوامر إلى الرئيس الإداري، وإنما ترجع إلى اللوائح القانونية التي تستند إليها سلطته"[203]

تستند التربية في ظل سيادة البيروقراطية إلى تكوين متخصص في شتى فروع المعرفة النظرية والتقنية والفنية، حيث يتم انتقاء المترشحين بناء على نتائجهم الدراسية ومؤهلاتهم العلمية والتقنية، ويخضعون لتكوينات في مجال تخصصهم لفترة محددة من الزمان، تتوج بامتحانات التخرج حيث ينال كل مترشح الشهادة التي يستحق. لقد طغى هذا النوع من التكوين خلال أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 على جميع المؤسسات التعليمية الأوروبية والأمريكية سواء في كبريات الجامعات والمعاهد المهنية والتقنية، أو في الثانويات الخاصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية. ولقي تجاوبا كبيرا بالنظر إلى ما يحظى به من مشروعية واسعة. وقد كانت أمريكا السباقة في إرساء هذا النوع من النظام التعليمي المتخصص وكذا الامتحانات المتخصصة والعقلانية التي تستتبعه، إذ بدأ العمل بهذا النظام حسب فيبر بأمريكا منذ 1838، ثم إنجلترا 1870 ثم ألمانيا، ومنها سينطلق إلى عدد من البلدان الأخرى عبر العالم. [204]

دار آنذاك في ألمانيا نقاش حاد حول نوع التعليم أو التربية التي يجب أن تعطى للناشئة: هل هي التربية الثقافية؟ أم التربية العلمية والتقنية المتخصصة؟ خاصة بعد الإصلاحات التي قام بها هامبولدت Humboldt[205].

ولقد رفض نيتشه رفضا قاطعا التعليم التقني والعلمي المتخصص، ودافع عن التربية الثقافية واللغوية الراقية (ليس التربية التقليدية الارتكاسية والمتكلسة حسبه). أما ماكس فيبر ومن موقعه كعالم سوسيولوجي (والذي كان يحتاط كثيرا من إصدار أحكام القيمة في جميع كتبه)، فقد اكتفى بإعطاء جملة من الملاحظات في إطار هذا الجدل الدائر، عندما استدعاه مجموعة من الطلبة الأحرار لإلقاء محاضرة بعنوان «Vocation et profession du savant»، تتمثل هذه الملاحظات فيما يلي:

- كون التقدم العملي الذي أفرز ظاهرة التخصص إنما هو نِتاج لسيرورة طويلة من التثقيف والعقلنة التي عرفتها الجامعات الأوروبية، حيث أصبح بالإمكان التحكم في كل شيء انطلاقا من التنبؤ العلمي. وهكذا لم يعُد بالإمكان الرجوع مرة أخرى إلى السحر (وهو ما دعاه بإزالة السحر عن العالم Cela revient à un désenchantement du monde)
- إن العالِم وخاصة من موقعه كأستاذ لا يجب أن يُنتظر منه أن يكون نبيا أو حكيما أو حتى ديماغوجيا.
- إجابته الحاسمة والتي قدمها بطريقة غير مباشرة عندما وصف لتلامذته العلاقة التي رصدها في أمريكا بين الأستاذ والتلميذ، إذ اختزل هذه العلاقة في إطار علاقة تقنية تجارية خالصة: التلميذ ليس مطالبا باحترام

[203] Chevalier Jacques, et Looschak D, (1980), Science administrative. Que sais-je ? Puf. Paris .p 5.

[204] Weber, op.cit, p114.

[205] هو ويلهالم فون هامبولدت Wilhelm von Humboldt، موظف حكومي ودبلوماسي وفيلسوف ولغوي، طُلب منه تشريح التعليم الألماني في تلك الفترة واقتراح إصلاحات حوله في ظل انتقال أوروبا من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي كان رهانه هو التعليم التقني المتخصص.

الأستاذ أو تقديره، ولكن يشتري منه المعارف والكفايات التي تؤهله لإيجاد وظيفة في سوق الشغل، كما " تشتري أمه القرنبيط les choux من تاجر الخضر". ومعنى هذا (في نظر فيبر) أن زمن التعليم الثقافي والإرشاد والتوجيه في القضايا الكبرى في الحياة، قد ولّى، وحل محله التعليم التقني العقلاني المتخصص.

يتبين من خلال ما سبق أن كل نمط من الأنماط التربوية الثلاث يختزل فعلا من الأفعال الثلاثة الآتية: فعل الإحياء أو الإيقاظ éveiller بالنسبة للتربية الكاريزمية، وفعل التشكيل أو الصياغة façonner بالنسبة للتربية كتشكيل ثقافي، وفعل الترويض dresser بالنسبة للتربية المتخصصة العقلانية. وما يلاحظ على هذه الأفعال التربوية هو كونها جميعا أفعال منافية للتربية، فبالنسبة لفعل الإيقاظ أو الإحياء، فهو فعل أبعد ما يكون عن الممارسة التربوية الحقة، إذ كيف نصنف هذا الفعل كفعل تربوي، وهو فعل مرتبط بإلحاق الأذى بالمتعلم نفسيا وجسديا. ونفس الشيء يمكن قوله عن فعل الترويض، فالترويض فعل ذو حمولة سلبية، لأنه فعل مرتبط أساسا بسياق غير إنساني (لأن الترويض لا يكون إلا للحيوان)، ونفس الشيء بالنسبة لفعل التشكيل أو الصياغة التي هي كلمة مهذبة لفعل التدجين domesticationالذي هو أيضا فعل ارتبط بإخضاع الحيوانات المتوحشة لعملية تطويع من قبل الإنسان بحيث أصبحت حيوانات أليفة.

وفي جميع الأحوال فإن الوظائف الثلاث التي أُنيطت بالتربية كما وردت في سوسيولوجيا فيبر، هي وظائف تتنافى مع الوظيفة الحقة للتربية، بما هي أداة لتحرير الفرد وتفتحه الحركي والعلمي والمعرفي، ومع ذلك فهي أفعال مشروعة ومبررة إما عاطفيا أو بالتقليد أو عقليا، حسب فيبر. ومن جهة أخرى فإن هذه الأشكال التربوية المثالية الثلاثة لم تكن في معظمها تتيح للمستهدفين الذين وافقهم الحظ سوى مناصب أو مواقع اجتماعية متواضعة، كما أن هذه الوظائف لم تكن متاحة للجميع بل كانت فقط من نصيب ذوي الأصول العريقة في النبل والشرف (كما في التربية الكاريزمية)، حيث كان المرشحون للوظائف السامية يخضعون لاختبارات النسب، ولا ينجح منهم إلا من ثبت انتسابه إلى أربعة أو ثمانية أو ستة عشرة سلف نبيل . وحتى في إطار التربية العقلانية القانونية التي تعتمد في التوظيف على الدبلوم، فإن هذا الأخير(الدبلوم) لا يختلف كثيرا حسب فيبر عن الشهادة المتعلقة بالانتساب للسلالات الشريفة.

أكثر من ذلك فإن الدبلوم ليس متاحا للجميع لأنه يحتاج إلى مبالغ مالية مهمة لتغطية المسار الدراسي الطويل الذي يستلزمه الظفر بدبلوم مناسب، كما أن سياقات التوظيف ليست سياقات نزيهة حسب فيبر"إذ تحتاج إلى توطيد العلاقات مع الجهات المستخدمة أو عقد مصاهرات مع أرباب العمل... أو ما إليها من الأساليب الانتهازية الملتوية. إذن، يحتاج النجاح والولوج إلى الوظائف إلى الموهبة والذكاء والجهد بالإضافة إلى الرأسمال والزبونية والحظ"[206].

هذه هي أهم النماذج التربوية المثالية والتي هي نمذجة سوسيولوجية تحاول أن تغطي مختلف مظاهر النشاط الاجتماعي (والسياسي والاقتصادي والديني...) وهي نمذجة يتطابق ويتناسب كل نموذج مثالي منها مع نموذج معين من النماذج السوسيولوجية للهيمنة، كما يشكل بالنسبة إليها الأداة التي تسند الهيمنة وتبررها، وتضفي عليها صفة المشروعية.

[206] Weber, ibid, p116.

ورغم أن البعض قد ذهب إلى التوحيد بين فعل التربية وفعل الهيمنة عند فيبر، إلا أن مثل هذا التحليل لم يظهر في الواقع إلا حديثا..."إن من بدأ ممارسة السوسيولوجيا منذ ستينيات القرن الماضي، سيتجه إلى اعتبار نماذج التربية كحالة خاصة من نموذج السلطة والهيمنة، وبصيغة أخرى توحيد السياسي بالبيداغوجي... ولكن ليس هذا هو ما يقوله فيبر" [207]

وبالرجوع إلى التجربة المغربية في مجال التربية والتعليم ، نجد كثيرا من العناصر السوسيولوجية والتربوية التي وقف عليها فيبر موجودة عندنا وإن بكيفية مختلفة، فالمتأمل لنظامنا التعليمي، يجده لا يخرج عن نطاق النمذجات المثالية التي اقترحها فيبر، إذ يمكن القول أن نموذجنا التعليمي على الأقل هو مزيج من الهيمنة التقليدية والهيمنة العقلانية المتخصصة في نفس الوقت، كما أن هذا النموذج يشكو من كثير من الظواهر التي تخترقه، وخاصة ارتباط الدراسة طويلة الأمد بالإمكانيات المالية، وارتباط التوظيف في الكثير من الأحيان بالزبونية والمحسوبية، وبالانتماء الاجتماعي، وبشبكة العلاقات، إلى جانب الدبلومات ورصيد التربية والتكوين: "فحاملوا الشهادات الجامعية، يحصلون على شغل إما من خلال الرأسمال الاجتماعي الذي تتوفر عليه عائلاتهم أو ما نسجوه من علاقات أو بواسطة الشهادة المحصل عليها وقيمة التربية المتلقاة عبر التعلم. ورغم الصعوبات التي تعترض تقييم مدى اللجوء إلى الزبونية للحصول على شغل، فإن هذه الأخيرة حاضرة بكثرة في خطاب الشباب، وهو ما يُضعف ثقتهم في مبدإ الاستحقاق الشخصي وفي نزاهة المشغلين"

خاتمة.

حاولت على امتداد هذا المقال تتبع التحليل السوسيولوجي لعلاقة التربية بالهيمنة خاصة في المجتمعات الديموقراطية التي نبتت فيها سوسيولوجيا التربية وسوسيولوجيا الهيمنة، في ارتباط مع التحولات والتقلبات التي عرفتها هذه المجتمعات.ولما كانت هذه التحليلات مختلفة ومتباينة بل متعارضة أحيانا فقد ارتأيت اختيار أبرز النماذج وأهمها على أساس استيفاء كل اتجاه حقه، حيث وقع اختياري على أسماء سوسيولوجية كبرى مثلت حقبة تاريخية تمتد منذ تاريخ نشأة سوسيولوجيا التربية (أواسط القرن19) وتنتهي عقب الحرب العالمية الثانية (بداية المنتصف الثاني من القرن 20).

وقد اخترت كعناوين لهذه المداخلات الماكروسوسيولوجية حول موضوع التربية والهيمنة، مدخلين (مع وجود مدخل ثالث لم يتم التطرق له في هذا المقال وهو مدخل الصراع مع كارل ماركس وإنجلز):

- ✓ المدخل الأول: هو مدخل التوازن ويهم اللحظة الدوركايمية، بينت فيه المعالم الكبرى لسوسيولوجيا التربية عند دوركايم، ووقفت فيه بصفة خاصة على ريادة الرجل في تأسيس سوسيولوجيا التربية كعلم بعيدا عن التأملات الفلسفية السابقة في مجال التربية. كما وضّحت فحوى المشروع السوسيولوجي التربوي لدوركايم والمتمثل في تجاوز التربية الكنسية الدينية وتعويضها بتربية لائكية عقلانية وحداثية تتجاوب مع المشروع الأنواري. وبينت أيضا الدور الذي أناطه دوركايم بالتربية باعتبارها أداة الدولة للتأسيس لوحدة الوطن أو الأمة أو

[207] Vincent Guy, (2009), Les types sociologiques d'éducation selon Max Weber, Revue française de pédagogie .168 juillet - septembre 2009, p 30.

الجمهورية. ولم أُغفل في هذا الصدد ما كان يُوليه دوركايم للفرد من أهمية، ذلك أنه على الرغم من كون مشروعه يدور في فلك إدماج الأفراد وإخضاعهم لإكراهات الدولة، إلا أنه لم يُضح تماما بحرية الفرد (بما فيه المتعلم والمتعلمة) وإرادته ومسؤوليته.

- ✓ المدخل الثاني اخترت له عنوان مدخل الحياد، ويهم اللحظة الفيبيرية: وبالنظر إلى أن فيبر كان أبرز السوسيولوجيين الذين حللوا بعناية فائقة موضوع الهيمنة في علاقتها بالتربية، فقد حاولت تتبع تعريفاته لمسار مفهوم الهيمنة الذي سعى جاهدا إلى بنائه بناء سوسيولوجيا أي كنموذج مثالي خالص، كما سعيت إلى تسليط الضوء على مختلف أنماط الهيمنة الثلاث باعتبارها نماذج مثالية قابلة للاستثمار من قبل مختلف السوسيولوجيين لدراسة حالات الهيمنة في مختلف المجتمعات. ثم تطرقت أخيرا لأنماط التربية الثلاث التي تُقابل أنماط الهيمنة السابقة التابعة لها.

هذه هي أهم المداخل التي اعتمدتها في القراءة السوسيولوجية لعلاقة التربية بالهيمنة في الإطار الماكروسوسيولوجي. ويتبين من خلال هذه المداخل أن سوسيولوجية التربية على خلاف فلسفات التربية، قد عُنيت بتحليل الظواهر التربوية والمدرسية في سياقها الاجتماعي والتاريخي المعيش، وفي إطار التحولات التي عرفتها المجتمعات الأوروبية (ومن يدور في فلكها). كما أن معظم هذه المحاولات قد سعت إلى تحليل الظاهرة التربوية في علاقتها بالدولة أو بنية الحكم المُهيمن، بحيث أجمعت كل هذه التحليلات على علاقة تبعية التربية للدولة أو للمؤسسات المهيمنة) وفي ذلك تأكيد لتحقيب برنار شارلو الذي دعا هذه الحقبة بمرحلة الدولة المربية.(L'état éducateur

إلا أن ما يُعاب على هذه الاجتهادات الماكروسوسيولوجية، هو اعتمادها على التفسير الحتمي للظواهر الاجتماعية والتربوية، وكذا تعامل أغلبها مع الفرد باعتباره مجرد عون وليس كفاعل اجتماعي.وسيعرف العالم المُعاصِر مجموعة من التحولات ابتداء من أواخر الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة، بعضها تاريخي (اجتماعي، سياسي، اقتصادي، ثقافي) وبعضها فلسفي (خاصة نظريات العدالة)، والتي ستُفرز سوسيولوجيا أقل تعميما وأقل تشبثا بالحتمية، تُركز على موضوعات مُصغرة أو "أنساق محلية مصغرة"microsystèmes locaux، وتعتمد مناهج مُنفتحة على ما هو فرداني...هي ما يُدعى بالميكروسوسيولوجيا.

قائمة المراجع

1 أكراصي عمر والدهمي أحمد، (2019)، القيم والمناهج التربوية، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، المغرب.

2 المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الرؤية الاستراتيجية للإصلاح، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة 2015-2030.

3 وزارة التربية الوطنية، تقرير المجلس الأعلى للتعليم، المغرب ، 2017، ص 18.

4 Chevalier Jacques, et Looschak D, (1980), Science administrative. Que sais-je ? Puf. Paris .

5 Durkheim Emile, (1963), L'éducation morale, PUF,1ère Edition.

ISSN 2569-734X

6 Engels et Marx, (1982), L'idéologie Allemande. Editions sociales -Messidor, Paris.

7 Forquin Jean Claude, (1996), Ecole et culture, le point de vue des sociologues britanniques, département de Boeck, Université Paris Bruxelles, p13.

8 Gilgen Leonardo, Karl Marx et Max Weber, (2016), Deux approches spécifiques de la sociologie de l'éducation.
En ligne : http://www.fondation-carrefour.net,p614

9 Vincent Guy, (2009), Les types sociologiques d'éducation selon Max Weber, Revue française de pédagogie .168 juillet -septembre 2009, p 30

10 Weber, M. (1963). Le savant et le politique. Paris. Uge.

11 Weber, M. (1971). Economie et société. Trad J, Chavy et E, de Dampierre. Paris. Plon.

12 Weber, M, (2015),La domination, Editions la découverte, Paris.

أقطاب التصوف بسجلماسة وإقليمها، ودورهم التربوي والاجتماعي نماذج من العصرين الوسيط وبداية الحديث.

Sufism poles in Sijilmasa and its territory, and their educational and social role .Examples of the Middle Ages and the beginning of the conversation

نورالدين أمعيط، استاذ بجامعة شعيب الدكالي-كلية الآداب والعلوم الانسانية-الجديدة-المغرب.

nour7404@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز المكانة المتميزة التي حظيت بها سجلماسة وإقليمها ضمن خريطة التصوف بالمغرب الأقصى، ورصد استمرارية مظاهر الزهد والصلاح بهذه المنطقة خلال العصرين الوسيط وبداية الحديث، والوقوف على نماذج محلية من أقطاب الزهد والصلاح ممن لعبوا أدورا طلائعية على المستويين التربوي والاجتماعي، وذلك بالاعتماد على مجموعة من المصادر التاريخية المصنفة خلال العصرين الوسيط وبداية الحديث.

الكلمات المفتاحية: التصوف -سجلماسة-تافيلالت -العصر الوسيط-العصر الحديث.

Abstract :

This Study seeks to highlight the distinguished position enjoyed by Sijilmassa and its region within the map of Sufism in the far Maghreb, and to monitor the continuity of manifestations of asceticism and righteousness in this region during the medieval and early modern ears, and to identify local models of poles of asceticism and righteousness who played pioneering roles at the educational and social levels, by relying on a group of historical sources classified during the middle and early modern eras.

Keywords : Sufism- Sijilmassa-Tafilalet-the medieval era- the modren era.

مقدمة

إذا كان التصوف من أبرز ثوابت الهوية الدينية للمغرب والمغاربة، إلى جانب المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وإمارة المؤمنين، فإن هذه الثوابت تبدو أكثر جلاء ورسوخا بمنطقة سجلماسة وإقليمها، وذلك بالنظر لمكانة المنطقة تاريخيا، وموقعها جغرافيا، ليس كمحطة عبور للتجارة القافلية منذ عدة قرون فحسب، ولكن باعتبارها أيضا مركزا للإشعاع العلمي والروحي، فقد أنجبت عدة رجالات في العلم والصلاح، كما استقطبت عددا من العلماء والزهاد ممن اهتموا بالجانب العملي في التصوف وتدرجوا في مقامات السلوك.

لقد تميزت سجلماسة وإقليمها بنهضة روحية وعلمية وعمرانية، منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط، فاحتضنت الزوايا والمدارس القرآنية، ولا غرو فقد كانت "مدينة متحضرة جدا، دورها جميلة وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع السودان، وكان فيها مساجد جميلة ومدارس ذات سقايات" على حد وصف الوزان208، مما بوأها مكانة متميزة على أكثر من صعيد، لتصبح مضرب الأمثال في العلم والزهد معا، فلا تجد "قصرا من قصورها(...) ولا قرية من قراها، إلا وفيه من العلماء والصلحاء وأهل الفضل وطلبة العلم والقراء ما لا يحصى"209.

ولعل المتأمل في بعض كتب التصوف والمناقب والتراجم والطبقات المصنفة خلال العصر الوسيط وبداية الحديث، ليقف على المكانة المرموقة التي حازتها سجلماسة وأحوازها على مستوى الزهد و العلم والصلاح.

ولئن كانت حاضرة سجلماسة، قد سجلت حضورا لافتا خلال الحقبة الوسيطية على مستوى العلم والتصوف والتجارة القافلية طوال العصر الوسيط، فإن مكانتها على مستوى النشاط الصوفي، تعززت أكثر مع بداية العصر الحديث، فغدت تافيلالت الكبرى، وريثة سجلماسة، تشهد إشعاعا كبيرا على المستوى الروحي والديني والعلمي والمكانة السياسية، خاصة بعد أن اتخذ الأشراف العلويون من المنطقة مقرا لإمارتهم.

وغني عن البيان أن الازدهار التجاري، لم يكن بمنأى عن الازدهار الروحي والثقافي، حيث شهدت سجلماسة ونواحيها نشأة مجموعة من الزهاد وأهل العلم والصلاح، واستقطبت أرضها رجالا اشتهروا بالعلم والتصوف، لتتعزز المكانة الروحية والسياسية للمنطقة مع مطلع العصر الحديث، حين صارت تافيلالت مقرا لانطلاق حركة الأشراف العلويين.

وهكذا حلت تسمية تافيلالت210 منذ مطلع العصر الحديث محل سجلماسة لتدل على جميع الواحات الواقعة على ضفتي وادي زيز ابتداء من الخنك بالمضيق القريب من مدينة غارسلوان عند (غار زعبل)، ونزولا نحو الجنوب على مسافة 120 ميلا"211 بحسب تقدير الوزان. وعليه، فإن مجال البحث في هذه الدراسة سينتقل من سجلماسة المدينة والمركز خلال العصر الوسيط، إلى تافيلالت الإقليم الشاسع الذي يشمل سجلماسة وكافة المنبسطات الواحية الواقعة بين الأطلس الكبير شمالا و الصحراء جنوبا خلال العصر الحديث.

208– الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه إلى الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1983م، ج2، ص.127.

209– إدريس الفضيلي، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن المهدي العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1420هـ/1999م، ج1، ص97.

210– تافيلالت: لفظ أمازيغي، يعني المنخفض الذي تحيط به الجبال، ويقصد بها الواحة المحيطة بسجلماسة الأثرية ومدينة الريصاني الحالية، تحدها شمالا واحة تيزيمي المحيطة بمدينة أرفود ووادي اغريس غربا ووداي أمريوح شرقا وهوامش الكتلة القديمة القاحلة جنوبا، وتشمل تافيلالت مجموعة من المقاطعات مثل السفالات والغرفة ووادي ايفلي وتانيجوت، وفي كل مقاطعة توجد العديد من القصور. والعارف بالمنطقة، يدرك أن الواحة تشكل حوضا يلتقي فيه واديا زيز وغريس مكونين سهلا رسوبيا تحيط به مرتفعات جبلية من الجنوب والغرب، انظر: محمد بوكبوط، تافيلالت، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1425هـ/2004م، ج19، ص.6559-6560.

211– نفسه، ج1، ص.121.

وبهدف إبراز مكانة سجلماسة ضمن خريطة التصوف بالمغرب، ورصد استمرارية مظاهر الزهد والصلاح بهذه المنطقة، والوقوف على نماذج من أقطاب الزهد والصلاح ممن لعبوا أدورا طلائعية على المستوى التربوي والروحي والاجتماعي، فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر التاريخية المصنفة خلال العصرين الوسيط وبداية الحديث، نظير تشوف ابن الزيات (ت627هـ/1230م)، ومستفاد التميمي(ت603هـ/1206م أو 604هـ/1207م) ودوحة الشفشاوني (ت986هـ/1578م)، ودرة ابن القاضي(ت1025هـ/1617م)، ومثاني القادري(ت1187هـ/1779م)، وطبقات الحضيكي(ت 1189هـ/1781م)، فضلا عن دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع.

أولا- سجلماسة أرض الصلحاء وملتقى الأولياء خلال العصر الوسيط

1-صلحاء سجلماسيو المنشأ، الوظائف والأوصاف

إذا كانت كتب المناقب، قد أجمعت أن المغرب أرض "تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ"[212]، وأنه بلد "صلحاء وفقهاء وعلماء"[213]، وأنه "دار جهاد وموطن رباط"[214]، فإن منطقة سجلماسة ونواحيها، كان لها نصيبها الوافر من رجالات الزهد والصلاح، حتى إنها كانت سباقة إلى إنجاب العديد منهم، منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط، فقد نشأ بها عددا مهما من الصلحاء ممن بصموا بأعمالهم المجتمع المغربي عامة، والمجتمع السجلماسي على وجه التحديد. وفيما يلي رصد لنماذج من هؤلاء، مع إبراز وظائفهم وأوصافهم، بحسب الإفادات الواردة ضمن كتابي التشوف والمستفاد.

إسم الولي	تاريخ وفاته	مصدر ترجمته	وظائفه وأوصافه
أبو عبد الله محمد الدقاق السجلماسي	ت أواخر ق 6هـ وبداية 7هـ دفن بفاس.	المستفاد، ج2، ص.186-187.	"كان من أهل الورع والتواضع، له طريق يختص بها في التصوف من الصدق وترك التصنع".
أبو يحي أبو بكر التوجي السجلماسي	----	التشوف، ص.182.	"كان من أكابر الأولياء".
أبو عبد الله محمد ابن عمر الأصم السجلماسي	ت 542هـ	التشوف، ص.155.	كان من "أكابر الصوفية".

[212]- ابن قنفد، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص.63.

[213]- عبد الحق بن اسماعيل البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م، ص.73.

[214]- الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، البيضاء، 1954م، ج2، ص.33-235. ج3، ص.39-40.

أبو محمد عبد الله بن موسى الجزولي	ت 580هـ	التشوف، ص.277-278.	-توفي بمكة. -له عدة كرامات.
أبو عبد الله محمد ابن الحسن اليصلتي السجلماسي	ت595 هـ	التشوف، ص.45.	-كان من تجار الصحراء، - "استقر به المقام أخيرا بمدينة فاس فأقام بها سبعة عشر عاما، صائما لا يفطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها ".
أبو القاسم بن أبي الفضل	ت 601هـ.	التشوف، ص.378.	-كان من أهل الورع والصلاح واشتهر بفعل الخير.
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن حمودة	ت 612هـ	التشوف، ص.417.	-" من أهل البيت وسلفه أهل خير وصلاح وعلم".
أبو سعيد عثمان ابن منغفاذ الوريوي	ت 615هـ دفن بسجلماسة	التشوف، ص.440-441.	- عاش طول حياته دون زواج. "وكان يواصل خمسة عشر عاما حتى أنحلته العبادة". -"دخل الصحراء بالتسبيح والتقديس".

لعل أولى الملاحظات التي يمكن استنباطها من خلال رصد أسماء الصلحاء الذين نشأوا بسجلماسة ضمن كتابي التشوف والمستفاد، هي محدودية عددهم خلال القرن السادس الهجري، مقارنة بحواضر أخرى كفاس ومراكش وتادلا، غير أن ذلك لا يعني البتة افتقار المنطقة لرجالات الزهد والصلاح أو ندرتهم بها، بقدرما يعزى، في تقديرنا، إلى تركيز كتاب المناقب على أولياء الحواضر الكبرى، وعنايتهم بأولياء المنطقة التي نشأوا بأرضها أو التقوا بصلحائها، في حين أغفلوا ذكر البعض الآخر ممن لم يكتب لهم به اللقاء.

ومما يؤكد تركيز كتب المناقب على صلحاء مناطق انتمائهم دون أخرى، ما خص به ابن الزيات التادلي[215] صلحاء تادلا من عناية وتمييز، وما أفرد به عبد الحق البادسي[216] صلحاء الريف من اهتمام، ثم ما أولاه صاحب بهجة الناظرين[217] لأولياء دكالة من تقدير، فضلا عما أولاه صاحب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"[218] من عناية لصلحاء تلمسان وعبادها دون غيرهم.

[215]– أنظر: نورالدين امعيط، قراءة في كرامات صلحاء تادلا من خلال كتاب التشوف لابن الزيات التادلي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، العدد14-15، السنة 2014/2013، ص.75-90.

[216]– عبد الحق البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.

[217]– ابن عبد العظيم الأزموري، بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، نسخة تيط، مخطوط خاص.

[218]– ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبعه واعتنى بمراجعته محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1336هـ/1908م.

والواقع أن أرض سجلماسة تميزت بقصب السبق على مستوى احتضانها لأهل الزهد والصلاح، ولا غرو فقد تخرج منها العديد من أهل الزهد والعلم والتصوف، خاصة وأن مكانتها التجارية، وموقعها الاستراتيجي كمحطة رئيسية في الطريق القافلية صوب إفريقيا جنوب الصحراء، قد بوأها مكانة مرموقة جعلت أهلها يستفيدون من اندماج ثقافي فريد، لذلك فلا غرابة إن كان السجلماسيون من السباقين للتواصل مع الفقيه الزاهد عبد الله بن ياسين داعية المرابطين وذلك قبل وصول هؤلاء إلى سجلماسة، فقد ذكر الناصري أنه في "سنة سبع وأربعين وأربع مائة، اجتمع فقهاء سجلماسة (...) وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين، كتابا يرغبون إليهم في الوصول إلى بلادهم"[219].

ولئن كانت هذه الرسالة تدل على تمسك أهل سجلماسة بمقتضيات الكتاب والسنة، ونبذهم لتعسفات أمراء مغراوة التي طالها شطط في الحكم، وبعد عن الشرع، فإنها تفصح أيضا، عن أهمية النخبة العالمة المتمثلة في الفقهاء ودورهم الفاعل، داخل المجتمع السجلماسي منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط.

ولعل أهم ما تميز به صلحاء سجلماسة، اجتهادهم في الزهد لإدراك أعلى مراتب الصلاح، وبالفعل، فقد وصف معظمهم ابن الزيات "بأكابر الأولياء"[220] أو "أكابر الصوفية"[221]، كما وصف بعضهم بأنه كان دائم "الصيام لا يفطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها"[222]، ومنهم من عاش وحيدا عازفا عن الزواج طوال حياته مخافة أن يشغله زواجه عن العبادة كشأن أبي سعيد عثمان ابن منغفاذ الوريوي(ت سنة 615هـ)[223]، بل وصف بعضهم، إلى جانب الولاية والصلاح، بالنسب الشريف نظير أبي القاسم بن أبي الفضل الذي كان "من أهل البيت، وسلفه أهل خير وصلاح وعلم"[224].

وممن داع صيته من أبناء سجلماسة، علما وعملا، وزهدا وطاعة، ذكر كل من ابن الزيات والتميمي الولي الصالح أبو عبد الله محمد الدقاق السجلماسي[225] الذي وصف بأنه كان "من أهل الورع

---

[219] الناصري، م س، ج2، ص.11.

[220]- ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، مشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تحقيق أحمد التوفيق ط2، الرباط، 1997م، ص.182.

[221]- نفسه، ص.155.

[222]- نفسه، ص.45.

[223]- نفسه، ص.44-441.

[224]- نفسه، ص.417.

[225]- يبدو أن هذا الولي، قد استمر عقبه معروفا بالصلاح والزهد، ولعل من أقربائه الشيخ الولي أبو علي الدقاق أستاذ العزفي (ت633 ه)، أنظر: أبو العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، 1989م، ص.73-75. وعنه روى الحضرمي بعض أقواله في التصوف، أنظر: محمد ابن أبي بكر الحضرمي، السلسل العذب والمنهل الأحلى، مجلة المخطوطات العربية، القاهرة، ج1، المجلد 1، السنة 1964م، ص.60-62-63. وكذا الشيخ مولاي عبد الله الدقاق المعاصر للسلطان المولى اسماعيل دفين سجلماسة، أنظر: لحسن تاوشيخت، "تكامل المدرسة السجلماسية الصوفية مع شقيقتها السوسية"، ضمن المحاضن الأولى للعلم بالمغرب، سوس وتافيلالت السمات العلمية والصلات الثقافية، تنسيق عبد الواحد الحسيني، الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية، جامعة المولى إسماعيل، ط1، 2021م، ص.191.

والتواضع، له طريق يختص بها في التصوف من الصدق وترك التصنع"[226]، كما اشتهر إلى جانب زهده، بشدة كرمه، فهو من وفدت عليه ذات ليلة بعد العشاء الآخرة، جماعة من المريدين، فقضوا ليلتهم، وأحسن ضيافتهم، "فلما أصبح صنع لهم ما أكلوا، ثم انصرفوا"[227].

والواقع أن الولي أبا عبد الله الدقاق، قد عرف بإشعاعه الروحي والتربوي والاجتماعي الكبير، ليس في موطنه سجلماسة فحسب، بل في كافة ربوع أقطار الغرب الإسلامي، فقد ذكر صاحب التشوف أنه كان محدثا، كثير التردد على مدينة فاس، بل كان من كبار مشايخ الصوفية وأحد شيوخ أبي مدين[228]، ومن أصحاب أبي عبد الله الأصم وأبي عمرو التلمساني، كما حظي بتقدير العامة والخاصة من الناس حيث اعترف له غير واحد من أصحابه بالصلاح والولاية أمثال ابن العريف وأبي الحكم ابن برجان اللذان كان يقولان، بعد أن أخبرا ببعض أحواله، "لا تنكروا عليه شيئا"[229].

وقد اعتاد صلحاء سجلماسة، على غرار غيرهم، شد الرحال إلى بلاد الحجاز، قصد أداء فريضة الحج وحيازة العلم أو الحج و المجاورة هناك، وهو ما قام به العديد من الصلحاء السجلماسيين، وعلى رأسهم الولي أبي محمد عبد الله بن موسى الجزولي الذي حج من سجلماسة ووافته المنية بمكة المكرمة سنة 580هـ[230]، كما دأبوا على نشر الدين الاسلامي ومبادئ التصوف السني في الصحراء، فقد تبث عن الولي ابي سعيد عثمان ابن منغفاد الوريوي، أنه "دخل الصحراء بالتسبيح والتقديس"[231].

2- صلحاء وفدوا على سجلماسة، الوظائف والأوصاف

شكلت سجلماسة محطة لتوافد العديد من الصلحاء و الزهاد ممن شدوا الرحال إليها فمروا بواحاتها أو استقر بهم المقام مدة من الزمن بأرضها، مما شكل فرصة سانحة لأهل سجلماسة من أجل التلقي والتلمذة، حيث أخذ بعضهم عن بعض مبادئ التصوف و جملة من العلوم، خاصة أن معظم هؤلاء الأولياء، كانوا على اطلاع بعلوم الشرع وقواعد اللغة، وهو ما اتضح جليا من خلال مضامين تراجمهم، وفيما يلي نماذج لأهم الصلحاء الوافدين على سجلماسة مع رصد لمواطنهم الأصلية، وما تميزو به من وظائف وأوصاف.

إسم الولي و تاريخ وفاته	موطنه الأصلي	مصدر ترجمته	وظائفه و أوصافه
أبو الفضل	توزر(إ	التشوف،	-"نزل (سجلماسة) بمسجد

[226]- التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002م، ج2، ص.186.

[227]- نفسه، ج2، ص.187.

[228]- هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الملقب بالغوث أصله من إشبيلية وبلغت شهرته كأحد أعلام الزهد والتصوف خلال القرن السادس الهجري، عاش بفاس وبجاية وبها دفن (ت 589هـ/1119م)، راجع: التشوف، م س، ص.19-326. المستفاد، م س، ص.41-45.

[229]-أنظر: التشوف، م س، الهامش رقم 26، ص.156. أنس الفقير، م س، ص.27. ابن القاضي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج1، ص.259.

[230]- التشوف، م س، ص.277-278.

[231]- نفسه، ص. 440-441.

يوسف المعروف بابن النحوي (ت513هـ/1119م)	فريقية)	ص.98.	ابن عبد الله ليدرس أصول الدين وأصول الفقه".
الولي أبو العباس التوزري(ت 610هـ/1216م)	توزر(ا فريقية)	التشوف، ص.412.	-"كان عبدا صالحا".
أبو عمرو عثمان ابن علي بن الحسن(ت542هـ)	تلمسان	التشوف، ص.140.	-حج "عن طريق الصحراء(...) وكان يختم القرآن في كل ليلة".
أبو اسحاق باران ابن يحي المسوفي(ت570هـ)	مسوفة	التشوف، ص.254.	-"من أصحاب أبي عبد الله الدقاق،(...) توفي بسجلماسة".
أبو زكرياء يحيى الدكالي(ت570هـ)	دكالة	التشوف، ص.257.	-"كان عبدا صالحا".
أبو علي سالم بن سلامة السوسي الروداني (ت589هـ أو590هـ)	تارودانت	التشوف، 285-284.	-"من تارودانت ودرس الفقه بفاس(...) وأغمات (...)، واستقر بسجلماسة وبها مات عام تسعة وثمانين أو تسعين وخمسمائة، وكان عبدا صالحا فاضلا".
الحسن بن القاسم (الداخل) (ت678هـ)	الحجاز (ينبع)	الدرر البهية، ج1، ص.96-97). الناصري، ج7، ص.4-5	-"كان متخصصا في تدريس العلوم بمسجدها (سجلماسة) الأعظم، خاصة علمي البيان والأصول".

ويبدو من خلال رصد أهم الصلحاء الذين وفدوا على سجلماسة، تعدد روافد الهجرة، فقد استقطبت واحاتها مجموعة من أهل الصلاح والتصوف الذين حلوا بأرضها من مختلف مناطق الغرب الإسلامي، ففضلا عن روافد الهجرة الداخلية كدكالة التي قدم منها الولي أبو زكرياء يحيى المتوفى سنة 570هـ/1176م، وتارودانت التي أقبل منها الولي أبو علي سالم بن سلامة السوسي المتوفى سنة 589هـ/1195م أو590هـ/1196م، فقد توافد على أرض سجلماسة صلحاء من خارج المغرب الأقصى، وخاصة من إفريقية كحال الولي أبي الفضل ابن النحوي المتوفى سنة 513هـ/1119م، وأصله من توزر بإفريقية، وكذا الولي أبو العباس التوزري المتوفى سنة 610هـ/1216م، والولي الشريف النسب الحسن

الداخل الجد الذي حل بسجلماسة من أرض الحجاز حوالي سنة 664هـ/1270م بطلب من بعض السجلماسيين أثناء وصول ركب الحاج إلى الديار المقدسة[232].

وقد تميز أغلب الصلحاء والزهاد الوافدين على سجلماسة، بسعة اطلاعهم وتبحرهم في مجموعة من العلوم، بل إن بعضهم اعتكف على العبادة والعلم والتدريس، حتى حاز أشرف المراتب علما وعملا، وصار من العلماء الأعلام المشهود لهم بالثقة والكفاءة، نظير أبي الفضل يوسف المعروف بابن النحوي الذي "نزل بسجلماسة بمسجد ابن عبد الله ليدرس أصول الدين وأصول الفقه"[233] و أبو علي سالم بن سلامة الروداني المتوفى سنة 589هـ/1195م أو590هـ/1196م الذي "درس الفقه بفاس وأغمات واستقر بسجلماسة "[234]، و الولي أبو عمرو عثمان بن علي بن الحسن التلمساني الأصل الذي كان " كبير الشأن من أهل العلم والعمل، وحج من سجلماسة عن طريق الصحراء(...) فكان يختم القرآن في كل ليلة"، فضلا عن الولي الشريف الحسن الداخل الذي "كان متخصصا في تدريس العلوم بمسجدها الأعظم، خاصة علمي البيان والأصول"[235].

وبالنظر لما اشتهر به صلحاء سجلماسة الوافدين، من علم وصلاح، وفعل للخير، وشرف في النسب[236]، فقد نال معظمهم مكانة مرموقة في نفوس السجلماسيين، وتقلدوا عدة وظائف وأدوار، خاصة التعليم والتربية ونشر مبادئ الدين و التصوف السني، وهو ما انعكس إيجابا على النشاط الصوفي بسجلماسة ونواحيها خلال الفترات اللاحقة عن العصر الوسيط.

ثانيا: تافيلالت وريثة سجلماسة في الزهد والصلاح والعلم خلال العصر الحديث

1- تافيلالت أرض الزهد والصلاح

[232]- يقول الناصري عن مقدم الحسن الداخل جد العلويين: "واختلفوا في السبب الداعي إلى دخول هذا السيد إلى المغرب، فذكر صاحب كتاب الأنوار السنية فيما بسجلماسة من النسبة الحسنية، أن سبب دخوله أن ركب الحاج المغربي، كان يتوارد على الأشراف هنالك، وكان شيخ الركب في بعض القدمات رجلا من أهل سجلماسة، يظن أنه السيد ابو ابراهيم، فلما حج اجتمع بالموسم بالسيد حسن المذكور، وكانت سجلماسة وأعمالها يومئذ شاغرة من سكن الأشراف، فلم يزل أبو إبراهيم يحسن للمولى حسن موطن المغرب والسكنى بسجلماسة حتى استماله فأجمع السير مع الركب وقدم به أبو إبراهيم فاستوطن ببلدهم سجلماسة، وقال حافده أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر فيما قيد عنه، وكان الذين أتوا به من أهل سجلماسة أولاد البشير وأولاد المنزاري وأولاد المعتصم (...) وصاهره منهم أولاد المنزاري"، راجع: الإستقصا، م س، ج7، ص.5.

[233]- التشوف، م س، ص.98.

[234]- نفسه، ص.284-285.

[235]- الفضيلي، م س، ج1، ص.96-97. محمد الصغير الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، صحح عباراته السيد هوداس، طبع بمدينة أنجي، 1888م، ص.413.

[236]- أنظر: نموذج الولي السجلماسي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن حمودة "من أهل البيت وسلفه أهل خير وصلاح وعلم"، ضمن التشوف، م س، ص.417 وأنظر ترجمة الولي الشريف الحسن الداخل، ضمن: الدرر البهية، م س، ج1، ص.96-97.

لم تنقطع سمات الصلاح ومظاهر التصوف بأرض سجلماسة بعد الخراب الذي تعرضت له هذه الحاضرة أواخر العصر الوسيط[237]، بل اتسع نطاقه وامتد إشعاعه ليشمل واحات زيز واغريس فيما أصبح يعرف بأرض تافيلالت الكبرى، حيث ظهر العديد من الصلحاء والأولياء ممن اضطلعوا بأدوار ووظائف اجتماعية مختلفة، ابتداء من نهاية القرن التاسع وبداية العاشر الهجريين، وهي الفترة التي صار فيها للصلاح والنسب الشريف، مكانتهما الخاصة في تعزيز النفوذ، وحسم الصراعات السياسية التي أعقبت سقوط دولة بني مرين. فبالرغم من إحكام السعديين سيطرتهم على المغرب الأقصى، فإن الأزمة السياسية، سرعان ما استفحلت به منذ أواخر القرن 10هـ/16م، حيث جسدت وفاة المنصور السعدي سنة1013هـ/1603م، إيذانا باستئناف مرحلة من الصراعات الدامية بين الإمارات المستقلة، وهو الصراع الذي حسمته إمارة الأشراف العلويين بمنطقة تافيلالت[238] بتوحيدها للمغرب بزعامة المولى الرشيد العلوي (ت1082هـ/1672م)، مما زاد من أهمية المنطقة ونشاطها السياسي وإشعاعها الروحي.

وفيما يلي رصد لنماذج من صلحاء منطقة تافيلالت خلال مطلع العصر الحديث، مع الإشارة إلى ما اختصوا به من وظائف و أوصاف.

اسم الولي	تاريخ وفاته	مصدر ترجمته	وظائفه وأوصافه
أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي السجلماسي	(ت903هـ/1495م)	دوحة الناشر، ص.89-90	-زاول التدريس. -كان " من العلماء الأعلام وأكابر مشايخ الإسلام".
عبد الله المضغري	(ت 927هـ/1520م) بدرعة.	طبقات الحضيكي، ج2، ص.454.	-"فقيه درعة وحافظها، أخذ عن الإمام القوري والونشريسي، وأخذ عنه علي بن هارون".
عبد الله بن عمر المضغري	(ت 930هـ/1523م)	-طبقات الحضيكي، ج2، 416.	-"فقيه درعة وحافظها، أخذ عن الإمام القوري والونشريسي، وأخذ عنه علي بن هارون".
علي بن عبد الله السجلماسي	(ت940هـ/1533م)	طبقات الحضيكي، ج2، ص.465.	-"الولي الصالح القطب المشهور، الغوث الغياث في البر والبحر حجة الله وآياته، جبار

[237]- عن خراب سجلماسة على يد السلطان أبي الحسن المريني (731 -749هـ/1331-1348م)، الملقب بالسلطان الأكحل، يقول الناصري: أن "أهل سجلماسة اختلفوا مع السلطان الأكحل فحاصرها، واشتغل بتغوير ماء العين التي تسقى منها"، مما ساهم في خرابها، راجع: الناصري، الاستقصا، م س، ج3، ص. 120.

[238]- كان توحيد المغرب الأقصى على يد المولى الرشيد بن المولى علي الشريف (1674-1664م)، بعد القضاء على اليهودي ابن مشعل بناحية تازة، وعلى الشبانات بمراكش، والدلائيين بفاس، والسمالليين بسوس. راجع: الناصري، م س، ج7، ص.29 وما بعدها.

			التلائف والقلوب المنكسرة، شيخ المشايخ استاذ القطب الشهير سيدي الغازي".
علي ابن هارون المطغري	(ت 951هـ/1544م) بفاس	دوحة الناشر، ص.51. طبقات الحضيكي، ج2، ص.554. درة الحجال، ج3،ص.254.	-"كان (...) من فحول العلماء وأكابر الفضلاء، (...) وتولى الفتيا والتدريس بفاس، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته". -"احتفل الناس بجنازته ونهبوا أعواد نعشه تبركا به، وكان شيخ الجماعة في وقته تشد إليه الرحال رحمه الله"[239].
عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر المضغري	(ت971هـ/1565م)	دوحة الناشر، ص.89.	-"وعلى الجملة فهو من العلماء الأعلام".
محمد بن عبد الله ابن عمر المضغري	(ت 980هـ/1573م)	دوحة الناشر، ص.88-89.	-"كان من عباد الله الصالحين، (...) و هو من أحسن الناس خلقا وأفضلهم عملا ودينا، وقد وفد على السلطان الغالب أبي محمد عبد الله بن محمد الشيخ الشريف سنة سبعين، فوعظه وحرضه على العدل والرفق بالرعية".
محمد بن بلقاسم الفلالي	(ت988هـ/1581م)	طبقات الحضيكي، ج2، ص.316	-"الفقيه الخطيب الشريف المدرس، كان شريف النسب والقدر، عالما عاملا، ولي الخطبة بجامع الأشراف

[239]- حضر لدفنه السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي، أنظر: بن عسكر الشفشاوني (ت986هـ/1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م، م س، ص.51. الحضيكي، محمد بن أحمد(ت 1189هـ/1775م)، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م،ج2، ص.554. ابن القاضي(ت1025هـ/1617م)، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، 1391هـ/ 1971م، ج3، ص.254.

			بمراكش".
علي بن عبد العزيز السجلماسي	(ت988هـ/1581م) بسجلماسة.	دوحة الناشر، ص.90-91. -طبقات الحضيكي، ج2، ص.447.	-" كان فقيها كثير الخوف والتأهب للآخرة والاستعداد، عارفا بطرق القراءات".
أبو زيد عبد الرحمن بن علي من لا يخاف الفلالي	(ت999هـ/1591م)	دوحة الناشر، ص.90. نشر المثاني، ج1،ص.41.طبقات الحضيكي،ج2، ص.408.	-"كان عبدا صالحا كثير الخشية ورعا زاهدا منزويا عن الدنيا وأهلها، حدث الثقات عنه بأنواع من الكرامات".
ابو القاسم بن محمد بن عمرو بن احمد الغازي الشريف الهرغي السوسي السجلماسي	(ت982هـ/1575م)، دفين قصر إرارة بالريصاني	طبقات الحضيكي، ج2، ص.320.	-"عالم صوفي كبير". -"مؤسس الطريقة الغازية الشاذلية في التصوف".
ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم الشريف الفلالي	(ت988هـ/1581م)	القادري، نشر المثاني، ج2،ص. 59.	-"خطيب جامع الشرفاء بمراكش". - "من مشايخ القاضي أبي مهدي عيسى السكتاني(ت1012هـ)".
عبد الواحد بن أحمد الفلالي	(ت1003هـ/1596م)	طبقات الحضيكي، ج2، ص.518.	-"نزيل مراكش، مفتيها ومدرسها، برع في فنون شتى وشارك في علوم كثيرة".
محمد بن مبارك المغراوي السجلماسي	(ت 1092هـ/1685م)	سلوة الأنفاس، ج2، ص.99.	-"النحوي الفقيه المحقق النبيه شيخ الجماعة في القراءات(...)، أم بضريح مولاي ادريس ودرس به وولي كرسي الوعظ به وبالقرويين".

لقد أسهبت كتب المناقب والتراجم والطبقات المصنفة خلال بداية العصر الحديث، في ذكر أوصاف عدد مهم من رجالات الزهد والصلاح ممن ينتسبون إلى أرض تافيلالت الكبرى، وقد تزداد

أعدادهم كلما توغلنا في العصر الحديث، وهو ما ينم عن نشاط صوفي كبير شهدته أرض تافيلالت منذ مطلع القرن العاشر الهجري وما بعده.

ويبدو من خلال أوصاف أولياء سجلماسة، أنهم دأبوا على الانخراط في مجتمعهم مجسدين فكرة التضامن والتكافل للتصدي للأزمات، سواء كانت طبيعية كالجفاف والمجاعات، أو بشرية كتسلط أعوان السلطة واللصوص.

وباستثناء الولي أبي زيد من لا يخاف الفلالي (ت999هـ أو1002م)، الذي وصفه صاحب دوحة الناشر بالإنزواء مع الورع والزهد، حيث كان "عبدا (...) زاهدا منزويا عن الدنيا وأهلها"[240]، فإن معظم صلحاء تافيلالت وصفوا بتفاعلهم مع محيطهم المجتمعي، فقد نعت الحضيكي الولي علي بن عبد الله السجلماسي (ت940هـ)، "بالولي الصالح القطب المشهور الغوث الغياث في البر والبحر (...) جبار التلائف والقلوب المنكسرة"[241]، أما الولي علي ابن هارون المطغري(ت903هـ)، فمن شدة حرصه على قضاء حوائج الناس، فقد نال محبة أهل تافيلالت حتى "احتفل الناس بجنازته ونهبوا أعواد نعشه تبركا به، وكان (...) في وقته تشد إليه الرحال"[242]، ومثله الولي أبي القاسم بن محمد بن عمرو بن أحمد الغازي الشريف الهرغي السوسي السجلماسي (ت982هـ)، الذي اشتهر بزهده وإحسانه، حتى وصف بالعالم الصوفي الكبير، فهو من أسس "الطريقة الغازية الشاذلية في التصوف"[243]، وزاويته ذائعة الصيت إلى اليوم بأرض تافيلالت، معروفة باسم الزاوية الغازية أو زاوية تابوبكرت[244].

2-تافيلالت أرض العلم

لا شك أن تافيلالت الكبرى، قد استفادت من التراكم العلمي والثقافي الذي حققته سجلماسة خلال الحقبة الوسيطية، حين كانت منارة للعلم وقبلة للعلماء والصلحاء والتجار، لذلك فلا غرابة إذا صادفنا أن جل الأولياء السجلماسيين ممن ذكرتهم كتب التراجم والمناقب والطبقات خلال العصر الحديث، كانوا من العلماء الأفذاذ الذين جمعوا بين العلم والصلاح، ولاغرو فالولي أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي السجلماسي، كان " من العلماء الأعلام وأكابر مشايخ الإسلام"[245]، أما علي ابن هارون المطغري فقد "كان (...) من فحول العلماء وأكابر الفضلاء (...) وانتهت إليه رياسة العلم في وقته"[246]. وذات الأوصاف دونها الحضيكي في حق الولي محمد بن بلقاسم الفلالي الذي كان خطيبا

---

[240]- دوحة الناشر، م س، ص.90.

[241]- الحضيكي، محمد بن أحمد(ت 1189هـ/1775م)، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م، ج2، ص.465.

[242]- دوحة الناشر، م س، ص.51. طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.554.

[243]- طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.320.

[244]- تعتبر هذه الزاوية من أشهر زوايا تافيلالت بالنظر لكثرة زوارها ومريديها، وتقع جنوب تافيلالت بمشيخة السفالات، وشيدت خلال القرن التاسع الهجري على يد شيخها الشريف الإدريسي أبي القاسم سيدي الغازي السوسي الأصل. أنظر: لحسن تاوشيخت، "تكامل المدرسة السجلماسية الصوفية مع شقيقتها السوسية"، م س، ص.184.

[245]- دوحة الناشر، م س، ص.89-90.

[246]- نفسه، ص.51.طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.554.

ومدرسا "عالما عاملا، ولي الخطبة بجامع الأشراف بمراكش"[247]. أما محمد بن مبارك المغراوي السجلماسي الذي اشتهر بالعلم والصلاح، فقد شغل منصب الإمامة والوعظ والتدريس، فهو "النحوي الفقيه المحقق النبيه، شيخ الجماعة في القراءات(...)، أم بضريح مولاي إدريس ودرس به، وولي كرسي الوعظ به وبالقرويين"[248].

ويبدو أن التكوين العلمي لهؤلاء الأولياء، هو ما عزز مكانتهم الاجتماعية من جهة، وساهم في إنجاح مهمة الربط والزوايا بتافيلالت وعموم المغرب، من جهة ثانية، ليقوم هؤلاء الأولياء بأدوارهم الدينية والاجتماعية المنوطة بهم، خاصة وأن المعتاد في تاريخ التصوف السني بالمغرب، "أن الولي لا يكون إلا عالما ولا يكون جاهلا"[249].

ثالثا: صلحاء تافيلالت الكبرى، الوظائف والأدوار

1-الأدوار التربوية والدينية

بالنظر لما اشتهر به صلحاء تافيلالت، من زهد وصلاح، وفعل للخير، فضلا عن شرف نسب بعضهم[250]، فقد نالوا مكانة مرموقة في نفوس العامة والخاصة، فتولوا عدة وظائف وأدوار، ومنها دور التربية الروحية ومزاولة وظيفة التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد داخل المساجد وخارجها، ولاتعوزنا القرائن الدالة عن الدور الفاعل الذي قام به صلحاء منطقة تافيلالت، فالولي عبد الله بن عمر المضغري (930هـ/1523م)، كان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[251]، وكان علي بن هارون المضغري (ت 951هـ/1544م) " من فحول العلماء وأكابر الفضلاء (...)، تولى الفتيا والتدريس بفاس"[252]، أما علي بن عبد العزيز السجلماسي(ت988هـ/1581م)، فقد "كان فقيها (...)، عارفا بطرق القراءات"[253]، و محمد بن بلقاسم الفلالي(ت988هـ/1581م) الذي كان "فقيها و خطيبا ومدرسا(...)بجامع الأشراف بمراكش"[254].

---

[247]- طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.316.

[248]- الكتاني(ت1345ه)، سلوة الأنفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، البيضاء، د ت، ج2، ص.99.

[249]- ابن عيشون الشراط، الروض العطر النفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1997م، ص.209.

[250]- أنظر: نموذج الولي السجلماسي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن حمودة وصفه ابن الزيات بأنه "من أهل البيت وسلفه أهل خير وصلاح وعلم"، التشوف، م س، ص.417. وأنظر ترجمة محمد بن بلقاسم الفلالي الذي وصفه الحضيكي "بالفقيه الخطيب الشريف المدرس، كان شريف النسب والقدر، عالما عاملا، ولي الخطبة بجامع الأشراف بمراكش". طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.316. وأنظر ترجمة الولي الشريف الحسن الداخل، ضمن الدرر البهية، م س، ج1، ص.96-97.

[251]- طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.416.

[252]- حضر لدفن هذا الولي السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي، أنظر: دوحة الناشر، م س، ص.51.درةالحجال، م س، ج3، ص.254. طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.554.

[253]- دوحة الناشر، م س، ص.90-91.طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.447.

[254]- طبقات الحضيكي، م س، ج2، ص.316.

لقد أنيطت بالصلحاء بأرض تافيلالت مهمات تربوية ودينية، لعل أهمها ترسيخ تعاليم الإسلام، وتفقيه المريدين وعموم الناس في أمور الدين، وتثبيت دعائم التصوف السني، و لا غرو فقد كانت سجلماسة من أهم المناطق التي احتضنت مؤسسة الرباط، حيث اشتهرت رابطتها أنبدور255 منذ القرن السادس الهجري، بنشاطها الصوفي وشكلت مجمعا للزهاد والمتصوفة، يقصدونها بقصد الخلوة والتعبد وتلقين مبادئ الدين والتصوف للمريدين، ليستمر النشاط الصوفي بهذه المنطقة ونواحيها بزعامة العديد من الزوايا التي لاتزال بعضها فاعلة إلى يومنا الحاضر256.

2-الأدوار الاجتماعية

لم تكن أدوار صلحاء منطقة تافيلالت لتختلف كثيرا عن وظائف نظرائهم في مختلف بوادي المغرب وحواضره، إذ اشترك المتصوفة في وظائف وأدوار متشابهة، ولعل أهم تلك الوظائف ما أشار إليه روبير مونطاني حين أقر أن مهمة الولي تكمن أساسا في المحافظة على النظام الذي تقره المجموعة، وذلك بتدخله في حل النزاعات، والفصل في الخصومات، وحماية الأسواق والمواسم، ورعاية المحاصيل والمخازن الجماعية257.

وفيما أكد هذه الحقيقة روبير مونطاني(Robert Montagne) في كتابه صلحاء الأطلس، سار ايرنست كيلنر(Ernest Gellner) في ذات المنحى، مؤكدا أن الدور التحكيمي للولي هو ما يضمن استمرار تلك المجموعات258، غير أن من الدارسين من تنبه أن هذه التحليلات تظل جميعها غارقة في التنظير إلى أبعد الحدود259، وقد أصاب الأستاذ محمد مفتاح حين ربط بين الولي ومجاله، مؤكدا أن دور الصوفي في جماعته مرتبط بمواجهة الشر المتمثل في شطط السلطة وتعسفات القبائل الرحل والنصارى المتاجرين، كما يرتبط بمواجهة الظواهر الطبيعية كالجفاف والمجاعات والأمراض260. وهو ما نجد له قرائن تاريخية دالة مرتبطة بمجال تافيلالت وصلحائها.

255– التشوف، م س، ص.412. ويبدو أن هذه الرابطة كان لها إشعاع روحي كبير وشهرة واسعة في صفوف المتصوفة والمريدين، بدليل ذكرها بالاسم مرة، التشوف، م س، ص.412، والتلميح لها مرة ثانية، ضمن ترجمة الولي أبي بكر التوجي الذي تواعد مع أحد أصحابه بالخروج إليها قصد التعبد، فقال ابن الزيات على لسان أحد المريدين "وتواعدنا ليلة أن نخرج إلى موضع خارج سجلماسة، عادتنا أن نخرج للصلاة فيه". التشوف، م س، ص.182.

256– من زوايا تافيلالت نذكر: الزاوية الغازية، وزاوية الماطي، وزاوية سيدي علي بن أبي زينة، وزاوية سيدي أحمد بلمدني، وزاوية عمار، وزاوية سيدي بوبكر، وزاوية من لا يخاف، وزاوية سيدي عبد الله بن علي. راجع: لحسن تاوشيخت، م س، ص.184 وما بعدها.

257 – Robert Montagne ;Les berbères et le Makhzen dans le sud du maroc ; essai sur les transformation politique des berbères sédentaires(groupe chleuh).éd. Alcan. Paris ;1930, p.230.

258 – Ernest Gellner ; saints of atlas ; london ; 1969 ;p.70.

259– عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل، سلا، 1989م، ص.111 وما بعدها.

260– محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ/14م، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1981/1980م،ج1، ص. 76 وما بعدها. عبد اللطيف الشاذلي، م س، ص.111.

لعل من بين أهم الوظائف الاجتماعية التي اشترك فيها متصوفة تافيلالت مع عموم المتصوفة بالمغرب، وظيفة إطعام الطعام والتضامن مع المحتاجين، وهي من الوظائف البارزة التي أعطاها المتصوفة أهمية كبرى حتى صارت أصلا للسلوك الصوفي عند بعضهم، ولا غرو، فقد كان أبو محمد عبد الخالق بن ياسين261 يقول "طلبنا التوفيق زمانا فأخطأناه، فإذا هو في إطعام الطعام"262، وممن اشتهر بهذه الصفة من صلحاء سجلماسة، الولي أبو عبد الله محمد الدقاق السجلماسي بحسب ما ذكره صاحب المستفاد263.

ويبدو أن وظيفة إطعام الطعام، كانت تنسجم مع ظروف المغرب خلال العصرين الوسيط والحديث والذي كان معرضا بصورة دورية للمجاعات وسنوات الجفاف264، فضلا عن غياب الاستقرار السياسي الذي بات المجتمع المغربي يعاني من نتائجه بصفة حادة ومتكررة265، مما يجعل الرعية عرضة لتعسفات عمال السلطة وشططهم الضريبي، وهو ما كان المتصوفة يتدخلون لدرئه في الغالب الأعم، فقد تدخل الولي محمد بن عبد الله ابن عمر المضغري(ت 980 هـ/1573م) لدى السلطان السعدي الغالب أبي محمد عبد الله بن محمد الشيخ الشريف (...) فوعظه وحثه على العدل والرفق بالرعية"266.

وإذا كانت كتب المناقب قلما تفصح مباشرة عن وظائف الولي داخل مجتمعه، فهي تعبر عن وظائفه وأدواره من خلال رصد كراماته والإسهاب في ذكر خصاله، ففي كرامة الاستسقاء أو التنبؤ بالغيب أو الإفلات من عقاب الحاكم، دلالات تبرز من خلالها أدوار الولي ووظائفه داخل مجتمعه، ذلك أن الكرامة تعطي للولي قدرة خاصة تميزه عن سائر الناس، وتمكنه بالتالي من القيام بأدوار معينة لا يتأتى القيام بها لسائر الناس267، فمواجهة الجوع بحصول البركة في الطعام، وتهاطل المطر بعد الاستسقاء، والخروج من السجن، والوقوف في وجه عامل السلطة، كلها كرامات تثبت دور الولي ووظائفه داخل مجتمعه.

وفي هذا السياق عرف الولي أبو علي سالم بن سلامة السوسي الروداني (ت589هـ أو590هـ)، الذي استقر بسجلماسة أنه كان مستجاب الدعوة عند الاستسقاء268 كما عرف الولي أبو محمد عبد الله بن

261- هو ابو محمد عبد الخالق ابن ياسين الدغوغي (ت571هـ)، وقبره مزارة مبنية ومقصودة الى اليوم على وادي نفيس، يبعد بحوالي 30 كلم عن مدينة مراكش على طريق الصويرة، راجع: التشوف، ص.222.وهامش المحقق رقم: 509 من نفس الصفحة.

262–ابن الزيات، م س، ص.223. الكتاني(ت1345ه)، سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني ، محمد حمزة بن علي الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2004م،ج2، ص.174.

263– التميمي، المستفاد، م س، ج2، ص.187.

264– تتابعت سنوات الجفاف والمجاعات بالمغرب خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، وكذا خلال القرنين 10هـ/16م و11هـ/17م، أنظر: الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2002م.ص.41 وما بعدها. عبد اللطيف الشاذلي، م س، ص.114 وما بعدها.

265– محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب خلال عصر الموحدين، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، الرباط، 2001 – 2002م، ص.375.(مرقونة).

266- دوحة الناشر، م س، ص.88-89.

267– عبد اللطيف الشاذلي، م س، ص.112.

268– التشوف، ص.285.

موسى الجزولي المتوفى بمكة سنة 580هـ، بظهور البركة والنماء في زرع حصده، حيث لمس المستأجر بركة الولي المذكور في زرعه، "فلم يزل ينمو كل عام ويتضاعف، حتى امتلأت المخازن بالزرع ولم يجد أين يجعله"[269]. أما أبو عبد الله محمد ابن عمر الأصم السجلماسي المتوفى سنة 542هـ، فقد ظهرت لديه كرامة الإفلات من العقاب وهو داخل السجن حيث كان "الكبل يسقط من رجليه كلما حانت أوقات الصلاة فيخرج من السجن ولا يراه أحد إلى أن يصلي مع الناس جماعة"[270]، قبل "أن يظهر للسلطان أنه بريء مما نسب إليه وإلى أصحابه، فسرحهم"[271].

ولا يمكن استحضار الأدوار التي قام بها الولي في مجتمعه، دون استحضار طبيعة ذهنيات المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط وبداية الحديث، وما طبعها من هيمنة التفسير الغيبي للظواهر الطبيعية، فقد كان المجتمع يعمد إلى تفسير كل ما يصادفه في حياته من عوائق كالكوارث الطبيعية والأمراض والأزمات بكونها تجليات قوى غيبية صادرة عن إرادة إلهية، ويكون ذلك التفسير منطلقا لعبادات تتخذ دريئة للخوف ومطية لمواجهة الأزمات، وهو ما يرى فيه أحد الباحثين[272] استمرارا لمظاهر تأثير الآلهة الوثنية القديمة في المجتمع المغاربي.

خاتمة

ومما سلف تتضح استمرارية الدور الريادي في التصوف لمنطقة سجلماسة، والإشعاع الذي حققته وريثتها تافيلالت ضمن خريطة التصوف بالمغرب خلال العصرين الوسيط وبداية الحديث، حيث أنجبت هذه المنطقة عدة رجالات تميزوا بعلمهم وصلاحهم، وانخرطوا في الدفاع عن الرعية بوسائل شتى، مكرسين مبدأ التكافل والتضامن، واضطلعوا بأدوار رائدة على المستوى الديني والتربوي والاجتماعي.

لذا فقد أصبح التصوف في سجلماسة وعموم المغرب، خاصة أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث، قوة جذب اجتماعية مؤثرة، نظرا لما توفر لأقطابه وشيوخه من حضور اجتماعي ومصداقية روحية وأخلاقية.

إن فعالية أدوار المتصوفة وإشعاعهم على المستوى الروحي والاجتماعي بمنطقة تافيلالت، قد جعلت تأثيرهم، يصل إلى مناطق بعيدة بالصحراء والسودان الغربي، حيث صار الرباط هناك يلعب أدوارا جهادية ضد المستعمر، إلى جانب دوره التربوي والاجتماعي. كما أن أدوارهم الاجتماعية ودفاعهم عن الرعية، جعلهم يحضون بتقدير كبير من طرف العامة والخاصة، وهو ما أثار قلق السلطة وغضبها خلال فترات مختلفة من تاريخ المغرب، وإن كان المتصوفة والسلطة معا، كثيرا ما وفقا في تدبير العلاقة بينهما بحنكة وتوافق كبيرين.

البيبلوغرافيا:

أولا: المصادر

[269]- نفسه، ص.278. الحضيكي، ج2، ص.394.

[270]- نفسه، ص.155.

[271]- نفسه، ص.155.

[272]-Jacques Berque ;études d'histoire rurale maghrébine, éd.internationales; Tanger Fès ;1938, p.59.

- الأزموري (ابن عبد العظيم)، بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، نسخة تيط، مخطوط خاص.

- الباديسي (عبد الحق بن اسماعيل) ، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.

- التميمي(ت603هـ/604هـ)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002م.

-الحضيكي (محمد بن أحمد، ت 1189هـ/1775م)، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م،ج2.

-الحضرمي محمد ابن أبي بكر، السلسل العذب والمنهل الأحلى، مجلة المخطوطات العربية، القاهرة، ج1، المجلد 1، السنة 1964م.(ص.7-98).

- ابن الزيات التادلي(ت627هـ)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، مشورات كلة الآداب والعلوم الإنسانية، تحقيق أحمد التوفيق ط2، الرباط، 1997م.

- الفضيلي (مولاي إدريس)، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن المهدي العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1420هـ/1999م، ج1.

- ابن القاضي(ت1025هـ/1617م)، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، 1391هـ/ 1971م، ج3.

-ابن القاضي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

-ابن قنفد القسنطيني،أنس الفقير وعز الحقير، اعتن بنشره وتصحيحه محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.

- الكتاني(ت1345هـ)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني ، محمد حمزة بن علي الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2004م،ج2.

- الناصري(احمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، البيضاء، 1954م، ج2-ج3.

- (العزفي) أبو العباس، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، 1989م.

-ابن عسكر الشفشاوني(ت986هـ/1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م.

- ابن عيشون الشراط، الروض العطر الانفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1997م.

- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبعه واعتنى بمراجعته محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1336هـ/1908م.

- الوفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، صحح عباراته السيد هوداس، طبع بمدينة أنجي، 1888م.

- الوزان (الحسن) ، وصف إفريقيا، ترجمه ال الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 198م،ج2

ثانيا: المراجع بالعربية

- نورالدين أمعيط، قراءة في كرامات صلحاء تادلا من خلال كتاب التشوف لابن الزيات التادلي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، العدد14-15، السنة 2014/2013، (ص.75-90).

-الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2002م

-محمد بوكبوط، تافيلالت، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1425هـ/2004م، ج19، (ص.6559-6560).

-لحسن تاوشيخت، "تكامل المدرسة السجلماسية الصوفية مع شقيقتها السوسية"، ضمن المحاضن الأولى للعلم بالمغرب، سوس وتافيلالت السمات العلمية والصلات الثقافية، تنسيق عبد الواحد الحسيني، الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية، جامعة المولى إسماعيل، ط1، 2021م، ص.191.(ص.181-200).

-عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل، سلا، 1989م.

-محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ/14م، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1981/1980م،ج1.(مرقونة).

-محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب خلال عصر الموحدين، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، الرباط، 2001-2002م.(مرقونة).

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية

-Jacques berque ; études d'histoire rurale maghrébine, éd .internationales; tanger-fes ;1938.

essai sur les transformation - Robert Montagne ; Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc ; politique des berbères sédentaires (groupe chleuh).ed.alcan. Paris ;1930.

.- Ernest Gellner ; saints of atlas ; London;1973

المجلد الخامس/العدد الثامن عشر- دجنبر2022.
مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
ISSN 2569-734X

الموارد الترابية وإشكالية التنمية الاقتصادية بالمناطق الجبلية، حالة جهة بني ملال خنيفرة

Territorial resources and the problem of economic development in mountainous ares, the case of the Beni Mellal Khenifa region

1.يونس سيف النصر، جامعة الحسن الأول، سطات، المغرب.

الملخص:

تعاني المجالات الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة من هشاشة اقتصادية، حيث أن وضعها التنموي لم يرق بعد إلى المستوى المطلوب، وغير متساو مع المناطق السهلية والساحلية على الأقل. وتعد الهشاشة الاقتصادية دليل واضح على ضعف المجهودات التنموية المبذولة، وانعكاس مباشر عن عدم إيجاد مقاربة ملائمة لتطوير وبلورة نموذج تنموي جبلي ناجع، يسمح بإعداد الموارد الترابية ويلبي حاجيات السكان بشكل مستدام، ويضمن عيشا كريما، بالاعتماد على ما تزخر به الجبال من غنى وتنوع المؤهلات والمقومات. لتحقيق الطموحات والرهانات التنموية، عبر تجسيد التنمية الترابية ميدانيا. كما أن تدخلات الساكنة المحلية بالجبال، يتسم بنوع من العشوائية، الأمر الذي أضر بالمنظومة البيئية الجبلية.

الكلمات المفاتيح: الهشاشة الاقتصادية-التنمية الترابية-الموارد الترابية-نموذج تنموي-المقاربة التنموية

Abstract :

The mountainous areas of the Beni Mellal khenifra region suffer from economic fragility due to its lack of development, below that of coastal areas and plains. This fragility reflects a clear lack of development efforts and the absence of an appropriate approach to the development of the natural heritage of the mountain, which would allow the development of its territorial resources and meet the needs of its population in a sustainable way, while guranteeing a decent life for its indigenous people thanks to the wealth and other potential of the mountains. The achievement of development objectives and challenges can only be achieved through appropriate territorial development studied on the ground, since the hazardous interventions of the local population have harmed the mountain ecosystem.

Keywords : Economic fragility-Territorial development-Territorial resources-Development model-Development approach

تقديم عام:

تتوفر المناطق الجبلية على عدة موارد ترابية، لم تستغل بشكل ناجع في عملية التنمية الاقتصادية؛ في ظل بلورة برامج واستراتيجيات قطاعية، كرست الاستغلال الأحادي والنظرة الواحدة. فغنى التراب الجبلي، لم ينعكس على قوة وغنى وتنوع الاقتصاد الجبلي. الشيء الذي جعل شريحة مهمة من الساكنة المحلية تعاني في ظل ضعف ومحدودية الدخل الفردي، وقلة فرص الشغل. حيث أن توفير إطار ملائم للعيش والاستقرار بالمناطق الجبلية، رهين بقدرة مختلف الفاعلين على توحيد الجهود وتضافرها وتغليب المصلحة الجماعية، من أجل وضع أرضية ومناخ مناسب يشجع على بلورة مشاريع ترابية اقتصادية طموحة ومبتكرة، تنطلق من تثمين وإعداد كل المقومات والمؤهلات الترابية الجبلية، وتسخيرها للتنمية الفلاحية، الصناعية والسياحية. وجعلها مرتكزات لتطوير الاقتصاد الجبلي، ليصبح أكثر تنافسية وقدرة على خلق تنمية ترابية بهذه المجالات الجغرافية المتفردة.

1.المجال الجغرافي المدروس:

خريطة رقم 1 : الارتفاعات بجهة بني ملال خنيفرة

المصدر: الارتفاعات الرقمية

تعد جهة بني ملال خنيفرة جهة استراتيجية، وذلك بتواجدها على المحور السياحي الكبير، فاس-مكناس-الدار البيضاء، وكذلك تواجدها بقلب الأطلس الكبير والمتوسط الغنيان بمواقعهما ومشاهدهما الطبيعية. هذه الجهة تمتد على مساحة 37428 كلم^2، يشغل المجال الجبلي فيها مساحة مهمة (إقليم ازيلال، إقليم بني ملال وإقليم خنيفرة). حيث يحدها شمالا كل من جهة فاس مكناس وجهة الرباط سلا القنيطرة، وشرقا وجنوبا تحدها درعة تافيلالت، وغربا جهة الدار البيضاء سطات، وجهة مراكش آسفي؛ وتعد مدينة بني ملال عاصمتها الإدارية.

2.تتوفر الجبال بجهة بني ملال خنيفرة على موارد ترابية غنية

1.2.تتميز الجبال بغنى الموارد المائية

بحكم موقعها الجغرافي، وطبيعتها الطبوغرافية والجيولوجية وخصائصها المناخية، تتوفر المناطق الجبلية، على مؤهلات مائية مهمة، سواء على المستوى الهيدرولوجي أو الهيدروجيولوجي، وهو ما جعل هذا المجال يحتل مكانة هامة في الحوض المائي لأم الربيع.

تتألف الموارد المائية السطحية، من الأنهار المختلفة الدائمة والموسمية، والتي تدخل في إطار الأحواض الصغرى المحلية، كالحوض المائي لواد تساوت، وواد درنة وواد العبيد، وواد أم الربيع، إضافة إلى مجموعة من البحيرات الاصطناعية التي أنشأت على بعض الأنهار، كبحيرة سد بين الويدان، سد مولاي يوسف، والحسن الأول إضافة إلى بعض البحيرات الطبيعية[273].

2.2.تتنوع الموارد الغابوية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

نجد في المستوى الأعلى من الجبال بجهة بني ملال خنيفرة، هيمنة النباتات القزمية مع بعض الأشجار الي تتحمل البرودة وعلى المستوى الأوسط، ينمو الأرز والبلوط والتنوب والصنوبر والعرعر، أما في الأسفل فينمو عموما الطلح والزيتون البري والدوم[274].

تتميز الثروة الغابوية بجهة بني ملال خنيفرة بالوفرة والتنوع، وامتدادها على مساحات شاسعة تقدر ب 909490 هكتارا، موزعة على كل أقاليم الجهة. وهي تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للساكنة المحلية، بتوفيرها للخشب كمادة أولية ولمناصب الشغل وللمراعي.

يضم إقليم أزيلال النسبة الكبيرة من هذه الغابات بحوالي 41%، كما يضم إقليم خنيفرة حوالي 30% من غابات الجهة، ثم في المرتبة الثالثة يوجد إقليم بني ملال بحوالي 18%، ثم إقليم خريبكة بحوالي 10%، فإقليم الفقيه بن صالح في الأخير بحوالي 1%.

من الأنواع والأصناف التي يتشكل منها الغطاء الغابوي بالمناطق الجبلية، البلوط الأخضر، البلوط الفليني، البلوط الزان، وكذلك الأرز، العرعر، الصنوبر والعصفية وغيرها.

3.2.تزخر الجبال بجهة بني ملال خنيفرة بموارد ترابية غنية في مجال الصناعة التقليدية

تعتبر المناطق الجبلية غنية بأصناف ومنتوجات الصناعة التقليدية؛ هذه الصناعة تحمل بين طياتها تراثا غنيا، يساهم في التعريف بهوية المنطقة ويعطيها إشعاعا وطنيا، يساعد على تنمية الاقتصاد الجبلي. من خلال الاستقطاب السياحي، ومن خلال توظيفها في التجارة، الداخلية والخارجية. ورغم مؤهلات الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية، فإنها تعاني من محدودية المردودية. في ظل الوسائل والآليات التقليدية، التي تمارس بها، إضافة إلى العشوائية التي تحكمها. حيث تستدعي هذه الوضعية تعبئة الفاعلين الترابيين، من أجل توفير الظروف اللازمة، لإدماج التراث ومكونات الصناعية التقليدية بالمناطق الجبلية، في سيرورة وعملية بناء التنمية الترابية.

جدول رقم 1: مسالك وحرف الصناعة بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

[273]. منوار أحماد&أواجاي خديجة.، 2015، مشاريع التنمية المندمجة بالجبال المغربية حالة مشروع المنتزه الجيولوجي مكون، بتنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافية لإغزران أبريل 2015، حول موضوع المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزران الجبلية، الطبعة الأولى، فاس، ص 243.

[274].الشراد إبراهيم&بنعلي الكاسمي.، 2020، تدهور الغطاء النباتي بالجبال المغربية من خلال حالة أطلس مراكش وحالة أطلس أزيلال، ورد في الجهوية المتقدمة والتنمية الترابية بالمغرب، تنسيق سعيد الصغير، إصدارات مختبر البحث في التدبير الترابي والتواصل والنمذجة، الكلية المتعددة التخصصات بخريبكة، ص 148-149.

ISSN 2569-734X

	الديكور	الأثاث	اللباس والأكسسوارات	البناء
الخشب	*	*		*
النحاس		*	*	
الحياكة لبزيوية			*	
الحديد	*	*		*
الحياكة القروية	*	*		
الفخار والفسيفساء	*			
الأسلحة	*			
الزرابي	*			
الخياطة التقليدية			*	
الجبس				
القفاف	*			

المصدر: التصميم الجهوية لإعداد التراب لبني ملال خنيفرة 2019

4.2.تحظى الجبال بجهة بني ملال خنيفرة بمقومات ومشاهد سياحية مهمة

خريطة رقم 2: المقومات التراثية والمشاهد السياحية بجهة بني ملال خنيفرة

المصدر: التصميم الجهوية لإعداد التراب لبني ملال خنيفرة 2019

تتمتع المناطق الجبلية بمؤهلات غنية ومتنوعة، في المجال الطبيعي من غابات، أنهار، شلالات، أشكال جيومورفلوجية، وأشكال جيولوجية من منحوتات صخرية، وجسر إيمي نيفري، الكاتراتية الطبيعية...

تتمتع الجبال بجهة بني ملال خنيفرة بمنتجات مجالية غنية كالنباتات العطرية والطبية، يمكن أن توظف لتطوير اقتصاد التراث بالجبال. وعن طريق تعبئة إمكانات التراث الطبيعي والتاريخي والثقافي والمعماري، يمكن للسياحة الجبلية، أن تحظى باستقطاب أعداد مهمة من داخل وخارج المغرب.

تساهم عملية تعبئة الموارد التراثية في التعريف بالهوية الجبلية، التي تتجسد في التراث الذي تتمتع به الجبال، إلى جانب الدرايات المحلية والفنية المتوارثة عبر أجيال؛ التي تساهم في ترسيخ هوية المناطق الجبلية. حيث يجب الحفاظ على مختلف أشكال التعبير عن الموروث والتراث المادي وغير المادي، وتجديدها والتعريف بها ووضع أسس تساهم في استمراريتها وتثمينها بشكل ناجع؛ لجعلها إحدى اللبنات الأساسية في الاستقطاب السياحي.

3.الجبال بجهة بني ملال خنيفرة من ارتفاع نسب الفقر متعدد الأبعاد

خريطة رقم 3: توزيع معدل الفقر المتعدد الأبعاد بجهة بني ملال خنيفرة حسب الجماعات الترابية

المصدر: التصميم الجهوي لإعداد التراب لبني ملال خنيفرة المرحلة الثانية 2019

تسجل الجبال بجهة بني ملال خنيفرة نسب مرتفعة من حيث الفقر المتعدد الأبعاد؛ والذي يبين المشاكل الحقيقية التي تعيشها هذه المناطق، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي وعلى مستوى البنية التحتية. وهو مؤشر على هشاشة هذه المجالات، مقارنة مع المناطق الأخرى داخل نفس الجهة. ولم تستفد الجبال من مؤهلاتها ومواردها الترابية الظاهرة والكامنة، لتحقيق إطار مجالي يتمتع بمقومات العيش والاستقرار.

4.المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة وجدور التفاوتات المجالية

ترجع جذور التهميش، والإقصاء، والعزلة، والهشاشة الاقتصادية والاجتماعية بالمناطق الجبلية، لسنوات الحماية الفرنسية، حيث استهدف المحتل نهب خيرات المغرب الاقتصادية، وعمق بذلك من حدة الاختلالات المجالية، مقسما التراب الوطني إلى المغرب النافع والمغرب غير النافع، فأعاد بذلك منطق بلاد السيبا وبلاد المخزن، حيث تأسس التمييز، والتقسيم على معيار الأمن والخضوع، وهو ما سهل استغلال الخيرات، والثروات الاقتصادية. ونظرا للمنطق الاستغلالي للمستعمر ومقاربته الأمنية للمجالات الجغرافية، أصبحت المناطق الجبلية تعرف بالمغرب غير النافع، فطالها التهميش والاقصاء. وبعد الاستقلال حافظت على سمتها وطابعها وأصبحت تعرف بالمغرب العميق، نظرا لعمق المشاكل التي طالتها واستفحالها.

ولم تكن الظروف بعد الاستقلال سهلة من أجل تحقيق الإقلاع التنموي، والقضاء على كل التراكمات الناتجة عن التفاوتات التنموية، حيث اهتم المستعمر بمنطقة دون غيرها، واستغل كل المناطق التي تتوفر على خيرات ومؤهلات اقتصادية مهمة، كالسهول والمناطق الساحلية. مساهما في تكريس اللاتوازن، والتفاوتات بين المجالات الجبلية، والسهلية والساحلية. وهو ما جعل مسألة القضاء عليها أمرا صعبا أمام السياسات والبرامج التنموية المتعاقبة، في ظل غياب رؤية وإرادة واضحة، وعدم تبني مقاربات ناجعة.

1.4.إهتمام متأخر بالجبال مع التركيز على مواردها الترابية خدمة لأهداف وطنية

بدأ المغرب سياسة التخطيط منذ الستينات[275] وعيا بالإرث السلبي الثقيل التي راكمته المجالات الجغرافية، والذي يجب العمل على تصحيحه، وبلورة مشاريع تنموية قادرة على القضاء على مخلفات الماضي. الشيء الذي يطرح إشكالية التدبير الترابي، كمفهوم يركز اهتمامه على القدرات الخاصة للمجال على إنتاج الأنشطة الاقتصادية، والشروط المؤهلة لخلق الثروة، مع ما يقتضي ذلك من تطوير في أشكال التدبير المرتبطة بهذا المجال[276].

تبوأت الجبال في السنوات الأولى من الاستقلال مكانة ثانوية ضمن السياسات العامة، على الرغم من تأكيد المخططات الخماسية والثلاثية على الأولوية المعطاة للعالم القروي، فإن المناطق الجبلية لا تكاد تظهر في هذه التوجهات بشكل صريح[277].

بدأ الاهتمام بتنمية المناطق الجبلية بشكل متأخر، حيث بدأ سبعينيات القرن الماضي، من خلال مشروع حوض سبو، ومشروع التنمية الاقتصادية القروية للريف الغربي "ديرو[278]" DERRO. في حين بدأ الاهتمام بالأطلس الكبير الأوسط، من خلال مشروع التنمية السياحية للمناطق الجبلية، ومشروع التنمية الجماعية للأطلس الكبير الأوسط، ما بين سنتي 1990 و1993، والذي كان بمثابة مشروع تكميلي لدعم السياحة الجبلية بالأطلس الكبير الأوسط.

تعبر هذه المشاريع عن إدراك عمق التهميش، الذي طال الجبال بصفة عامة، والمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة بصفة خاصة. حيث تحتاج هذه المجالات إلى استراتيجية واضحة وفعالة، من أجل تدارك الخلل وتصحيح مسار التنمية الترابية بها. وهذا ما لم يتأت مع كل البرامج التنموية، التي كانت محدودة الأثر الاقتصادي والاجتماعي.

كما أطلق المغرب مخططات خماسية وثنائية، كان هدفها الرفع من مستوى التجهيز وتحسينه وخلق التنمية الفلاحية والصناعية. حيث اهتم وركز على الزراعة المسقية، التي تحتاج إلى موارد مائية مهمة. وقد تعاملت هذه المخططات مع المناطق الجبلية كمصدر ومزود أساسي للموارد المائية، من خلال إنشاء سدود بصفة تدريجية، لتفعيل وتنزيل المخططات، والسياسات الفلاحية. هذه منشآت سخرت من أجل خدمة السهول والمناطق المنبسطة. فكانت النتيجة إفقار الجبال وإغناء السهول، وبالتالي خلق تفاوتات وتباينات مجالية. وظلت المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، تخدم السياسات الوطنية بمواردها الترابية. ولم تخدم بالدرجة الأولى، التنمية الترابية الجبلية.

2.4.الاستثمارات العمومية والتفاوتات المجالية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

خريطة رقم 4: التوزيع الجهوي لاستثمارات المؤسسات والمقاولات العمومية (بمليون درهم)

[275].يحيا عبد الكبير.، 2010، تقسيم التراب والسياسة الجهوية: نحو اعتماد جهوية سياسية، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية،الطبعة الأولى.

[276].خلوق جمال.، 2009، التدبير الترابي بالمغرب: واقع الحال ومطلب التنمية، مكتبة الرشاد، سطات، الطبعة الأولى، ص 10-11.

[277].الناصري محمد.، 2003، الجبال المغربية: مركزيتها-هامشيتها-تنميتها، منشورات وزارة الثقافة، المملكة المغربية، مطبعة دار المناهل، الرباط، ص 211.

[278]. يحيا عبد الكبير.، 2010، مرجع سابق، ص 124.

المصدر: مشروع قانون المالية 2016، مذكرة التوزيع الجهوي للاستثمار، الاستثمار العمومي في خدمة تنمية ترابية مندمجة ومتوازنة بتصرف

تحتل جهة بني ملال خنيفرة المرتبة السادسة، في سلم الاستثمارات العمومية. حيث تستأثر المناطق الساحلية، من طنجة إلى الدار البيضاء بالنصيب الأكبر من هذه الاستثمارات. وقد أسفرت هاته العملية بشكل مباشر في تعميق الفوارق والاختلالات بين الجهات، وتكريس الهشاشة المتعددة الأبعاد التي تعرفها المناطق الجبلية. فإشكالية تمويل المشاريع، واختلافها وتباينها، يعد من بين العناصر المكرسة لضعف التنمية الترابية بهذه المجالات، وتعميق حدة الهشاشة والعزلة، وبالتالي الضرب عميقا في مبدأ سياسة إعداد التراب، التي تعد استراتيجية وطنية، هدفها الأساسي خلق نوع من التوازن بين كل المجالات، والقضاء على كل التفاوتات المجالية، التي تراكمت نتيجة قصور المشاريع السابقة.

3.4.المقاربات التنموية المتبعة ومسألة الخصوصيات الترابية للجبال

إن المغرب وأمام النماذج التنموية التي قدمها، لازال لم يصل بعد، إلى وضع سياسة تنموية خاصة بالمناطق الجبلية. حيث يتجلى أثر هذا المعطى في الوضعية التنموية للجبال بجهة بني ملال خنيفرة، التي عانت كثيرا من مظاهر القصور. فهذه المناطق تتمتع بخصوصيات، تدعو إلى إعادة النظر في طرق الإعداد والتدخلات التنموية. وأمام هذا الوضع، فالسؤال يظل دائما مطروحا، حول تأخر الشروع في اعتماد سياسة للإعداد والتدبير الترابي واضحة وفعالة بالمناطق الجبلية.

ولا ننكر في هذا الصدد إنجاز مجموعة من التدخلات بجبال جهة بني ملال خنيفرة، غير أن هذه التدخلات كانت في إطار سياسات وطنية عامة لا تستحضر الخصوصيات المحلية، بل كانت تنجز بمقاربات تقنية وقطاعية وهو ما جعل

العمل البيوزاري المندمج يتأخر كثيرا. وأصبحت المقاربات الترابية والمندمجة التي يحاول المغرب تطبيقها، تحتاج إلى تحولات وتطورات جذرية في المنظومات السائدة[279].

تستدعي المقاربة التنموية للمناطق الجبلية، تحديد مناطق التدخل، والبحث عن منظومة تحفيزية، وملائمة للاستثمار، وكذا اعتماد قواعد تسهم في رفع الإكراهات، وتثمين مؤهلات المناطق الجبلية لتحقيق جاذبيتها[280].

4.4.إشكالية إشراك الساكنة الجبلية وفعالية المشاريع التنموية

إن العنصر البشري، هو العنصر الأساسي والمحوري في كل عمليات التنمية الترابية. والمقصود بكل السياسات والبرامج. فمسألة وضع سياسة معينة تجاه الموارد الترابية، تعني في أبعادها المتعددة انعكاس هذه السياسة على المستوى المعيشي للساكنة الجبلية، على المدى القريب والمتوسط والبعيد. وبعض المقاربات التنموية التي اعتمدت منذ الاستقلال إلى الآن، لم تستطع التعامل مع الساكنة المحلية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة بالشكل المطلوب، ولم تجعل من الانسان محور مختلف العمليات والسيرورات التنموية.

وبالتالي، فلا تنمية بدون إنسان، سواء بصفته هدف أو وسيلة، فعدم الاهتمام بالعنصر البشري في السياسات والبرامج التنموية، بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، أعطى مشاريع ضعيفة الوقع، كما أن عدم استكمال هذه المشاريع وتوقف بعضها في منتصف الطريق، بعدما صرفت عليها أموال مهمة، يزيد من تكريس محدودية وضعف النتائج التنموية، وأثرها على الانسان. لهذا فمشاركة الساكنة المحلية تحقق مجموعة من الأهداف، إذ أنها تضمن تدبيرا ترابيا فعالا وفعليا، من خلال خلق نوع من الهم الجماعي في التدبير، تتشارك فيه كل من الدولة، المنتخبين، المجتمع المدني، القطاع الخاص والساكنة؛ كما تعد مشاركة الساكنة تجسيدا للديموقراطية المحلية.

خلاصة:

لا يرجع ضعف التنمية الترابية بجبال جهة بني ملال خنيفرة إلى حجم الإكراهات الطبيعية فقط؛ بل هو ناتج أيضا، عن المقاربات المعتمدة في تنمية التراب الجبلي، في ظل غياب فهم عميق للخصوصيات التاريخية، والثقافية، والطبيعية، والبشرية لهذه المجالات الجغرافية؛ حيث تم التعامل معها ككتلة متجانسة بخصوصيات اجتماعية ومجالية موحدة ومتشابهة؛ مما عمق من حدة الأزمة في الجبال. حيث أن مجمل التدخلات التنموية، التي استهدفت هذه المجالات ليست لها مرجعية ترابية واضحة.

[279].بوجروف سعيد.، 2007، الجبال المغربية: أي تهيئة؟، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في جغرافية التهيئة، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.، ص 484-485.

[280].الكتمور حسن&مزور ليلى.، 2012،التنمية القروية بالمناطق الجبلية بين المؤهلات والاكراهات، تنسيق البقصي محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزران، التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، الطبعة الأولى، ص 25.

لائحة المراجع المعتمدة باللغة العربية

❖ لائحة الكتب والمقالات:

-الحسين رشيد.، 2006، دور الثقافة المحلية في التنمية، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد مزدوج 66-67.

-الخالقي يحيى& آخرون.،2015، المشهد الثقافي المندمج وإشكالية التنمية الجبلية المحلية المستدامة حالة إقليم أزيلال، بتنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافية لإغزران، حول موضوع المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزران الجبلية، الطبعة الأولى، فاس.

-الشراد إبراهيم&بنعلي الكاسي.، 2020، تدهور الغطاء النباتي بالجبال المغربية من خلال حالة أطلس مراكش وحالة أطلس أزيلال، ورد في الجهوية المتقدمة والتنمية الترابية بالمغرب، تنسيق سعيد الصغير، إصدارات مختبر البحث في التدبير الترابي والتواصل والنمذجة، الكلية المتعددة التخصصات بخريبكة.

- الكتمور حسن&مزور ليلى.، 2012، التنمية القروية بالمناطق الجبلية بين المؤهلات والاكراهات، تنسيق البقصي محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزران، التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، الطبعة الأولى.

-الناصري محمد.، 2003، الجبال المغربية: مركزيتها-هامشيتها-تنميتها، منشورات وزارة الثقافة، المملكة المغربية، مطبعة دار المناهل، الرباط.

-الهيلوش محمد.، 2012، التنمية القروية في سياسة إعداد التراب بالمغرب، التنمية القروية بالمناطق الجبلية بين المؤهلات والاكراهات، تنسيق البقصي محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزران، التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، الطبعة الأولى.

-اليعكوبي محمد.، 2005، تأملات حول الديمقراطية المحلية بالمغرب، فنون الطباعة والإشهار، فاس، الطبعة الأولى.

-بوجروف سعيد.، 2007، الجبال المغربية: أي تهيئة؟، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في جغرافية التهيئة، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

-جنان لحسن.، 2010، العالم القروي في البحث الجغرافي، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 7، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس.

-خلاصة تركيبية لأعمال الورشات المحلية لجهة تادلة أزيلال، في: الخلاصات التركيبية للمنتديات الجهوية، وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان، مديرية إعداد التراب الوطني.

-خلوق جمال.، 2009، التدبير الترابي بالمغرب: واقع الحال ومطلب التنمية، مكتبة الرشاد، سطات، الطبعة الأولى.

-منوار أحماد&أواجاي خديجة.، 2015، مشاريع التنمية المندمجة بالجبال المغربية حالة مشروع المنتزه الجيولوجي مكون، بتنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافية لإغزران أبريل 2015، حول موضوع المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزران الجبلية، الطبعة الأولى، فاس.

-وكالة حوض أم الربيع.، 2012، مشروع المخطط التوجيهي للتهيئة المندمجة للوارد المائية لحوض أم الربيع والأحواض الساحلية الأطلسية، التقرير التقديمي.

-يحيا عبد الكبير.، 2010، تقسيم التراب والسياسة الجهوية: نحو اعتماد جهوية سياسية، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، الطبعة الأولى.

❖ لائحة المنشورات والوثائق الإدارية:

-منوغرافية جهة بني ملال خنيفرة 2015.

-مجلس جهة بني ملال خنيفرة.، 2016، برنامج التنمية الجهوية لبني ملال خنيفرة.

-مجلس جهة بني ملال خنيفرة.،2019، التصميم الجهوي لإعداد التراب لبني ملال خنيفرة.

-منوغرافية الصناعة التقليدية لجهة لبني ملال خنيفرة.، 2020.

❖ Liste des références approuvées en Français

- Aderghal Mohamed., 2005, La montagne Marocaine : les représentations d'un espace marginal, actes du 7ème colloque Maroc-allemand, Rabat.

- Adrar Mohamed., 2000, Espaces forestiers et aménagement des zones de montagne : le cas du Haut-Atlas de Marrakech, Thèse de doctorat en Géographie, Université Joseph Fourier, Grenoble, France.

-Chahid Fatima., 2005, territorialisation des politiques publiques, publications de la revue Marocaine d'administration locale et de développement, collection manuels et travaux, n°63

-Jebrati Fatima., 2004, La mobilisation territoriale des acteurs au développement local dans le Haut-Atlas de Marrakech, thèse de doctorat de Géographie, Université, Joseph Fourier, Grenoble 1, France.

التشريع البيئي بالمغرب : التطور، الحصيلة و الآفاق.

Environmental legislation in Morocco: development, outcome and prospects.

محمد ازكرار. جامعة عبد المالك السعدي، Med.azegrar@gmail.com

الملخص:

وعيا منه بأهمية البيئة و بضرورة المحافظة عليها، إنخرط المغرب بقوة في مجال حماية بيئته المحلية من خلال إهتمامه المبكر بالجانب التشريعي عبر سنه لمجموعة من القوانين التي شكلت إطارا مرجعيا في التعامل مع المجال البيئي بكل تجلياته. هذه الجهود تدل على أن موضوع البيئة لم يعد موضوعا ثانويا أو هامشيا، بل أصبح موضوعا رئيسيا فرض نفسه بقوة على المشرعين وصناع القرار بفعل التدهور الذي باتت تعرفه المنظومات البيئية جراء تأثير التغيرات المناخية و الأنشطة البشرية المختلفة.

الإشكالية المطروحة هنا هي أنه ورغم تطور الجانب التشريعي بالمغرب منذ الحصول على الإستقلال من خلال إصدار مجموعة من القوانين المختلفة، إلا أن نتائجها على الأرض تبقى جد محدودة و غير قادرة على معالجة الإشكالات البيئية الكبرى، الأمر الذي يحتم ضرورة تجويد و تحديث الترسانة القانونية الحالية حتى تكون قادرة على معالجة التحديات البئية المطروحة. وقد تم الإعتماد في دراسة هذا الموضوع على جمع و تحليل مختلف القوانين التي وضعها المغرب في الجانب البيئي ودراسة تطورها الزمني مع تسليط الضوء على حصيلتها النهائية و آفاقها المستقبلية.

الكلمات المفاتيح : التشريع البيئي – التطور – الحصيلة – الآفاق – المغرب.

Abstract:

Aware of the importance of the environment and the necessity of preserving it, Morocco has been strongly involved in the field of protecting its local environment through its early interest in the legislative aspect through its enactment of a set of laws that formed a frame of reference in dealing with the environmental field in all its manifestations. These efforts indicate that the issue of the environment is no longer a secondary or a marginal issue, but has become a major issue that has imposed itself strongly on legislators and decision-makers due to the deterioration that environmental systems are now experiencing as a result of the impact of climate changes and various human activities.

The problem raised here is despite the development of the legislative aspect in Morocco since gaining independence, through the issuance of a set of different laws, its results on the ground remain very limited and unable to address major environmental problems, which necessitates the need to improve and modernize the current legal arsenal until be able to address the environmental challenges presented. The study of this subject has been relied upon to collect and analyze the various laws that Morocco has put in the environmental aspect and study their chronological development while highlighting their final outcome and future prospects.

Keywords : environmental legislation - development - outcome - prospects - Morocco.

مقدمة :

حسب المعجم الوسيط فإن مفهوم البيئة يعني المنزل و الحال، و يقال بيئة طبيعية، وبيئة إجتماعية و بيئة سياسية (المعجم الوسيط، ص 75)، أما معجم Larousse الفرنسي فإنه يعرف كلمة "environnement" بأنها ذلك المحيط الذي تعيش فيه مختلف الكائنات الحية بشكل عام و تهم مختلف العناصر الطبيعية و البيولوجية و الصناعية و غيرها. وعلى هذا الأساس فالبيئة هي ذلك الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويضم مجموعة من الظواهر الطبيعية والبشرية التي ترتبط فيما بينها في إطار علاقات تأثير و تأثر.

و اعتبارا لأهمية البيئة باعتبارها فضاء لعيش مختلف الكائنات الحية، قام المغرب بمجموعة من الجهود الرامية إلى المحافظة على هذا الوسط وصيانته من كل أشكال التدهور و الضياع بهدف بلوغ التنمية المستدامة، وفي هذا الإطار تمت مأسسة موضوع البيئة ضمن قطاع حكومي خاص و مستقل، كما تم سن مجموعة من القوانين و التشريعات في مجالات مختلفة ومتنوعة على اعتبار الحقوق البيئية التي تعتبر في الواقع من الجيل الثالث لحقوق الإنسان (آسية اشنيفخ، 2021، ص 133)، كما أن هذه القوانين تشكل الإطار المرجعي للتعامل السليم والمسؤول مع البيئة باعتبارها إطارا للحياة و العيش في وقت تتزايد فيه التحديات و الإكراهات المرتبطة بتزايد عدد السكان و النمو الإقتصادي المطرد.

على غرار الجانب التشريعي عرف الجانب المؤسساتي تطورا ملحوظا أفضى إلى وجود تمثيلية لقطاع البيئة في شكل إدارات عمومية رسمية ، مما يدل على الإهتمام المتزايد بقطاع البيئة لدى صناع القرار و بحجم الإكراهات البيئية التي باتت مطروحة في الوقت الراهن.

1-تطور التشريع البيئي بالمغرب.

ورث المغرب عن الحماية الفرنسية مجموعة من القوانين المتعلقة بالموارد الغابوية وحماية التنوع البيولوجي، ومنها ظهير 1917 المتعلق بحفظ الغابات و استغلالها و ظهير 1922 الذي يهم الصيد وتربية الأحياء المائية في المياه البرية ثم ظهير 1925 الخاص بوقاية غابات شجر الأركان و بتحديدها، إضافة إلى ظهير 1930 الذي ينص على المحافظة على نباتات الحلفاء و استغلالها، ثم ظهير 1950 الخاص بإنشاء المجلس الأعلى للصيد. وبعد الإستقلال أصدر المغرب ظهير 1976 المتعلق بتنظيم مساهمة السكان في الإقتصاد الغابوي، وقد تمت مراجعة جل هذه القوانين حتى تصبح صالحة و مواكبة للتطورات و لمستجدات العصر.

شكل عقد السبعينات من القرن الماضي منعطفا نوعيا في التعاطي الفعلي للدول و المنظمات مع قضايا البيئة جراء تنامي الأخطار المحدقة بها بسبب الأنشطة البشرية المضرة بعناصر البيئة و بالنظم الإيكولوجية حيث ترتب عن ذلك عقد مؤتمرات و استصدار إعلانات وتوقيع اتفاقيات ورفع توصيات وتقارير من أجل لفت عناية المنتظم الدولي و المجتمعات الإنسانية إلى العناية بالبيئة و التخفيف من الإضرار بها عبر مراعاة البرامج و السياسات الإقتصادية للبعد البيئي و تعزيز الإطار المؤسساتي و القانوني الكفيل بحماية البيئة و فرض إحترام حرمتها و النهوض بها وتجريم الأنشطة المضرة بها (محمد نبو، 2021، ص 44). ومن القوانين الأولى التي سنها المغرب في هذا الإطار إصدار ظهير 1973 حول تنظيم الصيد البحري بالمياه المغربية، ثم قانون الماء 10-95 الذي صدر في 16 غشت 1995، باعتبار الماء موردا طبيعيا أساسيا للحياة ومادة ضرورية يرتكز عليها الجزء الأكبر من الأنشطة الإقتصادية للإنسان.

تضمن هذا القانون (قانون الماء) 13 بابا و 123 مادة تهم مختلف الجوانب المتعلقة بالتعامل مع هذا المورد الحيوي سواء تعلق الأمر بالمحافظة على الملك العمومي المائي أو تخطيط و تهيئة الأحواض المائية أو شروط استعمال المياه أو محاربة التلوث و الفيضانات أو غيرها، رغم بعض النقائص التي تخللت هذا القانون وخاصة عدم

تطرقه لبعض المواضيع الأساسية كموضوع تحلية مياه البحر أو إعادة استعمال المياه المستعملة، لذلك جاء القانون رقم 36.15 الذي تم اعتماده سنة 2016 لتعزيز الجانب التشريعي المرتبط بالماء و محاولة تجاوز النقائص التي ميزت قانون الماء 10-95.

كما قام المغرب سنة 2002 بسن قانون 01-08 المتعلق باستغلال المقالع ويهم هذا القانون طريقة تسليم و تجديد رخص الإستغلال،مراقبة الإستغلال و ضرورة القيام بأشغال التهيئة بعد الإنتهاء من الإستغلال، ثم العقوبات المستحقة في حالة عدم الإلتزام بالقواعد و الضوابط القانونية. هذا القانون سيتم تعديله بقانون جديد هو القانون رقم 13-27 الصادر سنة 2015 و الذي يحمل العديد من المستجدات إعتبارا للأهمية الإقتصادية و الإجتماعية التي تكتسيها هذه المشاريع.

و في سنة 2003 تم إصدار ثلاثة قوانين مهمة لها علاقة مباشرة بالبيئة، و يتعلق الأمر بالقانون 03-11 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة و القانون 03-12 المتعلق بدراسات التأثير على البيئة ثم القانون 03-13 المتعلق بمحاربة تلوث الهواء، وقد شكلت هذه القوانين في واقع الأمر المرجع الرئيس و المنطلق الحقيقي للتشريعات البيئية اللاحقة بالمغرب.

و في سنة 2006، صدر القانون رقم 28.00 المتعلق بتدبير النفايات و التخلص منها، ويهم هذا القانون كل الأمور المرتبطة بتدبير مختلف أنواع النفايات المنزلية و الصناعية و الطبية و الصيدلية و معالجتها ونقلها عبر الحدود، و معايير إنشاء المطارح المراقبة وغيرها، وبالرغم من أهمية هذا القانون إلا أنه لم يفلح في احتواء مشكل النفايات الذي لازال يقض مضجع العديد من الحواضر بفعل تغير أنماط الإستهلاك الأسر و تزايد عدد السكان، ناهيك عن قلة الموارد المالية الضرورية لدى الجماعات الترابية وعجزها عن تدبير هذا القطاع بشكل فعال، مما جعل بعضها (الجماعات) تلجأ إلى نمط التدبير المفوض و الإستنجاد بالقطاع الخاص في محاولة منها لاحتواء هذه الإشكالية الصعبة و المعقدة.

في سنة 2010، صدرت العديد من القوانين المتعلقة بالبيئة، ويتعلق الأمر بالقانون 09-13 المتعلق بالطاقات المتجددة والقانون 10-22 المتعلق باستعمال الأكياس و اللفيفات من البلاستيك القابل للتحلل أو القابل للتحلل بيولوجيا، ثم القانون رقم 07-22 المتعلق بالمناطق المحمية. تكتسي هذه القوانين أهميتها من كونها تهم قطاعات أساسية و حيوية كقطاع الطاقة الذي وضع المغرب لأجله إستراتيجية طاقية واضحة المعالم سنة 2009 مكنته من تحقيق منافع إقتصادية وإجتماعية و بيئية هامة (تقرير المجلس الإقتصادي و الإجتماعي و البيئي، 2020، ص 7)، بالإضافة إلى قطاع النظافة الذي تعزز بسن قانون خاص باستعمال الأكياس البلاستيكية لما تشكله هذه الأكياس من خطورة و ضرر على البيئة.

خلال سنة 2015، صادقت الحكومة على القانون رقم 12-81 المتعلق بالساحل و الذي يهدف إلى المحافظة على توازن الأنظمة البيئية الساحلية و حماية الموروث الطبيعي و الثقافي و المواقع التاريخية و الأركيولوجية و الإيكولوجية و المناظر الطبيعية، بالإضافة إلى تهيئته و استصلاحه وحمايته من التلوث وتشجيع سياسة البحث العلمي والابتكار، مع تحديد العقوبات المناسبة لكل المخالفات التي من شأنها أن تؤدي إلى تدهور الساحل و الإضرار به. وفي سنة 2019 صدر مرسوم خاص بالنظام الوطني لجرد انبعاثات الغازات الدفيئة بهدف جمع و معالجة المعطيات المتعلقة بأنشطة القطاعات التي تقذف الغازات الدفيئة، مع العلم أن معظم التوقعات تشير إلى ارتفاع إنبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون إلى حوالي 160000 طن بحلول سنة 2040 (تقرير وزارة الطاقة و المعادن و الماء و

البيئة، 2016، ص 99)، و غازي الميثان و الآزوت على التوالي إلى ما يناهز 40000 و 65000 طن خلال نفس الفترة الزمنية.

كما تبنى المغرب مشروع القانون الخاص بالحماية البيئية للتربة و القانون الإطار رقم 12-99 المتعلق بميثاق البيئة والتنمية المستدامة الذي كان الهدف منه في المقام الأول هو حماية الموارد و الأوساط الطبيعية من كل أشكال التلوث، مع إدراج التنمية المستدامة في كل السياسات العمومية القطاعية . ولتنفيذ تدابير الحماية البيئية، قام المغرب بإصدار المرسوم رقم 2.14.782 المتعلق بتنظيم و بكيفيات سير الشرطة البيئية التي من مهامها الأساسية مراقبة و تفتيش و معاينة المخالفات و تحرير المحاضر بشأنها.

فضلا عن كل القوانين السابقة، وقع المغرب مجموعة من الإتفاقيات الدولية المختلفة سواء تعلق الأمر بحماية الوسط البحري أو النفايات و المواد الكيميائية أو حماية النبات و الحيوان أو بحماية المناخ، وهكذا تمت المصادقة على اتفاقية فيينا لحماية طبقة الأزون منذ 1985 و التي دخلت حيز التنفيذ سنة 1988، و بروطوكول مونتريال بشأن المواد المستنفذة لطبقة الأزون.

كما وقع المغرب سنة 1992 على إتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ وعلى بروطوكول كيوطو سنة 1997، وتواصلت إلتزامات المغرب تجاه البيئة باحتضانه لمؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي سنة 2016 بمراكش و الذي عبر بشكل واضح و صريح عن انخراطه الكامل في خدمة قضايا البيئة و التنمية المستدامة.

2-الحصيلة التشريعية في مجال البيئة :

من خلال قراءة مختلف القوانين البيئية و دراستها يتضح بشكل جلي مدى تقدمها و قدرتها على معالجة مختلف الإشكالات البيئية الملحة، وهكذا نجد أن مشكل النفايات مثلا قد عولج قانونا من خلال صدور القانون 00-28 المتعلق بتدبير النفايات، و نفس الأمر ينطبق على تلوث الهواء أو المحافظة على الموارد المائية أو الغابوية التي تم تخصيصها بنصوص قانونية واضحة. بالتالي يمكن القول أن حصيلة التشريع البيئي بالمغرب كانت في المجمل إيجابية و مشرفة رغم الملاحظات و النقائص التي يمكن تسجيلها.

هذا التقييم الأولي للحصيلة التشريعية في مجال البيئة لا يخفي حجم التحديات و الإكراهات التي تواجه الوسط البيئي بالمغرب، ذلك أن النص القانوني بالرغم من أهميته فإنه يبقى قاصرا وغير قادر لوحده على معالجة المشاكل البيئة على كثرتها و تعقيدها، بل إن الأمر يحتاج إلى إستراتيجية شاملة و متكاملة تأخذ بعين الإعتبار كل الجوانب القانونية والتحسيسية و الثقافية و التربوية والتقنية و المالية و غيرها. لذلك فإن تدهور البيئة يكلف المغرب الشيء الكثير، وهكذا بلغ حجم التكلفة المالية حوالي 32.5 مليار درهم سنة 2014، أي ما يناهز 3.52% من الناتج الداخلي الخام (تقرير البنك الدولي، 2017).

جدول رقم 1 : تكلفة التدهور البيئي بالمغرب لسنة 2014.

	الحدود الدنيا	الحدود القصوى	القيمة المتوسطة	القيمة المتوسطة
	بالمليار درهم			الناتج الداخلي الخام %
الماء	11.1	12.2	11.7	1.26
الهواء	6.3	13.1	9.7	1.05
التربة	4.6	5.3	5	0.54
النفايات	3.7	3.7	3.7	0.4
الساحل	2.5	2.5	2.5	0.27
الغابات	0.0	0.0	0.0	0.0
ثمن تدهور البيئة بالنسبة للمغرب	28.3	36.8	32.5	3.52
إنبعاث الكربون	4.6	25.4	15	1.62
ثمن تدهور البيئة بشكل عام	4.6	25.4	15	1.62

المصدر : البنك الدولي، تقرير حول كلفة تدهور البيئة بالمغرب، ص 19.

يتضح من الجدول أعلاه، أن تكلفة تدهور البيئة بالمغرب لازالت مرتفعة بالرغم من الترسانة القانونية المهمة التي تم سنها في عدد من المجالات، و هذا يدل على أن القوانين لوحدها لا تكفي لحل الإشكالات البيئية المختلفة على الرغم من أهمية القانون في زجر المخالفات وردعها و المحافظة على الوسط البيئي، بل لابد من إجراءات أخرى مصاحبة.

تهم هذه الخسائر مجالات بيئية مختلفة كالماء الذي تراجع بشكل حاد و غير مسبوق سواء تعلق الأمر بالموارد المائية السطحية أو الباطنية وذلك بفعل توالي سنوات الجفاف، إضافة إلى مشكل التلوث الذي يتهددها، هذا فضلا عن الإستهلاك المفرط و غياب الإقتصاد في الإستعمال، وهكذا إنتقلت حصة الفرد من الماء من 2215 م^3 سنة 1962 إلى 805 م^3 سنة 2018 (إحصاءات البنك الدولي، 2018) ، كما عرفت الموارد الغابوية تدهورا كبيرا بفعل انتشار عمليات القطع العشوائي و الرعي الجائر، ناهيك عن مشكل اندلاع الحرائق الذي أصبح أكثر ترددا في السنوات الأخيرة و الذي ساهم في القضاء على آلاف الهكتارات من الغابات بكل من جبال الريف و الأطلس. هذه المشاكل و غيرها تزداد حدتها تفاقما واستفحالا مع تزايد حجم الساكنة المغربية التي لازالت تعرف نموا ملحوظا حتى الآن.

جدول رقم 2 : النمو الديموغرافي لساكنة المغرب ما بين 1982 و 2050 (بالمليون نسمة).

السنة	1982	1994	2004	2014	2050
مجموع عدد السكان	20419555	26073717	29891708	33848242	43561789

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط، 2022.

تزايد نسبة تلوث الهواء بشكل كبير يرجع بالأساس إلى تزايد عدد السكان و تغير أنماط الإستهلاك و ضعف الموارد المالية والتقنية لدى عدد من المجالس الجماعية التي باتت غير قادرة على تدبير مشكل النظافة بمجالاتها الترابية، ينضاف إلى ذلك مشكل التطهير السائل الذي لازالت تشكو منه مجموعة من المدن المغربية الأمر الذي يساهم في الإضرار بالوسط البيئي و خاصة تلويث الفرشة المائية الباطنية. كما أن انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون كلف الدولة في المتوسط ما يناهز 15 مليار درهم، أي حوالي 1.62% من الناتج الداخلي الخام وذلك بفعل تزايد الأنشطة الصناعية الملوثة والمنتجة لهذه الغازات الخطيرة.

3-آفاق التشريع البيئي بالمغرب.

رغم أهمية التشريعات التي سنها المغرب في مجال البيئة و التي ساهمت إلى حد كبير في حماية الأوساط الطبيعية بمختلف أنواعها إلا أنها تحتاج في كثير من الأحيان إلى تحيين و مراجعة و في أحيان أخرى إلى تنزيل فعلي على أرض الواقع كما هو الشأن بالنسبة لقانون الماء مثلا أو قانون تلوث الهواء أو القانون المتعلق بالطاقات المتجددة أو قانون تدبير النفايات بمختلف أنواعها المنزلية و الطبية و الفلاحية أوغيرها ، و هي قوانين لازالت معظم بنودها عالقة دون تطبيق. ذلك أن جل القوانين الخاصة بالبيئة و على الرغم مما تحويه من نصوص جيدة و مهمة إلا أن قسما كبيرا منها لا يطبق، أو بالأحرى غير قابلة للتطبيق، مما يجعلها نصوصا جوفاء بدون أثر إيجابي أو فاعلية ملموسة على الأرض.

كما أن المغرب لا زال يفتقر إلى تشريعات كثيرة في الجانب البيئي و خاصة فيما يتعلق بالمخاطر الطبيعية (كقانون الفيضانات مثلا أو قانون الحرائق)، و كذا قانون التنوع البيولوجي (كقانون الصيد بمختلف أنواعه أو قانون الرعي)، أو ما يهم حماية الموارد الطبيعية الموجودة فوق سطح الأرض أو بداخلها (كقانون حماية إستغلال المعادن و كل الموارد الباطنية الأخرى)، بالإضافة إلى القوانين الخاصة بالمجالات البيئية المختلفة كقانون الواحات باعتبارها مكونا مجاليا وبيئيا أساسيا للمنظومة الترابية الوطنية (مديرية إعداد التراب الوطني، 2006، ص 3)، ثم القانون الخاص بالجبل بالنظر إلى ما تتعرض له المناطق الجبلية من إستغلال مفرط لمواردها الطبيعية، و القانون المتعلق بالبيئة البحرية لما تعانيه هذه البيئة من مخاطر و إكراهات جمة.

كما يحتاج المغرب إلى قانون لتدبير النفايات السائلة و طرق معالجتها و إعادة استعمالها، إضافة إلى قانون لمكافحة التصحر الذي بات ظاهرة مستفحلة بفعل تغيرات المناخ و هيمنة الجفاف، إضافة إلى قوانين أخرى تهم العناية بالمساحات الخضراء وحمايتها و العناية بها و مكافحة الضوضاء بمختلف أنواعها.

و المغرب مقبل على جيل جديد من القوانين التي تهم إستغلال الهيدروجين الأخضر باعتبار الدولة المغربية واحدة من الدول القلائل في العالم التي تتوفر على إمكانات هائلة لإنتاج و تصدير الهيدروجين و الجزيئات الخضراء. من أبرز إستعمالات الهيدروجين الأخضر، إنتاج الأمونياك الخضراء المستخدمة كمادة خام لصناعة الأسمدة بغية تعويض الواردات و تصدير الميثانول وأنواع الوقود الإصطناعي الأخرى و خفض الكربون من قطاعات النقل البحري و البري عبر استخدام الهيدروجين الأخضر و النقل الحضري و الحرارة الصناعية (تقرير المجلس الإقتصادي و الإجتماعي و البيئي ، 2021، ص 59). كما يحتاج المغرب لقانون خاص بانبعاث الغازات الدفيئة و التقليص منها لما لها من إنعكاسات سلبية على مظاهر التنمية المستدامة في كل المجالات البيئية و العمرانية و الإجتماعية و الإقتصادية.

لذلك فإن آفاق التشريع البيئي بالمغرب تبقى واعدة و مفتوحة أمام تشريعات جديدة مختلفة و متنوعة تأخذ بعين الإعتبار الحفاظ على المجال البيئي الوطني و حمايته من كل المخاطر و التهديدات، و بالتالي يبقى إغناء التشريع

البيئي بقوانين جديدة أمرا ضروريا ومهما في وقت يتزايد فيه الضغط على الوسط البيئي و تتعرض فيه الموارد الطبيعية لتدهور كبير.

4-النتائج و التوصيات :

أ-النتائج :

- يعتبر موضوع البيئة من المواضيع التي أصبحت تفرض نفسها بقوة ليس فقط على الصعيد الدولي بل حتى على المستوى الوطني بالنظر إلى الإكراهات التي أصبح يفرضها تدهور البيئة على الوسط المعيشي للسكان و على التنمية المستدامة بشكل عام.
- عرف التشريع البيئي بالمغرب تطورا مهما أسفر عن وجود ترسانة مهمة من القوانين التي تنظم كيفية التعامل مع الوسط البيئي. هذه التشريعات تظل غير كافية للإحاطة بكل القضايا البيئية ، ليبقى الجانب التشريعي المغربي منفتحا على قوانين و تشريعات جديدة.
- من خلال القوانين التي تم سنها في مجال البيئة يتضح مدى الوعي البيئي المبكر الذي تشكل لدى المغرب على مستوى الحفاظ على بيئته المحلية و حماية موارده الطبيعية من كل أشكال التدهور.
- رغم كثرة التشريعات التي تم إصدارها في المجال البيئي إلا أن تأثيرها يبقى حتى الآن محدودا لكون معظمها لم تطبق على أرض الواقع أو أنها غير قابلة للتطبيق.
- القوانين البيئية التي وضعها المغرب على كثرتها و تنوعها لم تساهم بشكل بناء في حماية الموارد الطبيعية كالماء والغطاء الغابوي أو معالجة الإشكالات البيئية الملحة كالنفايات بمختلف أنواعها.
- لازالت مجموعة من المجالات البيئية و الموارد الطبيعية تفتقر إلى قوانين و تشريعات واضحة مما يجعلها عرضة لكل المخاطر و التهديدات.

ب-التوصيات :

- الحرص على التنزيل السليم و الأمثل لمختلف القوانين و التشريعات البيئية بهدف المحافظة على الوسط البيئي و حماية الموارد الطبيعية و ضمان استدامتها.
- إعادة النظر في مجموعة من القوانين البيئية عن طريق مراجعتها و تحيينها حتى تصبح قادرة على معالجة الإشكالات البيئية المطروحة.
- إغناء الجانب التشريعي البيئي بجيل جديد من القوانين تشمل كل الأوساط الطبيعية و المنظومات البيئية المختلفة بهدف حمايتها وصيانتها من كل أشكال التدهور.
- جعل قانون البيئة فرعا أساسيا من فروع القانون، يدرس كتخصص مستقل و قائم بذاته في مختلف كليات الحقوق على الصعيد الوطني.
- تقوية و توسيع مهام الشرطة البيئية التي نص عليها المرسوم رقم 2.14.782 الصادر سنة 2015 و تزويدها بكل وسائل العمل حتى تلعب دورها على الوجه الأمثل.
- إنشاء قضاء خاص بالبيئة مهمته النظر في مختلف المخالفات و الجرائم البيئية و إصدار الأحكام بشأنها.

- إدماج البعد البيئي في مختلف السياسيات العمومية، مع تأسيس أقسام و مصالح خاصة بالبيئة في كل الإدارات العمومية و الجماعات الترابية.
- بذل كل الجهود الممكنة لتجنب حالة الطوارئ البيئية التي يتجه إليها المغرب بالنظر إلى تغيرات المناخ و هيمنة الجفاف و التراجع الحاد في الموارد المائية.

خاتمة :

قام المغرب بمجهودات جبارة و مقدرة في مجال التشريع البيئي من خلال سنه لمجموعة من القوانين التي كان الهدف منها في المقام الأول هو حماية البيئة و الحفاظ على الموارد الطبيعية الوطنية. ورغم كثرتها و تنوعها إلا أن معظم هذه القوانين و التشريعات تبقى عبارة عن نصوص جوفاء غير مطبقة أو بالأحرى غير قابلة للتطلبيق مما يجعلها عديمة الجدوى والفعالية.

وبالنظر إلى التغيرات المناخية التي يعرفها العالم و التي يعتبر المغرب جزءا منها ، فضلا عن تزايد وثيرة النمو الديموغرافي وارتفاع عدد السكان، ناهيك عن تغير أنماط الإستهلاك لدى معظم الأسر المغربية، فإن التحدي البيئي يبقى من أبرز التحديات الكبرى المفروضة على المجال المغربي، و بالتالي تبقى مواجهة هذا التحدي الخطير مرهونة بالدرجة الأولى بمدى تقوية الإطار القانوني و التشريعي الخاص بالبيئة وتعزيزها بقوانين جديدة قابلة للتطبيق يكون الهدف منها أولا و أخيرا حماية الأوساط البيئية و الموارد الطبيعية من كل أشكال التدهور و الضياع و ضمان استدامتها و توازنها.

البيبليوغرافيا :

-آسية اشنيفخ، 2021، الحماية القضائية للبيئة بالمغرب : أية فعالية؟ مجلة قانونك، العدد 9 ، ص 132-145.
-إحصاءات البنك الدولي، 2018.
-البنك الدولي،2017، تقرير حول كلفة تدهور البيئة بالمغرب، 124 ص.
-المعجم الوسيط، 2004، الطبعة 4، 1097 ص.
-المجلس الإقتصادي و الإجتماعي و البيئي، التقرير السنوي 2020، 158 ص.
-المجلس الإقتصادي و الإجتماعي و البيئي ، التقرير السنوي، 2021، 171 ص.
-المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان و السكنى لسنوات 1982، 1994، 2004، 2014 وتوقعات 2050.
-الوزارة المنتدبة لدى وزارة الطاقة و المعادن و الماء و البيئة المكلفة بالبيئة، 2016، تقرير التواصل الوطني الثالث لاتفاقية الإطار للأمم المتحدة حول التغيرات المناخية، 286 ص.
-محمد نبو، 2021، دسترة البيئة : دراسة مقارنة بين المغرب و تونس، مركز جيل البحث العلمي، مجلة جيل الأبحاث القانونية المعمقة، العدد 49، ص 43-69.
-وزارة إعداد التراب الوطني و الماء و البيئة، 2006، المشروع الوطني لإنقاذ و إعداد الواحات، 33 ص.
-وزارة العدل و الحريات، مديرية التشريع، 2014، القانون الإطار رقم 99.12 بمثابة ميثاق وطني للبيئة و التنمية المستدامة، 35 مادة.

الأراضي السلالية ومسألة التنمية الترابية بإقليم سيدي سليمان

Dynastic lands and the issue of territorial development in the province of Sidi Slimane

عرشان أحمو، باحث، دكتوراه في الجغرافيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل . القنيطرة.
Archanedarouhamou@gmail.com

الملخص: تتسم الأراضي الجماعية، بأهمية بالغة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية؛ إذ تغطي مساحات شاسعة من التراب الوطني. خلال السنوات الاخيرة كثر الحديث عن هذا النظام العقاري لما أصبح يطرحه من إكراهات ورهانات تنموية متنوعة وعديدة. وعلى هذا الاساس جاء اقتراحنا لمعالجة هذا الموضوع على مستوى إقليم سيدي سليمان قصد ملامسة مسألة التنمية الترابية في مجال يعرف تحولات اجتماعية ومجالية سريعة؛ في أفق المساهمة في بناء مشروع ترابي مستدام.

الكلمات المفاتيح: الاراضي الجماعية، الجماعات السلالية، سيدي سليمان، التنمية الترابية، منطقة الغرب.

Abstract : Communal lands are of great economic and social importance. It covers vast areas of the national territory. During the recent years, there has been much talk about this real estate system, due to the various and many development constraints and bets it has become. On this basis, our proposal came to address this issue at the level of the Sidi Slimane region, in order to touch the issue of territorial development in a field that knows rapid social and spatial transformations. In the horizon of contributing to the construction of a sustainable soil project

Key Words : Collective lands, dynasty groups, Sidi Slimane, territorial development, Gharb region.

مقدمة:

يلعب العقار دورا ومحركا أساسيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد. وتتميز الأراضي الجماعية، كنوع ونظام متميز بالمغرب بأهمية بالغة[281] من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمجالية، ومن حيث الرهانات المرتبطة بها؛ فهي تحتل مساحات شاسعة من المجال المغربي (حوالي 15 مليون هكتار). وتعيش بها منذ القدم جماعات سلالية لها وزن مهم من البنية الديمغرافية القروية، وتلعب دورا متميزا في التوازن الاجتماعي والترابي. إذ تلعب أراضي الجموع دورا مهما في التنمية بالمغرب سواء في المجال الاجتماعي أوالاقتصادي؛ وتستغل هذه العقارات أساسا لإنجاز مشاريع تنموية،(استغلال المقالع والمعادن، الفلاحة، السكن والبنيات التحتية والمشاريع الكبرى المهيكلة للدولة (مناطق صناعية، موانئ، السكك الحديدية، الطرق السيارة، مخطط المغرب الأخضر، الاستغلال الغابوي والنباتات العطرية، والاستغلال لأغراض تجارية وصناعية وسياحية).

281- الأراضي الجماعية أو السلالية، أو أراضي الجموع هي:أراضي ترجع ملكيتها على الشياع إلى جماعات سلالية، وأفرادها يعتبرون ذوي الحقوق، لهم حق الانتفاع بحصصهم غير المفرزة حسب الأعراف والعادات والتقاليد.

اقتراحنا لدراسة موضوع "الأراضي السلالية ومسألة التنمية الترابية بإقليم سيدي سليمان"[282]، ينبني على الممارسة اليومية وملامسة المقاربات الاستراتيجية في ميدان التنمية المستدامة؛ في أفق تنمية القدرات والمؤهلات المحلية؛ وفهم عميق للعقار الجماعي، والتحولات الاجتماعية والمجالية بإقليم سيدي سليمان؛ بغية اقتراح حلول ومشاريع تنموية مستدامة.

مفاهيم عامة حول الجماعات السلالية والأراضي الجماعية:

أثارت الأراضي الجماعية، وما تزال تثير اهتمام فئات واسعة من الساكنة الجماعية والفاعلين السياسيين والمنظمات غير الحكومية، نظرا لأهميتها المجالية والاقتصادية، من جهة، وتعقد تركيبها وبنيتها البشرية والثقافية والتاريخية من جهة أخرى.

وفي إطار التحولات التي تعرفها الأراضي نتيجة الضغط البشري المتزايد والحاجة إلى تعبئة أكبر للعقار الجماعي لتنفيذ المشاريع والبرامج المسطرة من طرف مختلف القطاعات الحكومية، أصبحت، بين الفينة والأخرى تتعالى عدة أصوات محلية وجهوية ووطنية؛ تطالب بإعادة النظر في منظومة الأرض الجماعية ككل، سواء من حيث الاستغلال أوالتدبير.

أملاك الجماعات السلالية، أو أراضي الجموع، أو أراضي الجماعات الأصلية[283]، أو الأملاك الجماعية، أو الأراضي العرشية، هي "تلك الأراضي التي تمتلكها بصفة جماعية مجموعات من السكان المنتمين لأصل واحد أو سلالة واحدة"[284].تخصص منفعتها لهذه المجموعات، للتصرف فيها بالحرث أو الرعي أوالكراء، للغير بواسطة مندوبها تحت وصاية وزارة الداخلية، تبعا للأعراف وعادات القبائل الموجودة بها[285].فطابع الاستغلال الجماعي وبشكل متساوي لمثل هذه العقارات من قبل أفراد هذه المجموعات البشرية، هو ما يضفي عليها، ويميزها بالطابع "الجماعي". فالأراضي الجماعية هي الأراضي المشتركة ملكيتها بين أفراد الجماعة السلالية. ويوزع حق الانتفاع من الأراضي الجماعية بين ذوي الحقوق من طرف نواب الجماعات طبقا للأعراف والعادات وتعليمات الوصاية (الفصل الأول من ظهير 27 ابريل 1919). فهذه الأراضي الجماعية غير قابلة للتقادم ولا للتفويت ولا للحجز(مع الاستثناء بخصوص التفويت لصالح الدولة، والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية والجماعات السلالية) (الفصل الرابع من ظهير 27 ابريل 1919). أما الجماعات السلالية فتعرف كقبائل أو فصائل القبائل أو دواوير أو كل مجموعات سلالية. وتتمتع الجماعات السلالية بالشخصية المعنوية.

جدول رقم 1: توزيع الاراضي الجماعية حسب طبيعة الاستغلال

نوع الاستغلالية	المسحة بالهكتار
المساحة الإجمالية بالهكتار	15.000.000
الأراضي الجماعية الحضرية وشبه الحضرية	300.000
الأراضي الحضرية المشمولة بوثائق التعمير	30.000
الأراضي الفلاحية	2.000.000
الأراضي الفلاحية داخل دوائر الري	350.000

282- مداخلة علمية في إطار الندوة الوطنية:"إقليم سيدي سليمان: المجال والمجتمع والتاريخ"، أيام 2-3-4 ماي 2018، بسيدي سليمان؛ كما قمنا بتحيين بعض المعطيات بناء على المستجدات القانونية التي عرفتها المنظومة التشريعية للأراضي الجماعية خلال سنتي2019و2020.

283- الفقرة الثانية من ظهير 1919، المعدل والمتمم بتاريخ 6 فبراير 1963.

284- دليل الأراضي الجماعية، مديرية الشؤون القروية، وزارة الداخلية. بدون تاريخ اصدار.

285- دليل الأراضي الجماعية، مرجع سابق. ص4؛ بدون تاريخ اصدار.

الأراضي الجماعية الغابوية	100.000
الأراضي الجماعية الغابوية	12.600.00

المصدر: مديرية الشؤون القروية2014.

معطيات حول الأراضي الجماعية (اقليم سيدي سليمان نموذجا)

يعتبر النظام العقاري الجماعي من أهم الانظمة العقارية الموجودة بالمغرب، نظرا للمساحة التي تغطيها الأراضي الجماعية. تشكل الأراضي الجماعية، مجالات مفتوحة للنشاط الفلاحي والرعوي ورصيدا عقاريا لتوطين الانشطة الاقتصادية والاجتماعية بالمجالات الحضرية وشبه الحضرية. وتعتبر مجالا لاستقطاب الاستثمار وتوفير الشغل لفائدة ذوي الحقوق وإدماج الجماعات السلالية في مسلسل التنمية.

يعتبر إقليم سيد سليمان من الاقاليم المغربية الحديثة النشأة. حيث تم إنشاؤه سنة 2009. وينتمي حاليا لجهة الرباط سلا القنيطرة. ويبعد عن العاصمة الرباط بحوالي100كلم.

يبلغ عدد السكان الاجمالي للإقليم حوالي320.407 نسمة حسب إحصاء سنة 2014، أي ما يناهز 60.922 أسرة. أما الكثافة السكانية فتبلغ 200 نسمة في الكيلومتر مربع وهو معدل مرتفع بحوالي 5 مرات مقارنة مع المعدل المسجل على الصعيد الوطني (40 نسمة في الكيلومتر المربع).

المصدر: التقسيم الاداري (الباحث بتصرف)

وتقدر مساحة الاقليم حوالي 160.000 هكتارا. وتحدد شمالا بإقليم سيدي قاسم والقنيطرة. وشرقا بإقليم سيدي قاسم ومكناس. وجنوبا بإقليم مكناس والخميسات وغربا بإقليم القنيطرة.

يتميز إقليم سيدي سليمان بالمناخ المتوسطي الرطب شتاءا والجاف صيفا.

48.1 في المائة من مساحة الاقليم صالحة للفلاحة (76970هـ)، وتبقى 51.9 في المائة غير فلاحية. وتتميز التربة بالإقليم بتنوعها حيث تتكون من الدهس (19470هـ، الترس (33830هـ)، الرمل (9600هـ، الفرشاش (9800هـ)، الحمري(6900هـ).

وتمث عدد الاستغلاليات الفلاحية الصغيرة أقل من هكتار، النسبة الغالبة بالإقليم (90 في المائة)، بمساحة تقدر بـ47.389هكتارا. وهو عامل يعيق تطور الفلاحية وتحديثها.

جدول رقم 2: توزيع الاستغلاليات الفلاحية حسب المساحة

	أقل من 5هكتارات		ما بين5و20هكتار		أكثر من 20هكتار	
	المساحة بالهكتار	%	المساحة بالهكتار	%	المساحة بالهكتار	%
مساحة الاستغلاليات	47.389	61.5	20010	26	9571	12.5
عدد الاستغلاليات	22.345	90	2156	8.7	249	1.3

المصدر: مونغرافية عمالة إقليم سيدي سليمان

تعبئة العقار الجماعي في إطار مخطط المغرب الاخضر:

تتزايد حاجيات تعبئة العقار الجماعي لتنفيذ المشاريع الاقتصادية والاجتماعية العمومية والخاصة، وتنامي ظاهرة الإحتجاج ومطالبة فئات جديدة من ذوي الحقوق المتمثلة في الشباب والنساء، والمتعلقة باستغلال هذه الأراضي. مما يطرح معه رهان الحفاظ على هذه الأراضي، وحماية ذوي الحقوق وإدماجها في إطار التنمية الاقتصادية والاجتماعية. إذ تشكل الأراضي الجماعية رصيدا عقاريا استراتيجيا في مسلسل التنمية البشرية والاقتصادية، لما تتوفر عليه من مساحة شاسعة وأهمية سكانية وازنة. كما تتجلى أهمية الأراضي الجماعية، في كونها تمثل ما يناهز 40 % من مجموعة الأنظمة العقارية بالمغرب، متبوعة بالملك الغابوي 29 % ثم الملك الخاص 26 % والباقي موزع بين أراضي الدولة العمومية والخاصة وأراضي الأحباس.

ونود أن نشير، أنه سنتي2016و2020، عرفت هذه الفترة مخاضا بالأراضي الجماعية ومسلسل تدبيرها؛ والذي بدأ انطلاقا من الحوار الوطني حول الأراضي الجماعية سنة2014 والذي شمل خمس(5) ملتقيات جهوية. كما شهدت نهاية سنة 2015انعقاد المناظرة الوطنية في موضوع "السياسة العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية"؛ وبالخطاب الملكي السامي الذي ألقاه جلالته أمام البرلمان شهر أكتوبر 2018، حيث دعى من خلاله جلالته إلى تمليك الأراضي الجماعية البورية لفائدة مستغليها وتعبئة ما يفوق مليوني هكتار لفائدة الخواص بالعالم القروي. في إطار تفعيل الاتفاقية المبرمة بين وزارة الداخلية ووزارة الفلاحة والصيد البحري، تتم تعبئة العقار التابع للجماعات السلالية من أجل المساهمة في إنجاز مشاريع فلاحية تدخل ضمن مخطط المغرب الاخضر؛ كما هو مبين بالجدول التالي:

جدول رقم 3: توزيع المشاريع الاستثمارية المنجزة فوق العقارات الجماعية

	الجماعة السلالية	**المساحة بالهكتار**	**مبلغ الكراء بالدرهم/هكتار/السنة**	**مبلغ الاستثمار**
الأراضي	أولاد حنون	700	3000	150.000.000
	الدواغر للايطو	416	6000	
	بني ثور العبابدة	40	4000	7.795.000

المعبئة	أولادعبد الله	193		
	بني ثور العبابدة	4000	5000	90.000.000
	اولادحميد، الخنافشة، أولاد بنحمادي	489	3000	104.000.000
المجموع		2238		351.795.000
الاراضي المقترحة	أولاد حنون	267		
	أولا احميد	458		
	بني ثور العبابدة	691		
	أولاد حنون	337		
المجموع		1753		
المجموع العام		3991		351.795.000

المصدر: مونغرافية عمالة إقليم سيدي سليمان

❖ أهمية القطاع الغابوي

يتوفر إقليم سيدي سليمان على مؤهلات طبيعية متنوعة، ساهمت في تشكيل غطاء غابوي يتميز بشساعة مساحة وتنوع تشكيلاته النباتية، حيث تبلغ مساحة المجال الغابوي بالإقليم حوالي 54455 هكتار وهو ما يمثل 29 في المائة من المساحة الاجمالية للاقليم. ويتكون هذا المجال أساسا من غابات طبيعية (البلوط الفليني) وأخرى اصطناعية (الاكلبتوس والصنوبر...).

جدول رقم 4: توزيع القطاع الغابوي بإقليم سيدي سليمان حسب طبيعة العقار

المجال الغابوي الخاص بالجماعات السلالية		المجال الغابوي الخاص بالدولة	
المجموع بالهكتار	النسبة%	المجموع بالهكتار	النسبة%
18.568	34	35.887	66

المصدر: برنامج عمل إقليم سيدي سليمان 2016

يدفع ضعف وصغر المساحة الساكنة القروية المحلية، إلى استغلال المجال الغابوي، خاصة بالجماعات الترابية دار بالعامري، الصفافهة، عامر السفلية، وسيدي يحيى الغرب... حيث أن هذه الجماعات تتوفر على غطاء غابوي مهم في ملكية الجماعات السلالية، والذي تستغله في الرعي. كما تستفيد من العائدات المالية الناجمة عن بيع الخشب، والذي يتم في إطار الشراكة، التي تجمع بين الجماعات السلالية المالكة للعقار، ومصالح المياه والغابات؛ والتي تقوم بتشجير هذه الأراضي ورعايتها والحفاظ عليها؛ إلى حين بيع منتوج الخشب في إطار إتفاق مسبق مع الجماعة السلالية المالكة للعقار، ووفق شروط مضبوطة.

غير أن المجال الغابوي، أصبح خلال السنوات الأخيرة، يعرف ضغطا كبيرا، من قبل ساكنة الجماعات المجاورة؛ مما يهدد وبشكل كبير الغطاء النباتي الغابوي. أضف إلى ذلك أن الجماعات السلالية المالكة لهذه الغابات، والمغروسة، أساسا بشجر الاوكالبتوس، أصبحت ترغب في استبدالها بأنشطة زراعية ومغروسات أخرى. حيث أصبحت مساحات القطاع الغابوي بجل الأراضي الجماعية تتراجع، ويتم الزحف الفلاحي، الزراعي، على المجال الغابوي. مما يهدد معه المنظومة البيئية لهذه المجالات.

صورة رقم1 : اجتثات الغطاء الغابوي واستبداله بالزراعات العصرية (اقليم سيدي سليمان)

المصدر: (العمل الميداني 2018)

فبالرجوع الى القرن الماضي، سنجد أن هذه المجالات الغابوية، كانت تتميز بمورفولوجية وخصائص ترابية معينة (تربة رملية نافذة وفقيرة وغير صالحة للزراعة)[286]. ونظرا لتعرضها المستمر للتعرية الريحية أساسا؛ فقد فكر المعمر الفرنسي في غراسة هذا الشريط الجنوبي، لسهل الغرب وبالساحل الغربي لسهل الغرب، لحمايته من التعرية الريحية، والحد من زحف الرمال نحو السهل. وأنشأ بالمقابل مصنع صناعة الورق سليلوزسنة1952[287]؛ والذي كان يستعمل خشب الاوكالبتوس في صناعة عجين الورق. غير أن هذا المصنع تم إغلاقه سنة2013؛ مما أصبحت معه هذه الالاف من الهكتارت المغروسة بهذا النوع من الأشجار، مهددة بالتراجع في ظل ضعف الإقبال عليها، باستثناء بعض المهن التي تتطلب هذا النوع من الخشب، كالبناء وبعض الزراعات. وهكذا فإن إغلاق هذا المصنع كان وسيكون له أثر كبير على مردودية وغراسة الاوكالبتوس، خاصة بالجماعات المحاذية للمصنع؛ والتي كانت تستفيد من هذه الثروة الغابوية الهامة. إذ تراجع الإقبال على خشب الاوكالبتوس؛ مما جعل هذه الجماعات المالكة للعقار الجماعي، تفكر في اقتلاع هذه النوع من الأشجار وتعويضها بمغروسات جديدة، تتلائم مع خصوصيات هذه التربة. غير أن هذا النوع من المزروعات والمغروسات سيهدد لا محالة هذه المنظومة البيئية؛ والتي تتسم بالهشاشة وضعف الفرشة المائية وضعف خصوبة التربة. مما سيؤدي إلى تدميرها بالكامل مستقبلا.

ويطرح هنا السؤال التالي: ما هو مستقبل الفلاحة (الزراعة على الخصوص) بمثل هذه المجالات الهشة؟، وما مدى احترامها للمنظومة البيئية المحلية؟، في ظل التغيرات المناخية التي تعرفها الأرض خلال الحقب الأخيرة، والتهديدات المرتبطة بها مستقبلا.

فالنظم الغابوية، التي تعتبر مكونا أساسيا للموارد الطبيعية، تخضع للظروف المناخية لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، والتي تتميزأساسا بندرة المياه وانقطاع التساقطات لفترة طويلة من السنة، مما يحد من نمو الأشجار الغابوي. وبالفعل، فإن تظافر عاملي الجفاف، الذي يهدد أكثر من 90% من التراب الوطني، والاستغلال المفرط للموارد، يؤديان إلى هشاشة النظم الغابوية[288]. ونتيجة لذلك، فإن ظاهرة التصحر تهدد بدرجات متفاوتة، 95% من الأراضي الغابوية[289].

---

[286] -LE COZ,J.:1964,p328.

[287] -LE COZ,J.:1964,p461.

[288]- خلال إنجاز برنامج عمل الجماعة بالجماعة الترابية دار بلعامري تمت الإشارة إلى عدد المتابعات القضائية في حق الشباب دوار النعاسة عين الشقف النعاسة بسبب المخالفات الغابوية (برنامج العمل 2017،ص41)

[289]- برنامج العمل المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر 2012-2016.ص.3.

دور مؤسسة النائب في تدبير شؤون الجماعة السلالية على ضوء المقتضيات القانونية:

رغم أن المشرع قد أناط بالجماعات السلالية، مجموعة من المهام تهم المحافظة على الأملاك الجماعية وتدبيرها، إلا أنه من الناحية العملية، لا يمكن لهذه الجماعات أن تقوم بالدور الذي تضطلع به، دون أن يكون لها نواب ينوبون عنها، في الإشراف على عمليات التصفية القانونية، أوفي الموافقة على عمليات الكراء أوالتفويت، أوالشراكة وغيرها من المعاملات. كما أن المشاكل التي تقع بين ذوي الحقوق، يستعصي إيجاد الحلول لها، في غياب جمعية المندوبين أوجماعة النواب[290].

فأعضاء **الجماعة النيابية أونواب الجماعة**، يعينون من طرف ذوي الحقوق للجماعة السلالية ليمثلوهم ويقوموا مقامهم، وينوبوا عنهم، في تدبير الممتلكات الجماعية، تحت مراقبة الوصي.وفي ما يخص تحديد شروط اختيار نائب الجماعة السلالية[291] وفق الدليل المشار إليه أعلاه، فجاءت على الشكل التالي:

- ✓ أن يكون منتسبا للجماعة السلالية؛
- ✓ أن يكون مسجلا بلائحة ذوي الحقوق بالجماعة السلالية؛
- ✓ أن يكون مقيما بصفة مستمرة بالجماعة السلالية؛
- ✓ أن يكون مشهودا له بالقدرة البدنية والفكرية؛
- ✓ أن يكون مشهودا له بالأخلاق الحميدة وبالشرف والنزاهة والاستقامة؛
- ✓ أن لا يكون أميا ويحسن القراءة والكتابة باللغة العربية؛
- ✓ أن يكون ملما بممتلكات الجماعة السلالية وبأعرافها وتقاليدها؛
- ✓ أن لا يقل سنه على 30 و لا يتجاوز70 سنة؛
- ✓ أن يكون منعدم السوابق العدلية وغير محكوم عليه من أجل جرائم عمدية؛
- ✓ أن لا تكون له منازعات قضائية مع أعضاء الجماعة السلالية حول الممتلكات الجماعية وتدبيرها.

وتتجلى الإختصاصات الموكولة لجمعية المندوبين انطلاقا من مجموعة القوانين والضوابط الصادرة بشأن الأراضي الجماعية، بما فيها دليل النائب الصادر سنة2008[292]. والذي يبرز الإختصاصات الموكولة إلى نائب الجماعة السلالية أولجمعية المندوبين، كما يتضمن بعض المقتضيات التي تخص هذه الهيئة وهي على الشكل التالي:

- ✓ تمثيل الجماعة السلالية أمام المحاكم وفي الإجراءات القانونية أو الإدارية التي تهم الجماعة،
- ✓ المشاركة في اجتماعات مجلس الوصاية المركزي والإقليمي؛
- ✓ تنفيذ قرارات مجلس الوصاية أوجمعية المندوبين. كما يمكنها أن تطلب تدخل السلطة التي تتوفر على القوة العمومية؛
- ✓ إعداد لوائح أعضاء الجماعة السلالية؛
- ✓ توزيع الانتفاع على أعضاء الجماعة؛
- ✓ البث في النزاعات القائمة بين ذوي الحقوق حول الانتفاع بممتلكات الجماعة؛

---

[290]- يطلق على هذه الهيأة عدة تسميات، بحيث أنها وردت بالفصلين الثاني والرابع من ظهير 27 أبريل 1919 تحت اسم جمعية المندوبين. وبدورية وزير الداخلية رقم 809 بتاريخ 13 أبريل 1963 تحت اسم مجلس نواب الجماعات الأصلية، وفي وثيقة أخرى وردت تحت إسم الجماعة النيابية.كما يطلق عليها إسم جماعة النواب؛ ويطلق عليها كذلك إسم المجلس النيابي، وهي تسميات تؤدي كلها نفس المعنى.

291- إلى غاية سنة 2018 كان عدد الجماعات السلالية يبلغ حوالي 4971 جماعة سلالية وبمجموع 6682 نائب سلالي.(حسب تقرير أنشطة مديرية الشؤون القروية برسم سنة2018)

292- دليل النائب، إصدار مديرية الشؤون القروية، وزارة الداخلية،2008.مطبعة بني ازناسن.32صفحة.

- ✓ إقامة الدعاوى أمام القضاء قصد المحافظة على مصلحة الجماعة السلالية بعد إذن الوصاية؛
- ✓ تتبع عمليات التصفية القانونية للعقارات الجماعية؛
- ✓ المحافظة على الأراضي الجماعية المخصصة للرعي، والعمل على تنميتها، طبقا للمخططات الوطنية التي يتم إعدادها في هذا الشأن من طرف الجهات المختصة...

وضعية الجماعات السلالية و تدبير النزاعات

تتسم الأراضي الجماعية بتعدد النزاعات، وتنوعها بين ذوي الحقوق؛ وأيضا بين ذوي الحقوق والأغيار، أو بين الجماعات السلالية، فيما بينها وأحيانا بين الجماعات السلالية، وبعض المؤسسات العمومية كالمياه والغابات وأملاك الدولة حول أحقية ملكية عقار ما[293].

ويمكن إجمال أهم سمات النزاعات بالأراضي الجماعية على الشكل التالي:

- تتمثل في النزاعات بين الجماعات السلالية: وتهم النزاعات العقارية (الاستحقاق، الحدود، الاستغلال...)؛
- المساحة المعنية بهذه النزاعات هي 1.2 مليون هكتارا، وهي المساحة التي يتم استغلالها بشكل مكثف من قبل ذوي الحقوق في الزراعة على الخصوص؛
- تزايد أعداد الملفات النزاعية المعروضة على مجلس الوصاية؛
- غلبة المنازعات العقارية المتعلقة بإستحقاق ملكية العقار؛
- تزايد المنازعات الإدارية والمالية المتعلقة باسترداد الديون أو فسخ عقود الإيجار؛
- وتيرة معالجة هذه النزاعات تتسم بالبطء مما يزيد في تعقيد وضعية الأراضي المعنية؛
- هذه النزاعات لها تأثير سلبي على التصفية القانونية للأراضي المفترضة جماعية؛
- بعض هذه النزاعات تتسم بالحدة (احتجاجات، ومسيرات وتظاهرات للسكان...).

بالمجال المدروس هذه المشاكل لا يتم حلها. بحيث فقط 7.3% من المشاكل العقارية، هي التي يتم حلها بالتراضي، بين ذوي الحقوق أو بين الجماعة وذوي الحقوق مقابل 72.1% التي تطرح نفسها، بدون حل، وتحال على السلطة المحلية أو القضاء أومجلس الوصاية[294]. مما يعرض المتنازعين من ذوي الحقوق خاصة، لنوع من النزاع المستمر لسنوات عدة، تحول دون استغلال العقار واستثماره. إذ يساهم تعدد النزاعات العقارية سواء بين ذوي الحقوق أو بين الجماعات السلالية فيما بينها أو بينها وبين الأغيار تحد من فعالية برامج التصفية القانونية والاستثمار الافضل للعقار الجماعي وجعله رافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

الأراضي الجماعية رافعة للتنمية الترابية :

يلعب العقار دورا حيويا في تحقيق التنمية المستدامة، في شتى تجلياتها، باعتباره الأرضية الأساسية؛ التي تنبني عليها السياسات العمومية للدولة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والقافية والبيئية. وذلك من خلال توفير الوعاء العقاري اللازم، لإنجاز البنيات التحتية الأساسية والمرافق العمومية، وتوفير السكن المتنوع، الذي يستجيب لحاجيات مختلف الفئات الاجتماعية والمرافق العمومية. فضلا عن دعم الاستثمار في مختلف المجالات الفلاحية والصناعية والسياحية والخدمات وغيرها.

---

[293]- في تصريح للحنكاري عبد المجيد، العامل مدير الشؤون القروية، في حوار مع جريدة الاخبار يوم 15 أكتوبر2019:"...في الوقت الذي كانت الإدارة أكثر شجاعة في تناول القضايا العقارية، مثلا بعض المشرعين وقفوا وقفة صامدة للدفاع عن فئة من الأشخاص يستغلون أراضي الجموع بدون سند قانوني، والإدارة جاءت باقتراحات شجاعة، وقلنا يجب ترتيب الجزاءات، لا بالنسبة إلى الذين سهلوا لهم الولوج إلى العقار بدون سند قانوني، ولا بالنسبة إلى المستغلين، ولا بالنسبة إلى الذين ساهموا في صناعة وثائق غير قانونية أو تزوير...".

[294]- البحث الميداني المنجزة سنة 2018 بمنطقة الغرب ومنها إقليم سيدي سليمان (الجماعة الترابية دار بلعامري).

فالنظام العقاري بالمغرب عرف مجموعة من التطورات التشريعية عبر الزمن، إذ صدرت خلال القرن العشرين سلسلة من القوانين أبرزها الظهير الشريف المؤرخ في 27 ابيرل1919 المتعلق بتدبير الأراضي الجماعية، وما تلاه من قوانين ومراسيم ودوريات، سار في إتجاه تحديث هذه الترسانة القانونية، وجعلها مسايرة للتطورات اللاحقة التي عرفتها بلادنا.

العقار الجماعي دعامة اساسية للتنمية الترابية:

فعلى الرغم من كون العقار الجماعي يساهم في التنمية الترابية من خلال :

* تثمين هذا الرصيد في إطار مشاريع استثمارية وتنموية تعود بالنفع على الاقتصاد الوطني وكذا على الجماعات السلالية ؛
* إنجاز مشاريع تنموية لفائدة الجماعات السلالية في إطار تشاركي مع باقي الفرقاء المعنيين بالتنمية البشرية؛
* ادماج ومساهمة العقار الجماعي في إطار البرامج القطاعية والمندمجة التي تهم التدخلات الحكومية في العالم القروي؛

فإن وضعية العقار الجماعي تعوق الفلاح الغرباوي، من الولوج إلى التمويلات المالية بشكل كبير. وبالتالي ضعف التمويلات المادية اللازمة، لأي تطوير، للاستغلالية الفلاحية. وهو ما يجعلنا نلاحظ، بالمجال المدروس (إقليم سيدي سليمان)، نوعا من التذبذب والبطء في التحول الذي يهم الحيازة. يضاف إلى ذلك الظروف المناخية (عدم انتظام التساقطات) وعوامل أخرى كالتسويق وغيرها...، والتي تساهم في تقليص هامش الربح وانخفاض المداخيل لدى الفلاح الغرباوي.

إذ من أهم خصائص مناخ المغرب ظاهرة عدم الانتظام البيسنوي للتساقطات كما وكيفا. فالتساقطات تتسم بالتركز الشديد في عدد قليل من الساعات والأيام، بحيث تخضع البلاد لفترات طويلة من الطقس الجاف والصحو. واعتبارا لذلك يتسم التطور الزمني للتساقطات بالتغيير الشديد، إذ تتوالي سنوات مطيرة وأخرى جافة مع الغلبة عدديا لهذه الأخيرة. وهوما يزكي استمرار الوضع المتأزم للفلاح الغرباوي؛ خاص بالجماعة المدروسة دار بلعامري. حيث يمكن ملاحظة ضعف وهشاشة الموارد الطبيعية، وهزالة المداخيل الناتجة، عن القطاع الفلاحي، بفعل مجهرية الحيازة وتعدد ذوي الحقوق، على نفس الحيازة، مما يعطي مداخيل سنوية جد هزيلة. وهو ما يدفعنا إلى الاعتقاد بشكل كبير[295]، أن العقار يحول دون خلق الثروة، ويحد من وثيرة التنمية.

فمنطقة الغرب، التي ينتمي إليها إقليم سيدي سليمان، كمجال للبحث، تقع في المراتب الأولى من حيث نسبة الفقر، ونسبة الأمية بنسبة73% حسب إحصاء 1994 و61% حسب إحصاء 2004 كما أن نسبة البطالة تفوق المعدل الوطني(10.4% مقارنة مع 90.8% على الصعيد الوطني[296])، 60% من الساكنة بدون تكوين علمي، 60% تشتغل بالقطاع الأول (الفلاحة، الغابة والصيد)، نسبة الفقر تحتل فيها منطقة الغرب الرتبة الأولى على الصعيد الوطني (20.5% من الساكنة الغرباوي دون عتبة الفقر مقارنة مع 14.2% على الصعيد الوطني)[297].

[295]- من نتائج البحث الميداني الذي أجرينا خلال سنة 2018 و2019 بإقليم سيدي سليمان في إطار تهيئنا لأطروحة الدكتوراه حول: "الأراضي الجماعية وآفاق التنمية بمنطقة الغرب".

[296]- المندوبية السامية للتخطيط ، "البحث الوطني حول الشغل ". 2007.

[297]- المندوبية السامية للتخطيط،"خريطة الفقر". 2004.

شكل رقم1 : عراقيل الاستثمار بالعقار الجماعي

المصدر: البحث الميداني 2018

فحسب تصريحات أرباب الأسر بالمجال الدروس (البحث الميداني) فإن هناك عدة إكراهات وعراقيل تحول دون الاستثمار الجيد للعقار الجماعي؛ وبالتالي الحد من مردوديته وإنتاجيته وتتمثل في:

- غياب أي دعم للاستثمار بالعقار الجماعي؛
- غياب الضمانات العقارية بالأراضي الجماعية، والتي يمكنها تمكين الفلاح من الحصول على الدعم والتمويل المالي؛
- غياب وعدم توفر الفلاح على وثائق للعقار الذي يستغله، مما يحد من قيمته ويحول دون تثمينه.

التصفية القانونية للعقارات الجماعية

- **التصفية القانونية لعقارات الجماعية السلالية:**

تمثل أراضي الجموع رصيدا عقاريا ذا أهمية بالغة على المستوى الوطني؛ وذلك نظرا للمساحة التي يشغلها من جهة، وعدد السكان الذين يعيشون عليها من جهة ثانية.

ونظرا لأهمية هذا الرصيد العقاري وضرورة الحفاظ عليه، مما يستلزم معه إعطاء الأولوية لتحفيظه أو تحديده، لأن التصفية القانونية للأراضي الجماعية، هي آلية أساسية للحماية وللحفاظ على ممتلكات الجماعة السلالية من الضياع والترامي؛ من خلال:

- تكثيف برامج التصفية القانونية للعقارات الجماعات السلالية وكذا المحافظة والدفاع على حقوق هذه الجماعات[298].
- مساندة ودعم الجماعات السلالية فيما يخص النزاعات والمنازعات؛
- تحديد العقارات الجماعية طبقا لمقتضيات الظهير الشريف الصادر في 12 من رجب 1342 موافق 18 فبراير 1924 المتعلق بسن نظام خاص للتحديد[299]،
- تسريع وثيرة التحفيظ بمتابعة ومسايرة عمليات التحديد بالنسبة لمطالب تحفيظ العقارات الجماعية أو المجاورة لها(طبقا لمقتضيات الظهير الشريف المؤرخ في 12 غشت 1913 المتعلق بالتحفيظ العقاري)[300]؛

[298]- الدورية الوزارية تحت عدد 2729 بتاريخ 7 غشت 2007 التي تهم إجراءات عمليات التحديد وإشراك نواب الجماعات المعنية.

[299]- الظهير الشريف المؤرخ في 12 من رجب 1342 هـ (18 فبراير 1924) المتعلق بسن نظام قانون خاص بتحديد الأراضي الجماعية.

[300]- الظهير الشريف المؤرخ في 9 من رمضان 1331 هـ (12 غشت 1913) المتعلق بالتحفيظ العقاري.

- دعم الجهود المبذولة على الصعيد الإقليمي في مجال الحفاظ على الأراضي الجماعية من الترامي وفض النزاعات بين الجماعات السلالية أو بين هذه الجماعات والأغيار، مع العمل على تحفيظ العقارات المفترض أنها جماعية.

جدول رقم 5:مشاريع التنمية بالإقليم

مشاريع الجماعات السلالية	المشاريع المهيكلة بالإقليم	تمليك اراضي الجماعية
• بناء خمس حجرات دراسية بشراكة مع الجماعة القروية لعامر الشمالية، ووزارة التربية الوطنية ومديرية الشؤون القروية بوزارة الداخلية. • بناء خزانين للمياه الصالحة للشرب سعة الاول 16 متر مكعب بدوار أولاد بورحلة وسعة الثاني 100 متر مكعب بدوار الحفاري. • حفر ثقب مائي لتزويد تسع (9) دواوير لهذه الجماعة بالماء الصالح للشرب. • بناء مركز تقني خاص بالثقب المائي. • وضع برنامج لمجموعة من المشاريع سيتم إنجازها لصالح الجماعات السلالية العبابدة، أولاد حنون، الدواخر للا يطو في الفترة الممتدة ما بين 2015-2017.	• في إطار مساهمتها بالنهوض بالبنية التحتية لإقليم سيدي سليمان تم تفويت العديد من الأراضي الجماعية من أجل إنجاز مشاريع كبرى بالإقليم. • تم تفويت أرض جماعية تابعة للجماعة السلالية أولاد حنون لانجاز مشروع قطب تنمية الاقتصاد الاجتماعي والرياضة والترفيه على مساحة 30 هكتار. • تم تفويت أرض جماعية تابعة للجماعة السلالية أولاد حميد لانجاز مشروع محطة المياه العادمة على مساحة40هكتار. • تم تفويت ثلاث قطع أرضية جماعية تابعة للجماعة السلالية الرحاونة في إطار برنامج "مدن بدون صفيح"، لاعادة هيكلة دوار الرحاونة ودوار الشانطي وبناء تجزئة الوحدة.	• تم تمليك أراضي جماعية لست جماعات سلالية بإنجاز سبع تجزئات مساحتها 978 هكتارا (تجزئة الحاكمين1و2، تجزئة العروسيين، تجزئة الملاقيط، تجزئة اولاد طال، تجزئة التوأمة، تجزئة أولاد جلول، تجزئة اولاد قدور). • تم برمجة تمليك أراضي جماعية خاصة بثلاث جماعات سلالية احجاوة الخلايف والسنة (في طور التمليك). • دراسة إمكانية توسيع الدائرة السقوية لتشمل الأراضي التابعة لقيادات الصفافعة، القصيبة وعامر الشمالية مما سيترتب عنه إمكانية تمليك الأراضي الجماعية الواقعة داخل النفوذ الترابي للقيادات المذكورة ومنحها لذوي الحقوق.

المصدر: مونغرافية عمالة إقليم سيدي سليمان

تمليك الأراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر الري

❑ **تمليك أراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر الري :**

شهدت الأراضي الواقعة داخل المدارات المسقية تطورا أساسيا تمثل في صدور قانون رقم 1-69-30 بتاريخ 25 يوليو 1969[301]؛ والذي أقر بتحويل الملكية الجماعية، إلى ملكية فردية.

[301]- ظهير رقم 1.69.30 بتاريخ 10 جمادى الأولى 1389 (25 يوليوز1969) يتعلق بالأراضي الجماعية الواقعة في دوائر الري.

إذ جاءت هذه الإجراءات في إطار التنمية الفلاحية، عبر منح تشجيعات ودعم للفلاحين، بمختلف أشكال الدعم، والمتمثل في بناء تجهيزات أساسية، ووضع رهن إشارة الفلاحين مختلف أشكال الدعم، وتطوير البحث العلمي بالقطاع الفلاحي. كما هو الشأن بالنسبة لمنطقة الغرب (تهيئة القطاع السقوي، تجهيز اللاستغلاليات...).

جدول رقم 6:توزيع الأراضي الجماعية الخاضعة لظهير 1969 حسب دوائرالري، عبر التراب الوطني

الدوائر السقوية	مجموع المساحة	%
الحوز	113 379,00	33,62
سوس ماسة	56 287,00	16,69
اللكوس	19 376,00	5,75
تادلة	8 831,00	2,62
سبو الأوسط	1 790,00	0,53
تافراطا	20 180,00	5,98
الغرب	117 394,00	34,81
المجموع	337 237,00	100

المصدر: تقرير أنشطة مديرية الشؤون القروية برسم سنة2018

وتتلخص أهداف ظهير 25 يوليو 1969، في تحقيق وضمان الاستقرار الضروري للاستغلاليات والمستغلين من ذوي الحقوق، وتوفير شروط إنجاز الاستثمار، لتثمين وتنمية هذه الأراضي.

كانت طموحات الدولة المغربية خلال سنة 1969 هي تجربة عملية التمليك في أفق توسيعها إلى القطاع البوري مستقبلا. غير أن هذه التجربة لم يكتب لها النجاح. لتبقى هذه القطاعات تتخبط في مشاكل وإكراهات عديدة إلى حدود أواخر سنة 2015. إذ جاءت التعليمات الملكية ب"المناظرة الوطنية حول السياسة العقارية"، حيث تم تبني مسطرة التحفيظ المجاني مع الإسراع في عملية التمليك.

ويتضح من خلال المعطيات المتوفرة لدى المصالح المعنية، أن عملية تسوية الوضعية القانونية للأراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر السقي؛ بما في ذلك منطقة الغرب، لم تبلغ النتائج المنتظرة وذلك للاعتبارات التالية[302]:

- ✓ نشر لوائح ذوي الحقوق بالجريدة الرسمية لم يهم سوى 56% من عدد الجماعات السلالية المحصية والبالغ عددها 566.
- ✓ لم تهم عملية إنجاز التجزئة الفلاحية سوى 107 عقارا جماعيا بمساحة تناهز 47000 هكتارا، أي 30% فقط من مجموع الأراضي الجماعية، المحصية، والصالحة للتجزئة والمقدرة مساحتها ب 150.000 هكتارا.
- ✓ همت عملية التحفيظ الفردي تأسيس 35 رسما عقاريا، باسم ذوي الحقوق المستفيدين من حصص، في التجزئات المحدثة.

302- Ministère de l'Agriculture et de la Pêche Maritime : « Bilan d'application du dahir n°1-69-30 du 25 juillet 1969 relatif aux terres collectives situées dans les périmètres d'irrigation ».janvier2009.

ورغم كل المجهودات المبذولة من طرف المصالح المعنية، فلقد واجهت تطبيق هذا الظهير، عدة صعوبات وإكراهات تمثلت بالأساس في ثلاث مستويات: عقارية وبشرية وإدارية.

فبمنطقة الغرب، بما في ذلك إقليم سيدي سليمان، كمجال بحثنا، عملية إنجاز لوائح ذوي الحقوق انطلقت سنة 1970، وعمليات إنجاز التجزئة بدأت سنة 1990، غير أن هذا المسلسل لم يتمكن من منح ذوي الحقوق المستفيدين برسوماتهم العقارية. كما تجدر الإشارة إلى أنه وبمنطقة الغرب فإن مشروع التمليك يروم حوالي 46.000 هكتارا كما هو مبين بالجدول التالي:

جدول رقم 7:الأراضي الجماعية المعنية بالتمليك (مشروع تمويل برنامج تحدي الالفية)

العمالات	الجماعات	المساحة بالهكتار	المساحة المسقية	المساحة البورية	مشروع السقي في طور الدراسة	عدد ذوي الحقوق
سيدي قاسم	تكنة	5851	0	5851	لا	1187
	الشبانات	8046	408	7638	لا	1976
	زيرارة	14319	0	14319	لا	3118
سيدي سليمان	ارسم	1933	1418	515	-	782
	منطقة6	16400	0	16400	نعم	غير محدد
المجموع		45951	1826	44125		

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب 2016.

غير أن مسلسل التمليك بالقطاع السقوي، سيعرف تحولا عميقا؛ بعد حدث المناظرة الوطنية في موضوع "السياسة العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، المنعقدة بالصخيرات يومي 8 و9 دجنبر2015. حيث دعا جلالة الملك محمد السادس، نصره الله، من خلال الرسالة الموجهة إلى المشاركين في أشغال هذه المناظرة إلى الإسراع في عملية تمليك هذه الأراضي لفائدة ذوي الحقوق، حيث قال جلالته:"... **وفي هذا الصدد ندعو الى تظافر الجهود من أجل إنجاح عملية تمليك الأراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر الري لفائدة ذوي الحقوق مع مجانية التمليك...**»[303].

وهكذا ستعرف هذه الأراضي الواقعة داخل دوائر الري منحا جديدا، تمثل في إصدار مرسوم يقضي بإعفاء الأراضي الجماعية الواقعة بدوائر الري، من الوجيبات المتعلق بالتحفيظ العقاري[304]. كما عرفت هذه الأراضي دعما ماليا وتقنيا دوليا، من خلال برنامج "تحدي الالفية". وتهم هذه العملية المدارات السقوية لجهة الغرب بحوالي 51.000 هكتارا من الأراضي الجماعية بأقاليم القنيطرة وسيدي سليمان وسيدي قاسم لفائدة حوالي 25.000 من ذوي الحقوق.

[303]- مقتطف من الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركين في المناظرة الوطنية في موضوع "السياسة العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، المنعقدة بالصخيرات يومي 8 و9 دجنبر2015.

[304]- الجريدة الرسمية عدد 6462 بتاريخ 5 ماي 2016:المرسوم رقم 2.16.135 الصادر في 12 رجب 1437 (20ابريل2016)الصادر بتاريخ 27 رجب الموافق لـ5ماي 2016.

خريطة توزيع الاراضي الجماعية بمنطقة الغرب

المصدر: الباحث 2018

ويسعى هذا البرنامج إلى دعم الأراضي الجماعية ومواكبتها، للجماعات السلالية، داخل دوائر الري. ووضع مقاربة، يمكن تجريبها على باقي الملك الجماعي، بحيث يرى واضعوا البرنامج أن هناك حوالي 2 مليون هكتار من الملك الجماعي الواقعة بالقطاع البوري، والمستغلة فلاحيا، والتي يمكن أن يشملها التمليك مستقبلا. بينما يهم المشروع حاليا فقط 300.000 هكتار من أراضي الجموع الواقعة كليا أو جزئيا ضمن النطاق السقوي. إذ مكنت هذه الإجراءات من التوصل إلى النتائج التالية على مستوى الدوائرالسقوية بالمغرب وبمنطقة الغرب:

جدول رقم 8: حصيلة التمليك وفق ظهير1969.

الدوائر السقوية	المساحة الإجمالية	المساحة الممنوحة	قرارات المنح	القطع المحدثة
الحوز	113379	495	1	44
سوس ماسة	56287	0	0	0
اللوكوس	19376	1758	3	335
تادلة	8831	0	0	0
سبو الأوسط	1790	0	0	0
تافراطا	20180	0	0	0
الغرب	117394	32008	65	3919
المجموع	337237	34261	69	4298

المصدر: مديرية الشؤون القروية2019

ورش التمليك، هذا بدأ الاشتغال به فعليا منذ سنوات، بتنسيق مع مصالح وزارة الداخلية ووزارة الفلاحة والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب، ومصالح المحافظة العقارية؛ من أجل الإسراع في إخراج الرسوم العقارية لفائدة ذوي الحقوق[305].

وستمكن عملية تمليك العقارات الجماعية السقوية لفائدة ذوي الحقوق من الرفع من مردودية الحيازات والمستوى المعيشي للساكنة القروية بالمنطقة من خلال:

- ✓ تحسين وتنمية الزراعات وتربية المواشي داخل دوائر الري والتوفر على مؤسسات فلاحية ومستغلين يجري عليهم نظام قانوني يضمن لهم الاستقرار الضروري.
- ✓ استفادة عضو الجماعة الذي لا يستغل الأرض إلا بصفة مؤقتة، من الإستقرار الدائم وتجهيز القطعة الأرضية المعهود بها إليه بصفة دورية.
- ✓ تحديد كيفيات استقرار العقارات الجماعية الواقعة في دوائر الري لإنجاز استثماراتهم.
- ✓ تمليك أراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر الري لفائدة ذوي الحقوق مع مجانية هذا التمليك.

تثمين أراضي الجماعية وإدماج الجماعات السلالية في مسلسل التنمية البشرية

1- مساهمة العقار الجماعي في دعم الاستثمار:

يبقى الهدف المنشود من هذه الخطة هو إعادة تأهيل الأراضي الجماعية بشكل يتيح مساهمة هذه الأراضي في الجهود التنموية. ويتعلق الأمر كذلك بالسعي لجعل هذه الأراضي وسيلة لانخراط ذوي الحقوق، في هذه الدينامية الوطنية، في إطار مبادئ القانون والعدالة الاجتماعية، وبعيدا عن أي اعتبارات متجاوزة[306]. من خلال تسوية العراقيل التي تحول دون تمليكها لفائدة ذوي الحقوق وجعلها رافعة للتنمية بالمناطق السقوية الغنية بمؤهلاتها الطبيعية والاقتصادية؛ خاصة بمنطقة كالغرب ومنها لإقليم سيدي سليمان.

على الرغم من الإكراهات التي تعرفها الأراضي الجماعية والمعيقات القانونية والتنظيمية والاجتماعية والعرفية، التي تحول دون استثمارها بشكل أفضل؛ فإن هذا العقار يساهم بشكل فعال في عجلة التنمية الاقتصادية للبلاد، عبر تعبئته لإنجاز مشاريع مهيكلة؛ وطنية وجهوية ومحلية.

فالمستثمر بصفة عامة، ينظر إلى موقع الأرض كوعاء مناسب للمشروع، الذي يحمله في ذهنه، ولا يفكر، أو لا يهتم في البداية بخصوصية النظام القانوني، الذي تتبع له؛ ليصطدم فيما بعد بواقع تعقد أنظمة الملكية العقارية بالمغرب، خاصة إذا كانت الأرض تنتمي لأراضي الجماعات السلالية، والتي تتميز بخصوصية عدم قابليتها للتفويت، والكراء بشروط وضوابط معقدة. غيرأنه يجوز للجماعات السلالية، استثناءا، تفويت عقاراتها أو جزءا منها لفائدة الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، مما ساهم في تحقيق العديد من المشاريع الكبرى والمهيكلة بعموم التراب الوطني وبمنطقة الغرب، سواء بالوسط القروي أو الحضري.

فعلى مستوى منطقة الغرب، بلغت مساحة العقارات الجماعية المعبأة، من أجل إنجاز مشاريع استثمارية أكثر من 4670 هكتارا كما هو مبين بالجدول التالي:

---

[305]- وهو ما تم سنة 2019، حيث أشرف وزير الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، عزيز أخنوش، والوزير المنتدب لدى وزير الداخلية، نور الدين بوطيب، يومه الأربعاء 26 يونيو 2019 بالرباط، على إطلاق عملية التمليك التجريبية لـ 67 ألف هكتار من الأراضي الجماعية الواقعة في الدوائر السقوية للغرب والحوز والموجهة لفائدة 30 ألف مستفيد من الفلاحين (https://www.menara.ma/article).

[306]- الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركين في المناظرة الوطنية حول موضوع: "السياسة العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، بالصخيرات يومي 8 و9 دجنبر2015.

جدول رقم9: توزيع العقارات الجماعية حسب طبيعة المشاريع بمنطقة الغرب

الإقليم	المشاريع الفلاحية		التجاري والخدمات		قطاع المقالع		المجموع	
	عدد المشاريع	المساحة (هكتار)	عدد المشاريع	المساحة (هكتار)	عدد المشاريع	المساحة (هكتار)	عدد المشاريع	المساحة (هكتار)
القنيطرة	156	3107	78	61	5	48	239	3216
سيدي قاسم	5	354	23	21	2	30	30	405
سيدي سليمان	4	1042	6	1			10	1043
المجموع	165	4503	107	83	7	78	279	4664

المصدر: وثائق الحوار الوطني حول الأراضي الجماعية (الملتقى الخامس بمدينة القنيطرة 2014)

إذ بلغ عدد ملفات كراء الأراضي الجماعية 279 ملفا وبمساحة تناهز 4670 هكتار أي ما يمثل 18% على الصعيد الوطني، والتي يطغى عليها الطابع الفلاحي بنسبة96%، يحتضن إقليم القنيطرة 70% منها؛ وذلك بفضل المؤهلات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة.

كما يتم في هذا الإطار تفويت الأراضي الجماعية لفائدة الدولة، الجماعات المحلية المؤسسات العمومية وأيضا الجماعات السلالية[307]، من أجل إنجاز مشاريع ومرافق اقتصادية (بنايات للتعليم، الصحة، البنيات التحتية، الطرق، السكك الحديدية، قنوات الماء الصالح للشرب، مشاريع مهيكلة، مناطق صناعية، لوجيستيكية، ومشاريع سكنية متنوعة. إذ تم تفويت حوالي 1785 هكتارا ما بين 2005 و2013 (2598هكتارا بإقليم القنيطرة،117هكتارا بإقليم سيدي قاسم، و70 بإقليم سيدي سليمان)[308].

المشاريع التنموية لفائدة الجماعات السلالية:

وتجدر الاشارة، في هذا الصدد إلى أن مصالح الوصاية تقوم بمجموعة من المبادرات ترمي إلى إدماج الجماعات السلالية، وذوي الحقوق في إطار التنمية المحلية، في مختلف الميادين، ساعية إلى أن تتقاطع هذه المبادرات، مع برامج مختلف القطاعات الحكومية وخاصة المبادرة الوطنية للتنمية البشرية وبرامج الجماعات الترابية والمؤسسات الحكومية الأخرى، وكذا مكونات المجتمع المدني[309]. وذلك من خلال استثمار وتوظيف العائدات المتأتية، من أملاك الجماعات السلالية في إنجاز مشاريع استثمارية، من قبيل إنشاء التعاونيات الفلاحية أو السكنية أو المشاريع المدرة للدخل، غير أن بعض الجماعات، تفضل توظيف مواردها المالية، في إنجاز مشاريع مشتركة[310]. ويتم تمويل هذه المبادرات، من خلال المدخرات الذاتية للجماعات السلالية، أو من خلال صندوق دعم الجماعات السلالية. وتتم ترجمة هذه المبادرات في شكل مشاريع تهم المجالات الحيوية التالية:

- **البنيات الأساسية:**

[307]- الفصل الحادي عشر من ظهير 27 ابريل 1919.

[308]- وثائق الحوار الوطني حول الجماعات السلالية، الملتقى الجهوي بالقنيطرة 2014.

[309]- وزارة الداخلية، مديرية الشؤون القروية"مشروع أرضية الحوار الوطني حول الأراضي الجماعية"والمنظم خلال سنة 2014.ص.6.

[310]- الحنكاري عبد المجيد، العامل مدير الشؤون القروية:"تدبير الأراضي الجماعية والإشكالات المطروحة"، مداخلة ضمن ندوة:"أراضي الجموع رافعة للتنمية المستدامة"،26 ماي 2016. قلعة السراغنة.ص29.

- التزود بالماء الصالح للشرب، عن طريق مد قنوات المياه أو بناء خزانات أو حفر آبار أو تجهيزها بمحركات لضخ المياه؛
- الكهربة القروية، عن طريق تمكين بعض الجماعات السلالية، من الاستفادة من برنامج الكهربة؛
- فك العزلة عن طريق شق الطرق القروية أو تعبيدها أو تقويتها؛

جدول رقم 10: المشاريع المنجزة خلال فترة 2010-2014

اسم المشروع	موقع المشروع	الجماعة السلالية	التكلفة بالدرهم
بناء 5حجرات للتدريس(التعليم الابتدائي)	مدارس منصور الذهبي	العبابدة	700.794.00
بناء خزان بسعة 16م3	دوار أولاد بورحلة		692.058.84
بناء خزان بسعة 100م3	دوار أولادد الحفاري		
ثقب مائي	دوار الحفاري		652.614.00
مركز تقني خاص بالثقب المائي			

المصدر: مونغرافية عمالة إقليم سيدي سليمان

- **التجهيزات الاجتماعية والتربوية** عن طريق بناء وحدات مدرسية، دور للحضانة، منشآت صحية، دور للثقافة، دور للطالبة أو حافلات للنقل المدرسي...
- **المشاريع المدرة للدخل** عن طريق تحسين شبكة الري أو إصلاح قنوات مياه السقي، أوشراء بعض الآليات الفلاحية، لفائدة الجماعات السلالية، عبر مختلف أنحاء المملكة.

ويمثل إدماج الجماعات السلالية في مسلسل التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أحد المحاور الاستراتيجية لتدخل مصالح الوصاية، بحيث تعد المبادرات والمشاريع الممولة، كليا أو جزئيا من مدخرات هذه الجماعات، دليلا على الاهتمام بهذه الشريحة من الساكنة القروية.

كما يهدف إنجاز هذه المشاريع التنموية لفائدة الجماعات السلالية، إلى إدماجها في مسلسل التنمية البشرية والمساهمة إلى جانب الدولة والجماعات المحلية، في تحقيق بعض الحاجيات المستعجلة لهذه الساكنة لدعم ولوجها للمرافق العامة، ومحاربة الفقر والتهميش والهشاشة. وكذلك إنعاش وتدعيم الأنشطة المدرة للدخل؛ وذلك انسجاما مع روح المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أعطى انطلاقتها صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيد سنة2005 وما تلاها من برامج التنمية ذات الاستهداف الاجتماعي.

جدول رقم 11: المشاريع المقترحة لفائدة الجماعات السلالية باقليم سيدي سايمان

إسم المشروع	الجماعة السلالية	التكلفة بالدرهم	إسم المشروع	الجماعة السلالية	التكلفة بالدرهم
إصلاح وترميم مسجد بدوار الحفاري		315.000	بناء خزان للماء بأولاد الطاهر بن علي	العبابدة	1.050.000
إصلاح وترميم مسجد بدوار أولاد بورحلة		420.000	بناء خزان للماء بدوار أولاد رحو		550.000
إصلاح وترميم مسجد بدوار أولاد		1.050.000	بناء خزان للماء بدوار		550.000

بلعيد			أولاد بلعيد		
بناء دار الدوار أولاد بلعيد		2.750.000	إصلاح وترميم مسجد الدواغر للايطو		660.000
بناء دار الدوار ضاية عائشة	العبابدة	2.750.000	بناء سور لمقبرة الدوار	دواغر للايطو	1.460.000
بناء سور مدرسة أولاد بورحلة		165.000	بناء دار الدوار الدواغر للايطو		2.750.000
بناء سور مدرسة أولاد رحو		121.000	بناء دار الدوار اولاد حنون		2.750.000
بناء قسمين بمدرسة منصور الذهبي		308.000	بناء سور لمقبرة سيدي العربي سوالة	أولاد حنون	1.360.000
بناء قسمين بمدرسة ضاية عائشة		308.000	بناء سور لمقبرة سيدي العربي-عيسى		500.000
حفر ثقب مائي بدوار أولاد بلعيد		600.000	حفر ثقب مائي بمقبرة سيدي العربي		1.000.000

المصدر: مونغرافية عمالة إقليم سيدي سليمان

1. **الأراضي السلالية ثروة هامة موضوع إكراهات ورهانات كبرى:**

بموازاة مع التطورات التي عرفتها منظومة الأراضي الجماعية، تبرز مجموعة من الإكراهات التي تواجه تدبيرها واستغلالها. كما أن هناك معطيات أخرى مرتبطة بالسياق العام تجعل من مسألة رفع هذه الإكراهات ومعالجة الإختلالات أمرا ذا راهنية كبرى. وأهم هذه المعطيات، ما يتعلق بالسياق الدستوري والسياسي، وظهور مطالب وانتظارات جديدة، لذوي الحقوق، وبروز فاعلين جدد ينادون بالإصلاح؛ ومتطلبات إدماج العقار الجماعي في دينامية التنمية الوطنية والترابية. أضف إلى ذلك التحولات التي تعرفها الأراضي الجماعية على المستويات المجالية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إطار الدينامية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تعرفها بلادنا.

وفي نفس السياق، فقد تم تكريس ذلك بالتوجهات الملكية السامية المتضمنة بالرسالة الملكية الموجة إلى أشغال المناظرة الوطنية حول السياسيات العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتي نظمت بتاريخ 8و9 دجنبر 2015 بالصخيرات والتي دعا من خلالها جلالته إلى:

- ✓ إصلاح نظام الأراضي الجماعية، لتساهم في النهوض بالتنمية وجعلها آلية لإدماج ذوي الحقوق في هذه الدينامية الوطنية، وذلك في إطار مبادئ الحق والإنصاف والعدالة الإجتماعية؛
- ✓ إنجاح عملية تمليك اراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر الري لفائدة ذوي الحقوق مع مجانية هذا التمليك؛
- ✓ تعزيز الأمن العقاري وتحصين الملكية العقارية والرفع من قيمتها الاقتصادية والإئتمانية، واعتماد وسائل التكنولوجيا الرقمية في مجال ضبط البنية العقارية وتأمين استقرارها وتداولها.

ونتيجة لذلك، فإن تدبير العقار،على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، أصبح يمثل إشكالية ذات أبعاد كبرى خاصة على ضوء الاهداف الاستراتيجية للدولة في أفق تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة. وهو ما يدفعنا إلى التساؤل حول آفاق تدبير هذه الأراضي السلالية بإقليم سيدي سليمان.

آفاق تدبير للأراضي الجماعية بإقليم سيدي سليمان.

واقعيا، لا يمكن أن نتصور تطورا فلاحيا أو صناعيا أو مجاليا، دون ضبط العقار، ودون التحكم فيه، ودون ملائمة السياسات القطاعية بوضعية العقار؛ بما يكفل لهذه السياسات الالتقائية؛ المنشودة وفق قواعد الحكامة الجيدة؛ بطريقة تمنح أجرأة المخططات الاستراتيجية المعتمدة من طرف الدولة، سواء في الميدان الفلاحي أو الصناعي أو غيرهما من الميادين.

فالأراضي الجماعية ليست بمنأى عن هذه الجدلية. إذ لا شك أن هذا الرصيد العقاري الهام، يؤهلها لتلعب، إلى جانب الأنظمة العقارية الأخرى، دورا أساسيا في كل الإستراتيجيات الوطنية لدعم مسلسل التنمية الاقتصادية والبشرية التي تراهن عليها بلادنا؛ وذلك من خلال:

- العمل على عصرنة الاستغلال والتطلع إلى تدبير واستثمار أمثل للمجال الفلاحي حسب مؤهلات الإقليم؛
- تسريع وثيرة تمليك الأراضي الواقعة داخل دوائر الري كما جاء في الرسالة الملكية الموجة إلى أشغال المناظرة الوطنية حول السياسيات العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتي نظمت بتاريخ 8و9 دجنبر 2015 بالصخيرات؛ والتي أكدت على ضرورة تمليك أراضي الجموع الواقعة ضمن دوائر الري لفائدة ذوي الحقوق؛ إذ جاء في الرسالة الملكية السامية[311] ما يلي:« ...وفي نفس السياق ندعو للانكباب على اصلاح نظام الأراضي الجماعية، التي نثمن فتح حوار وطني بشأنها، واستثمار وترصيد نتائج هذا الحوار ومخرجاته الأساسية، لتأهيل أراضي الجماعات السلالية، لتساهم بنصيبها في النهوض بالتنمية، وجعلها آلية لإدماج ذوي الحقوق في هذه الدينامية الوطنية، وذلك في إطار مبادئ الحق والإنصاف والعدالة الاجتماعية، بعيدا عن كل الاعتبارات المتجاوزة؛ وفي هذا الصدد ندعو الى تظافر الجهود من أجل إنجاح عملية تمليك الأراضي الجماعية الواقعة داخل دوائر الري لفائدة ذوي الحقوق مع مجانية التمليك...».
- تحصين العقار الجماعي وتثمينه وجعله رافعة للتنمية المستدامة؛
- تعبئة الأراضي الجماعية الحضرية وشبه الحضرية في مسلسل التنمية؛
- إدماج العنصر البشري في مسلسل التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة؛
- تشجيع ودعم البرامج الاستثمار من أجل إدماج الساكنة في التنمية البشرية المستدامة؛
- المواكبة الفعالة من أجل الاستثمار الناجع للرصيد العقاري للجماعات السلالية (تتبع إنجاز المشاريع الاستثمارية ومواكبتها)؛
- الانخراط في مخطط المغرب الأخضر بالنسبة للقطاع الفلاحي؛
- دعم الشراكة مع الدولة والجماعات المحلية وكل الشركاء لانجاز المشاريع التنموية؛
- إعطاء عناية خاصة للمجالات الغابوية التي انخفضت مردوديتها بعامل السن باستغلال أنجع يحافظ على المقومات البيئية ويضمن لذوي الحقوق مداخيل مهمة؛
- ضرورة مراعاة مصالح وانتظارات الجماعات السلالية خلال عمليات التفويت وتأثير المشاريع المزمع انجازها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالإقليم، في أفق تحسين ظروف عيش ومستوى مداخيل ذوي الحقوق؛
- تحقيق الانسجام والاتقائية للنهوض بمستوى التنمية عبر برامج التأهيل الترابي أو من خلال باقي برامج الادماج الاجتماعي والاقتصادي بهدف ضمان حياة كريمة للساكنة المحلية؛

[311]- مقتطف من الرسالة الملكية الموجة إلى أشغال المناظرة الوطنية حول السياسيات العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتي نظمت بتاريخ 8و9 دجنبر 2015 بالصخيرات.

وفي هذا السياق تستدعي هذه الوضعية تجنيد الرصيد العقاري للجماعات السلالية في عمليات الاستثمار؛ لتساهم في إنعاش النشاط الاقتصادي الوطني والدعم المستمر للسياسة الحكومية في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية؛ مع الأخذ بعين الاعتبار مصالح الجماعات السلالية. إضافة إلى تعبئة واستثمار هذا العقارات من خلال إبرام عقود كراء مع مجموعة من المستثمرين الخواص لإنجاز مشاريع في ميادين الفلاحة والصناعة والتجارة والخدمات واستغلال المقالع الجماعية، ومن خلال عمليات التفويت لإنجاز مشاريع تنموية من طرف الدولة، المؤسسات العمومية أو الجماعات المحلية.

كما أن أي معالجة مرتقبة لإشكالية الأراضي الجماعية، لا بد وأن تستوعب مقتضيات الدستور الجديد وخاصة تلك المتعلقة بإقرار جهوية متقدمة، وحكامة جيدة مبنية على مشاركة الفاعلين في بلورة الاختيارات وتقييم السياسات، وبناء دولة الحق والقانون؛ ومحاربة كل أشكال التمييز والإقصاء، وضمان المساواة بين الرجل والمرأة.

خلاصة:

إن أوضاع الهشاشة والفقر، التي تتسم بها الأراضي الجماعية في كثير من المناطق، ومنها المجال المدروس، رغم المؤهلات التي تتوفر عليها، تدفع في اتجاه التفكير في مراجعة جذرية لأنماط الاستغلال والتدبير، بهدف تحقيق تنمية بشرية حقيقية لفائدة ذوي الحقوق، ومساهمة أقوى في مسلسل التنمية الشاملة لبلادنا.

إن واقع تدبير قطاع العقار الجماعي، كما سبق بسط ذلك بهذه المقالة، يبرز وجود جملة من الاختلالات والإكراهات التي لا تزال تعيق اضطلاعه بدوره في التنمية، سواء على مستوى ضبط البنية العقارية وتأمين الوعاء العقاري وتصفية وضعيته القانونية والمادية، أو على مستوى استعماله وتعبئته.

وبالتالي، وجب التفكير في إيجاد حلول ناجعة لتدبير العقار الجماعي وجعله رافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة؛ من خلال الإصلاح الشامل للنظام القانوني للأراضي الجماعية، مما يدفعا للمساهمة في النهوض بالتنمية وجعلها آلية لإدماج ذوي الحقوق في هذه الدينامية الوطنية، وذلك في إطار مبادئ الحق والانصاف والعدالة الإجتماعية.

المراجع:

- امحمد بودواح،عرشان أحمو،"العقار الجماعي بمنطقة الغرب وإشكالية التنمية الترابية"، 2018،"ملفات الدراسات والأبحاث في التنمية الترابية"، ملف رقم1،صص6-26.
- عبد المجيد الحنكاري، العامل مدير الشؤون القروية:"تدبير الأراضي الجماعية والإشكالات المطروحة"، مداخلة ضمن ندوة:"أراضي الجموع رافعة للتنمية المستدامة"،26 ماي 2016. قلعة السراغنة
- عرشان أحمو، "العقار والتنمية:حالة أراضي الجموع بمنطقة الغرب"،2018،المجال والتنمية،عدد1،صص181-203.
- عرشان، أحمو..الأراضي الجماعية وآفاق التنمية بسهل الغرب.أطروحة الدكتوراه.المغرب: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل. 2020.
- **النصوص القانونية والوثائق الرسمية** :
- الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المشاركين المناظرة الوطنية حول موضوع:"السياسة العقارية للدولة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، يومي8و9 دجنبر2015،الرباط، المغرب.

- رئاسة الحكومة.(2015). تقرير تركيبي حول واقع قطاع العقار بالمغرب: أهم عناصر التشخيص.المغرب: منشورات المناظرة الوطنية حول موضوع "السياسة العقارية للدولة ودورها التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، 5و6دجنبر2015.
- الظهير الشريف بتاريخ 27 ابريل 1919 بشأن تنظيم الوصاية الإدارية على الجماعات وضبط تدبير شؤون الأملاك الجماعية، الجريدة الرسمية عدد 329 والصادر بتاريخ 18 غشت 1919.
- الظهير الشريف المؤرخ في 12 من رجب 1342 هـ (18 فبراير 1924) المتعلق بسن نظام قانون خاص بتحديد الأراضي الجماعية.
- الظهير الشريف رقم 1.69.30 بتاريخ 10 جمادى الأولى 1389 (25 يوليوز1969) يتعلق بالأراضي الجماعية الواقعة في دوائر الري.
- القانون رقم 62.17 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.19.115 صادر في 7 ذي الحجة 1440 (9 أغسطس 2019) بشأن الوصاية الإدارية على الجماعات السلالية وتدبير أملاكها. الجريدة الرسمية عدد 6807 بتاريخ 26 أغسطس 2019.
- القانون رقم 64.17 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.19.117 الصادر في 7 ذي الحجة 1440 (9 أغسطس 2019). الجريدة الرسمية عدد 6807 بتاريخ 26 أغسطس 2019.
- المرسوم رقم 2.19.973 صادر في 13 من جمادى الاولى 1441 (9 يناير2020) بتطبيق القانون رقم 62.17 بشأن الوصاية الادارية على الجماعات السلالية وتدبير أملاكها (جريدة رسمية عدد6849 بتاريخ 20 يناير2020.
- القرار المشترك لوزير الداخلية ووزير الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات رقم 850.20 صادر في 4 رجب 1441 (28 فبراير 2020 (بتحديد المساحة الدنيا للقطع الأرضية المملوكة للجماعات السلالية، الواقعة خارج دوائر الري وغير المشمولة بوثائق التعمير، التي يمكن إسنادها على وجه الملكية لأعضاء هذه الجماعات. الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6875 بتاريخ 20 ابريل2020
- المندوبية السامية للتخطيط،"خريطة الفقر". 2004.
- المندوبية السامية للتخطيط.(2014).النتائج الرسمية للإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.المغرب.
- المندوبية السامية للمياه والغابات"برنامج عمل المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر" 2016-2012.
- وزارة الداخلية،مديرية الشؤون القروية دليل النائب،2008.مطبعة بني ازناسن.32صفحة.
- وزارة الداخلية،مديرية الشؤون القروية.(2014). مشروع أرضية الحوار الوطني حول الأراضي الجماعية. المغرب.
- BANQUE MONDIALE.(2008). Marchés Fonciers pour la Croissance Économique au Maroc.
- BOUDERBALA,N.(1999). Les systèmes de propriété foncière au Maghreb Le cas du Maroc. France :Cahiers Option Méditerranéennes, vol.36,CIHEAM.
- EL ALAOUI,M,(2002).Statuts juridiques des terres collectives au Maroc et les institutions coutumières et locales dans le versant sud du haut atlas. Maroc :École Nationale d'Agriculture Meknès – PNUD.
- HCP (2019).Les Cahiers du Plan, NEJMI El Houssine, Villes t régions du Maroc, Maroc : L'épreuve de l'Aménagement du Territoire.

- HCP,(2019). Les Cahiers du Plan, Maroc : N°52, FASSI FIHRI.M, Démographie Magrébine Situation et Perspectives.
- LE COZ,J.:le Rharb, Fellahs et Colons, Etude de Géographie Régionale,2,T,1005p.Rabat 1964.
- Ministère de l'Agriculture et de la Pêche Maritime : « Bilan d'application du dahir n°1-69-30 du 25 juillet 1969 relatif aux terres collectives situées dans les périmètres d'irrigation ».janvier2009.

-

التخطيط الحضري لخدمات الرعاية الصحية وتأثيره في جودة الحياة بمدينة الدارالبيضاء

Urban planning for health care services and its impact on the quality of life in the city of Casablanca

[1] محمد حليم. طالب باحث بسلك الدكتوراه: دينامية الفاعلين الترابيين، مركز دراسات الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، مختبر دينامية المجالات والمجتمعات (LADES-URL-CNRST N°12)، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.

[2] محمد أنفلوس. أستاذ باحث، جامعة الحسن الثاني بالدارالبيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، مختبر: دينامية المجالات والمجتمعات (LADES-URL-CNRST N°12)

ملخص : تهدف الورقة البحثية التحليلية لمسألة دور التخطيط الحضري في حسن توزيع خدمات الرعاية الصحية وتأثيره في جودة الحياة بمدينة الدارالبيضاء، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الكمي، والمنهج الكرطوغرافي، بناء على المعطيات الرسمية والبحث الميداني.

كلمات مفاتيح: رعاية صحية ، مؤشرات صحية، جودة الحياة، عدالة مجالية.

Abstract: The analytical research paper aims at the issue of the role of urban planning in the good distribution of health care services and its impact on the quality of life in the city of Casablanca.

Key words: health care, health indicators, quality of life, domain justice.

مقدمة:

أضحت البيئة الحضرية التي يعيش فيها أكثر من نصف ساكنة المغرب، تتميز بخصائص التعقيد وتدني مستويات الجودة والرفاه الإجتماعي، فطبيعة الإنسان الأزلية المتمثلة في تطلعه لتحسين وضعه الإجتماعي وإطار العيش، جعلته في حاجة للبحث عن سبل تحقيق هذا المبتغى، وتعتبر خدمات الرعاية الصحية من أهم الخدمات التي تلعب هذا الدور الحيوي لتجويد إطار العيش.

وتتجلى أهمية خدمات الرعاية الصحية ودورها في خدمة المجتمع، التي ازدادت وضوحا عندما تمكن الأفراد من إشباع حاجاتهم المادية إلى حد ما، وإنتقالهم ضمن سلم الحاجات لإشباع تلك الحاجات غير المادية. حتى أصبح من الممكن القول بأننا نعيش بحق في عالم الخدمات، لكونها ارتبطت بالكثير من مفردات الحياة اليومية للمواطن.[312]

[312] " ثامر ياسر البكري، تسويق الخدمات الصحية، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2005 ، ص 5.

وتعد الخدمة الصحية من أهم الخدمات المؤثرة في جل معايير جودة الحياة، والتي تعتمدها معظم المنظمات الحكومية وغير الحكومية في تصنيف مؤشر جودة الحياة (مؤشر ميرسر) بمختلف مدن العالم، فالإنسان أصبح بحاجة ملحة أكثر من السابق لخدمة صحية جيدة تراعي مجموعة من الشروط، فتعقد مشاكل البيئة الحضرية قابله ظهور أمراض متنوعة وتباين في توزيع الخدمات الصحية بين مجالات المدينة، وخصوصا بين مركز المدينة وهامشها كما هو الحال بالنسبة لمدينة الدارالبيضاء.

من هدا المنطلق تشكل التباينات في مستوى خدمات الرعاية الصحية، نتاج للسياسات التخطيطية السابقة وتجسد في الحاضر شكلا من أشكال اللاعدالة المجالية والصحية، فتباين سهولة الولوجية للخدمة الصحية، تطرح اختلافات وفروق بين سكان عمالات مدينة الدارالبيضاء، خصوصا التباين الحاصل بين عمالة المركز وعمالات الهامش، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى فروقات بينة في مستويات جودة الحياة.

1. **مشكلة البحث:**

تشهد العاصمة الاقتصادية دينامية ديمغرافية جد متسارعة على المستوى الكمي والنوعي، طرحت خللا في التوازن بين معادلة الطلب السكاني والعرض الخدماتي الإجتماعي، خصوصا على مستوى قطاع الصحة، الذي يشهد فارقية كبيرة تزداد حدتها كلما إتجهنا من مركز المدينة نحو هامشها.

لدا تتمحور إشكالية الورقة البحثية حول التناقضات السوسيو مجالية، وإشكالية العدالة الصحية بين مختلف عمالات مدينة الدارالبيضاء والتي تؤثر بشكل مباشر في جودة الحياة، وسنحاول الإجابة على السؤال المحوري.

إلى أي حد ساهم التخطيط الحضري في إختلاف مستوى الرعاية الصحية و جودة الحياة الصحية بين مركز المدينة وهامشها ؟

وسنحاول مقاربة السؤال المحوري من نموذج مقاطعات تمثل المركز (مقاطعات عمالة أنفا) ومقاطعات تمثل الهامش (مقاطعات عمالة سيدي البرنوصي) وذلك من خلال التصميم التالي:

1. الإطار النظري للعدالة المجالية في الرعاية الصحية وجودة الحياة:
2. العوامل المؤثرة في تباين الرعاية الصحية بين مركز وهامش المدينة.
3. مظاهر التباين في الرعاية الصحية بين مقاطعات عمالة أنفا وعمالة سيدي البرنوصي.

2. **فرضيات البحث:**

1. النقص في العرض الصحي يؤثر على جودة الحياة داخل مدينة الدارالبيضاء.
2. غياب عدالة صحية بين مقاطعات المدينة يرسخ التفاوتات في مستويات جودة الحياة.

3. **أهداف البحث:**

تسلط مضامين البحث الضوء على الأهداف التالية:

1 تبيان مفهوم الرعاية الصحية وعلاقتها بمفهوم جودة الحياة الحضرية.
2 تفسير أسباب التباين الحاصل في الرعاية الصحية بين مقاطعات المدينة.
3 تحديد أدوار الفاعلين الرئيسيين لتجويد قيمة الرعاية الصحية.

ISSN 2569-734X

4. منهجية البحث:

اعتمدت الورقة البحثية على المنهج الوصفي التحليلي الوظيفي، في وصف خدمات الرعاية الصحية داخل مقاطعات مدينة الدارالبيضاء وأثرها في جودة الحياة. موضحين إطارها النظري وأهمية الصحة في الرفع من جودة الحياة، وكذا أهمية الخدمات الصحية، والسياسات الصحية، ومفسرين لأثر الرعاية الصحية في تجويد إطار العيش، حيث استثمرنا معطيات الببليوغرافيا المتنوعة، المتمثلة في بعض النظريات المرتبطة بالعدالة المجالية والإجتماعية: (إدوارد صوجا Edward Soja)، كما اعتمدنا المؤشرات الإحصائية للمندوبية السامية للتخطيط ومعطيات مجلس المدينة، لتبيان الفوارق المطروحة في الرعاية الصحية بين مقاطعات المدينة، كما اعتمدنا البحث الميداني لاستخلاص معطيات وانطباعات السكان حول جودة الخدمات الصحية المقدمة بالمجال المدروس.

5. البعد المكاني و الزماني للبحث:

على المستوى المكاني: تم تأطير مجال الدراسة داخل حدود عمالة الدارالبيضاء، وتم التركيز في العمل الميداني على المقارنة بين مقاطعات عمالة أنفا ومقاطعة عمالة سيدي البرنوصي لمقاربتهما ضمن نظرية المركز والهامش، لمنظرها (سمير أمين).

- مقاطعات عمالة أنفا (أنفا – سيدي بليوط – المعاريف) : تمثل نموذج المجال المركزي المتميز بخصائص الرعاية الصحية الجيدة
- مقاطعات سيدي البرنوصي (سيدي البرنوصي – سيدي مومن) : تمثل نموذج المجال الهامشي الذي يعاني من نقص خدمات الرعاية الصحية.

على المستوى الزماني: فالمعطيات الرسمية المعتمدة تخص الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014، أما معطيات الميدان فتخص الفترة الزمنية 2020-2021.

خريطة توطين مجال الدراسة

المصدر: وضع الطالب محمد حليم

6. الإطار النظري: العدالة المجالية في الرعاية الصحية وجودة الحياة:

6.1 العدالة المجالية:

يعتبر المفكر الجغرافي الأمريكي إدوارد صوجا Edward soja من أهم الكتاب اللذين نظروا في مفاهيم العدالة واللاعدالة المجالية، من زاوية جغرافية، حيث سنحاول من خلال هذه التوطئة النظرية مقاربة الموضوع من منظور العدالة واللاعدالة في توزيع الإمكانات و الموارد ا لمادية واللامادية ذات القيمة الإجتماعية والتي لها أثر على حياة الإنسان (Edward w soja ، ص 60). فالعدالة المجالية هي تصحيح للظلم المجالي، تهدف إلى تنظيم المجال تنظيما متسقا مع مشروع مجتمع أكثر عدالة، عبر إعادة التفكير في التوزيع الإجتماعي والمكاني (Bret Bernard، 2009، ص 22).

يشكل التمييز المجالي شكلا من أشكال المعاملة غير المتكافئة التي تمنح لفئات محددة من ساكنة المدينة ، بسبب موقعها الجغرافي، مما يتسبب في لا عدالة مجالية، وفي إنشاء هياكل مكانية دائمة تعتبر مصدر التفاوتات، والمتأسسة على الإمتيازات والمزايا، وتعتبر الطبقية الإجتماعية من أهم هياكل إنتاج الموقع والتمييز المكاني (Edward W .soja ، 2009 ، ص، 58).

6.2. خدمات الرعاية الصحية:

يمكن تقسيم الخدمات الصحية إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: الخدمات الصحية العلاجية تشتمل على الخدمات الصحية المرتبطة بصحة الفرد بصورة مباشرة تشمل خدمات التشخيص وخدمات العلاج ، سواء تم ذلك بالعلاج الدوائي المباشر داخل المنزل أو تم من خلال خدمات صحية مساندة تحتاج رعاية سريرية داخل المستشفيات، أو تم ذلك بالتدخل الجراحي التقليدي أو المعاصر، بالإضافة إلى خدمات الرعاية الصحية حتى يتم الشفاء، وهذه هي : خدمات صحية علاجية، تهدف إلى تخليص الفرد من مرض أصابه أو تخفيف معاناة الفرد من ألام المرض.

القسم الثاني: يهتم بالخدمات الصحية الوقائية، وهي الخدمات الصحية المرتبطة بصحة المجتمع أو ما يمكن أن نطلق عليه بالخدمات الصحية البيئية حيث ترتبط تلك الخدمات بالحماية من الأمراض المعدية والأوبئة والحماية من التدهور الصحي الناتج عن سلوك الأفراد والمشروعات التي تمارس أنشطة ملوثة للبيئة، ويرتبط هذا النوع من الخدمات الصحية بصحة الفرد بصورة غير مباشرة. وهذه الخدمات هي : خدمات صحية مانعة: تهدف إلى وقاية الفرد من التعرض للمرض ويطلق عليها خدمات صحية وقائية، وتشمل خدمات التطعيم ضد الأمراض والأوبئة، وخدمات رعاية الأمومة والطفولة، وخدمات مكافحة الحشرات والحيوانات الناقلة للمرض مثل الباعوض والناموس والفئران...إلخ"[313]

وترمي الخدمات الصحية إلى تحقيق هدف أساسي على المستوى الشخصي، وهو الوقاية من المرض أولا، والشفاء من المرض إدا أصاب الفرد، فإن لم يكن ، فيتدنى الهدف إلى التخفيف من ألام المرض، وأن تحقيق تلك الأهداف إنما يعود بثماره على جودة حياة الإنسان ورفاهيته.[314]

[313] طلعت الدمرداش، إقتصاديات الخدمات الصحية ، طبعة 2 ، مكتبة القدس ، 2008 ، ص 17.

[314] الفاتح محمد عثمان مختار ، إقتصاديات خدمات الرعاية الصحية في الدول النامية وأثرها على التنمية ، ص 124 – مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا.

ولا شك أن نظم الخدمات الصحية يمكن أن تحقق منتجات أخرى غير صحية. إذ أن الخدمات الصحية يمكن أن تنتج الراحة. بحيث أن شعور المريض بها أثناء العلاج قد يكون على نفس القدر من أهمية النتيجة المترتبة على هذا العلاج، ويمكن تحقق الأمان، بمعنى أنه بالرغم من أن الإنسان لا يريد أن يتعرض للحوادث، إلا أنه يشعر بالأمان عندما يعرف أنه إذا حدث له مكروه، فإن الدولة لديها خدمات صحية كفؤة وفعالة مثل هذه الطوارئ.[315]

6.3. جودة الحياة.

المدينة هي مجال خصب لدراسة عناصر جودة الحياة، لأن المجال المبنى هو المجال الذي تبرز فيه جل المشاكل الصحية، والإجتماعية."[316]. وفي ضل هده المشاكل أضحى مفهوم جودة الحياة من المفاهيم الحديثة، التي تحظى باهتمام واسع سواء على المستوى العلمي أو كمفهوم متداول في الحياة اليومية بصيغ مختلفة، غير أن المفهوم لم يلقى إجماعا حول معناه"[317] وهذا راجع إلى عدة عوامل أبرزها:

- الطابع الحديث لمفهوم جودة الحياة على المستوى العلمي.
- تناول المفهوم في مجموعة من الحقول المعرفية، للتعبير عن مستوى خدمات المرافق الإجتماعية، وكذلك يستعمل للإدراك الفردي لمدى الإشباع البشري من الحاجات الضرورية والتكميلية.

لذا من خلال مراحل البحث إتضح أن هناك تداخل بين جودة الحياة ونوعية الحياة، هذه الأخيرة تعني:

" تكامل وتوفر العناصرالمكونة للقطاعات الرئيسية لمدينة معينة، وهذه القطاعات هي : (القطاع الإجتماعي، القطاع العمراني، قطاع البنية الأساسية والخدمات) والتي توفر للسكان الراحة النفسية والأمان وتساعد المدينة على القيام بوظائفها المستهدفة، والتي تتمثل في البيئة الطبيعية وظروف السكن والمواصلات والرعاية الإجتماعية والخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية"[318]

وتعني كذلك:

- المستوى الذي يتمتع به الشخص داخل مدينته.
- المفهوم نتاج لتداخل وتفاعل بين كل ماهو إجتماعي إقتصادي وبيئي يؤثر في حياة الفرد.
- يعكس مدى رضا الفرد على البيئة المحيطة.
- مفهوم يعكس الإحساس بالرفاهية لذا الفرد، المدعومة بعناصر البيئة المحيطة."[319]

أما جودة الحياة من منظور منظمة اليونسكو(UNESCO) فهو مفهوم شامل يضم عدة أبعاد من حياة الفرد، يشمل مدى الإشباع المادي للحاجات الأساسية، والإشباع المعنوي الذي يحقق التوازن النفسي للفرد، وبالتالي فجودة

[315] طلعت الدمرداش، مرجع سابق ، ص، 27 – 28.

[316] Departement of the Enivironement ,. A better of lif – A strategy for sustainble developement for the UK, London , عن أيمن محمد مصطفى يوسف، قياس وإدارة تنمية المجتمعات العمرانية الجديدة من خلال مؤشرات جودة الحياة، ص 9

[317] " أميرة طه، جودة الحياة وعلاقتها بمفهوم الذات لدى المعاقين بصريا والعاديين بالمملكة السعودية العربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

[318] " عبد الرحيم قاسم قناوي وعصام عبد السلام جودة، جودة الحياة والعمران في المناطق العشوائية، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي العاشر، قسم التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة الأزهر، مدينة النصر، لقاهرة، 2008، ص 197.

[319] " Jones , A Guide to doing quality of life Studies, University of Birmingham, 2002 نقلا عن محمد مصطفى يوسف

الحياة لهما ظروف موضوعية وعناصر ذاتية، حيث إرتبط مفهوم جودة الحياة في بداياته برغبة المجتمعات الصناعية في خلق إشباع مادي وتحقيق طموحاتهم"[320]

بناء على هذه التفسيرات النظرية يمكن تأطير مفهوم جودة الحياة من خلال :

اعتبار جودة الحياة تعبير على مدى رضا الأفراد على حياتهم الحضرية، إنطلاقا من إستمتاعه بصحة جسدية ونفسية، وشعوره بالرضا والسعادة، مما يخول له استخراج كل القدرات والإمكانات التي يتوفر عليها خدمة له ولمدينته.

فجودة الحياة ترتقي بنوع الخدمات المقدمة في المدينة، التي تؤثر تأثيرا مباشرا على الصحة العامة لساكنة المدينة، كما أن تحقيق رهان تحسين الظروف الصحية مرهون بالتخفيف من جملة من المشاكل والصعوبات، التي توجد بين الساكن بالمجال الحضري وبعض عناصر بيئته.

7. نتائج الدراسة

7.1. العوامل التاريخية المؤثرة في تباين الرعاية الصحية بين مركز وهامش المدينة.

تسلط العديد من الأدبيات التي تطرقت لموضوع التباينات السوسيو مجالية داخل مدينة الدارالبيضاء، الضوء على دور العامل الإستعماري في تعميق التفاوتات المجالية والإجتماعية، بدءا من المخططات التعميرية مرورا بالسياسات الحضرية المتبناة من قبل سلطات الإستعمار. فقد أدى تضارب مصالح الجالية الأوربية بالمدينة منذ فرض الحماية سنة 1912م إلى التعجيل باستراتيجيات كان الغرض منها عزل الساكنة الأوربية عن نظيرتها المغربية.(عبد الرحمان رشيق 2014، ص 6).

إد استندت السياسات الحضرية التي وضعها ليوطي منذ البداية على التوصيات التي قدمها الأطباء الأوائل. وكانت تتحكم في هذه التقارير هواجس الأمن الصحي للقوات العسكرية الغازية وللمعمرين الجدد من شدة الإحتراز من الأوبئة الفتاكة التي كانت تودي بحياة المغاربة. وتلتقي هذه الإديولوجية مع فلسفة ليوطي التي تميل إلى عدم المساس بالمدن العتيقة وتركها وشأنها مع أهاليها مع تشييد مدن جديدة منعزلة عنها محصنة من الأمراض.(محمد أنفلوس 2020، ص 18)

وفي نفس السياق المعادي للمغاربة. عرفت العنصرية تناميا لدى الأوربيين لخوفهم من الأمراض التي قد تترتب عن اختلاطهم بالمغاربة. فكان متشعبا بالإشمئزاز والتقزز أكثر منه بالشفقة ونبرة تنم عن عقدة التفوق المقيت، حيث يعلن الطبيب موران منذ 1914م ، أن إستمرار التيفوس يفرض واجب الأوربيين " **هجر حشود المسلمين وعلى رؤساء المصالح البلدية تسهيل عملية الهروب كنصيحة"**، وأن الحياة الأوربية " لاينبغي أن تتطابق مع الحياة المغربية { بالمدن العتيقة} بل ينبغي أن تنتظم على هامش هذه الأخيرة { بأحياء جديدة مستقلة} (محمد أنفلوس 2020، المرجع السابق، ص 18)

ويشير أندري أدم أن السياسة الحضرية الكولونيالية أنتجت تصرفات عدائية بين الساكنة البيضاوية تجاه الساكنة الأوربية/ وبالضبط سنة 1914 م حيث ظهرت بعض أشكال العنف من حرائق وسلوكيات عدائية (André

[320]" ناهد صالح، مؤشرات نوعية الحياة : نظرة عامة على المفهوم والمدخل، المجلة الإجتماعية القومية، المجلد 27، العدد 2، 1990، ص 20-21

Adam، 1968، ص 56)، ويضيف أنه من أجل أحترام مبدأ الفصل بين الساكنة الأوربية والساكنة المغربية، كان من الضروري على بروست أن يطرح مشروع مدينة جديدة بعيدة عن المدينة المغربية القديمة بكلمترين، عبر عرض كامل للمدينة الأوربية (André Adam، المرجع السابق ص، 61). فرفض الأوروبيون التعايش مع المغاربة في الأماكن الحضرية المسماة اليوم " المدينة القديمة"، ورفضهم "السكان الأصليين " في الأماكن الحضرية التي بناها " الأجانب" من أجلهم، إعتبر من قبل المغاربة كعزل إجتماعي (Mustapha CHOUIKI ، 1996، ص، 7-15). وهو ما تجسد في تصميم المهندس ألبير طارديف.

تصميم ألبير طارديف سنة 1912

المصدر: الوكالة الحضرية لدار البيضاء

وترسخت سياسة العزل والتمييز في المخططات التعميرية التي شهدتها المدينة والمتمثلة في مخطط هنري بروست، حيث تم تقسيم المدينة بإيعاز من المقيم ليوطي إلى منطقة سكنية للأوربيين في غرب المدينة ومنطقة صناعية للشركات وتجارية في شرق المدينة، ومنطقة ثالثة تقع بين المنطقتين خاصة بسكن المغاربة (محمد السنوسي معنى، 2017، ص 136).

تصميم هنري بروست سنة 1917

المصدر: الوكالة الحضرية لدار البيضاء

كان لمخطط أكوشار سنة 1947م هو الاخر دور في اللاعدالة المجالية والإجتماعية التي عرفتها المدينة خلال فترة الإستعمار، فقد قسم المخطط المدينة الى منطقتين وتجمعات سكنية مسيجة ، الجنوب والجنوب الغربي (قطاع أنفا) والخط الصناعي العمالي في الشمال الشرقي في إتجاه المحمدية، وهكذا جعل إيكوشار تصميم الدارالبيضاء يتجه في إتجاه الساحل الأطلسي على إمتداد 30 كلم، في نفس الوقت أكد على مبدأ التمييز الذي قام عليه التصميم التوجيهي لبروست، والذي جعل المناطق الصناعية والعمالية تتجه على الخط الساحلي نحو شرق المدينة، ومناطق الإقامة والسكنى والخدمات والمعاملات تتجه نحو غربها (محمد السنوسي معنى، ص 138).

تصميم التنمية الدارالبيضاء – المحمدية 1950

المصدر: الوكالة الحضرية للدارالبيضاء

أسست المخططات التعميرية الإستعمارية لمظاهر التفاوت والتمايز بين مجالات مدينة الدرالبيضاء ، خصوصا في بعدها الإجتماعي، فمعظم توجهاتها لا زالت مكرسة في السياسات الحضرية الحالية، حيث لازال القطاع الغربي يحظى بالأولوية في العناية والرعاية الإجتماعية وهو القطاع الذي توارثه الطبقات الغنية، ومن جهة أخرى، أعتبرت معظم اتجاهات المدينة كمناطق للفئات الشعبية .

لم يتغير الوضع بعد حصول المغرب على الإستقلال، إذ ظلت الدارالبيضاء تتسم خلال توسعها بالتمييز السوسيو مجالي، بحيث بقيت الفوارق بين الأحياء قائمة (مصطفى الشويكي، 1988، ص 291) فالمخطط المديري لسنة 1984 (بانسو) قام بإعادة إنتاج العديد من مبادئ التمييز التي رسختها مخططات التعمير لعهد الإستعمار. وفي هذا الصدد إستجابت مشاريع الدولة في ميدان السكن للتفرقة الإجتماعية، وعملت على ترسيخها بالتمييز بين الفئات الإجتماعية على مستوى نوعية السكن والمرافق المواكبة له. (مصطفى اليحياوي- صلاح الدين زهلي 2021 ص، 225)

وذلك للدور الإستراتيجي للتمييز السوسيو مجالي بالنسبة للسلطة السياسية، من أجل التحكم في توسع وتطور المدينة ككل. وهكذا يتضح أن الهيكلة السوسيو مجالية التي رسخها الإستعمار، قد جاءت وفق مايقتضيه نمط الإنتاج الرأسمالي من تفاوت إجتماعي، ومن تحويل للهوامش إلى خزانات لقوة العمل. ويتضح أيضا أن المجال لا يكتسب خصائصه من ذاته، بل من المجتمع الذي يشكل أحد هياكله الأساسية (مصطفى الشويكي، 1994 ، ص 509). فالتفاوت الإجتماعي والتفاوت المجالي مرتبطان ويؤثران في تباين جودة الحياة من مجال لأخر.

الدراسات التي تناولت موضوع التفاوتات المجالية بمدينة الدارالبيضاء، أكدت على الدور الهام للسياسات الحضرية الإستعمارية في ما نلحظه اليوم من تباينات سوسيو مجالية، بين المركز والهامش، تتجلى مظاهره في تباين توزيع كم المرافق الإجتماعية وجودتها، عبر المجال ضمن المخططات التعميرية الحالية، وخصوصا على مستوى خدمات الرعاية الصحية.

7. مظاهر التباين في الرعاية الصحية بين مقاطعات عمالة أنفا وعمالة سيدي البرنوصي.

7.1 . الكثافة السكانية الحضرية المرتفعة ساهمت في إنتشار وباء كورونا وتدني مستوى الرعاية الصحية.

يتضح من خلال الإحصائيات الصحية الرسمية التي قدمتها المندوبية السامية للتخطيط سنة 2020 أنه من بين 7532 شخصا مصابا بفيروس كوفيد-19، 86% ينحدرون من الجهات الخمس الأكثر كثافة في المغرب، وهو ما يقارب تسع حالات من أصل عشرة.

ويتعلق الأمر بجهات الدار البيضاء - سطات (32,6%) ومراكش - آسفي (17,6%) وطنجة - تطوان - الحسيمة (13,8 %) وفاس - مكناس (13,2% والرباط - سلا - القنيطرة (9,2 %).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجهات هي التي تتميز بتمركز أكبر للساكنة النشيطة المشتغلة في القطاع الصناعي (أزيد من 12%).ومن المعلوم أيضا أن هذه الأنشطة تتركز أساسا في المناطق الحضرية التي تتسم، علاوة على ذلك، بكثافة سكانية مرتفعة، مما قد يساهم في انتقال أسرع للفيروس بسبب كثرة التنقلات والتخالط بين الأشخاص"[321]. وهذا ما يعني أنه كلما كانت الجهات أكثر تمدنا، كلما كانت التحديات اللوجستيكية أكبر من أجل إخبار وتأطير، و إن أمكن ذلك، عزل أكبر عدد من الأشخاص المعرضين للخطر.

وإذا كانت الكثافة السكانية بالمدن تصل إلى 1986 نسمة في الكيلومتر مربع على الصعيد الوطني، فإنها تسجل فوارق كبرى بين الجهات، حيث تسجل جهة الرباط - سلا - القنيطرة أعلى كثافة حضرية بـ 4007 نسمة في الكيلومتر مربع، تليها جهات الدار البيضاء - سطات وبني ملال - خنيفرة وفاس - مكناس، على التوالي بـ3975 و3431 و3369 نسمة في الكيلومتر مربع. وفي المقابل، تسجل جهتا الداخلة - واد الذهب وسوس - ماسة كثافة منخفضة لا تزيد عن 600 نسمة في الكيلومتر مربع ، وحسب الإحصائيات الرسمية لوزارة الصحة فأعلى نسبة لإصابة بفيروس كورونا سجلت بالجهات والمدن الأعلى كثافة سكانية

[321] المندوبية السامية للتخطيط 2020 وجدت صلة إحصائية إيجابية بين نسبة الساكنة النشيطة في القطاع الصناعي وعدد حالات العدوى حسب الجهات.

الكثافة السكانية الحضرية حسب الجهات (نسمة في الكيلومتر مربع)

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط 2020

وفي ظل تداعيات الفيروس سجلت المندوبية السامية للتخطيط تراجعا في نسبة التردد على الخدمات الصحية، إذ صرح 39,5% من أرباب الأسر بعدم اللجوء للخدمات الصحية في حالة الأمراض المزمنة بسبب الخوف من الإصابة بفيروس كوفيد 19، و52,5 % في حالة الأمراض العابرة، و61,% بالنسبة لتلقيح الأطفال، و 51% بالنسبة لاستشارات ماقبل الولادة وما بعدها و64% بالنسبة لخدمات الصحة الإنجابية.

أسباب عدم الحصول على الخدمات الصحية خلال فترة الحجر الصحي (%)

	الخوف من الإصابة بالعدوى	صعوبة الولوج للعيادات الطبية	الإستقبال في المستشفى	غلاء الخدمة	أخر
الأمراض المزمنة	39 .5	16.1	23.8	16.5	4.2
الأمراض العابرة	52.5	18 .3	14.6	12.3	2.2
تلقيح الأطفال	61.4	13	14.3	3.9	7.4
استشارات ماقبل الولادة وما بعدها	51.4	24.0	22.4	2.2	_
الصحة الأنجابية	64.3	12.2	20.8	2.8	_

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، 2020.

وعلى صعيد المدن الكبرى في المغرب، تعتبر الدار البيضاء الأكثر كثافة بـ 15296 نسمة في الكيلومتر مربع، تليها فاس (10713 نسمة/كم2) وسلا (8163 نسمة/كم2) وطنجة (5736 نسمة/كم2) والرباط (4882 نسمة/كم2)، ومراكش (4436 نسمة/كم2)، هي التي شهدت أعلى معدلات الإصابة بفيروس كورونا.

وتختلف نسبة الإصابة بالفيروس حسب الكثافة السكانية، التي تعرف بدورها إختلافا داخل نفس المدينة، باختلاف الفئات السكنية. وهكذا، فإن الفئة الأكثر كثافة هي فئة السكن الاقتصادي والاجتماعي ب 18658 نسمة/كم2، تليها المدينة العتيقة (16039 نسمة/كم2) والسكن المتوسط ب 13412 نسمة/كم2 ودور الصفيح ب 7143 نسمة/كم2. وفي المقابل، فإن الفئة الأقل كثافة هي فئة السكن الراقي ب 1120 نسمة/كم2 فقط.

ولمزيد من التوضيح ، نضع خريطة للكثافة السكانية داخل مدينة الدار البيضاء ، تبرز التباين الحاصل في الكثافة السكانية حيث يمكن تقسيم مجال المدينة الى ثلاث مستويات من الكثافة السكانية:

- مجال كثافة سكانية مرتفعة: وتضم مقاطعات بن مسيك ، الفداء مرس السلطان .
- مجال كثافة سكانية متوسطة : تضم مقاطعات البرنوصي - عين السبع الحي المحمدي.

- مجال كثافة سكانية ضعيفة: تضم مقاطعات أنفا - الحي الحسني – عين الشق.

تباين الكثافة السكانية بين عمالات الدار البيضاء

المصدر: معطيات المندوبية السامية للتخطيط 2021 – وضع الطالب محمد حليم

إن وجود تباين في الكثافة السكانية بين مقاطعات عمالة الدار البيضاء، لا يؤخذ بعين الإعتبار في توزيع خدمات الرعاية الصحية، مما يساهم في جعل المناطق الأكثر كثافة سكانية تعرف تدني في مستوى الخدمات الصحية، وعرضة لانتشار الأمراض والأوبئة بشكل مرتفع ومتسارع كما حصل مع جائحة كورونا، إذ سجلت أكبر نسبة من الإصابات بالمناطق الهامشية التي تعرف أكبر كثافة سكانية .

7.2. ساهم التخطيط الحضري في تباين خدمات الرعاية الصحية بين مقاطعات عمالة أنفا ومقاطعات عمالة سيدي البرنوصي.

يرتكز قياس التفاوت على معيار التركز la concentration و التشتت la dispersion على مستوى القيم المركزية، والتي يمكن ملاحظتها على مستوى عدة مجالات مختلفة، من بينها: الحماية الإجتماعية، السكن، وتوزيع المؤسسات السياسية والثقافية والصحة (Nicolas duvoux 2017، ص 4). وتعتبر الصحة من أهم المؤشرات التي تبرز الوضع الإجتماعي ومستوى التنمية البشرية (المؤشر التركيبي للتنمية البشرية للأمم المتحدة) حيث يعكس مدى جودة الحياة بين دول العالم، فالتباينات الصحية هي إحدى المؤشرات التي تجعل من الممكن التحقق من مدى وجود المساواة بين الطبقات الإجتماعية (Nicolas duvoux، المرجع السابق ص 96) ولتبيان مدى صحة الفكرة ، إقترحنا المقارنة بين خدمات الرعاية الصحية لمقاطعات عمالة أنفا التي تمثل المركز و خدمات الرعاية الصحية لمقاطعات عمالة سيدي البرنوصي كما يوضح الجدول الإحصائي:

خدمات الرعاية الصحية بين عمالة أنفا وعمالة سيدي البرنوصي

خدمات الرعاية الصحية	عمالة أنفا(أنفا – سيدي بليوط – المعاريف)	عمالة سيدي البرنوصي (البرنوصي – سيدي مومن)
عددالسكان	475 ,397	630 ,834
الكثافة السكانية	ما بين 13,240-14,950	مابين 14,950– 16,150
المستشفيات	4	1
الأسرة	1782	95
المصحات الخاصة	67	4
أسرة المصحات الخاصة	1540	88
مصحات طب الأسنان	400	62
عدد أطباء القطاع العام	1247	288
عدد السكان لكل طبيب	149	1830
عدد السكان لكل سرير	261	1941
عدد الصيدليات	213	125
طب الجراحة	5	2
طب أمراض الأطفال	5	1

المصدر: وزارة الصحة إحصائيات 2021 – المندوبية السامية للتخطيط.

من خلال إستقراء معطيات الجدول تتضح الفوارق البينة بين مقاطعات عمالة أنفا ومقاطعات عمالة سيدي البرنوصي، على مستوى خدمات الرعاية الصحية، فرغم الثقل الديمغرافي الذي تمثله هذه الأخيرة بتعداد سكاني يفوق 600 ألف نسمة وكثافة سكانية تفوق 16 ألف ، فخدمات الرعاية الصحية هي أقل بكثير كما ونوعا من نظيرتها بعمالة أنفا، خصوصا على مستوى التجهيزات الصحية ومستوى الموارد البشرية، فعدد أطباء القطاع العام بعمالة سيدي البرنوصي لم يتعدى 288 طبيب، مقابل 1247 طبيب بعمالة أنفا، في حين عدد المستشفيات بعمالة أنفا وصل لأربع مستشفيات مقابل مستشفى واحد بعمالة سيدي البرنوصي، وهو ما إنعكس على عدد السكان لكل طبيب، إذ وصل بعمالة البرنوصي 1830 نسمة لكل طبيب، مقابل 149 نسمة لكل طبيب بعمالة أنفا.

تباين توزيع المراكز الصحية من المستوى الأول بين عمالات الدارالبيضاء

المصدر: وزارة الصحة – المندوبية الجهوية للصحة بالدارالبيضاء- وضع الطالب حليم محمد

على عكس معطيات الجدول التي توضح تركز مهم للمستشفيات بمركز المدينة على مستوى تراب عمالة أنفا ، يلاحظ من خلال الخريطة أن أغلب المراكز الصحية من مستوى أول يوجد بهامش المدينة، كما توضح المقارنة أن عدد المراكز الصحية، عددها لا يتجاوز مركزين بمقاطعة أنفا ، في المقابل يصل عددها إلى 11 مركز صحي على مستوى مقاطعة سيدي مومن، فقلة المراكز الصحية بمركز المدينة هو إعتراف ضمني من قبل أصحاب القرار ، أن هذا المجال في غنى عن أي عدد كبير من المراكز الصحية، نظرا للمستوى الإجتماعي الراقي الذي يساعدها على الولوج للعيادات الخاصة.

في ظل هذا المعطى ستضطر ساكنة الهوامش وبالخصوص ساكنة عمالة البرنوصي للتنقل إلى مركز المدينة قصد الإستشفاء بسبب تدني مستوى خدمات الرعاية الصحية في الهامش، وهوما يزيد من تبعية الهامش لمركز المدينة بسبب الضعف الكمي والنوعي لخدمات الرعاية الصحية، كما أن للتنقل كلفة مادية ونفسية تزيد من تدني نوعية الحياة في ظل صعوبة الولوجية من المركز الى الهامش (الإزدحام المروري – قلة المواصلات ورداءة جودتها).

تفسر هذه التباينات المجالية في توزيع خدمات الرعاية الصحية عبر مجال الدارالبيضاء، بالإرث الإستعماري، حيث ركز هذا الأخير على تجويد الخدمات الصحية لمناطق إعمار الساكنة الأوربية، في حين همش المناطق التي يقطنها المغاربة، ولكن بعد مرور أكثر من نصف قرن على خروج الإستعمار، لا يعقل أن تبقى نفس التوجهات التي تعمق اللاعدالة صحية، علما أن الدراسات الجغرافية أعطت العديد من الأدبيات في مجال تحليل وتفسير التباينات السوسيو مجالية التي تؤثر على جودة حياة الانسان. فجغارفة المدن، ركزوا على دراسات توزيع السكان وكثافاتهم ومناطق تركزهم وإنتشارهم داخل المدينة، وذلك لما لهذه الأبحاث من تأثير واضح على توجيه الأنشطة الإقتصادية والخدماتية خصوصا الصحية لتطوير نوعية الحياة الإجتماعية وتحسين ظروف البيئة الحضرية، مما ساهم في إغناء عمليات التخطيط العمراني والمساهمة في إيجاد إطار للتنمية المجالية الشاملة والمتوازنة نسبيا، داخل المجالات

المدروسة، مما ينعكس على تحسين الوضع الصحي وجودة الحياة(qualité de vie) ويرتبط التوزيع السكاني داخل المدن بعدة عوامل أبرزها، حجم السكان وحجم المساحة ووظيفة المدينة ومدة إنشائها، هذا ويعتبر الجغرافي الأمريكي: تريوارثا (Trewarartha 1953) أول من أشار إلى أهمية دراسة الإنسان في حقل الجغرافيا وأعطى الخطوط العريضة لدراسة جغرافية السكان. فمن وجهة نظره أن عدد الكثافات ونوعيات السكان تقدم الخلفية الأساسية للجغرافيا، والسكان هم نقطة الإنطلاق لفهم بقية العوامل المؤثرة."[322]

لذا تكتسي التناقضات المجالية صبغة نوعية، فضلا عن طابعا الكمي، وفي ذلك تجسيد لإستمرارية تركز الاستجابة لحاجيات السكان في أجزاء من المجال الحضري دون غيرها (مصطفى الشويكي: 1994، ص 517)

إن توزيع خدمات الرعاية الصحية عبر مجال الحاضرة الأولى في المغرب، بشكل متباين ومتفاوت بين ساكنة نفس المدينة، ونهج سياسات إعادة الإسكان لمجموعة من أحياء السكن الغير القانوني، التي تقوم على نقل ساكنة عمرت بمركز المدينة لعقود طويلة نحو مجالات هامشية (إعادة إسكان بعض ساكنة المدينة العتيقة نحو مدينة الرحمة بمسافة 30 كلم وجماعة الخيايطة) يطرح أكثر من تساؤل حول أفكار لوفيبر Lefebvre الوجدانية حول الحق في المدينة.(مصطفى اليحياوي – صلاح الدين زهلي ، مرجع سابق ، ص 231)

8. التوصيات:

بناء على نتائج الورقة البحثية، يتضح بشكل جلي أن مجال مدينة الدارالبيضاء يحتوى العديد من التناقضات والتباينات السوسيو مجالية، خصوصا في مجال خدمات الرعاية الصحية، من خلال المقارنة بين عمالتي أنفا وسيدي البرنوصي، وهي وضعية تشمل معظم المدن المغربية، فينعكس الوضع بشكل مباشر على تصنيف المغرب في مؤشر التنمية البشرية (123 عالميا). ولتفادي تفاقم الفوارق نضع بعض التوصيات أمام أصحاب القرار:

- تجويد العرض الصحي بالمناطق الهامشية ، بالزيادة في عدد الموارد البشرية وتقريب المرافق الصحية من ساكنة المدن الهامشية.
- وضع قطيعة مع الإرث الإستعماري في تدبير وتوزيع خدمات الرعاية الصحية.
- التركيز على التخطيط العمراني الذي يراعي خصائص التوزيع الديمغرافي في توطين المرافق الصحية.
- ضرورة الإنفتاح على الأدبيات الجغرافية خصوصا الجغرافية الطبية، لما لها من إقتراحات قيمة تفسر علاقة الإنسان ببيئته الصحية.
- ضرورة تبني مفهوم أنسنة المدن في مرافقها وشوارعها وسكنها ...لأن العبرة بجودة ونوعية المرافق وليس بكمها.

الخاتمة

إرتئينا من خلال هذه الورقة البحثية، تسليط الضوء على مفهوم جدير بالإهتمام ألا وهو مفهوم العدالة المجالية في توزيع خدمات الرعاية الصحية، الذي بسطنا من خلاله تجليات التناقضات التي تعرفها مدينة

[322] Trewartha .G ." The case for population Geography" ann . Assoc . Anner .Geographers. 1953 . P.43. 71.

الدارالبيضاء بين مجالاتها المركزية والهامشية، حيث قاربنا الموضوع إنطلاقا من نظرية المفكر الجغرافي الأمريكي إدوارد صوجا ونظرية المركز والهامش للمفكر المصري سمير أمين.

ويبقى هدفنا من خلالها هو تبيان بعض الهفوات التي يمكن تجنبها من طرف الفاعلين الترابيين لتجاوز إشكالية اللاعدالة الصحية، التي تؤثر بشكل مباشر على جودة ورفاهية ساكنة الدارالبيضاء، التي تضطر إلى تحمل عناء التنقل للحصول على خدمات صحية في المستوى بمركز المدينة.

كما إتضح جليا أن الإرث الثقيل الذي ورثه مجال الدارالبيضاء عن الفترة الإستعمارية، يفسر إلى حد ما التفاوتات المجالية الحاصلة بين مركز المدينة وهامشها، ورغم الشعارات المتبناة من طرف أصحاب القرار لوضع قطيعة مع سياسات المستعمر الأهلية، إلا أن واقع الحال يكشف وضعيات متناقضة بين أسلوب الخطاب وواقع الحال ، فالثقل الديمغرافي والكثافة السكانية لا تأخذ بعين الإعتبار توزيع خدمات الرعاية الصحية ، وهو ما كشفنا عنه من خلال تشخيص العرض الصحي بكل من مقاطعات عمالة أنفا ومقاطعات عمالة سيدي البرنوصي بناء على معطيات وزارة الصحة.

المراجع:

أطاريح:

- أنفلوس محمد (2007)، " تحولات المجال المغربي والمجتمع " دراسة جغرافية الصحة بالوسط الحضري أطروحة دكتوراه – كلية الأداب والعلوم الإنسانية – المحمدية.
- أيت العسري بدر الدين(2014)،"- التباينات الجغرافية للوضعية الصحية : حالة الدارالبيضاء أطروحة دكتوراه – كلية الأداب والعلوم الإنسانية – المحمدية.
- شويكي مصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدارالبيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس كلية الأداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط.

كتب:

- أيمن محمد مصطفى يوسف(2005)،" قياس وإدارة تنمية المجتمعات العمرانية الجديدة من خلال مؤشرات جودة الحياة".
- ثامر ياسر البكري(2005)، "تسويق الخدمات الصحية"، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- السنوسي، محمد معنى (2017) ،" الدارالبيضاء، الإنسان والزمان والمكان: تاريخ وتطور"، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
- أميرة طه،(2007)، "جودة الحياة وعلاقتها بمفهوم الذات لدى المعاقين بصريا والعاديين بالمملكة السعودية العربية"، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- بلفقيه محمد (2002)، الجغرافيا القول عنها والقول فيها المقومات الإبستيمولوجية، دار نشر المعرفة، الرباط.

- شويكي المصطفى (1996) ،"الدارالبيضاء مقاربة سوسيو مجالية"، كلية الأداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدارالبيضاء.

مقالات:

- أنفلوس محمد (2021)،" بعض معالم سياسة التعمير على ضوء الحالة الطبية والصحية للمغرب في عهد الحماية مقال منشور بمجلة ليكسوس دجنبر 2020 – عدد 36 .
- شويكي مصطفى (2006)، "التعمير بالمغرب بين إجترار رواسب الماضي والتهرب من مشاكل الحاضر. مقال منشور ضمن كتاب " المدينة المغربية بين التخطيط والعشوائية" . منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بفاس.
- الفاتح محمد عثمان مختار(2013)، " إقتصاديات خدمات الرعاية الصحية في الدول النامية وأثرها على التنمية"، مقال منشور بالمجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا.
- طلعت الدمرداش، (2008)، "إقتصاديات الخدمات الصحية "، طبعة 2 ، مكتبة القدس ،
- عبد الرحيم قاسم قناوي، وعصام عبد السلام جودة، (2008)،"جودة الحياة والعمران في المناطق العشوائية"، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي العاشر، قسم التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة الأزهر، مدينة النصر، لقاهرة، ، ص 197.
- مصطفى يحياوي، صلاح الدين زهلي (2021) " اللاعدالة المجالية والإجتماعية وإنعكاساتها على المجال بالدارالبيضاء: حالة مقاطعتي أنفا ومولاي رشيد" ، مقال منشور بمجلة العلوم الإجتماعية – المركز الديمقراطي العربي – ألمانيا.
- ناهد صالح(1990)،" مؤشرات نوعية الحياة : نظرة عامة على المفهوم والمدخل"، المجلة الإجتماعية القومية، المجلد 27، العدد 2

- ANDRE .Adam(1968). Casablanca Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident, ED CNRS, 2 VOL, Paris.
- BERNARD, Paul (2009) Interpréter les inégalités socio – spatiales a la lumière de la Théorie de la justice de johon Rawls, Annales de géographie.
- CHOUIKI, Mustapha,(2002) Dynamiques des Rapports entre Casablanca et Sa première couronne périurbaine" ,Communication au 8émé Colloque de Géographié Maghrébine , Casablanca , In Revue Espace Maghrébins.
- DUFAUX, Frédéric (1913) Justice spatiale et politique territoriales. Presse universitaire de paris ouest
- DUVOUX, Nicolas (2017) les inégalités sociales, presses universitaires de France – humensis.
- ECOCHARD,M," L'urbanisme et les pouvoirs IN politique. ED. Maison de L'orient Lyon . 1984.
- NOINS .D (1961) L'evolution récente de casablanca , IN , Revue Notes Marocaines.
- JONES , A (2002) Guide to doing quality of life Studies, University of Birmingham .

المجلد الخامس/العدد الثامن عشر- دجنبر2022.
مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
ISSN 2569-734X

التقلبات المناخية وانعكاساتها على الصيد البحري بساحل المهدية ومولاي بوسلهام

Climate change and its consequences on fishing in the coast of Mahdia and Moulay Bousselham

فاطمة احمد جنيد زخم، باحثة في سلك الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
عيسى البوزيدي،أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
البريد الالكتروني zakham.fatima@gmail.com

ملخص

يحتوي الشريط الساحلي المهدية مولاي بوسلهام على مناطق صيد ونقط تفريغ الثروة السمكية، أهمها ميناء المهدية ومولاي بوسلهام. بفعل موقعه الجغرافي، والتغايرية المناخية التي تشهدها عناصر المناخ، أصبحت تأثيرات التقلبات المناخية تنعكس على الأحياء البحرية. عرفت العديد منها تراجعا وانقراضا، والبعض الآخر تكيف واكتسب نوعا من الحماية. أما الأصناف الأخرى، فغيرت مواطن العيش وأوقات الهجرة. أثر هذا بشكل سلبي على إنتاج الصيد البحري بساحل المهدية ومولاي بوسلهام بسبب بروز مؤشرات الهشاشة المرتبطة بالتقلبات المناخية.

نسعى من خلال هذا المقال، إبراز انعكاسات التقلبات على الثروة السمكية وإنتاج الصيد البحري بساحل المهدية ومولاي بوسلهام، وذلك من خلال استقراء آراء الصيادين، وهي كنتائج لبحث ميداني أنجز عن طريق الاستمارات، تم تفريغها ودراسة عناصرها المختلفة.

الكلمات المفاتيح : ساحل المهدية ومولاي بوسلهام، الصيد البحري، التغيرات المناخية، الاستمارة، الانعكاسات.

Abstract:The coastal plain of Mahdia and Moulay Bousselham contains fishing areas, fisheries loading points and importantly, the port of Mahdia and Moulay Bousselham. Due to its geographical location, and the climatic changes experienced by the climate elements, the effect of climate changes is reflected on marine life. Many species have exposed to decline and extinction, and others have adapted and gained some kind of resistance. Some other species changed the places of life and times of migration. Consequently, the fisheries production has been affected and the fragility indicators of climatic changes emerged in the coast Mahdia and Moulay Bousselham. In this study, we aim to highlight the effects of these changes on the fisheries and marine fishing in the coast of Mahdia and Moulay Bousselham by extrapolating the fishers' reviews during a field work carried out through the analysis of surveys and their various elements.

Keywords: Mahdia and Moulay Bousselham coast, fishing.

تقديم

بفعل انتمائه إلى الساحل الأطلنتي المغربي، يتميز ساحل المهدية مولاي بوسلهام بتنوع كبير في الموارد البحرية، وتشكل الأسماك السطحية الصغيرة أساس هذه الموارد~~البحرية~~. ساهمت هذه الأخيرة في استقرار مجموعة من الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالساحل، وارتفاع نسبة التمدين، لذلك فالثروة البحرية تتعرض للاستنزاف والتدهور الناتج عن مخلفات الأنشطة البشرية، التي أدت إلى تسارع وثيرة التقلبات المناخية.

تعد الثروة البحرية من أبرز الموارد الطبيعية بساحل المهدية ومولاي بوسلهام، حيث تشكل إحدى أنشطة الاقتصاد المحلي، وتساهم في خلق فرص شغل. يعتبر الشريط الساحلي لمهدية ومولاي بوسلهام منطقة بحرية تتصدر إنتاج الصيد البحري على مستوى جهة الرباط سلا القنيطرة، لكنها تعرف تغايرية مستمرة في حالات الطقس والحركات البحرية، وتتجسد كلها في ارتفاع درجة حرارة مياه المحيطات ونسبة الملوحة، وفي تحمض المحيطات وارتفاع منسوب مياهها. جعلت هذه التغيرات ساحل المهدية مولاي بوسلهام يشهد انعكاسات التغيرات المناخية، التي ظهرت على الأسماك والأحياء البحرية.

لمعالجة إشكالية هذا الموضوع تم الاعتماد على ملئ الاستمارات من خلال المقابلات الميدانية للوقوف على مختلف جوانب انعكاسات التغيرات المناخية من منظور الصيادين بعد تفريغها وتحليل نتائجها.

يهدف هذا المقال إلى إجراء دراسة جغرافية وصفية وتفسيرية لانعكاسات التغيرات المناخية على الصيد البحري، لإبراز مظاهر التغايرية المناخية، وكذا تأثيرها على قطاع الصيد البحري بساحل المهدية ومولاي بوسلهام.

يقع ساحل المهدية مولاي بوسلهام في الشمال الغربي من المغرب، ويشمل الكثبان الساحلية المطلة على المحيط الأطلنتي. يحده المحيط الأطلنتي غربا، وشرقا سهل الغرب، ومن الجنوب الغربي هضبة المعمورة، ومن الشمال هضبة الرمل وإقليم العرائش. يعتبر الشريط الساحلي المهدية مولاي بوسلهام مجالا تسود به كثبان رملية تفصل السهل عن البحر من جنوب مصب واد سبو في إتجاه الشمال الشرقي، على امتداد تسعة جماعات ترابية : سيدي الطيبي، القنيطرة، المهدية، المناصرة، بنمنصور، محمد بنمنصور، بحارة أولاد عياد، مولاي بوسلهام والشوافع. .

المصدر: التقسيم الإداري المندوبية السامية للإحصاء 2015، بالتصرف

الشكل رقم1: خريطة توطين ساحل المهدية مولاي بوسلهام

ينتمي الشريط الساحلي مهدية مولاي بوسلهام إداريا، لإقليم القنيطرة بجهة الرباط سلا القنيطرة، والذي يشكل جزءا مهما من المحور الأطلنتي، كمجال استقطاب للسكان وتركز الأنشطة السوسيواقتصادية المختلفة، والمتمثلة في الفلاحة والصناعة والصيد البحري المتأثر بالتباينات السنوية والبيسنوية لمختلف عناصر المناخ.

1- البنيات التحتية ساهمت في تطور الصيد البحري بساحل الغرب

يتوفر الشريط الساحلي المهدية مولاي بوسلهام على بنية مينائية تتكون من ميناء مهدية والقنيطرة ثم ميناء مولاي بوسلهام، ويعود تأسيس ميناء القنيطرة والمهدية إلى عهد الدولة الموحدية، نهاية القرن 12 وبداية القرن 13، وخلال القرن 20 عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على استخدامه كنقطة لنقل الجنود والأسلحة والقيام بالعمليات التجارية(323)، لينتقل بعد ذلك تدريجيا إلى وظيفة الصيد البحري الذي تطور بعد مرحلة الاستعمار. يرجع هذا الى الأهمية الإستراتيجية التي تكمن في موقعه على الشريط الساحلي الأطلنتي بين خط عرض′34°16 درجة شمال خط الاستواء، وخط الطول′6°39 غرب خط كرينتش(324).

الصورة رقم 1: منطقة رسو قوارب الصيد ميناء مهدية

323 سعيد البوزيدي 2010، من بانصا إلى بور اليوطي: الميناء النهري للقنيطرة على واد سبو. المدن المراسي في تاريخ المغرب. اشتعال الأيام الوطنية الثامنة عشر الجمعية المغربية للبحث التاريخي. ص104-148.

324 الخريطة الطبوغرافية لمدينة القنيطرة بمقياس 1/50000.

صورة ميدانية. عمل شخصي 2019

تقدر المساحة الإجمالية لميناء مهدية ب 2.4 هكتار، 1.6 مجهزة بالماء والكهرباء والإمداد بالوقود وقنوات الصرف الصحي ورصيف طوله 60 متر، إضافة إلى الميناء المعدني الذي يبلغ 2.9 هكتار برصيف يمتد على 360 متر وتستعمل الأرصفة لرسو السفن وتفريغ حمولة الصيد(325). أما بخصوص ميناء مولاي بوسلهام، فإنه يتواجد على بعد 70 كلم شمال مدينة القنيطرة و35 كلم جنوب العرائش، يقع هد الميناء على بحيرة المرجة الزرقاء بين خط عرض 34°52′43 شمالا وخط طول 6°17′36′ غربا. والجدير بالذكر إن نقطة التفريغ مولاي بوسلهام تابعة إداريا إلى ميناء مهدية وغلبا ما يتم إدراج ما تقدمه من إنتاج ضمن الحمولة المفرغة بميناء مهدية.

جدول رقم 1: أسطول الصيد البحري النشيط بساحل مهدية مولاي بوسلهام

نوع السفن	عدد الوحدات المسجلة
القوارب	323
سفن صيد السردين	43
سفن الخيوط الطويلة	25
سفن التجميد	9
المجموع	400

المصدر: مندوبية الصيد البحري 2019

يحتوي ساحل المهدية مولاي بوسلهام على أسطول بحري نشيط يتكون من أربعة أنواع رئيسية، 323 قارب للصيد التقليدي مسجلة برسم سنة 2018. تشكل هذه القوارب نسبة هامة من المراكب المستخدمة في نشاط الصيد البحري نظرا لارتباط البحارة بهذا النوع من القوارب لكونه غير مكلف. أما بخصوص سفن صيد السردين، فإن عددها لا يتجاوز 43 وحدة، مقابل 25 سفينة تعمل بالجر، و9 وحدات للتجميد، حيث تلعب هذه الأخيرة دورا مهما في إمداد السفن بالثلج والحفاظ على جودة السمك.

325 تقرير الأنشطة.2018. تشخيص الصيد البحري. ميناء المهدية، الرباط، مولاي بوسلهام. مندوبية الصيد البحري الرباط. ص 2.

لعبت البنية الميناءية دورا مهما في تطور إنتاج الصيد البحري بساحل الغرب، حيث مكن أسطول الصيد البحري النشيط من تنويع أساليب الصيد البحري حسب الأصناف السمكية، التي تشكل موردا ونشاطا اقتصاديا مهما بساحل الغرب.

1.1- تطور إنتاج الصيد البحري بساحل مهدية مولاي بوسلهام

تعتبر المنطقة الأطلنتية الشمالية المغربية مجال تنوع الكائنات المائية. يرتهن تكوينها ووفرتها بالعوامل الهيدرومناخية التي تسود الضفة الغربية للقارة الإفريقية. لذلك، فبفضل استغلال هذا التنوع البيولوجي، يعد قطاع الصيد البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام، إحدى ركائز النسيج الاقتصادي والاجتماعي، ورافعة أساسية للتنمية السوسيواقتصادية.

المصدر: مندوبية الصيد البحري بالقنيطرة، 2019

شكل رقم 2 : تطور إنتاج الصيد البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام (بالطن) ما بين 2005 و2018

عرف الصيد البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام تطورا ما بين 2005-2018، والملاحظة الأساسية التي نستشفها من هذا الشكل، هو أن هذا التطور بالميناءين وخصوصا من حيث الإنتاج، يمكن أن يقسم إلى ثلاث مراحل حسب السلسلة الاحصائية المتوفرة. تتميز المرحلة الأولى (2005-2010) بميناء المهدية، بارتفاع حجم الإنتاج الذي انتقل من 2670 طن سنة 2005 إلى 11849 طن سنة 2010، وتعد هذه السنة استثنائية حيث حققت أعلى إنتاج، مقابل السنوات التي تمثلها السلسلة الإحصائية ككل. عكس هذا، عرفت المرحلة الثانية تراجعا ملحوظا في الإنتاج، وسجلت سنة 2011 ما مجموعة 5829 طن، ليستمر الانخفاض مع بعض الارتفاعات الطفيفة، والتي لم تتجاوز في مجملها 7629 طن سنة 2012. أما المرحلة الثالثة، فإنها عرفت ارتفاعا في الإنتاج حيث وصل إلى 9413 سنة 2017 مقابل 9120 سنة 2018.

أما بالنسبة لميناء مولاي بوسلهام، فإن إنتاج الصيد البحري في المرحلة الأولى التي تمتد من 2005 إلى 2012، عرفت تطورا ضعيفا لا يتجاوز 778 طن سنة 2012، عكس المرحلة الثانية التي وصل فيها الإنتاج إلى 7133 طن سنة 2013، لينخفض بعد ذلك إلى اقل من 100 طن مابين 2013 -2018.

تبين هذه المعطيات أن الصيد البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام يتجه نحو الانخفاض منذ سنة 2010، وهو انخفاض يتسم بالتغير والتفاوت في الإنتاج من مرحلة إلى أخرى وحتى داخل مختلف المراحل. يمكن تفسير هذا، بالظروف الطبيعية التي تميز الجزء الشمالي الغربي للمغرب الأطلنتي.

إن ضعف وعاتقة أسطول الصيد البحري، يجعله غير قادر على الإبحار خلال الفترات التي تسود فيها الحالات الطقسية الإعصارية، كمان إن التغيرات المسجلة في الوسط البحري تنعكس بشكل سلبي على الثروة السمكية مما يؤثر على الإنتاج.

2- مظاهر التغيرات المناخية بساحل المهدية مولاي بوسلهام

يعاني المغرب كجميع دول العالم من اثأر التغيرات المناخية بما يفرضه موقعه الجغرافي وخصائص أنظمته الايكولوجية. يقع المغرب في شمال غرب افريقيا بين منطقتين مناخيتين، منطقة رطبة في الشمال ومنطقة جافة في الجنوب، مما يجعله تحت تأثير مناخ متوسطي متنوع، شديد الرطوبة ورطب وشبه رطب وشبه قاحل وقاحل وصحراوي. وقد أكدت الأرصاد الجوية الوطنية خلال العقود الأخيرة، أن المناخ الشبه قاحل يعرف دينامية تتمثل في الزحف في اتجاه شمال البلاد(326).جعلت هذه العوامل الجغرافية، المرتبطة بالتقلبات المناخية، المجال المغربي، أكثر حساسية واستجابة لمختلف المؤثرات التي تنعكس آثارها على أنشطة الصيد البحري بهذا الجزء من المغرب.

أضحى تأثير التقلبات المناخية على مصايد الأسماك وتربية الأحياء المائية محسوسا، حيث إن تفاعلات المناخ وأحداث الطقس الحادة، ستزداد ترددا، وهو ما تعرفه مجالات المحيطين الهادي والأطلنتي. يمكن أن نرصد هذه التأثيرات(327) في الاحترار المتواصل للمحيطات بشكل عام بازدياد مفعول الدفيئة في المياه السطحية والعميقة. إن حصول تبادلات في توزيع الأرصدة السمكية، هي من انعكاسات التغيرات المناخية التي باتت ملحوظة على مستوى تحركات الأنواع السمكية في اتجاه القطب إلى جانب تراجع أرصدة تلك التي تعيش في المناطق الباردة. يرتبط هذا أيضا بالتغيرات الحاصلة في نسب ملوحة المحيطات والبحار وتفاوتاتها العمودية من السطح نحو العمق بالمناطق الأكثر تعرضا للتبخر، إلى جانب اختلافاتها الأفقية على مستوى مختلف العروض. هذا، بالإضافة إلى تزايد التساقطات أو تقلصها وما يرتبط بها من ظواهر الجريان السطحي، وكذا ذوبان الجليد وارتفاع منسوب المياه البحرية.

تنعكس هذه الوضعية الكونية على المجال الساحلي المغربي، حيث أن للتقلبات المناخية لها تأثيرات كبيرة تمس دينامية الكائنات البحرية، كما هو الشأن بساحل المهدية مولاي بوسلهام، الشيء الذي ينعكس على الأرصدة السمكية بهذا المجال.

326- seconde communication nationale sur les changements climatiques.2010

327- الشبكة الأوربية الفائقة لتحليل النظم الايكولوجية في المحيطات EUR OCEANS وهيئة ديناميكيات النظم العالمية في المحيطات GLOBEC. تقرير حول الحالة البحرية 2008

المصدر: الاستمارة الميدانية، 2019

شكل رقم3: تصورات الصيدين لتغيرات المسجلة في الوسط البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام

تعبر النتائج المتوصل إليها من خلال البحث الميداني، أن التغيرات المسجلة في الوسط البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام، تشير إلى أن هناك تحولات عميقة في حالات البحر، وإنها سجلت تغيرات بنسبة 91% و69% مست أنواع الصيد، في حين أن التأثيرات الملاحظة في المناخ لا تشكل إلا 23% من مجموع التغيرات المرصود من طرف العاملين في قطاع الصيد البحري. لهذا، فان الحالات التي أصبحت عليها أحوال الطقس لا تؤثر إلا من خلال بروز بعض الحالات الاستثنائية المتطرفة في بعض الأحيان على مستوى عناصر المناخ، إضافة إلى التحولات في أنماط وأماكن الثروة السمكية، وهو تعبير واضح على مجموع التحولات التي تمس حالة المياه البحرية، والتي تتحكم في إنتاج الثروة السمكية بساحل المهدية مولاي بوسلهام.

1.2- تأثير عناصر المناخ على الصيد البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام

يصنف المغرب ضمن البلدان الأكثر عرضة للتغيرات المناخية، وذلك بحكم موقعه الجغرافي في منطقة انتقالية ما بين العروض المعتدلة شمالا والعروض المدارية جنوبا. تشير مختلف الدراسات والأبحاث إلى أن مناخ البلاد شهد على المستوى المجالي والزمني تغيرات مناخية ملحوظة، وهي تنزع منذ منتصف السبعينات نحو المزيد من الاحترار والتجفيف(328)، لهذا، وفي هذا السياق، فان ساحل مهدية مولاي بوسلهام تسوده حالات التحول المناخي، وهو ما تشير إليه دراسة بعض عناصر المناخ الممثلة في الشكل المعبر على درجة التأثير التي تتعرض له الثروة السمكية في هذا الساحل.

[328] نور الدين الحايك،2017، التغيرات المناخية وإشكالية استدامة الموارد المائية بإقليم تطوان، التغيرات المناخية والتنمية الترابية بالمغرب منشورات مختبر الأبحاث والدارسات الجغرافية والتهيئة والخرائطية، جامعة سيد محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

المصدر: البحث الميداني 2019

شكل رقم4: درجة تأثير عناصر المناخ على الصيد البحري حسب تصور الصيادين بساحل المهدية مولاي بوسلهام

يقدم الشكل 4 نسب التصورات حول العناصر الأكثر تأثيرا في حالات المياه البحرية. تعد الرياح العنصر الرئيسي الذي يؤثر على ديناميكية الصيد البحري، لأنها تحتل النسبة العليا الأكثر تأثيرا في هذه المياه. تبين العينات المدروسة أن الرياح تؤثر ب 93% على الصيد البحري، والتساقطات المطرية ب 81%، ثم الحرارات بنسبة 80%، و70% بالنسبة للتيارات البحرية. أما بالنسبة للتأثيرات المرتبطة بالضغط الجوي ومدة التشمس، فتبقى نسبتهما ضعيفة، ولا تتعدى 41 %. لذلك، فان الاضطرابات التي تحدث على الأرصدة السمكية بساحل المهدية مولاي بوسلهام، هي نتاج لدرجة الاختلال التي تتم على مستوى الرياح والتساقطات المطرية والحرارات و التيارات البحرية.

2.2- وضعية درجات الحرارات بساحل المهدية مولاي بوسلهام

تبين مؤشرات تغير درجات الحرارات، أن المغرب يشهد حاليا نزعة عامة نحو ارتفاع درجات الحرارات بحوالي 0.10 C° إلى 0.63 C° بالنسبة للمعدلات العادية(329). لذلك، يعتبر المغرب من البلدان المهددة بانعكاسات ذوبان الجليد بالقطبين(330)، وباعتبار ساحل المهدية مولاي بوسلهام جزأ لا يتجزأ من الساحل الأطلنتي، فانه يعرف تغيرات ملحوظة في درجة الحرارة التي تتسبب في تغير تركبت المنظومة البحرية.

[329]-عبد العزيز باحو. محمد الصباحي. 2014 . التغيرات المناخية وانعكاساتها على الموارد وعلى الفلاحة وتدبير التكيف. مجلة جغرافية المغرب مجلة 29 عدد 1-2. 2014. ص 18.

[330] الفة حاج علي واخرون،2017، التلوث الهوائي الناتج عن وسائل النقل ومساهمته في التغيرات المناخية بجهة مراكش اسفي، منشورات مختبر الأبحاث والدارسات الجغرافية والتهيئة والخرائطية، التغيرات المناخية والتنمية الترابية بالمغرب، جامعة سيد محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

المصدر: بحث ميداني 2019

شكل رقم 5 : تصورات الصيادين حول ارتفاع درجات الحرارات بساحل المهدية مولاي بوسلهام

يعرف ساحل المهدية مولاي بوسلهام ارتفاعا في درجات الحرارات، حيت تبين النسب المرصودة من خلال البحث الميداني، أن 66.66% من الفئة المستجوبة، أكدت أن هناك ارتفاع في درجات الحرارات ، مقابل 33.33% من المستجوبين الذين يلاحظون أن درجات الحرارات لم تعرف أي تغير. يتبين أيضا، من خلال السلسلة الإحصائية الخاصة بدرجات الحرارات، أن ساحل المهدية مولاي بوسلهام، يشهد نوعا ما ارتفاعا وزيادة في درجات الحرارات، إلا أنها لا تأثيرها على الثروة السمكية يبقى ضعيفا، وهو ما يوافق أراء الفئات المستجوبة.

3.2- التغايرية الحرارية الفصلية بساحل المهدية مولاي بوسلهام

تكمن أهمية دراسة الحرارات الفصلية في الدور المحوري الذي تلعبه في توفير الثروة السمكية، لان التغايرية الحرارية المسجلة حسب الفصول، تساهم بشكل كبير في التحولات السنوية لأرصدة الثروة السمكية. تتفاعل هذه الأخيرة مع التغيرات التي تحدث في درجات الحرارات، والمتأرجحة بين الارتفاع والانخفاض، لذلك، فان توفر المخزون السمكي رهين بالحرارة الملائمة للأصناف السمكية.

المصدر: البحث الميداني 2019

شكل رقم6: نسب التصورات حول تغيرات درجات الحرارات الفصلية بساحل المهدية مولاي بوسلهام

نستنتج من العينات المدروسة، أن فصل الصيف هو الذي يعرف ارتفاعا في درجات الحرارات بنسبة 75%، وهي المرحلة التي تنتعش فيها عملية الصيد. يعود سبب هذا، إلى عملية التمويه الضوئي الذي تحدثها الأشعة الشمسية حيث تصعد الأسماك إلى المياه السطحية التي تصبح شفافة، عكس

فصل الشتاء الذي تصل فيه نسبة تأثير الحرارة إلى 38% و 28% خلال فصل الربيع، في هذه الحالة فان بعض الأنواع السمكية تظهر بساحل الغرب نظرا لارتباط خصائصها الفيزيولوجية مع درجة الحرارة المنخفضة، وأنواع أخرى تختفي نتجت التغيرات الحرارية التي لا تتلاءم مع خصائصها.

4.2- حالة حرارة المياه البحرية بساحل المهدية مولاي بوسلهام

عرفت مياه سطح المحيط الأطلنتي الشمالي الشرقي ارتفاعا ملحوظا في درجات الحرارات، فحسب المعطيات الرصدية المسجلة ما بين سنة 1982 و2013، فان النزعة العامة تنحو نحو الارتفاع بمتوسط حراري يتراوح بين 0.28 و0.25 درجة على بعد 200و600 متر عن الساحل. أما على مستوى مياه العمق، فقد توصلت بعض الدراسات البحرية، إلى أن درجة حرارة مياه العمق ارتفعت ب 0.02 درجة (331،332).

المصدر: البحث الميداني 2019

شكل رقم 7: التغايرية الحرارية للمياه البحرية بساحل المهدية مولاي بوسلهام

تمثل درجة الحرارة المماثلة، أي العادية، لمياه البحر، حسب العينة المستهدفة نسبة 55% بساحل المهدية مولاي بوسلهام، مقابل 50% من الصيادين الذين عبرو على أن مياه البحر ارتفعت درجة حرارتها، في حين بلغت نسبة دفئ مياه البحر 30% حسب تصورات الصيادين. تعبر هذه المؤشرات، على أن حرارة مياه البحر تبقى مستقرة في غالب الأحيان، لأنها لا تتجاوز الدرجة المماثلة التي تتوافق مع الحالة الطبيعية لحرارة مياه البحر، مقابل التغيرات التي تتجه فها درجات الحرارات نحو الدفيء حسب الحركة الظاهرية للشمس، وحالات الطقس المسجلة سنويا وفصليا، أي أن هناك تأرجح بين الحالة العادية لدرجة حرارة مياه البحر وحالة التغير من حين إلى أخر.

5.2- التذبذبات الحرارية بالمياه البحرية

عرف الساحل المغربي تحولات مجالية كان لها أثر واضح على الموارد الطبيعة، وخاصة منها الثروة السمكية التي تعتبر من ركائز الاقتصاد المحلي. بعد الاستقطاب الكبير للسكان وللأنشطة، ونشأة

[331]- LE réchauffement climatique et l'acidification des océans de la région nord-ouest africaine courant des canaries et mer d alboran travaux techniques et scientifiques INRH P 39

[332]- الجمعية العامة للأمم المتحدة. 2009. التقرير السنوي لمفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بشأن العلاقات بين تغير المناخ وحقوق الإنسان. ص 8.

المراكز الحضرية الساحلية، والتي تحول أغلبها إلى مدن، ازداد الضغط على الموارد البحرية المتأثرة بالتغيرات المناخية، والتي أدت إلى تغير النسيج الإحيائي للأوساط البحرية و ظهور مؤشرات الهشاشة. واكب هذه التحولات تطور مدلول أنظمة الطقس، فالحركات الهوائية العامة تبين أن هناك مجموعة من الوضعيات الجوية التي تعرف تغايرية منسجمة بين مناطق واسعة من الكرة الأرضية، وخاصة تلك المرتبطة بتأثيرات الشمال الأطلنتي والمتحكمة في الحركات الهوائية. من مميزات وخصائص هذه الأنظمة، استمراريتها الزمنية، وشبه الاستقرار المكاني لتشكلها، والتي تفرز أحيانا حركات هوائية تختلف إلى حد ما عن الحركات الهوائية العادية. يبين نظام الطقس شمال المحيط الأطلنتي، أن الفترة الحارة تؤثر على أنظمة الطقس شمال الأطلنتي من خلال الزيادة في تقوية الممال الضغطي، وبالتالي الزيادة في سرعة الحركات الهوائية الغربية خلال الفترة الدافئة. أما خلال الفترة الباردة(333)، يحدث العكس، أي أن هذه الوضعية المناخية تشكل أساس حركات التيارات البحرية وحرارة المياه،

المصدر: البحث الميداني 2019

شكل رقم 8 : التغيرات الحرارية على مستوى المياه البحرية بساحل المهدية مولاي بوسلهام

فقد أكدت خلاصات البحث الميداني أن حرارة عمق المياه تغيرت، وهو ما تعبر عنه نتائج عينات البحث حيث أن 55% من المستجوبين أدلو بهذا التغير من خلال تصوراتهم، كما أدلو بان حرارة المياه السطحية ارتفعت عن المألوف وخصوصا في خلال فصول الصيف، وفي هذا السياق، بلغت نسبة المستجوبين الذين عبروا عن هده الحالة 75%، وهو ما يبينه الشكل أسفله.

يتبع النظام الحراري للمياه السطحية نظام المناخي المتوسطي، درجة الحرارة عالية في الصيف 30 درجة مئوية ومعتدل في الشتاء ب 16 درجة مئوية مع طول المرحلة الدفيئة، حيث يؤدي استمرار هذه الحالة إلى ارتفاع درجة حرارة الماء، وبالتالي ترسيب العناصر المعلقة في الماء وتخمير المادة العضوية، وحسب الدراسات التجريبية التي أنجزت على مصب واد سبو أن قيم درجة الحرارة تتراوح بين 15.9 درجة مؤوية في ديسمبر 2007 و 30.2 درجة مؤوية مسجلة في شتنبر 2014.

333- علي البلشي.2012. دورة الأنظمة البنيوية للحركات الهوائية في التغايرية العامة للتساقطات في المغرب. حالة نظام التأرجح الشمال الأطلسي. مجلة جغرافية المغرب مجلد27 عدد1-2 .2011-2012.

Source: M. Mohammed IZOUGARHANE,2016, p , 99,

شكل9 : تطور درجة حرارات المياه بمصب واد سبو 2016

يظهر تطور درجة حرارات المياه السطحية تباينًا كبيرًا، ترتفع درجة الحرارة كلما ابتعدنا عن مصب واد سبو، وتسجل أعلى درجات حرارة في جميع الفصول، بينما تسجل أدنى درجة حرارة في المصب نظرا لغلبة مياه البحر الباردة، علاوة على ذلك سجلت أعلى درجات حرارة في شهري يونيو وأيلول ، بينما سجلت أدنى درجة حرارة في ديسمبر(334).

6.2- تأثير الحرارة على نسبة ملوحة مياه البحر

تندرج التقلبات الفصلية في درجة حرارة المياه بالمحيط الأطلنتي الشمالي، ضمن التغايرية المسجلة في العروض الشبه مدارية والمعتدلة، هذه التحولات تأثير على ملوحة المياه وعلى الأنظمة الحرارية. في الفصل البارد تكون درجة حرارة المياه اقل من 24 درجة تقابلها نسبة 36% من الملوحة في المياه، أما على مستوى الساحل فان درجة الملوحة تنخفض في بعض المناطق بفعل اختلط المياه الدافئة مع المياه الباردة الهادئة، وخلال فصل الصيف فالملوحة تتطور بشكل منتظم مع ظاهرة التبخر، حيث تفوق 36% ابتداء من شهر يونيو حتى بداية الفصل المطير، يعزى سبب هذه التغيرات إلى

[334] M. Mohammed IZOUGARHANE, Caractéristiques physico-chimiques et métalliques de l'embouchure Del 'estuaire de Oued Sebou, activité de dragage et répercussions sur la pêche côtière et artisanale environnante Mémoire de Thèse de Doctorat UFR : Génie des ProcédésLaboratoire de Nutrition, Santé et Environnement Département de Biologie, Faculté des Sciences, Université Ibn Tofaïl, p 98, 99, Kenitra- Maroc

بداية المرحلة المطيرة حيث تختلط المياه الاستوائية مع مياه الإمطار والمياه الهادئة، وترتفع الحرارة عن 24 درجة، وتنخفض الملوحة عن 35%(335).

المصدر: البحث الميداني 2019

شكل رقم10: تأثير الملوحة على أوساط عيش الأسماك حسب تصور الصيادين بساحل المهدية مولاي بوسلهام

تتميز الأصناف السمكية بخاصيات بيولوجية تمكنها من العيش في الأوساط المائية المختلفة حسب درجات الملوحة، وإذا ارتفعت نسبة الملوحة عن المألوف، فان الأسماك تتأثر سلبا أو تموت. إن تأثير الملوحة حسب حسب نتائج الاستمارات بساحل المهدية مولاي بوسلهام، يعتبر جيدا، أي أنها مواتية لعيش الأسماك، مقابل الأسماك التي تعيش في الأوساط المتوسطة الملوح أو الضعيفة، حيث يسجل البحر نسبة متوسطة وضعيفة من الأسماك التي تعيش في هذا المستوى من الملوحة واغلبها يعيش في مناطق الدلتا والبحيرات الساحلية والأهوار مثل هور مولاي بوسلهام.

3- تأثير الرياح وانعكاسات حركة الأمواج على الصيد البحري

يؤثر اتجاه الرياح وسرعتها على عملية الصيد البحري، فالرياح الشمالية الغربية تتسبب في ابتعاد الأسماك ونزولها إلى الأعماق، بينما الرياح الجنوبية والجنوبية الشرقية تزيد من تأثير المد والجزر. تساعد هده الوضعية على استقرار أنواع مختلف الأسماك في الجزء الشمالي من الساحل المغربي، مما يزيد من كمية الأسماك.

تنشأ الأمواج عن هبوب الرياح والعواصف، وفي بعض الأحيان تكون نتيجة البراكين أو الزلازل، وبفعل قوة الرياح تتولد حركة دفع مياه سطح البحر، حينها تمر على سطح المياه بسرعة وتتكون الأمواج، حيث تعلو مياه العمق وتحل مكانها مياه السطح.

1.3- انعكاسات الرياح على الصيد البحري

ترتبط تغيرات اتجاه الرياح بدينامية خلية الضغط الجوي الأصوري، حيث تدفع الرياح التجارية القوية خلال الطقس البارد المياه الساحلية إلى البحر، لتتسبب في صعود المياه الباردة الغنية بالمغذيات من الأعماق. وفي فصل الصيف يؤدي تغير اتجاه الرياح إلى دفع المياه السطحية الدافئة

[335] LE réchauffement climatique et l'acidification des océans de la région nord-ouest africaine courant des canaries et mer d alboran travaux techniques et scientifiques INRH 2016

القادمة من الجنوب، حيث تبرز ظاهرة الانبثاق الجوفي للمياه البحرية في الجزء الشمالي للمحيط الأطلنتي انطلاقا من شمال موريتانيا وتسخن الطبقة العلوية من مياه البحر(336).

المصدر: البحث الميداني 2019.

شكل رقم 11: انعكاسات الرياح على الصيد البحري جسب تصورات الصيادين بساحل المهدية مولاي بوسلهام

تتجه بعض الأصناف السمكية نحو الساحل في مناطق التقاء المياه القارية والبحرية كما هو الشأن بمصب واد سبو وواد الدرادر بساحل المهدية مولاي بوسلهام، حيث تتجمع الأسماك في منطقة الدلتا والمناطق الساحلية المجاورة لها، بسبب تأثير الرياح التجارية. اتضح من خلال البحث الميداني، أن هذا الساحل يعرف تأثير الرياح القوية بنسبة 23%، مقابل الرياح الضعيفة ب 10%. تتميز الرياح في هذا الجزء من الساحل المغربي، بتغير اتجاهها بنسبة بلغت 20% وحسب العينة المدروسة، فان 15% من الرياح التي تهب على ساحل المهدية مولاي بوسلهام تغير اتجاهها يوميا.

2.3- -انعكاسات الأمواج على الصيد البحري

تتأثر الأمواج بأربعة عوامل، سرعة الرياح ومدة هبوبها وعمق المياه. تتألف هذه العوامل مباشرة مع حجم الموجة، فكلما زادت قيمها يزداد ارتفاعها، ويتم قياس الموجة البحرية بالمتر. تتكون حركة الأمواج من حركات دائرية للجزيئات التي يتناقص فيها نصف القطر حتى تختفي عندما تنحدر تدريجيا من السطح إلى القعر في المياه الضحلة. تتأثر الحركات دائرية للأمواج باحتكاكها بالطبوغرافية التحت بحرية (337)،يولد هذا الاحتكاك حركة أفقية، لهذا فالأمواج الطويلة تنتقل إلي المناطق الأقل عمقا أو اصغر من نصف الموجة، ويخلف هذا النوع من الأمواج أضرارا على الأرصدة السمكية.

[336] مؤتمر الأطراف، الاتفاقية المتعلقة بالتنوع البيولوجي البحري والساحلي، 2014. المناطق البحرية المهمة. ايكولوجيا او بيولوجيا. UNEP EBSAS. ص 33.

[337] منضمة الأغذية والزراعة. الأمم المتحدة، 2007 إرشادات ومعايير، عن الجوانب الفنية والبيئية لاختيار مواقع الاستزراع المائي في الأقفاص العائمة بالمملكة العربية السعودية ص 34-36

شكل رقم12: انعكاسات الرياح على الصيد البحري من منظور الصيادين بساحل المهدية مولاي بوسلهام

المصدر: البحث الميداني 2019.

يعرف ساحل المهدية مولا بوسلهام، تردد الأمواج التي تتحرك بسرعة تصل إلي 250 كلم في الساعة، وتقل سرعتها في المياه الضحلة نظرا لاصطدام قاعدتها بالطبوغرافية البحرية، وعند التقاء الأمواج مع تيارات المد التي تتحرك في اتجاه معاكس لها، تنشأ حالة بحرية إعصارية تحطم السفن وتتضرر بنيات الميناء وتتوقف عملية الصيد(338). تشير بعض معطيات البحث الميداني إلى سيادة الأمواج العاتية التي عبر عنها المستجوبون ب31 % و30% من هذه العينة تصنف هذه الأمواج ضمن الأمواج المرتفعة، موازاة مع تراجع خط الساحل وتدهور مجالاته بفعل تسارع دينامية التعرية.

خاتمة

تقدم دراسة انعكاسات عناصر المناخ على الصيد البحري بساحل المهدية مولاي بوسلهام، نظرة واضحة عن حجم التحولات التي عرفها الصيد البحري. كما أن النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة الميدانية، تبين أن عناصر المناخ لحقتها مجموعة من التغيرات التي تتعلق بالميكانيزمات المتحكمة في حالة البحر، والتغايرية الزمنية المسجلة في عناصر المناخ خاصة التساقطات والحرارة. اتضح من خلال هذا أيضا، أن حرارة مياه البحر ارتفعت عن المألوف، وأن التغيرات المستمرة لاتجاه الرياح وارتفاع سرعتها، تؤدي إلى علو الأمواج، مخلفة بذلك حالة بحرية تصعب وتتعذر فيها الملاحة. هذا، بالإضافة إلى الخسائر والأضرار على مستوى الموائل وأماكن الإباضة والتوالد الناتجة عن عنف الأمواج، ناهيك عن تدخل عوامل التعرية التي تؤدي إلى تراجع خط الساحل وارتفاع نسبة الملوحة. تؤدي حدة هذه التحولات إلى انقراض بعض الأصناف السمكية وانخفاض الإنتاج.

[338] خلاصات البحث الميداني 2019.

البيبليوغرافيا

1- بالعربية

- سعيد البوزيدي، 2010، من بانصا إلى بور اليوطي : الميناء النهري للقنيطرة على واد سبو. المدن المراسي في تاريخ المغرب. اشغال الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث التاريخي، ص 104-148.

- مندوبية الصيد البحري بالرباط، 2018، تشخيص الصيد البحري. ميناء المهدية، الرباط، مولاي بوسلهام، تقرير الأنشطة،.ص 2.

- المندوبية الجهوية للصيد البحري 2019 تقرير حول الصيد البحري، ميناء المهدية، القنيطرة، الرباط ، مولاي بوسلهام ص 93.

- الشبكة الأوربية الفائقة لتحليل النظم الايكولوجية في المحيطات EUR OCEANS وهيئة ديناميكيات النظم العالمية في المحيطات GLOBEC، 2008، تقرير حول الحالة البحرية.

- جمعية الأمم المتحدة 2013، تقرير الأمانة العامة حول قانون المحيطات والبحار، ص. 3.

- نور الدين الحايك،2017، التغيرات المناخية وإشكالية استدامة الموارد المائية بإقليم تطوان، مؤلف تحت عنوان التغيرات المناخية والتنمية الترابية بالمغرب منشورات مختبر الأبحاث والدارسات الجغرافية والتهيئة والخرائطية، جامعة سيد محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

- عبد العزيز باحو. محمد الصباحي. 2014، التغيرات المناخية وانعكاساتها على الموارد وعلى الفلاحة وتدبير التكيف، مجلة جغرافية المغرب مجلد 29 عدد 1-2. 2014. ص 18.

- الفة حاج علي واخرون، 2017، التلوث الهوائي الناتج عن وسائل النقل ومساهمته في التغيرات المناخية بجهة مراكش اسفي، منشورات مختبر الأبحاث والدارسات الجغرافية والتهيئة والخرائطية، التغيرات المناخية والتنمية الترابية بالمغرب، جامعة سيد محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

- الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2009، التقرير السنوي لمفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بشأن العلاقات بين تغير المناخ وحقوق الإنسان، ص 8.

- علي البلشي، 2012، دورة الأنظمة البنيوية للحركات الهوائية في التغايرية العامة للتساقطات في المغرب، حالة نظام التأرجح الشمال الأطلسي، مجلة جغرافية المغرب مجلد27 عدد1-2 .2011-2012.

- مؤتمر الأطراف، 2014، الاتفاقية المتعلقة بالتنوع البيولوجي البحري والساحلي، المناطق البحرية المهمة، ايكولوجيا او بيولوجيا، UNEP EBSAS. ص 33.

- منضمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2007، إرشادات ومعايير، عن الجوانب الفنية والبيئية لاختيار مواقع الاستزراع المائي في الأقفاص العائمة بالمملكة العربية السعودية، ص 34-36

2- بالفرنسية

- INRH 2016, Le réchauffement climatique et l'acidification des océans de la région nord-ouest africaine courant des canaries et mer d'alboran travaux techniques et scientifiques.

-Institut national de recherche halieutique 2010, Ressources halieutiques travaux de recherche halieutique royaume de Maroc 1997-2008.

IPCC 2007, Climate change. Synthesis report. Adapted at IPCC plenary. Valencia. Spain. P.72.

- INRH 2016 Le réchauffement climatique et l'acidification des océans de la région nord-ouest africaine courant des canaries et mer d'alboran travaux techniques et scientifiques P 39

- Mohammed IZOUGARHANE 2016, Caractéristiques physico-chimiques et métalliques de l'embouchure De l 'estuaire de Oued Sebou, activité de dragage et répercussions sur la pêche côtière et artisanale environnante Mémoire de Thèse de Doctorat UFR : Génie des Procédés Laboratoire de Nutrition, Santé et Environnement Département de Biologie, Faculté des Sciences, Université Ibn Tofaïl, p 98, 99, Kenitra- Maroc.